

مجلة

مجمع اللغة العربية الأردني

(مجلة متخصصة محكمة)
تصدر مرتين في السنة

ترسل البحوث وجميع المراسلات إلى العنوان الآتي:
رئيس هيئة تحرير مجلة مجمع اللغة العربية الأردني
ص.ب (١٣٢٦٨) عمان (١١٩٤٢) الأردن
هاتف: (٥٣٤٣٥٠٠ - ٥٣٤٣٥٠١)

الفاكس: (٥٣٥٣٨٩٧)

البريد الإلكتروني:

almajmajournal@ju.edu.jo

الموقع على الشبكة (الإنترنت)

<http://www.majma.org.jo>

الاشتراكات:

في المملكة الأردنية الهاشمية
في البلاد العربية والأجنبية
سنة دنانير سنوياً ما عدا أجور البريد
أربعة عشر دولاراً سنوياً أو ما يعادلها ما عدا أجور البريد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠١٦/٢٢٦/د)

يتحمّل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنّفه ولا يعبر
هذا المصنّف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.



ISSN 0258 - 1094

*Journal
Of Jordan Academy for Arabic*

No. 93

Vol XLI

SHAWAL 1438 H – RABI II 1439 H

JULY - DECEMBER 2017

مجلة مجمع اللغة العربية الأردني مجلة متخصصة محكمة

شروط النشر:

١. تعنى المجلة بالبحوث التي تعالج قضايا اللغة العربية وآدابها.
٢. يكون البحث المقدم للمجلة مستوفياً شروط البحث العلمي من حيث الإحاطة والاستقصاء والإضافة المعرفية والمنهجية والتوثيق وسلامة اللغة ودقة التعبير.
٣. يشترط في البحث أن يكون خاصاً بمجلة المجمع، وأن لا يكون قد نشر أو قدم لأي جهة أخرى لغايات النشر، ويقدم الباحث تعهداً خطياً بذلك، ولا مانع من أن يكون البحث جزءاً من رسالة علمية غير منشورة.
٤. أن تتسم البحوث النقدية بأسلوب النقد العلمي الموضوعي.
٥. يصبح البحث بعد قبوله للنشر حقاً لمجلة المجمع، ولا يجوز النقل عنه إلا بالإشارة إلى مجلة المجمع.
٦. لا يجوز لصاحب البحث أو لأي جهة أخرى إعادة نشر ما نشر في المجلة أو ملخص عنه في أي كتاب أو صحيفة أو دورية إلا بعد مرور ستة أشهر على تاريخ نشره في المجلة، وأن يحصل على موافقة خطية من رئيس التحرير.
٧. يرسل الباحث نسخة إلكترونية من بحثه على بريد المجمع الإلكتروني بعنوان:
(jaa@ju.edu.jo) أو على موقع المجمع على شبكة المعلومات (الإنترنت) (www.majma.org.jo) باستخدام البرنامج الحاسوبي (Ms word) بحجم خط (١٤) للمتن و (١٢) للهوامش على وجه واحد من الورقة حجم (A 4).

٨. لا تزيد صفحات البحث على ثلاثين صفحة، بمعدل (٣٠٠) ثلاثمئة كلمة للصفحة الواحدة.

٩. يتولى تحكيم البحث محكمان أو أكثر حسب ما تراه هيئة التحرير، ويلتزم الباحث بدفع النفقات المالية المترتبة على إجراء التحكيم في حال سحبه بحثه أو الرغبة في عدم متابعة إجراءات التحكيم وفق ما يقدره رئيس التحرير.

١٠. يكون قرار هيئة التحرير بإجازة نشر البحث أو الاعتذار عن عدم نشره نهائياً، وتحفظ هيئة التحرير بحق عدم إبداء الأسباب، ويجوز في حال الاعتذار أن يزود الباحث بالملاحظات والمقترحات التي يمكن أن يفيد منها في إعادة النظر ببحثه.

١١. يلتزم الباحث بإجراء التعديلات التي يطلبها المحكمون إذا كان قرار هيئة التحرير بإجازة نشر البحث مشروطاً بذلك.

١٢. البحوث غير المجازة لا ترد لأصحابها.

١٣. البحوث المنشورة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها، ولا تعبر عن هيئة التحرير أو المجمع.

١٤. يخضع ترتيب البحوث عند النشر في المجلة لمعايير فنية تراها هيئة التحرير.

١٥. يكون توثيق البحوث كما يأتي:

أ- المصادر:

يوثق المصدر عند ذكره لأول مرة على النحو الآتي:

يذكر اسم المؤلف كاملاً، وتاريخ وفاته بالهجري والميلادي بين قوسين، إن كان متوفى، واسم المصدر كاملاً بالحرف الغامق، إذا كان عربياً، وبحروف مائلة إن كان بلغة أجنبية، وعدد الأجزاء أو المجلدات وأقسامها، واسم المحقق، ودار النشر، ورقم الطبعة، ومكان النشر، وسنة النشر، ورقم الصفحة أو الصفحات.

مثال:

أبو عثمان سعيد بن محمد السرقسطي (ت ٤٠٠هـ، ١٠١٠م)، كتاب الأفعال، ج٣، تحقيق د. حسن محمد محمد شرف، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٧٥م، ج١، ص ١٨٥.

ب- المراجع:

يذكر اسم المؤلف كاملاً، وتاريخ وفاته بالهجري والميلادي، إن كان متوفى، ثم اسم المرجع كاملاً بالحرف الغامق إن كان عربياً وبحروف مائلة إن كان بلغة أجنبية، وعدد الأجزاء أو المجلدات وأقسامها، إن وجدت، ودار النشر، ورقم الطبعة، ومكان النشر، وسنة النشر، ورقم الصفحة أو الصفحات.

مثال:

حسن سعيد الكرمي (ت ١٤٣٨هـ/٢٠٠٧م)، الهادي إلى لغة العرب، ٤ ج، دار لبنان للطباعة والنشر، ١٩٩١م، بيروت، ج١ ص ٢٣٩.

ج- محاضرات المؤتمرات:

يذكر اسم المحاضر كاملاً، وعنوان بحثه أو مقالته بالحرف الغامق بين علامتي اقتباس، هكذا " " ويذكر عنوان الكتاب كاملاً، واسم المحرر أو المحررين ويضاف إليه/إليهما كلمة "رفاقه/رفاقهما" إن كانوا أكثر من اثنين على أن تذكر أسماءهم جميعاً في قائمة المراجع، واسم دار النشر، ومكان النشر، وسنة النشر، ورقم الصفحة أو الصفحات.

مثال:

شكران خربوطلي، "أوقاف دمشق وأثرها على الحركة العلمية فيها في العصر الأموي"، المؤتمر الدولي السابع لتاريخ بلاد الشام: الأوقاف في بلاد الشام، تحرير الدكتور محمد عدنان البخيت، مطبعة الجامعة الأردنية، منشورات لجنة تاريخ بلاد الشام، عمان، ٢٠٠٩م، ص ١٣-٢٧.

د- المجالات:

يذكر اسم صاحب البحث أو المقالة كاملاً، وعنوان بحثه أو مقالته بالحرف الغامق بين علامتي تنصيص هكذا " " ويذكر اسم المجلة بالحرف الغامق للمجلات العربية، وبحروف مائلة للمجلات الأجنبية، ورقم المجلد والعدد، ورقم الصفحة أو الصفحات.

مثال:

حسن حمزة، "الوضع والاشتقاق والدلالة"، مجلة المعجمية، تونس، ٢٠٠٢م، العدد ١٨، ص ٨١-٩٨.

١٦- يراعى عند الإشارة إلى الصفحة أو الصفحات المقتبس منها في الحواشي، ما يأتي:

- يوضع الرمز (ص) للدلالة على الصفحة أو الصفحات المقتبس منها إذا كان المصدر أو المرجع عربياً والحرف (p) للصفحة الواحدة، و (pp) لأكثر من صفحة إذا كان المصدر أو المرجع أجنبياً.

- يذكر اسم السورة ورقم الآية أو الآيات في متن البحث، ويرسمها القرآني.

- يذكر الحديث النبوي الشريف ومطائه ومصادر تخريجه من كتب الحديث النبوي الأصول، ويوثق كل مصدر منها توثيقاً كاملاً.

- عند ورود بيت أو أبيات من الشعر، يذكر اسم الشاعر والبحر ومصادر تخريجه.

- يذكر اسم المؤلف كاملاً عند الاستشهاد بمخطوط، ويذكر عنوان المخطوط كاملاً، ومكان وجوده، وتاريخ النسخة، وعدد أوراقها، ورقم الورقة.

١٧. تكتب أسماء الأعلام الأجنبية في متن البحث بحروف عربية (ولاتينية بين قوسين) على أن يذكر الاسم كاملاً عند وروده لأول مرة.

١٨. تكتب أسماء أعلام التراث العربي الإسلامي في متن البحث كاملة مع ذكر تاريخ الوفاة بالهجري والميلادي بين قوسين للأعلام، وتعرف المواقع في ضوء المراجع الحديثة.

١٩. توضع أرقام التوثيق بين قوسين، وتكون متسلسلة من أول البحث إلى آخره.

٢٠. يقدم كل صاحب بحث قبل النشر سيرته الذاتية في حدود (٥٠) خمسين كلمة تقريباً، تتضمن أعلى مؤهل علمي، والجامعة التي تخرج فيها، ومكان عمله، ومركزه الوظيفي واهتماماته العلمية، وعنوان بريده الإلكتروني.

٢١. يقدم إلى صاحب البحث نسخة من العدد المنشور فيه بحثه و(٢٥) مستلة من بحثه.

ترسل البحوث والمراسلات إلى المجلة على العنوان الآتي:

رئيس هيئة تحرير مجلة مجمع اللغة العربية الأردني

ص.ب (١٣٢٦٨) عمان (١١٩٤٢) الأردن

هاتف ٠٠٩٦٢٦٥٣٤٣٥٠٠

ناسوخ (فاكس) ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٧٠٦٤

البريد الإلكتروني: jaa@ju.edu.jo

موقع المجمع على شبكة المعلومات (الإنترنت) www.majma.org.jo

الفهرس

رقم الصفحة	الموضوع
١٥	أولاً: البحوث
١٧	١- التوجه الفكري لعرب الجاهلية من خلال فن المحاورات النثري (كتابا الأغاني والسيرة النبوية أنموذجاً) د. زاهر الشماع
٥٩	٢- الأنواع الناشئة من (قَطْ): دراسة في مبناها ومعناها وتطورها اللغوي أ.د. خالد المساعفة
١٥٣	٣- المعنى اللغوي وأثره في اتساع باب الأفعال الناسخة للابتداء أ.د. هادي الشجيري
٢١١	٤- المشتقات التي لا أفعال لها: دراسة في معجم (المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده) أ.د. سيف الدين الفقراء
٢٧٧	٥- الاتساق والانسجام في الخطاب الشعري (هيرمافروديتوس) لسميح القاسم (دراسة في تحليل الخطاب) د. طارق المجالي

٣٣٥ ثانياً: مع الكتب
٣٣٧	- مع التراث اللغوي المحقق؛ تعليقات د. منصور الكفاوين واستدراكات لغوية
٣٩٣ ثالثاً: أخبار جمعية

أولاً: البحوث

التَّوَجُّهُ الفِكرِيُّ لِعَرَبِ الجَاهِلِيَّةِ
مِنْ خِلالِ فَنِّ المَحَاوَرَاتِ النَّثْرِيَّةِ
(كتابا الأغاني والسيرة النبوية أنموذجاً)

د. زاهر محمد الشماع^(*)

المُلخَص

يقدِّم هذا البحثُ دراسةً تهتمُّ بالجانب الفكري للأدب، وهي تعتمد فنَّ المحاورات النثري ميداناً معرفياً لها، وتحاول من خلاله مناقشة السؤال الآتي:

إلى أي مدى تستطيع المحاورات النثرية التي وصلت إلينا أن تقدِّم صورةً عن طبيعة أذهان عرب الجاهلية وتوجُّهاتهم الفكرية، وذلك بقطع النظر عن الأخبار المدوَّنة في المصادر العربية؟

وتكمن أهمية البحث في إبراز العلاقة الوثيقة بين الأدب وقضايا المجتمعات (ومنها التوجُّه الفكري للمجتمع)، وتمتدُّ الأهمية إلى إبراز بعض الجوانب الخافية (أو المهمَّشة) في الأخبار التاريخية، من خلال المحاورات النثرية.

بدأ البحثُ بعد المقدمة بتمهيدٍ عرَّفَ فنَّ المحاورات النثري في الأدب العربي، ووضَّحَ علاقة المحاورات بالمجتمع، وتطرَّقَ إلى المحاورات في العصر الجاهلي بشكل خاص، وبدا أصبحت السبيلُ ممهِّدةً للولوج إلى صلب الموضوع المدروس.

رصدت الدراسةُ طبيعةً أذهانِ عربِ الجاهلية وتوجُّهاتهم الفكرية على صُعْدِ عِدَّةٍ، وهي: الصعيد السياسي، والديني، والثقافي، والاجتماعي. لتتكامل صورة التوجُّه الفكري لذاك المجتمع في مختلف جوانب الحياة.

وانتهى البحثُ بخاتمةٍ بيَّنت النتائج التي توصَّلت إليها الدراسة.

(*) عضو الهيئة التدريسية في جامعة دمشق.

**The mental direction of pre-Islamic Arabs, through the art of prose dialogues.
(The books of: Al- Aghani and the prophet Mohammed biography, for example.)**

ABSTRACT

This paper presents a study concerned with the intellectual side of literature, through prose dialogues, and trying to discuss the following question:

To what extent can dialogues that have reached us to provide a picture of the minds nature of the pre-Islamic Arabs, and their intellectual orientation, regardless of the written news in Arabic sources?

The importance of research in highlighting the relationship between literature and society issues (including the intellectual orientation of society), and the importance extends to highlight some of the latent aspects (or marginalized) in the historic news, through prose dialogues.

The search began after introduction by definition of the prose dialogues in Arabic literature, and then explained the relationship between dialogues and society, then spoke about the dialogues in the pre-Islamic era, in particular, and then entered in the studied subject.

The study observed the minds nature of the pre-Islamic Arabs and their intellectual orientations on many levels, namely: the political level, religious, cultural, and social. To integrate the intellectual orientation picture of that society in the different aspects of life.

The search ended with a conclusion showed the findings of the study.

مقدمة

وصل إلينا الكثير من المصادر عن أخبار حياة عرب الجاهلية ومعيشتهم وطبيعة مجتمعاتهم، ومن المصادر ما يكشف عن طبائعهم وتوجهاتهم الفكرية في مختلف جوانب الحياة. بيد أن مصادر أخرى وصلت إلينا سوى المصادر التاريخية كان لها طابع مميز في الفكر الإنساني، وأهم هذه المصادر هو الأدب، ذلك أن هذا النشاط الفكري الإنساني ذو وظائف متعددة، تكلم عليها النقاد وأشبعوها تفصيلاً، لكنّ للأدب جانبين أساسيين في ميدان النقد الأدبي، وهما الفكر والفن، وتتجه عمليات النقد إلى كلا الجانبين أو إلى أحدهما، بحسب موضوع الناقد ودراسته.

وإذا سلطنا الضوء على الجانب الفكري للأدب، وجدناه في إحدى وظائفه سجلاً تاريخياً على الحقبة الزمنية التي أنتج فيها، إذ نجده كاشفاً عن طبيعة ذهن منتجها وتوجهه الفكري، ولما كان الأدب (ابن بيئته) كما هو معروف لدى النقاد، كان كاشفاً عن طبيعة المجتمع الذي أنتج في حضنه.

وللأدب وجهان أساسيان: شعر ونثر، وفنونهما وألوانهما معروفة، ويبرز فن المحاورات من فنون النثر العربي ليكون ميداناً معرفياً لهذا البحث، وبذا تترسخ أهمية الأدب في علاقته الوثيقة والعميقة بقضايا المجتمعات البشرية (ومنها التوجه الفكري لأبناء المجتمع)، إذ إن كليهما ينتمي إلى الأصل ذاته، وهو الفكر الإنساني.

وتكمن أهمية المحاورات النثرية في أن المحاوراة الواحدة تُظهر أفكار شخصين أو أكثر (بحسب عدد المتحاورين)، وهي نوع من تبادل الأفكار أو المعلومات أو وجهات النظر، لذا فهي سجلٌ على نواحٍ عدة في الزمن الذي جرت فيه؛ وبذلك تُعدُّ سجلاً تاريخياً حفظ لنا وقائع ومعلومات وأفكاراً دالةً على طبيعة المجتمع الذي جرت فيه، بما فيه من توجهات فكرية للجماعات البشرية القاطنة في إبانها.

ويحاول هذا البحث رصد التوجه الفكري لعرب الجاهلية من خلال المحاورات النثرية على صُعدٍ عدّة، وهي: الصعيد السياسي، والديني، والثقافي، والاجتماعي. لتتكامل صورة التوجه الفكري لذاك المجتمع في مختلف جوانب الحياة.

فن المحاورات النثرية في الأدب العربي:

إنَّ مكانة النثر لا تقلُّ عن مكانة الشعر في ميدان الأدب العربي عامَّةً، وإنَّ كان هناك وجهات نظرٍ مختلفةٍ حول أهمية كلِّ من ذينك الوجهين: الشعر والنثر، وحول أولية كلِّ منهما وأسبقيته في الظهور. بيد أنَّ النثر استطاع أن يولِّد أنواعاً تنتمي إليه، وتعدَّدت هذه الأنواع واستقلَّت كلُّ منها بنفسه، حتى أصبح فناً من فنون النثر، له خصائصه المستقلة والتميزة عن غيره من الفنون. واختلف الباحثون والدارسون في تحديد الأنواع النثرية الموجودة في ساحة النثر العربي، فبعضهم ضاق نظره عن رؤية الأنواع جميعها، وبعضهم كان مستقصياً لهذه الأنواع، فتبايَن عدد الفنون النثرية لدى الدارسين، كلُّ حسب اطلاعه أو رؤيته النقدية.^(١)

ويُعَدُّ فنُّ المحاورات واحداً من الأنواع النثرية الشهيرة التي ظهرت تباعاً عبر العصور وشاعت في جُلِّ التراث العربي المدوَّن.^(٢)

والمحاورات النثرية مبنوثة في بطون المصادر العربية بشكلٍ لافت للنظر، ولا سيما ضمن الأخبار التي نقلها إلينا المؤلِّفون القدامى. فقد كان يقابل عملية الإنتاج الأدبي عند العرب عملية أخرى مكِّمَّة لها، وهي حفظ هذا الإنتاج، وكان يقوم به -أيام فشو الأمية- الرواة شفاهاً، ثم لم يمضِ إلا قليلاً من العصر العباسي

(١) يبرز في هذا المجال الباحث الدكتور محمود المقداد، إذ عدَّ من فنون النثر اثنين وثلاثين نوعاً، ظهرت تباعاً منذ العصر الجاهلي وحتى العصر الحديث، وهو يدرِّسها لطلاب قسم اللغة العربية من خلال محاضراته، بيد أنَّه في كتابه: (تاريخ الترسل النثري عند العرب في الجاهلية) المطبوع في عام ١٩٩٣م، أحصى الأنواع النثرية التي ظهرت من الجاهلية إلى أواخر العصر الأموي، فكانت سبعة عشر نوعاً.

(٢) كان فن المحاورات من بين الأنواع النثرية التي عدَّها د. محمود المقداد في كتابه، انظر: محمود المقداد، تاريخ الترسل النثري عند العرب في الجاهلية، دار الفكر، ط ١، دمشق، ١٩٩٣م، ص من ٧٥ إلى ٩٣.

حتى كانت لنا مجموعات ضخمة من الآداب المختلفة باللسان العربي: شعراً ونثراً. فمن النثر: الخطب، والأمثال والحكم، والوصايا، والرسائل، والتوقيعات، وال نوادر من الأخبار والملح والفكاهات، والأجوبة، والمحاورات.

ومن ثم تأتي أهمية تناول فنّ المحاورات النثري بالدرس، والنظر إليه بمنظار الفكر والفن؛ وقد اخترنا في هذا البحث الناحية الفكرية لنسلط عليها الضوء ونضعها قيد الدراسة ونرصد علاقتها بقضية مجتمعية مهمة، تتمثل بالتوجه الفكري لأبناء المجتمع في مختلف جوانب الحياة.

ولكننا بادئ ذي بدء، ينبغي أن نوضّح مفهوم المحاورَة لغةً ومصطلحاً، لكي يستقيم لنا استخدام هذا المصطلح في مكانه الصحيح من النثر العربي.

فالمحاورَة، لغةً، تعني مراجعة الكلام بين طرفين أو أكثر. جاء في معجم (مقاييس اللغة): "يقال: حَارَ، إِذَا رَجَعَ... وتقول: كَلَّمْتُهُ فَمَا رَجَعَ إِلَيَّ حَوَاراً وَحَوَاراً وَمَحُورَةً وَحَوِيرًا."^(١)

وفي (لسان العرب): "يَتَحَاوَرُونَ: أَي يَتَرَاوَعُونَ الْكَلَامَ، وَالْمُحَاوَرَةُ: مَرَاجَعَةُ الْمُنْطِقِ وَالْكَلَامِ فِي الْمَخَاطَبَةِ، وَقَدْ حَاوَرَهُ..."^(٢).

وإذا انتقلنا إلى اصطلاح المحاورَة، وجدناه مطابقاً للمدلول اللغوي الأصلي منذ العصور العربية القديمة، فالمحاورَة التي هي مراجعة الكلام بين طرفين أو أكثر، حوت بداخلها أفكاراً تتبادلها المتحاورون فيما بينهم، ووصلت محاوراتهم إلينا عن طريق تدوينها من المؤلفين القدامى، إذ ضمّنا مؤلفاتهم محاورات جرّت في عصرهم أو في عصور سابقة لهم، ووصلت المؤلفات إلينا فاطلّعنا عليها^(٣). بيد

(١) أحمد بن فارس بن زكريا (ت: ٣٩٥ هـ، ١٠٠٤ م)، مقاييس اللغة، ٦ ج، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٢ م، ج ٢، ص ٩٣-٩٤.

(٢) محمد بن المكرم بن منظور (ت: ٧١١ هـ، ١٣١١ م)، لسان العرب، ٥٥ ج، تحقيق: عبدالله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ج ١٢، ص ١٠٤٣.

(٣) سنتطرّق إلى قضية (توثيق المحاورات المدوّنة) في الفقرة التالية.

أننا حين ننظر إلى المحاورات في تراثنا العربي نجدها مقسومةً قسمين رئيسيين تبعاً لجنسي الأدب المعروفين: الشعر والنثر. إذ نجد محاورات واردة في أشعار العرب وهي المحاورات الشعرية، وهي كثيرة وتستحق دراسة مستقلة في الشعر العربي. ونجد محاورات نثرية في كلام العرب المرسل، وهو ما يندرج ضمن النثر العربي. ولقد خصصنا دراستنا بالمحاورات النثرية لننظر إليها بمنظار الفكر ضمن الحقبة الزمنية المحددة بالعنوان وهي العصر الجاهلي^(١).

توثيق المحاورات النثرية المدونة:

كانت الرواية الوسيلة المعتمدة لحفظ الكلام ونشره في العصور العربية القديمة، ثم مع بزوغ عهود الكتابة وانتشارها وتطورها، بدأ ما يسمّى بعصر التدوين^(٢)، إذ ظهرت مؤلفات قام على تأليفها علماء وحافظون وكتّاب، حرصاً

(١) سنعمد في هذا البحث رأي الذين عدّوا العصر الجاهليّ أنه الحقبة الزمنية التي سبقت البعثة المحمّدية بقرن ونصف إلى قرنين من الزمن، وهذا ما ذكره الجاحظ في كتابه (الحيوان)، انظر: عمرو بن بحر الشهير بالجاحظ (ت: ٢٥٥هـ، ٨٦٩م)، الحيوان، ٨ ج، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط ٢، مصر، ١٩٦٥م، ج ١، ص ٧٤، وهذه الحقبة هي التي تكاملت للغة العربية منذ أوائلها خصائصها، وهي التي جاءنا عنها الشعر الجاهلي، انظر: شوقي ضيف (ت: ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٥م)، تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)، دار المعارف، ط ٢٤، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص ٣٨.

(٢) من المعروف أنّ تدوين أخبار السلف العربي وقصصهم وآثارهم، ازدهر في العصر العباسي، مع انتشار حركة التأليف وظهور المؤلفات المهمة التي تسمى اليوم أمهات المصادر العربية. بيد أنّ حركة التدوين كان لها إرهابات سابقة لوجودها بوصفها حركة مزدهرة، شأنها في ذلك شأن كثير من مظاهر الحياة والحضارة، فرأى بعض الباحثين أنّ تجميع آثار السلف لم يتأخّر إلى عصر التدوين في أيام العباسيين، وإنما بدأ منذ عصر الخلفاء الراشدين، انظر: فاروق خورشيد، في الرواية العربية (عصر التجميع)، دار الشروق، ط ٣، بيروت، ١٩٨٢م، ص ٧٧-٧٨. وقد أثبت د. ناصر الدين الأسد ذلك بالأدلة، ثم خلص إلى القول: "إنّ تدوين الحديث والتفسير واللغة والأنساب والشعر قد بدأ منذ عهد مبكر جداً، وليس صحيحاً ما يُذكر من أنّ التدوين لم يعرفه العرب إلا في آخر القرن الثاني ومطلع القرن الثالث". ناصر الدين الأسد (ت: ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م)، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، دار الجيل، ط ٧، بيروت، ١٩٨٨م، ص ١٤٢.

على حفظ التراث العربي من فنون وعلوم وآثار، وخوفاً عليه من الضياع، فضلاً عن تيسير نشره استشعاراً منهم بضرورة نشر علوم العربية وفنونها وأخبار العرب وآثارهم، لما لها من أهمية وقيمة إذ إنها قوام الحضارة العربية آنذاك. ومن بين المؤلفات التي خَلَفها لنا أجدادنا العرب أو معتنقو العربية ما يشتمل على آثار وأخبار وقصص السلف، فتنوّعت فنون الكلام في تلك المؤلفات، فنجد القصص والحكايات والأخبار والأحاديث والمناظرات والمحاورات والخطب والرسائل والحكم والأمثال ... حتى شكّلت هذه الألوان الفنية ما يسمّى بفنون النثر العربي. أمّا مصادر المؤلفين في تدوين هذه الآثار، فكان لديهم مصدران لا ثالث لهما: فإمّا عن طريق الرواية، وإمّا ما دَوَّنه القدامى بأنفسهم ممّا وصل إلى العصر العباسي مدوّناً^(١).

ولعلّ جهود بعض الباحثين قد أفادت في تقديم صورة موضوعية عن مدى الاطمئنان إلى ما وصل إلينا من آثار أدبية مدوّنة في المصادر، من حيث مطابقتها لحقيقة إنتاجها لفظاً وصياغةً من جهة، ومن حيث نسبتها إلى منتجها من جهةٍ أخرى. فعرّض الباحث (فاروق خورشيد) لقضية صياغة الآثار الأدبية الجاهلية المدوّنة في مؤلّفات العصر العباسي، وهي من صياغة قائلها أم من صياغة مؤلّف العصر العباسي؟ وحاول نقد بعض الباحثين الآخرين (كشوقي ضيف، وأحمد أمين) في شكّهم الكبير الذي كالموه للقصص والآثار النثرية المدوّنة في مؤلّفات العصر العباسي، من خلال عقد مقارنة بين آثار مدوّنة في المؤلفات (كالشعر الجاهلي) إذ اطمأنّ الباحثون والدارسون إليها أكثر من اطمئنانهم إلى آثار أخرى مدوّنة أيضاً (كالقصص وغيرها من نصوص نثرية). وأبرز فاروق خورشيد أسباب ذلك من وجهة نظره التي لا تخلو من المنطقية والدقة العلمية،

(١) انظر: فاروق خورشيد، في الرواية العربية (عصر التجميع)، ص ٤٠.

وخلص إلى إثبات المساواة بين مدى الاطمئنان إلى الشعر الجاهلي مثلاً، والآثار الأدبية الأخرى كالقصص وغيرها من آثار نثرية^(١). وبالذهاب مع هذه الرؤية المناقشة علمياً، يبلغ اطمئناننا إلى محاورات الجاهليين التي وصلت إلينا في المصادر شأواً بعيداً من حيث مطابقتها لما دار على ألسنتهم، سوى ما حمل منها من مظاهر النحل أو ما شكك فيه مؤلفو المصادر أنفسهم.

علاقة المحاورات بالمجتمع:

الأدب، بشكل عام، وثيق الصلة بالمجتمع الذي ينتمي إليه، وهذه الصلة وَجْهٌ من وجوه الرأي حول الأدب عامةً، إذ ترسَّخت هذه الرؤية بظهور المدارس والمذاهب النقدية في العصر الحديث، التي كان من بينها مذهب النقد الاجتماعي الذي يذهب إلى "تفسير الأدب والظاهرة الأدبية في المجتمعات التي تنتجها وتستقبله وتستهلكه."^(٢) ويرى أصحاب هذا المذهب^(٣) أنَّ النص الأدبي مكانٌ لحركة المجتمع وتكوينه، ومن ثمَّ فالنقد الاجتماعي عبارة عن قراءة تاريخية واجتماعية وثقافية ضمن بوتقة النص الأدبي الذي لا يمكن أن يوجد بعيداً عن الواقع^(٤).

(١) انظر: فاروق خورشيد، في الرواية العربية (عصر التجميع)، ص ٢٨-٤٢.

(٢) مجموعة من المؤلفين، مقدمة في المناهج النقدية للتحليل الأدبي، ترجمة: وائل بركات وغسان السيد، دار زيد بن ثابت، دمشق، ١٩٩٥م، ص ١٣٥.

(٣) ظهر مؤسسو هذه النظرية مع بداية القرن العشرين، فكان (بليخانوف) الذي رسَّخ تطبيق النظرية الماركسية على الأدب، ولا يخفى الأساس الاجتماعي للفلسفة الماركسية. ونجد (جورج لوكانش) وتلميذه (لوسيان غولدمان) اللذين اعتمدا نظراً شبيهةً بالنظرة الماركسية إلى الأدب لكنها أقل صرامةً منها وأكثر وعياً للمظاهر الجمالية. انظر: روبرتا سكاربيت، سوسيولوجيا الأدب، ترجمة: آمال أنطوان عرموني، دار عويدات، ط ٢، بيروت، ١٩٨٣م، ص ٣١-٣٢.

(٤) انظر: مجموعة من المؤلفين، مقدمة في المناهج النقدية للتحليل الأدبي، ص ١٣٥.

ومن ثمَّ كانت ألوان الفنون الأدبية كلها مرآة للمجتمعات التي تنتمي إليها، ومن ضمنها المحاورات النثرية موضوع دراستنا في هذا البحث. بيد أنَّ ثَمَّةَ أمراً يضاف إلى ما ذكرنا عن الأدب بوجه عام، يخصُّ فنَّ المحاورات النثري؛ ذلك أنَّ المحاورات التي تجري بين طرفين أو أكثر، تنشي عن طبيعة تفكير كلِّ من الأطراف المتحاورة بشكل مباشر وعفوي، وتكشف رؤاه وتوضِّح بيئته، إذ إنَّ المتكلِّم يفصح عن آرائه أو تساؤلاته وما يدور في خَلْدِه للطرف الآخر، ليجد لديه رداً على كلامه، ومن ثمَّ تتَّضح لنا في نهاية المحاورَة صُورٌ عن طبيعة المجتمع الذي جَرَتْ فيه المحاورَة، بحسب الموضوع العام الذي ينظم المحاورَة. فنَمَّةُ محاورَة موضوعها سياسي، وأخرى موضوعها ديني، وثالثة موضوعها أدبي،... وهكذا.

ومن ثمَّ تأتي أهمية المحاورات النثرية في كشفها للمجتمعات المنبثقة عنها من حيث الرؤى والفكر ومدى الحضارة وغير ذلك مما يتعلَّق بطبائع المجتمعات.

المحاورات في العصر الجاهلي:

انحصرت فنون القول النثري لدى العرب في العصر الجاهلي بألوانٍ حدَّدها الدارسون والباحثون والنقاد فيما بعد، وخلصوا إلى أنَّ العرب في الجاهلية كانت لديهم فنون النثر الآتية:

الخطابة، وسَجْع الكُهَّان، والوصايا، والمفاخرات، والمنافرات، والحكم، والأمثال، والمحاورات، والقصص والحكايات، والرسائل.^(١)

فإذا تَصَقَّحْنَا أمهات المصادر العربية، وجدنا فيها محاورات جمَّة، تنتمي إلى عهود زمنية متعدِّدة. وإذا سلَّطنا الضوء على المحاورات التي جَرَتْ في العصر الجاهلي ووصلت إلينا عن طريق تدوينها في مؤلَّفات، رأينا جوانب من الحياة

(١) انظر تحديد هذه الأنواع والكلام عليها في كتاب محمود المقداد: (تاريخ الترسل النثري عند العرب في الجاهلية).

الجاهلية جليّةً قد عكستها المحاورات الحادثة بين أهل ذلك العصر، بل كدنا نعاين بدقة بعض ما عرفناه عن حياة الجاهليين بمناقبها ومثالبها، من عادات وتقاليد ومعتقدات وطبائع النفوس والمعارف، إلى غير ذلك من معالم الحياة. ولمّا كانت المحاورات النثرية مبنوثةً في كتب الأخبار والسير والمغازي والتاريخ، المؤلفة في عصر التدوين الأول، فقد عدتّ مصدراً مهماً وأساسياً في معرفة الحياة الجاهلية بمختلف مناحيها، إذ عدتّ تلك الأنواع من الكتب المصدر الثالث بعد القرآن الكريم والشعر الجاهلي في استقاء المعلومات عن الحياة الجاهلية^(١).

ومن المعروف أنّ منظومة الحياة لأيّ مجتمع تشمل مناحي متعددة، منها: الدين والمعتقدات، والسياسة، والعلاقات الاجتماعية، والعلوم، والفنون،... على أنها تتفاوت في نسب وجودها وسيادتها في المجتمع بحسب تطوّر المجتمع ونموّه الحضاري أو تخلفه وانحطاطه.

ونستطيع في مجتمع الجاهلية أن نرصد مفاهيم وصوراً متنوعة من الحياة، تنتمي بشكل أو بآخر إلى المناحي التي ذكرناها آنفاً. فمن الصور التي يمكن رصدها: الدين، والسياسة، والعلاقات الاجتماعية، والفكاهة، والموت، والخرافة، والأنساب، والأدب (بشقيّه: الشعر والنثر)، والمقدرة اللغوية والبلاغية، والحكمة، والعادات والتقاليد،... وغيرها. وسيتبيّن لنا في الفقرات الآتية كيف يمكن للمحاورات النثرية التي دارت في العصر الجاهلي أن تقدّم لنا صوراً متعدّدة لطبيعة تفكير أبناء المجتمع الجاهلي، وقد تمكّنا من تصنيف تلك الصور ضمن صُعدٍ عدّة، وهي: الصعيد السياسي، والصعيد الديني، والصعيد الثقافي، والصعيد الاجتماعي.

(١) انظر: محمد توفيق أبو علي، الأمثال العربية والعصر الجاهلي (دراسة تحليلية)، دار

النفاّس، ط١، بيروت، ١٩٨٨م، ص٢٠٨.

التوجُّه الفكري لعرب الجاهلية:

لا بد لدارس العصر الجاهلي أن يضع نصب عينيه أن "عرب الجاهلية لم يكونوا مجتمعاً واحداً، بل كانوا طبقات اجتماعية مختلفة متباينة تمثّل المجتمعات الإنسانية التي مرّت بها البشرية في تاريخها الطويل... ولذلك كان من الإخلال الفاضح بالمنهج السديد أن يُنظر إلى العصر الجاهلي نظرة واحدة، وأن يُحكّم عليه حكم عام مطلق، وأن يوصمّ عرب الجاهلية جميعاً بالبداءة والجهالة، فلا تُراعى هذه الفروق الواسعة في البيئات الاجتماعية المتباينة. فإنّ صحَّ أنّ بعض الأعراب في صحراوات الجزيرة كانوا في معزل عن العالم المتمددين آنذاك، فإنه من الصحيح كذلك أنّ بعض البيئات الاجتماعية الأخرى كانت متصلة بمعالم المدنية لذلك العهد، مواكبةً لركب الحضارة."^(١)

ومن ثمّ فإنّ النظر إلى مجتمع الجاهلية بعينٍ واحدةٍ أمرٌ مجانبٌ للصواب، كما أنّ تعميم الأحكام على هذا المجتمع أمرٌ بعيدٌ عن الدقة. بيد أنّ صور الحياة والمجتمع إبان العصر الجاهلي تمنحنا أعيناً عدة يمكن أن ننظر بها إلى ذاك المجتمع. ولما كانت المحاورات النثرية نافذةً نُطلُّ من خلالها على مجتمع عرب الجاهلية، فإنّ هذه النافذة تجعلنا نعاين مظاهر عدة في حياة الجاهليين، ومن ثمّ نتعرّف توجُّههم الفكري آنذاك، إذ إنّ كلام المرء جزءٌ من عقله.

فإذا توجَّهنا بنظرنا إلى ما وصل إلينا من محاورات نثرية ماثورة في المصادر العربية، عثرنا على محاوراتٍ تُبيِّن لنا -بقطع النظر عن الأخبار- حقائق عديدة حول توجُّه العرب الفكري إبان عصرهم الجاهلي في مختلف سعد الحياة.

(١) ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ص ٩-١٠.

• الصعيد السياسي:

لما كان عربُ الجاهلية منقسمين إلى فئاتٍ بحسب بيئَةِ البقعة التي يقطنونها، كان النظام السياسي بين تلك البيئات مختلفاً ومتبايناً؛ فمجتمعُ البدو "يتحكّم فيه رؤساء القبائل وساداتها، وكل قبيلة تَأتمر بأمر سيدها وتخضع لإرادته في السلم والحرب جميعاً،... وهو الحَكَم والمرجع في كل ما شَجَرَ بين أفرادها من خلاف، وللقبيلة بجانب رئيسها حَكّام امتازوا بأصالة الرأي وحصافة العقل وصدق النظر... وهذا النظام هو الذي كانت تسير عليه أغلبية العرب من البدو في نجد والحجاز وتهامة، ويستثنى من ذلك مكة والإمارات التي على التخوم واليمن^(١). أما القرشيون فلثرائهم من التجارة، ولاتصالهم بالأمم المتحضّرة كفارس والروم، ولنضوج عقليتهم وثقافتهم وتفكيرهم، كانوا يحكمون مكة حكماً أدقّ وأنضج من هذا النظام البدوي السائد."^(٢)

ونعثر على محاورتين جَزَئياً في الحيرة إبان العصر الجاهلي، وكان على الحيرة آنذاك المنذر بن ماء السماء اللّخمي^(٣)، ووردت المحاورتان ضمن خبرٍ عن

(١) من تلك الإمارات المتحضّرة إمارة غسان في الشام، وإمارة الحيرة في حدود العراق، أما في اليمن فقامت دول عدة متحضّرة منمّطة، أشهرها: دولة المعينيين ودولة سبأ والدولة الحميرية. انظر: محمد عبدالمنعم خفاجي (ت: ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٦م)، *الحياة الأدبية في العصر الجاهلي*، دار الجبل، ط١، بيروت، ١٩٩٢م، ص٤٥، ٤٧، ٥٤.

(٢) المرجع السابق، ص٤٢-٤٣.

(٣) الحيرة مملكة أقامها الفُرس على حدود بلادهم بالقرب من الكوفة لتحميهم من غارات العرب وليحاربوا بها أعداءهم الروم، واستعملوا عليها حكاماً من العرب عُرفوا باللخمييين نسبةً إلى عمرو بن عدي بن نصر اللخمي أوّل ملوكها الذين شكّلوا سلسلة من ملوك آل لخم تولوا على الحكم إلا قليلاً من الدخلاء بينهم. وقد تأثرت الحيرة بحضارة الفرس وثقافتها ومعارفها تأثراً كبيراً، وتمتّعت هذه الدولة بقسط وفير من الحضارة والمدنية، وكان قاطنوها أخلاطاً من أمم شتى أكثرهم من العرب. انظر: جرجي زيدان (ت: ١٣٣٢هـ، ١٩١٤م)، *العرب قبل الإسلام*، مطبعة الهلال، ط٢، مصر، ١٩٢٢م، ص١٩٩-٢٠٠.

تولية أهل الحيرة زيد بن حماد التميمي أمرهم، وهو أبو الشاعر الجاهلي المعروف عدي بن زيد التميمي. وكان من خبر هاتين المحاورتين أن أهل الحيرة أرادوا قتل المنذر لأنه كان لا يعدل فيهم، فلما تيقن أن أهل الحيرة أجمعوا على قتله، بعث إلى زيد بن حماد التميمي، وكان قبله على الحيرة، فقال له: "يا زيد أنت خليفة أبي، وقد بلغني ما أجمع عليه أهل الحيرة فلا حاجة لي في ملؤكم، دونكموه ملؤوه من شئتم؛ فقال له زيد: إن الأمر ليس إلي، ولكني أسبُر^(١) لك هذا الأمر ولا ألوك نصحا^(٢)."

فلما أصبح غدا إليه الناس فحيوه تحية الملك، وقالوا له: ألا تبتعث إلى عبدك الظالم -يعنون المنذر- فتريح منه رعيتك؟ فقال لهم: أولا خير من ذلك؟! قالوا: أشر علينا؛ قال: تدعونني على حاله فإنه من أهل بيت ملك، وأنا آتية فأخبره أن أهل الحيرة قد اختاروا رجلاً يكون أمر الحيرة إليه إلا أن يكون غرو أو قتال، فلك اسم الملك وليس إليك سوى ذلك من الأمور؛ قالوا: رأيك أفضل.

فأتى المنذر فأخبره بما قالوا؛ فقبل ذلك وفرح، وقال: إن لك يا زيد عليّ نعمة لا أكفرها ما عرفت حق سبد -وسبد: صنم كان لأهل الحيرة- فولى أهل الحيرة زيدا على كل شيء سوى اسم الملك فإنهم أقرّوه للمنذر.^(٣) تكشف لنا المحاورتان حقائق مهمة حول الفكر السياسي آنذاك، مع الأخذ بعين الاعتبار طبيعة مجتمع الحيرة، الذي جمّع أخلاطاً من أمم شتى تمازجت في بوتقة دولة واحدة ذات حكمٍ واحدٍ، وجاورَ دولةَ الفرس ذات الحضارة المزدهرة.

(١) سبّر الأمر: اختبره واستخرج كنهه.

(٢) لا ألوك نصحاً: أي لا أفتر ولا أقصر.

(٣) أبو الفرج الأصفهاني (ت: ٣٥٦هـ، ٩٦٧م)، الأغاني، ٢٤ ج، تحقيق: مجموعة من

المحققين بإشراف محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، بين

عامي ١٩٩٢م و١٩٩٤م، ج ٢، ص ١٠٣-١٠٤.

تحمل المحاورتان دلائل عدة حول الحاكم والرعية، فنلحظ سيادة جَوْ من الحرية السياسية في هذا المجتمع؛ ألا نرى إلى تمرُّد الرعية على ظلم الحاكم وجرأتهم في طلب تغييره؟! وألا نرى إلى خضوع الحاكم لمطلب الرعية وتنازله عن المُلك فَوْرَ إحساسه بإجماع الرعية على ذلك؟!

وَدَلَّت المحاورتان أيضاً على حِكْمَةِ رجلٍ من الملوك وحنكته (وهو زيد بن حَمَّاد التميمي)، فحكمته تجلَّت في رفضه البتَّ بالأمر دون مشورة الرعية، وأما حنكته وذكاؤه فتبدَّيا في الحل الذي ابتدعه، وقد أَرْضَى به الحاكم والرعية، مع الحفاظ على مصلحة الطرفين.

وثمة محاورَةٌ أخرى تتعلَّق بالحرب الشهيرة بين الأوس والخزرج التي استمرَّت عشرين سنة، يتعاودون القتال في تلك السنين، وكانت لهم أيام ومواطن كثيرة. فلَمَّا رأت الأوس طول الشرِّ وأنَّ رأس الخزرج مالك بن العجلان لا يكفُّ، أشار عليهم سويد بن صامت الأوسي وهو من فرسانهم وحكمائهم، أن يُرضوا مالكاً من خَلِيفِهِ^(١)، لكيلا يقيموا على الحرب فيقتل بعضهم بعضاً ويطمع الغريب فيهم، فأرسلت الأوس إلى مالك بن العجلان يدعونه إلى أن يحكم بينه وبينهم ثابت بن المنذر بن حرام (أبو حسان بن ثابت). فأجابهم إلى ذلك، فخرجوا حتى أتوا ثابت ابن المنذر، فقالوا له:

"إِنَّا قَدْ حَكَمْنَاكَ بَيْنَنَا؛ فَقَالَ: لَا حَاجَةَ لِي فِي ذَلِكَ؛ قَالُوا: وَلِمَ؟ قَالَ: أَخَافُ أَنْ تَرُدُّوا حُكْمِي كَمَا رَدَدْتُمْ حُكْمَ عَمْرٍو بْنِ امْرِئِ الْقَيْسِ؛ قَالُوا: فَإِنَّا لَنَرُدُّ حُكْمَكَ فَاحْكُم بَيْنَنَا؛ قَالَ: لَا أَحْكُم بَيْنَكُمْ حَتَّى تُعْطُونِي مَوْثِقًا وَعَهْدًا لَتَرْضَوْنَ بِحُكْمِي وَمَا قَضَيْتُ بِهِ وَلِتُسَلِّمَنَّ لَهُ؛ فَأَعْطَوْهُ عَلَى ذَلِكَ عَهودَهُمْ وَمَوَاقِفَهُمْ، فَحُكِمَ بِأَنْ يُودَى

(١) كان الجار في الجاهلية يُدعى خَلِيفًا، أما ابن القبيلة فيُدعى صَرِيحًا، وكانت دية الخليف

نصف دية الصريح، انظر: المصدر السابق، ج ٣، ص ١٩، ٢٦.

حليفُ مالكِ ديةَ الصريحِ ثم تكون السنَّةُ فيهم بعده على ما كانت عليه؛ الصريحُ على دِيتهِ والحليفُ على دِيتهِ، وأن تُعدَّ القتلى الذين أصاب بعضهم من بعض في حربهم، ثم يكون بعضٌ ببعض، ثم يُعطوا الدية لمن كان له فضلٌ في القتلى من الفريقين، فرضي بذلك مالكٌ وسلَّمت الأوسُ وتفرَّقوا على أنَّ على بني النجَّار نصفَ ديةِ جارِ مالكٍ معونةً لإخوتهم، وعلى بني عمرو بن عوف نصفها. فرأت بنو عمرو بن عوف أنهم لم يُخرجوا إلا الذي كان عليهم، ورأى مالكٌ أنه قد أدرك ما كان يطلبُ، ووَدِيَ جازُهُ ديةَ الصريحِ.^(١)

وفي هذه المحاورَة صورة أخرى للفكر السياسي المتأثر بالحروب بين القبائل، وسياسة الصلح، واللجوء إلى الحَكم والأخذ بحُكمِهِ وإن كان على أنفسهم. ثم إنَّ هذه المحاورَة تنطق على لسان ثابت بن المنذر بأصول العهود والاتفاقيات ونظام الدية والحكم تبعاً لعدد القتلى في الحرب وما إلى ذلك من النظام السياسي الذي وَجَّهَهُمْ فِكْرُهُم إليه فاتبعوه وعاشوا في ظلاله.

وفي محاورَة جَرَّتْ بين فارسَيْن من فرسان العرب آنذاك هما: عمرو بن مَعْدِي كَرِب وربيعة بن مُكَدَّم، يَظْهَرُ لنا التوجُّه الفكري لفرسان العرب وسادتها ووجوهها، إذ التقى الفارسان وقد صار عمرو راجلاً، فأقدم ربيعة يريد مواجهة عمرو ولا يعرف أحدهما الآخر، فقال عمرو لربيعة:

"ويحك! من أنت؟ فوالله ما ظننتُ أحداً من العرب يُقدم عليَّ إلا ثلاثة: الحارث بن ظالم، للعُجْب والخيلاء؛ وعامر بن الطُفَيْل للسنِّ والتجربة؛ وربيعة بن مُكَدَّم للحداثة والغرَّة، فمن أنت ويليكَ؟ قال: بل الويل لك، فمن أنت؟ قلت: عمرو ابن مَعْدِي كَرِب، قال: وأنا ربيعة بن مُكَدَّم. قلت: يا هذا، إنني قد صرت راجلاً، فاختر مني إحدى ثلاث، إن شئت اجتلدنا بسيفينا حتى يموت الأعجز، وإن شئت

(١) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج ٣، ص ٢٥-٢٦.

اصطرعنا، فأينا صرع صاحبه حكم فيه؛ وإن شئت سالمتك وسالمتني. قال:
الصلح إذن إن كان لقومك فيك حاجة، وما بي أيضاً على قومي هوان. قلت:
فذاك لك. (١)

تُبْرِز هذه المحاورَةُ تَوَجَّهَ فِكْرُ كُلِّ مِنَ الْفَارْسِيِّينَ، إِذْ نَجَدَهُ مَتَوَجَّهًا نَحْوَ الْحَرْبِ
وَالْإِقْتِتَالِ، أَوْ الصَّلْحِ وَالسَّلْمِ. وَالْفَاصلُ بَيْنَ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ الْمُتَضَادَّيْنِ، كَمَا لِحْظْنَا،
هُوَ مَبْدَأُ الْحِفَاظِ عَلَى الْقُوَّةِ وَالْعِزَّةِ وَالْكَرَامَةِ. وَهَذَا الْمَبْدَأُ هُوَ الْمُتَحَكِّمُ بِشَأْنِ
الْمُبَارَزَاتِ، مِنْ حَيْثُ نَشُوبَهَا، أَوْ إِخْمَادَهَا بِالصَّلْحِ وَالْعُودِ إِلَى السَّلْمِ.

• الصعيد الديني:

كان جُلُّ الْعَرَبِ إِبانَ الْعَصْرِ الْجَاهِلِيِّ وَثَنِيِّينَ فِي مَعْتَقَدَاتِهِمْ وَعِبَادَاتِهِمْ، أَيْ
"يُؤْمِنُونَ بِقُوَى إِلَهِيَّةٍ كَثِيرَةٍ، تَنْبَثُّ فِي الْكُوكَبِ وَمِظَاهِرِ الطَّبِيعَةِ... وَقَدْ آمَنُوا بِقُوَى
خَفِيَّةٍ كَثِيرَةٍ فِي بَعْضِ النَّبَاتَاتِ وَالْجَمَادَاتِ وَالطَّيْرِ وَالْحَيَوَانِ... فَقَدْ كَانُوا يَشْرِكُونَ
مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى كَمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَكَانُوا يَتَعَبَّدُونَ لِأَصْنَامٍ وَأَوْثَانٍ كَثِيرَةٍ
اتَّخَذُوهَا رِمَازاً لِآلِهَتِهِمْ... فَقَدْ يَرُونَ فِي بَعْضِ الْأَحْجَارِ وَالْأَشْجَارِ وَالْأَبَارِ مَا يَرْمِزُ
إِلَى الْآلِهَةِ." (٢)

وَكَانَتْ الْأَصْنَامُ، الَّتِي تُعَدُّ وَسَائِلَ تَقَرُّبِهِمْ مِنَ اللَّهِ، مُورَّعَةً بَيْنَهُمْ بِحَسَبِ
الْقَبَائِلِ، فَكَانَ لِكُلِّ قَبِيلَةٍ صَنْمٌ خَاصٌّ بِهَا؛ "وَمِنَ الْعَرَبِ مَنْ كَانَ يَصْبُو إِلَى الصَّابِئَةِ
وَيَعْتَقِدُ فِي الْأَنْوَاءِ اعْتِقَادَ الْمَنْجَمِيِّينَ فِي السِّيَارَاتِ... وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَصْبُو إِلَى
الْمَلَائِكَةِ فَيَعْبُدُهُمْ، بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ وَيَعْتَقِدُونَ فِيهِمْ أَنَّهُمْ بَنَاتُ اللَّهِ تَعَالَى." (٣)

(١) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج ١٦، ص ٧٦.

(٢) شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)، ص ٨٩.

(٣) محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت: ٥٤٨هـ، ١١٥٣م)، الملل والنحل، ج ٢، تحقيق: أمير

علي مهنا وعلي حسن فاعور، دار المعرفة، ط ٣، بيروت، ١٩٩٣م، ج ٢، ص ٥٨٥-٥٨٦.

وكان لقوم من العرب أيضاً في الجاهلية أديان غير عبادة الأوثان، كالنصرانية واليهودية والمجوسية والزندقة.^(١)

لكنَّ يحقُّ لأحدنا أن يسأل: هل من المعقول أن تكون الوثنية عقيدة العرب الأصلية منذ الحقب السابقة للعصر الجاهلي؟! وإلا فما عقيدتهم السابقة؟ وكيف تحوّلوا عنها؟ وفي أي عهد حدث ذلك؟

كان العرب فيما سبق العصر الجاهلي على دين إبراهيم الخليل عليه السلام، وهو المسمّى بدين (الحنيفية)، نسبةً إلى الدين (الحنيف)، أي المائل عن الباطل إلى الحق وعن الضلال إلى الهدى والرشاد، وهو دين الإسلام المنزل على إبراهيم عليه السلام.^(٢)

أما أصل دخول عبادة الأوثان والأصنام إلى مجتمع العرب، فنمّة محاورّة أوردها عبدالمكّ بن هشام المعافري (ت: ٢١٣هـ، ٨٢٨م) في سيرته، تكشف عن سبب دخول تلك العبادة، ونقطة البداية فيها، إذ قال ابن هشام: "حدّثني بعض أهل العلم أنّ عمّرو بن لحيّ خرج من مكة إلى الشام في بعض أموره، فلما قدم (مآب) من أرض البلقاء، وبها يومئذ العماليق - وهم ولدُ عملاقٍ، ويقال: عمليقُ بن لاوذ ابن سام بن نوح - رأهم يعبدون الأصنام، فقال لهم: ما هذه الأصنام التي أراكم

(١) انظر: عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ، ٨٨٩م)، المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، دار المعارف، ٤، القاهرة، ١٩٨١م، ص ٦٢١. وانظر: محمد نعمان الجارم، أديان العرب في الجاهلية، مطبعة السعادة، ط ١، مصر، ١٩٢٣م، ص ١٩٠-٢٠٥. وقد ميّز بعضهم في أديان عرب الجاهلية بين أديان الوحي (وهي: الحنيفية واليهودية والنصرانية) ومعتقدات وأديان وضعية كالوثنية وعبادة الأصنام والنجوم والكواكب وغير ذلك، انظر: سميح دغيم، أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام، دار الفكر اللبناني، ط ١، بيروت، ١٩٩٥م، ص ٤٥ وما بعدها.

(٢) انظر: جواد علي (ت: ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م)، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١٠، ج ١٠، ساعدت جامعة بغداد على نشره، ط ٢، ١٩٩٣م، ج ٦، ص ٣٤.

تعبدون؟ قالوا له: هذه أصنام نعبدُها، فنَسْتَمْطِرُها فْتُمْطِرُنَا، ونَسْتَنْصِرُها فْتَنْصِرُنَا، فقال لهم: أفلا تعطونني منها صنماً، فأَسِيرَ به إلى أرض العرب، فعبدوه؟ فأعطوه صنماً يقال له: هُبَل، فَقَدِمَ به مكة، فَنَصَبَهُ وأَمَرَ النَّاسَ بعبادته وتعظيمه.^(١)

وهذه المحاورة كافيةٌ لتدلُّ على أَنَّ عَمْرُو بنَ لُحَيٍّ هو أوَّل من جاء بعبادة الأصنام من الشام إلى العرب في مكة ودعاهم إليها. بيد أن الأخبار التي وصلت إلينا صرَّحت بذلك وأضافت أن العرب كانوا على دين إبراهيم عليه السلام، وهو دين (الحنيفية).

فقد جاء في مصادر عدَّة أنَّ أوَّل من دعا العرب إلى عبادة الأوثان، وغيَّر دين إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام) وهو دين (الحنيفية)؛ عمرو بن لُحَيٍّ، وكان أمره بمكة مطاعاً لا يُعصى.^(٢)

أما تحديد زمن عبادة العرب للأصنام، فلمَّا اتَّفَقَ لدى كثير من الإخباريين على أنَّ عمرو بن لُحَيٍّ هو أوَّل من أدخل هذه العبادة إلى العرب وغيَّر دين (الحنيفية)، فإنَّ تحديد عهد هذا الرجل هو الفيصل في قضية الزمن. إلا أنَّ ثَمَّةَ اختلافاً شديداً بين الإخباريين في نسب عمرو بن لُحَيٍّ ومن ثمَّ في تحديد عهده؛

(١) عبد الملك بن هشام المعافري (ت: ٢١٣هـ، ٨٢٨م)، السيرة النبوية، ج٤، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٥م، ج١، ص٧٢.

(٢) انظر: نشوان بن سعيد الحميري (ت: ٥٧٣هـ، ١١٧٨م)، الحور العين (عن كتب العلم الشرائف دون النساء العفائف)، تحقيق: كمال مصطفى، دار آزال، ط٢، بيروت، ١٩٨٥م، ص١٨٦. ومحمد بن أحمد بن منصور الأشبهي (ت: ٨٥٢هـ، ١٤٤٨م)، المستطرف في كل فن مستظرف، ج٢، مراجعة وتعليق: محمد سعيد، دار الفكر، طبعة جديدة منقحة، بيروت، ١٩٩٨م، ج٢، ص١٤٩. وعبد الملك بن حسين العصامي (ت: ١١١١هـ، ١٦٩٩م)، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ج٤، نشر: محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، القاهرة، ١٩٦١م، ج١، ص١٨٤. ومحمد بن عبدالكريم الشهرستاني، الملل والنحل، ج٢، ص٥٨٠. وهشام بن محمد بن السائب الكلبى (ت: ٢٠٤هـ، ٨١٩م)، الأصنام، تحقيق: أحمد زكي باشا، دار الكتب المصرية، ط٣، القاهرة، ١٩٩٥م، ص٨. وغيرها، إضافةً إلى (عبد الملك بن هشام المعافري، السيرة النبوية، ج١، ص٧٢).

فبعضهم جعله قريبَ عهدٍ بإسماعيل عليه السلام، وبعضهم جعله ضمن العصر الجاهلي. فعلى مذهب كثير من النسابين هو بعيدُ عهدٍ من الإسلام وقريبٌ من زمن إسماعيل عليه السلام، فذهب ابنُ حزم الأندلسي (ت: ٤٥٦هـ، ١٠٦٤م) إلى أنه: عمرو ابن عامر بن لُحَيٍّ (واشتُهرَ عمرو بنسبته إلى جدِّه لُحَيٍّ مباشرةً) بن عامر بن قَمَعَةَ بن إلياس بن مُضَرَ بن نزار بن مَعَدِّ بن عَدْنان^(١). أمَّا ابنُ الكلبي فذهب إلى أنه: عمرو بن لُحَيٍّ (وهو ربيعة) بن حارثة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن ثعلبة ابن امرئ القيس بن مازن بن الأزد^(٢) بن العَوَث بن نَبْت بن مالك بن زَيْد بن كَهْلان بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان^(٣). ورأى بعضُ الباحثين أنه لا بد أن يكون قريبَ عهدٍ من الإسلام لوصول أخباره مرويةً ثم مدونةً إلينا.^(٤)

ولمَّا كان عمرو بن لُحَيٍّ، أوَّلَ مَنْ أَدخَلَ الأصنامَ إلى مكة (موطن العرب آنذاك) ودعا العرب إلى عبادتها، فقد كان أوَّلَ مَنْ حَرَفَ العربَ عن دين الحنيفية (وهو السائد آنذاك)، أي دين إبراهيم الخليل وابنه إسماعيل (عليهما السلام)، وأدخَلَ الشرك بالله بما يتضمَّنُه من عبادة غير الله سواء كان صنماً أم وثناً أم غير ذلك من مظاهر.

(١) انظر: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت: ٤٥٦هـ، ١٠٦٤م)، **جمهرة أنساب**

العرب، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٢م، ص ٢٣٣، ٢٣٥.

(٢) انظر: هشام بن محمد بن السائب الكلبي، **الأصنام**، ص ٥٤.

(٣) علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، **جمهرة أنساب العرب**، ص ٣٢٩-٣٣٠.

(٤) ذهب هذا المذهب (جواد علي) إذ قال: "لا بد أن يكون من الرجال الذين عاشوا في عهدٍ غير بعيدٍ عن الإسلام، لا قبل ذلك بكثير كما يدَّعي الإخباريون، فما كان خبره ليصل إليهم على هذا النحو لو كان زمانه بعيداً عنهم البعد الذي تصوَّروه". جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ج ٦، ص ٨١.

ونخرج من مناقشة أصل عبادة الأصنام عند العرب إلى نتيجة نسعى إليها، وهي أن دين إبراهيم وابنه إسماعيل (عليهما السلام)، وهو دين الحنيفية، كان هو الدين السائد لدى العرب فيما سبق العصر الجاهلي، ثم غابت هذه السيادة إبان العصر الجاهلي، وانحدر (الخط البياني) للدين الحنيف نزولاً أمام أديان وعقائد أخرى، برز منها العقيدة الوثنية.

ونجد في المصادر التاريخية أخباراً عن رجال كانوا متحنّفين في العصر الجاهلي، بيد أننا يمكن أن نميّز بين نوعين من الحنفاء؛ فأول النوعين هم الذين اتّبَعوا دين إبراهيم بتعاليمه التي ظلّت باقيةً ووصلت إليهم عبر تناقلها جيلاً بعد جيل، والنوع الآخر هم الذين قادتهم فطرتهم الإنسانية السليمة إلى مَجِّ الضلال، والنفور من المعتقدات الخاطئة التي سادت حولهم، فانتهجوا النهج القويم بدافع من أنفسهم واعتقدوا التوحيد؛ ومن هؤلاء مَنْ آمن بيوم الحساب^(١)، وَمَنْ حَرَّمَ الخمر على نفسه^(٢)، وَمَنْ حَرَّمَ الزنا^(٣)، وبعضهم كان ينتظر مقدم النبي محمد ﷺ^(٤).

وكان أمية بن أبي الصلت الشاعر الثَّقفي من الحنفاء أيضاً، ويدل على ذلك بعض ما قاله من شعر، وقد ذكره محمد زغلول سلام (ت: ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م) فيمنَ عدَّ من حنفاء الجاهلية، وقال عنه: "كان شاعراً عاقلاً، وكان يقول أشعاراً

(١) من الذين آمنوا بيوم الحساب: قس بن ساعدة الإيادي، والنابغة الذبياني، وزهير بن أبي سلمى، وعلاف بن شهاب التميمي، وقالوا في ذلك شعراً. انظر: محمد بن عبدالكريم الشهرستاني، الملل والنحل، ج ٢، ص ٥٩٠-٥٩٣.

(٢) من مثل: عامر بن الظرب العدواني، وقيس بن عاصم التميمي، وصفوان بن أمية بن محرث الكناني، وعفيف بن معدي كرب الكندي، وقالوا في ذلك شعراً. انظر: المرجع السابق، ص ٥٩١-٥٩٢.

(٣) من مثل الأسلوم اليالي، وقال في ذلك شعراً. انظر: المرجع السابق، ص ٥٩٢.

(٤) منهم: زيد بن عمرو بن نفيل. انظر: المرجع السابق، ص ٥٩٠.

يصف فيها السماوات والأرض، وذكر الأنبياء والبعث والجنة والنار، ويعظم الله تعالى ويوحده ويمجده، وهو أول من كتب (باسمك اللهم)...^(١).

وإذا توجَّهنا بنظرنا إلى ما وصل إلينا من المحاورات النثرية الموثقة في المصادر العربية، عثرنا على محاوراتٍ تُبيِّن لنا -بقطع النظر عن الأخبار- حقائق عديدة حول الحنيفية الموجودة لدى عرب الجاهلية.

فتمَّةٌ محاورةٌ جرَّت بين مجموعة من وجوه الرجال في الجاهلية، وكانوا من الفرسان الشعراء ومن أسياد قومهم، إذ جاء في الخبر أن يزيد بن عبد المَدان بن الديان وعمرو بن مَعدي كَرِب ومكشوح المرادي قدموا على ابن جفنة زوّاراً، وعنده وجوه قيس: مُلاعب الأستة عامر بن مالك ويزيد بن عمرو بن الصَّعق ودريد بن الصمّة. فقال ابن جفنة ليزيد بن عبد المَدان بن الديان: "ماذا كان يقول الديان إذا أصبح فإنه كان ديّاناً"^(٢). فقال: كان يقول: آمنتُ بالذي رَفَع هذه (يعني السماء)، ووَضَعَ هذه (يعني الأرض)، وشقَّ هذه (يعني أصابعه)، ثم يخرُّ ساجداً ويقول: سجدَ وجهي للذي خلَّقه وهو عاشمٌ، وما جسَّمتني من شيءٍ فإني جاشمٌ، فإذا رفع رأسه قال: (من الرجز)

إِنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرُ جَمًّا وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ مَا أَلَمَّا
فقال ابن جفنة: إن هذا لذو دين.^(٣)

(١) محمد زغلول سلام (ت: ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م)، مدخل إلى الشعر الجاهلي (دراسة في البيئة والشعر)، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٠م، ص ١٠٩.

(٢) في حاشية محقق (الأغاني) أن الأنسب في معنى كلمة (الديان) الثانية: الحاكم والسائس والقاضي.

(٣) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج ١٢، ص ١٣.

ومن هذه المحاورَة نَتَبَيَّنُ وجودَ الحنيفية، المتضمَّنة عقيدة التوحيد، لدى بعض الجاهليين. بل إنَّ الموحِّدين أمثال (الديَّان) في المحاورَة السابقة، يمارسون عبادةَ خالقهم ويطلبون منه المغفرة بسبب ذنوبهم التي يقترفونها. والأمر الآخر الذي نستشفُّه من المحاورَة، أنَّ معتققي الحنيفية والمؤمنين بها كانوا من ذوي العقل والنهي، ومن المشهورين بالحكمة والحصافة، لذا كان اعتناق الحنيفية محموداً لديهم كما يتبيَّن لنا من المحاورَة. أمَّا ما يتعلَّق بالعقائد الأخرى لدى عرب الجاهلية، فقد برزت الكهانة كمعتقدٍ أساسٍ بين الجاهليين، وكان أكثر الكهَّان من اليهود. أمَّا أدوات الكاهن فأهمها: تابعٌ للكاهن من الجن يخبره الأخبار، وكذلك فإنَّ لذكاء الكاهن دوراً كبيراً في مقدراته.^(١)

ومن أبرز صفات الكهانة التنبُّؤ بالغيب ومعرفة المستقبل والإخبار عنه، ونلاحظ ذلك في عددٍ من محاورات الجاهليين. فها هي أم الشاعر الجاهلي هُدْبَة بن حَشْرَم، وقد أخبرتها الكاهنةُ بمصير أبنائها، وذلك حين مرَّت بها الكاهنةُ، وهُدْبَة وإخوته نيام بين يدي أهم، فقالت الكاهنة: "يا هذه، إن الذي معي يخبرني عن بنيك هؤلاء بأمر. قالت: وما هو؟ قالت: أما هُدْبَة وَحَوْطٌ فيقتلان صَبْرًا، وأما الواسع وسيحان فيموتان كَمَدًا."^(٢)

وكانت المحاورتان اللتان وصلتا إلينا من أواسط العصر الجاهلي^(٣) بين ربيعة بن نصر ملك اليمن وبين كُلاً من الكاهنين: سَطِيح، وشِقِّ، دالَّتَيْن على

(١) انظر: جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٦، ص ٧٥٥ وما بعدها.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٢١، ص ٢٧٢. يقتل صبراً: أي يحبس حتى يموت.

(٣) اقتبسنا هاتين المحاورتين من السيرة النبوية لابن هشام التي رويت عن محمد بن إسحق بن يسار (ت: ١٥١هـ، ٧٦٨م)، والعهد في مدى صحة مطابقتها لما قيل في الحقيقة تعود

إلى الراوي والناقل عنه (أي إلى ابن إسحق وابن هشام).

معرفة رجالٍ من أواسط ذلك العصر بأنَّ نَمَّةَ خالِقاً يجمع الناس في آخر الدهر لحسابهم، ونَمَّةَ فوزاً وسعادةً حينها، أو عقاباً. وذلك هو يوم الحساب، ويعرفون أيضاً أنَّ نَمَّةَ نبياً سيُبعثُ من العرب، ويعلمون بعض صفاته أيضاً.

وكان من خبر المحاورتين أنَّ كلاً من سَطِيحٍ وشِقِّ كان مشهوراً بتفسير الرؤيا، وكان يأتيهما السائلون عن التفسير، فيعرفان ما رأى أحدهم في رؤياه قبل أن يُخبراً بذلك. وكان ربيعة بن نصر قد رأى رؤيا، فبعث إلى الكاهنين، وأدخل عليه كلاً منهما على حدة، فَنَشَابَةَ قَوْلَاهُما. وكان شِقِّ لَمَّا دخل على ربيعة، قال له ربيعة: "إني رأيتُ رؤيا هالتي وفطعتُ بها، فأخبرني بها، فإنك إن أصبتَها أصبتَ تأويلها. فقال له: نعم، رأيتُ حُمَّمَه، حَرَجْتُ مِنْ ظَلْمَه، فَوَقَعْتُ بَيْنَ رَوْضَةٍ وَأَكْمَه، فَأَكَلْتُ مِنْهَا كُلَّ ذَاتِ نَسَمَه... فقال له الملك: ما أخطأت يا شِقِّ منها شيئاً، فما عندك في تأويلها؟ قال: أحلف بما بين الحرتين من إنسان، لينزلن أرضكم السودان، فليغلبن على كل طفلة البنان، وليملكن ما بين أبين إلى نجران. فقال له الملك: وأبيك يا شِقِّ، إن هذا لنا لغايظٌ موجهٌ فمتى هو كائن؟ أفي زمانٍ، أم بعده؟ قال: لا، بل بعده بزمان، ثم يستنفذكم منهم عظيمٌ ذو شأن، ويذيقهم أشدَّ الهوان. قال: ومن هذا العظيم الشأن؟ قال: غلامٌ ليس بدني ولا مدن، يخرج عليهم من بيت ذي يزن، فلا يترك أحداً منهم باليمن. قال: أفيدوم سلطانُهُ أم ينقطع؟ قال: بل ينقطع برسولٍ مرسل، يأتي بالحق والعدل، بين أهل الدين والفضل، يكون الملك في قومه إلى يوم الفصل. قال: وما يوم الفصل؟ قال: يوم تجزى فيه الولاة، ويدعى فيه من السماء بدعوات، يسمع منها الأحياء والأموات، ويجمع فيه بين الناس للميقات، يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات. قال: أحقُّ ما تقول؟ قال: إي وربِّ السماء والأرض، وما بينهما من رفعٍ وحفض، إنَّ ما أنبأتك به لحقٌ ما فيه أمض." (١)

(١) قال ابن هشام: "أمضٌ يعني شكاً، هذا بلغة حمير، وقال أبو عمرو: أمضٌ أي باطل".

عبدالملك بن هشام المعافري، السيرة النبوية، ج ١، ص ١٥-١٦.

"وكان الجاهليون يؤمنون إيماناً واسعاً بالأرواح وأنها تحلُّ في كل ما حولهم من مظاهر الطبيعة، وكان منها أرواح خيرة هي الملائكة، وأرواح شريرة هي الشياطين،... وكانوا يخافون الجن ويتعبّدونها ويجعلون بينها وبين الله نسباً،... ولهم فيها كثير من الأساطير، فمنها ما يتصوّر في صور كثيرة، أو تتوالد مع الناس، وقد تستهويهم وتقتلهم أو تخبلهم، ويُسمَع ليلاً عزيفهم وهتافهم. ومنهم من يألف الكهّان ويخدمهم وهو (الرّيّي)، ومنهم مَنْ صورته على نصف صورة الإنسان ويُسمّى (شِقّاً)، ولكل شاعر شيطانه الذي ينفث فيه الشعر، ومنهم السعلاة، والغول وهي من سباعهم،..."^(١)

وها نحن نجد هذا المُعَنَدَ في المحاورّة بين الشاعر الجاهلي الحكيم أمية بن أبي الصلت الذي عاش قبيل الإسلام وأدركه، وبين راهب التقاه في سفره، إذ قال الراهب لأمية حين رآه:

"إِنَّكَ لَمَتَّبِعٌ، فَمَنْ أَيْنَ يَأْتِيكَ رَيْئِكَ؟ قَالَ: مِنْ شِقِّي الْأَيْسَرِ. قَالَ: فَأَيُّ الثِّيَابِ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَنْ يَلْقَاكَ فِيهَا؟ قَالَ: السَّوَادُ. قَالَ: كِدْتَ تَكُونُ نَبِيَّ الْعَرَبِ وَلَسْتَ بِهِ، هَذَا خَاطِرٌ مِنَ الْجَنِّ وَلَيْسَ بِمَلِكٍ، وَإِنَّ نَبِيَّ الْعَرَبِ صَاحِبَ هَذَا الْأَمْرِ يَأْتِيهِ مِنْ شِقِّهِ الْأَيْمَنِ، وَأَحَبُّ الثِّيَابِ إِلَيْهِ أَنْ يَلْقَاهُ فِيهَا الْبَيَاضُ."^(٢)

• الصعيد الثقافي:

انْتَسَمَ عَصْرُ عَرَبِ الْجَاهِلِيَّةِ بِالْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ وَالْبَيَانِ، لِذَلِكَ فَإِنَّ الْأَدبَ، وَلَا سِيَّمَا الشَّعْرَ، ازْدَهَرَ ازْدَهَاراً فَائِقاً، فَكَانَ أَهْمُ مَظْهَرٍ مِنْ مَظَاهِرِ رَقِيِّ الْفِكْرِ لَدَيْهِمْ

(١) شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)، ص ٨٩، ٩٤، ٩٥.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج ٤، ص ١٢٤ (وتعود العهدة في صحّة رواية هذه المحاورّة إلى ابن شهاب الزُّهري (ت: ١٢٤هـ، ٧٤٢م) الذي نقل عنه أبو الفرج الأصفهاني، سوى أن يكون هذا الخبر بما فيه المحاورّة، مما نُجِّلَ على كتاب الأغاني الذي تضمّن روايات منحوّلة ومشكوك فيها).

هو الشعر، إذ لا يتأتى لقاصر الفكر أن يُنتجَ أو يفهمَ شعراً عَجَّ بفنون البلاغة من صور واستعارات وانزياحات لغوية وإيجاز وإيهام وإيحاء... وهذا -لا شك- نامٌ على لبابة وأرابة وذكاء وفطنة.

ومعروفٌ أن تسمية (الجاهلية) لم تكن لتعني الجهل الذي هو نقيض العلم، وإنما الذي هو نقيض الحلم، فهو يعني الطيش والنزق. بل لقد تمتع بعض العرب آنذاك برقيٍّ فكريٍّ وثقافة واسعة، ولا سيما من عمل منهم بالتجارة وما يتصل بها من رحلات، فرحلتنا الشتاء والصيف لدى القرشيين معروفتان، "وقد أمدت هذه الرحلات الهاشميين بثقافة واسعة، وصقلت أفكارهم وأذواقهم وأسلوبهم، وجعلتهم أرقى عرب الشمال فكراً، وأبعدهم نظراً، وأحصفهم عقلاً." (١)

فإذا توجَّهنا بنظرنا إلى المحاورات النثرية التي وصلت إلينا، وجدنا من خلالها اهتمامَ عربِ الجاهلية بالشعر اهتماماً شديداً، حتى إنه أثر تأثيراً فائقاً في حياتهم بمختلف جوانبها.

ومن ذلك أن أغراض الشعر المختلفة من مدح وهجاء ورثاء وغزل وغيرها، أصبحت محورَ اهتماماتهم والموجَّهَ الأساسَ لكثيرٍ من سلوكياتهم.

"وكانت القبائل تتفخر بشعرائها، وثُهتأ بنبوغ شاعر فيها، لأنه كان يدافع عن قبيلته بلسانه بما يقع في نفوس الأعداء مواقع السيوف والسهام، بل لعله يغني عنها. وهو إذ يهجو فإنما يوجهه بسلاح لا مرد له، ويخشاه الناس أكثر من خشيتهم الفرسان البُهَم، لأنَّ وصمة الهجاء باقية، ولهذا خافه الأشراف وتَحاشَوْه. وكثيرٌ ما عدل بعض الرؤساء عن أن يهْمُوا بأمرٍ للنيل من قبيلةٍ نبغ فيها شاعرٌ خوفاً من لسانه." (٢)

(١) محمد عبدالمنعم خفاجي، الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، ص ٤٢.

(٢) محمد زغلول سلام، مدخل إلى الشعر الجاهلي (دراسة في البيئة والشعر)، ص ١٣٤.

وها نحن ذا نجد من خلال محاورَةٍ جَرَتْ بين الشاعر زهير بن أبي سُلمى وخاله بَشَامَةَ بن العَدِير، أَنَّ الشعرَ لديهم كانَ أعظمَ منزلةً من المال. إذ إنَّ بَشَامَةَ لمَّا حضره الموت جَعَلَ يقسم ماله في أهل بيته وبين بني إخوته. "فأتاه زهيرٌ فقال: يا خاله لو قَسَمْتَ لي من مالك! فقال: والله يا بن أختي لقد قَسَمْتُ لك أفضلَ ذلك وأجزله. قال: وما هو. قال: شِعْرِي وَرِثْتِيهِ..."^(١)

والشعرَ لديهم سلاح فتاك، وهو في حروبهم أساسي، وقد يكون سبباً لحرب شعواء بينهم، أو سبب صلحٍ وعودٍ إلى السلم. وتخبّرنا بذلك المحاورَةُ التي جَرَتْ بين دُرَيْد بن الصَّمَّة والعباس بن مرداس السُّلَمِيّ وخُفَّاف بن نُدْبَةَ السُّلَمِيّ، إذ عزم خُفَّاف والعباس على الاقتتال، كلٌّ مع رهطه، وقد اجتمع الرهطان، فجاءهما دريد وقال لهما ولمن حضر من قومهما: "يا هؤلاء، إنَّ أولكم كان خيرَ أول، وكل حيٍّ سَلَفَ خيرٍ من الخَلَف، فكفُّوا صاحبَيْكم عن لجاج الحرب وتهاجي الشعر، فاستحيا العباس فقال: فإنَّا نكفُّ عن الحرب ونتهادى الشعر، فقال دريد: فإن كنتما لا بد فاعلين فاذكرا ما شئتما ودعا الشتم، فإنَّ الشتم طريقُ الحرب، فانصرفا على ذلك."^(٢)

يتبيّن من هذه المحاورَةُ أَنَّ الشعرَ في أذهان عرب الجاهلية ونفوسهم موجّه أساسي إما للحرب أو للسلم، وكثيراً ما نجد ذكر الحرب مقترناً بالشعر في أخبارهم ومحاوراتهم.

أما المعارف والعلوم الحضارية الأخرى، التي تتصل بالعمران والصناعات والطب والحساب والزراعة وغيرها من العلوم التطبيقية، فقد انقسم عرب الجاهلية قسمين من حيث صلتهم بهذه المعارف، فسواد العرب ولا سيما عرب الجزيرة لا عهدَ لهم بها، إذ كان العربي صاحب بديهة وارتجال، ولم ينصرف إلى التتظير الفكري، بل كانت معارفه مستمدّةً من صلته الوثيقة ببيئته، وما تضطرّه الحاجة إلى

(١) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج ١٠، ص ٣١٢.

(٢) المصدر السابق، ج ١٨، ص ٧٩.

الإمام به، كمعرفة مظاهر الطبيعة التي حوله وسبر أغوارها من أرض أو فلك. وقد اعتمد في معارفه تلك، على فراسته وحسن طالعهِ وصفاء ذهنه وحدة ذكائه.^(١) كما امتلك معارف أخرى ورثها عن آبائه وقومه تتعلّق بأمر غيبية آمن بها وشغلته وأثارت اهتماماته، كالجن والأرواح والكهانة والعرافة والتفائل والتطير والسحر والخرافات وغير ذلك.

أما القسم الآخر من عرب الجاهلية، فهم الذين اتصلوا بحضارات أخرى كحضارة الفرس والروم وغيرها من الأمم المتحضرة، وذلك عن طريق بقاع هيأت لهم هذا الاتصال، كالحيرة والشام واليمن. فكان عرب أولئك البقاع أو الذين اتصلوا بها بأسفارٍ ورحلاتٍ، يتمتّعون بقدرٍ من المعارف مستمّدة من تلك الأمم.

فالطب مثلاً، وصل إلى بعض العرب من الفرس والرومان واليونان، وكان الحارث بن كلدة الثقفي طبيب العرب في الجاهلية، إذ تعلّم الطب في بلاد الفرس. وهذا لا يعني أنّ سائر العرب لم يعرفوا مداواة، إذ لا ريب في أنها حاجة معيشية أساسية، بيد أنهم استمدّوا تلك المعرفة من تجاربهم العامة، فكان للكّي بالنار حظٌ كبيرٌ في علاجهم، وكانوا يعالجون إبلهم وخيلهم بالكّي والقطران وغير ذلك، وثمة أسماء كثيرة للأدوية عندهم، وأسماء لأوصاف الإبل والخيل وأدوائها^(٢)، وقد ورد ذلك عنهم في المؤلفات التي ظهرت فيما بعد، ولا سيما الكتب المخصصة للخيل أو الإبل أو الشاء^(٣).

(١) انظر: محمد توفيق أبو علي، الأمثال العربية والعصر الجاهلي (دراسة تحليلية)، ص ١٨٦.

(٢) انظر: محمد عبدالمنعم خفاجي، الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، ص ٦١.

(٣) أُلْفَتْ كِتَابٌ عَدَّةٌ خُصِّصَتْ لِلخَيْلِ أَوْ الإِبِلِ أَوْ الشَّاءِ، فضلاً عن تضمين بعض المؤلفات الأخرى أبواباً في ذلك. فمن الذين أُلْفُوا في هذا المجال: أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت: ٢٠٩هـ، ٨٢٤م) والأصمعي (ت: ٢١٦هـ، ٨٣١م)، ولكل منهما كتاب في الخيل وكتاب في الإبل، فضلاً عن كتاب الشاء أيضاً للأصمعي. وللأخفش الأوسط (ت: ٢١٥هـ، ٨٣٠م) كتاب: صفات الغنم وألوانها وعلاجها وأسبابها، ولأبي زيد الأنصاري (ت: ٢١٥هـ، ٨٣٠م) كتاب: الإبل والشاء؛ وسوى ذلك مؤلفات عديدة أخرى في هذا المجال. أما عن المؤلفات التي تضمّنت أبواباً في ذلك، فمنها: عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ، ٨٨٩م)، والنوادر لأبي علي القالي (ت: ٣٥٦هـ، ٩٦٧م)؛ فنجد في كل منهما باباً في الخيل.

ونجد محاورَةً طويلةً بين طبيب العرب الحارث بن كَلْدَةَ وكسرى أنوشروان،
تتمُّ عن تمرُّس الحارث بعلم الطب ومعرفته فيه، فضلاً عن بلاغته ومقدرته اللغوية
الرفيعة. إذ وفد الحارث على كسرى فأذن له بالدخول عليه، فلمَّا وقف بين يديه،
قال له: "من أنت؟ قال: أنا الحارث بن كَلْدَةَ. قال: أعربي؟ قال: نعم، من
صميمها. قال: فما صناعتك؟ قال: طبيب..."

ثم أذن له كسرى بالجلوس وقال: كيف بصرك بالطب؟ قال: ناهيك! قال: فما
أصل الطب؟ قال: ضبط الشفتين، والرفق باليدين. قال: أصبت، فما الدواء
الدوي^(١)؟ قال: إدخال الطعام على الطعام، هو الذي أفنى البرية، وقتل السباع
في البرية. قال: أصبت. ثم قال: فما الجمرة التي تلهَّب منها الأدواء؟ قال: هي
التخمة، إن بقيت في الجوف قتلت، وإن تحلَّلت أسقمت. قال: فما تقول في
إخراج الدم؟ قال: في نقصان الهلال، في يوم صحوٍ لا غيم فيه، والنفس طيبة،
والسرور حاضر. قال: فما تقول في الحمَّام؟ قال: لا تدخل الحمَّام شبعان، ولا
تغشَّ أهلَكَ سكران، ولا تنم بالليل عريان، وارفق بجسمك يكن أرجى لنسلك. قال:
فما تقول في شرب الدواء؟ قال: اجتنب الدواء ما لزمَّتكَ الصحة، فإذا أحسست
بحركة الداء فاحسمه بما يردعه؛ فإنَّ البدن بمنزلة الأرض، إن أصلحتها عمرت،
وإن أفسدتها خربت...^(٢)

وقال كسرى في نهاية المحاورَة: لله درك من عربيّ، لقد أعطيتَ علماً،
وخصّصتَ به من بين الحمقى، وفطنةً وفهماً!. ثم أمر بإعطائه وصلته، وقضى
حوادثه.^(٣)

(١) الدواء الدوي: المرض الشديد.

(٢) والمحاورَة طويلة، اقتصرنا على هذا منها، وهي في (العقد الفريد): أحمد بن محمد بن عبد
ربه الأندلسي (ت: ٣٢٨هـ، ٩٤٠م)، العقد الفريد، ٨، ج، تحقيق: عبدالمجيد الترحيني، دار
الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٨٣م، ج٨، ص٨٥-٨٧.

(٣) المصدر السابق، ج٨، ص٨٧.

لقد بيّنت هذه المحاوره مدى معرفه الحارث في صنعة الطب، وإن أكثر ما يدل على ذلك هو أجوبته السريعه الصائبة التي كان يرد بها على أسئلة كسرى، وعدم تردده في أي منها، بل نجده يضيف أحيانا على جواب السؤال نصيحة تتعلق به أو تتصل به من قريب أو بعيد؛ ألم نره يجيب عن سؤال كسرى حول (الحمام) بقوله: (لا تدخل الحمام شبعان، ولا تغش أهلك سكران، ولا تنم بالليل عريان، وارفق بجسمك يكن أرجى لنسلك).؟! ألم تكن النصائح التالية للجواب ذات فائدة عظيمة لجسم الإنسان في ميدان الطب؟! ومن ثم وجدنا كسرى يُثني على علمه في نهاية المحاوره، ولذلك استحق الحارث بما اكتسب من علم الطب أن يكون طبيب العرب الأشهر في عصره.

• الصعيد الاجتماعي:

في إطار الحديث عن الجانب الاجتماعي، تبرز لدى عرب الجاهلية عادات وتقاليدهم آمنوا بها وساروا عليها وتوارثوها عن بعضهم، وهي متعلقة بأساليب حياتهم ومعاشرهم، ويتوضح لنا الكثير منها من خلال المحاورات التي دارت على ألسنتهم. بيد أننا يمكن أن نقسم تلك العادات إلى قسمين رئيسيين: فأحدهما يُعد من القيم الأخلاقية النبيلة في المجتمع الإنساني، وهي تعود على أبنائه بالمنفعة والمصلحة والسمو، نذكر منها: العفة والوفاء والكرم والإجارة وحماية الجار والشجاعة وإكرام الضيف والإعراض عن شتم اللئيم...، وأما القسم الآخر فيُعد من العادات المشينة بالمجتمع التي تعود على أبنائه بالضرر والأذى والإساءة، ونذكر من تلك العادات: الثأر والعصبية والزنا والربا والقمار وشرب الخمر والرهان... إلى غير ذلك من عادات.

ومما ورد من محاورات في هذا الباب، أن الشاعر الجاهلي المعروف (الشنفري) أراد أن ينكح فتاة كانت قد وشت إلى أبيها أن الشنفري أهوى لقبائلها في

خلوة بينها وبينه، فخرج أبوها إليه ليقتله، فسمعه يقول شعراً يفخر به بنفسه وبنسبه ويذكر تلك الفتاة وإرادته لها زوجةً، فسأله:

"ممن أنت؟ فقال: أنا الشنفرى، أخو بني الحارث بن ربيعة، وكان من أقبح الناس وجهاً، فقال له: لولا أنني أخاف أن يقتلني بنو سلامان لأتحدثك ابنتي. فقال: عليّ إن قتلك أن أقتل بك مئة رجلٍ منهم، فأنكحه ابنته، وخطى سبيله."^(١)

إنّ هذه المحاورة -على صغر حجمها- تحمل في طياتها معاني عديدة تكشف لنا عن عادات وجّهت عقول عرب الجاهلية، فسؤال الرجل للشنفرى: (ممن أنت؟) وجواب الشنفرى بالانتساب له، دليل على مظهر الاهتمام بالنسب آنذاك، وهذا المظهر يحمل في طياته عصبيةً سادت لديهم. وإذا علمنا أنّ السؤال عن النسب في بداية المحاورة والجواب بالانتساب للسائل، هو من عادات عرب الجاهلية، عرفنا أنّ العصبية كانت متفشيةً في النفوس، ولها تأثيرات جمّة في المجتمع، ومن أهم هذه التأثيرات مظهر آخر من العادات السائدة آنذاك، وهو الثأر. ولا ريب في أنّ مظهر الثأر واضح في تنمة المحاورة السابقة، إذ ظهر بصورة مزدوجة في المحاورة، لأن الرجل خاف إن هو أنكح الشنفرى ابنته أن يقتله قومه ثأراً لأنه أنكح ابنته للشنفرى وهو سبّي لديهم، ثم في صورة مقابلة وعد الشنفرى الرجل إن قتلوه أن يثأر له ويقتل منهم مئة رجل. ونلاحظ أنّ الرجل اطمأنّ لذلك الوعد وأنكحه ابنته، ويظهر ههنا التأثير الكبير للثأر في نفوس الناس إذ إن الرجل شعر بالأمان والراحة حين علم أنه سيؤخذ له بثأره بعد موته، ولم يكثر بموته بقدر اكترائه بثأره.

وفي مظهر ثالث من مظاهر عادات عرب الجاهلية وطبائعهم في المحاورة السابقة، أنّ الثقة كانت وفيرةً في تعاملات الناس وإن كانت الوعود بالكلام فحسب.

(١) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج ٢١، ص ١٩٣.

فها هو الشنفرى يَعِدُ الرجلَ أن يأخذ له بثأره إن قُتِلَ، وها هو الرجلُ يثقُ بكلام الشنفرى بالرغم من حوارهما بمعزلٍ عن أيِّ شاهدٍ عليهما، وهذا يدل على الثقة المبنية على أساسٍ عادةٍ عُرِفَتْ عن عرب الجاهلية وهي الوفاء، ولا سيما الوفاء بالعهود والأقوال.

فالعصبية السائدة إبان العصر الجاهلي إذاً، تتمثّل في مظهرين مهمين من مظاهر الحياة، هما الاهتمام الشديد بالنسب، والثأر.

ومن المحاورات التي اجتمعت فيها صورتا النسب والثأر، ما ورد عن جدِّ الشاعر الجاهلي عَدِيٍّ بن زيد بن حَمَّاد بن زيد بن أيوب التميمي، وهو زيد بن أيوب التميمي، إذ كان أبوه أيوب منزله اليمامة في بني امرئ القيس بن زيد مناة، فأصاب دماً في قومه، فهرب فلحق بأوس بن قَلَّام أحد بني الحارث بن كعب بالحيرة، ومكث عنده إلى أن مات. وكان ابنه زيد بن أيوب قد نكح امرأة من آل قَلَّام فولدت له حَمَّاداً، فخرج زيد بن أيوب يوماً من الأيام يريد الصيد في ناس من أهل الحيرة وهم مجتمعون في موضع من مواضع الحيرة اسمه (حفير)، فانفرد في الصيد وتباعد من أصحابه، فلقبه رجلٌ من بني امرئ القيس الذين كان لهم الثأر قَبْلَ أبيه، فقال له -وقد عرف فيه شَبَهَ أيوب-:

"مِمَّنَ الرجلُ؟ قال: من بني تميم، قال: مِنْ أَيِّهِمْ؟ قال: مَرِيٍّ^(١)؛ قال له الأعرابي: وأين منزلُكَ؟ قال: الحيرة؛ قال: أَمِنْ بني أيوب أنت؟ قال: نعم، ومن أين تعرف بني أيوب؟ واستوحش من الأعرابي وذكر الثأر الذي هرب أبوه منه؛ فقال له: سمعتُ بهم، ولم يُعلِّمهُ أنه قد عرفه؛ فقال له زيد بن أيوب: فَمِنْ أَيِّ العرب أنت؟ قال: أنا امرؤٌ من طِيٍّ؛ فأمنه زيدٌ وسكت عنه، ثم إن الأعرابي

(١) نسبة إلى امرئ القيس، ويقال في النسبة إليه: (امرئِي) أيضاً.

اغْتَفَلَ زَيْدُ بْنُ أَيُّوبَ فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ فَوَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ فَفَلَّقَ قَلْبَهُ، فَلَمْ يَرِمْ^(١) حَافِرُ دَابَّتِهِ حَتَّى مَاتَ."^(٢)

لا ريب في أنَّ ارتباط النسب بقضية الثأر واضح في المحاوراة السابقة، بل إنَّ هذا الارتباط الوثيق يمكن أن يلحظ في صور الحياة الجاهلية بمختلف ممثلاتها، ذلك أنَّ النسب هو المعوَّل عليه في الأخذ بالأثار.

وإذا بقينا في مضمار العادات الاجتماعية والطبائع الإنسانية، ونظرنا إلى محاورات عرب الجاهلية في هذا الصدد، رأينا من محاوراتهم ما يخبرنا ببعض الصفات التي وَسَمَتْ نفوسهم ووجَّهَتْ عقولهم. ومن تلك الصفات الجود والكرم، ولا سيما إكرام الضيف.

ومن الرجال الذين انتهى إليهم الجود في الجاهلية: "حاتم بن عبدالله الطائي، وهَرَمِ بن سِنان، وخالد بن عبيد الله، وكعب بن أمّامة الإيادي. وضُرِبَ المثلُ بحاتم وكعب، وحاتم أشهرهما."^(٣)

فها هو حاتم الطائي وقد كان في طريق له مع إبله إذ "بصر بركبٍ على الطريق، فأتاهم فقالوا: يا فتى هل من قِرَى؟ فقال: تسألوني عن القِرَى وقد ترون الإبل؟! وكان الذين بصر بهم عبيد بن الأبرص، ويشر بن أبي خازم، والنابيعة الذبياني؛ وكانوا يريدون النعمان، فنحر لهم ثلاثة من الإبل، فقال عبيد: إنما أردنا بالقِرَى اللبن، وكانت تكفيننا بكرة^(٤) إذا كنت لا بد متكلفاً لنا شيئاً، فقال حاتم: قد عرفتُ، ولكني رأيتُ وجوهاً مختلفة، وألواناً متفرقة، فظننت أن البُلدان غير واحدة؛ فأردتُ أن يذكر كلُّ واحدٍ منكم ما رأى إذا أتى قومه،..."^(٥)

(١) أي: لم يبرح.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج ٢، ص ٩٩.

(٣) محمد بن أحمد بن منصور الأبيشي، المستطرف في كل فن مستظرف، ج ١، ص ٢٩٢.

(٤) البكرة: الفتية من الإبل.

(٥) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج ١٧، ص ٣٦٧.

دَلَّت هذه المحاوره على اهتمام حاتم الشديء بسمعة إكرام الضيف، حتى إنه بَدَدَ مالاً كثيراً في سبيل ذلك، بيد أنَّ ظاهرة الاهتمام بالسمعة ليست سوى حالة خاصة برزت ههنا، لأنَّ العربي عموماً شديد الكرم مع ضيفه ولا يبتغي من ذلك السمعة أو الشهرة، فالكرم من طبعه، وإكرام الضيف صفة أصيلة في نفسه.

خاتمة:

بعد كل ما سبق، نتوصّل من خلال الدراسة إلى النتائج الآتية:

- استطاعت المحاورات النثرية التي وصلت إلينا أن تقدّم صورةً عن مختلف جوانب الحياة لدى عرب الجاهلية، بما فيها من توجّه فكري اتسموا به آنذاك، وذلك بقطع النظر عن الأخبار المدوّنة في المصادر العربية. فإنّ أُضِيقت الأخبار إلى المحاورات، أصبحت المحاورات دليلاً مهماً يؤيّد ما جاء في الأخبار، وإذا اختلف الإخباريون فيما بينهم وتضاربت أخبارهم، أتت بعضُ المحاورات فيصلاً بين الأخبار. ومن ثمّ تبرز الأهمية الكبيرة للأدب في جانبه الفكري.

- أبرزت المحاورات النثرية بعضَ الجوانب التي لم تكن محور اهتمام المصادر الإخبارية، كوجود (الحنيفية) لدى عرب الجاهلية، ونبوغ بعضهم بعلوم حضارية كالطب، وتمتّعهم بقدرٍ رفيعٍ من الفطنة والذكاء والحصافة بدليل فصاحتهم وبلاغتهم وقولهم الشعر، وغير ذلك من مظاهر. فأضفى ذلك جانباً كبيراً من الأهمية على فن المحاورات النثري في الأدب العربي.

- أثبتت البحث أنّ العلاقة وثيقةٌ بين الأدب والمجتمع، فالأدب يكشف، في جانبه الفكري، عن طبيعة المجتمع المنتمي إليه، وعن توجّه أهله الفكري، ممّا يحدّد مدى الحضارة المتمنّع بها هذا المجتمع. وفي بحثنا هذا توصلنا إلى تحديد مدى الحضارة لدى عرب الجاهلية من خلال المحاورات التي وقفنا عليها، في مختلف جوانب الحياة: السياسية والدينية والثقافية والاجتماعية، وذلك تبعاً لبقاع العرب المختلفة آنذاك.

المصادر والمراجع

- ١ - أبو الفرج الأصفهاني (ت: ٣٥٦هـ، ٩٦٧م)، الأغانى، ٢٤ج، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، بين عامي ١٩٩٢م و١٩٩٤م.
- ٢ - أحمد بن فارس بن زكريا (ت: ٣٩٥هـ، ١٠٠٤م)، مقاييس اللغة، ٦ج، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٢م.
- ٣ - أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت: ٣٢٨هـ، ٩٤٠م)، العقد الفريد، ٨ج، تحقيق: عبدالمجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٨٣م.
- ٤ - جرجي زيدان (ت: ١٣٣٢هـ، ١٩١٤م)، العرب قبل الإسلام، مطبعة الهلال، ط٢، مصر، ١٩٢٢م.
- ٥ - جواد علي (ت: ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م)، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ١٠ج، ساعدت جامعة بغداد على نشره، ط٢، ١٩٩٣م.
- ٦ - روبيرا سكاربيت، سوسولوجيا الأدب، ترجمة: آمال أنطوان عرموني، دار عويدات، ط٢، بيروت، ١٩٨٣م.
- ٧ - سميح دغيم، أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام، دار الفكر اللبناني، ط١، بيروت، ١٩٩٥م.
- ٨ - شوقي ضيف (ت: ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٥م)، تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)، دار المعارف، ط٢٤، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- ٩ - عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ، ٨٨٩م)، المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، دار المعارف، ط٤، القاهرة، ١٩٨١م.
- ١٠ - عبدالملك بن حسين العصامي (ت: ١١١١هـ، ١٦٩٩م)، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ٤ج، نشر: محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، القاهرة، ١٩٦١م.

- ١١ - عبدالمك بن هشام المعافري (ت: ٢١٣هـ، ٨٢٨م)، السيرة النبوية، ٤ ج، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٥م.
- ١٢ - علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت: ٤٥٦هـ، ١٠٦٤م)، جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٢م.
- ١٣ - عمرو بن بحر الشهير بالجاحظ (ت: ٢٥٥هـ، ٨٦٩م)، الحيوان، ٨ ج، تحقيق: عبدالسلام هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط ٢، مصر، ١٩٦٥م.
- ١٤ - فاروق خورشيد، في الرواية العربية (عصر التجميع)، دار الشروق، ط ٣، بيروت، ١٩٨٢م.
- ١٥ - مجموعة من المؤلفين، مقدمة في المناهج النقدية للتحليل الأدبي، ترجمة: وائل بركات وغسان السيد، دار زيد بن ثابت، دمشق، ١٩٩٥م.
- ١٦ - محمد بن أحمد بن منصور الأبيهي (ت: ٨٥٢هـ، ١٤٤٨م)، المستطرف في كل فن مستظرف، ٢ ج، مراجعة وتعليق: محمد سعيد، دار الفكر، طبعة جديدة منقحة، بيروت، ١٩٩٨م.
- ١٧ - محمد توفيق أبو علي، الأمثال العربية والعصر الجاهلي (دراسة تحليلية)، دار النفائس، ط ١، بيروت، ١٩٨٨م.
- ١٨ - محمد زغلول سلام (ت: ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م)، مدخل إلى الشعر الجاهلي (دراسة في البيئة والشعر)، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٠م.
- ١٩ - محمد بن عبدالكريم الشهرستاني (ت: ٥٤٨هـ، ١١٥٣م)، الملل والنحل، ٢ ج، تحقيق: أمير علي مهنا وعلي حسن فاعور، دار المعرفة، ط ٣، بيروت، ١٩٩٣م.
- ٢٠ - محمد عبدالمنعم خفاجي (ت: ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٦م)، الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، دار الجيل، ط ١، بيروت، ١٩٩٢م.

- ٢١ - محمد بن المكرّم بن منظور (ت: ٧١١هـ، ١٣١١م)، لسان العرب، ٥٥ج، تحقيق: عبدالله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، د.ت.
- ٢٢ - محمد نعمان الجارم، أديان العرب في الجاهلية، مطبعة السعادة، ط١، مصر، ١٩٢٣م.
- ٢٣ - محمود المقداد، تاريخ الترسل النثري عند العرب في الجاهلية، دار الفكر، ط١، دمشق، ١٩٩٣م.
- ٢٤ - ناصر الدين الأسد (ت: ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م)، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، دار الجيل، ط٧، بيروت، ١٩٨٨م.
- ٢٥ - نشوان بن سعيد الحميري (ت: ٥٧٣هـ، ١١٧٨م)، الحور العين (عن كتب العلم الشرائف دون النساء العفائف)، تحقيق: كمال مصطفى، دار آزال، ط٢، بيروت، ١٩٨٥م.
- ٢٦ - هشام بن محمد بن السائب الكلبى (ت: ٢٠٤هـ، ٨١٩م)، الأصنام، تحقيق: أحمد زكي باشا، دار الكتب المصرية، ط٣، القاهرة، ١٩٩٥م.

References

- 1- Abū al-Faraj al-Aṣfahani (D: 356AH , 967AD), songs (in Arabic Al Aghani), part 24, ed. a group of investigators under the supervision of Mohamed Abu al-Faḍl Ibrahim, the Egyptian General Book Organization, Cairo, between 1992 and 1994.
- 2- Aḥmed b. Fares b. Zakarīā (D. 395 AH, 1004 AD), measures of language (In Arabic: Maqaīs Al Logha), part 6, ed.: Abdel Salam Mohammed Harun, the Arab Writers Union, Damascus, 2002.
- 3- Aḥmed b. Moḥammed b. Abed Rabbo Andalusī (D: 328 AH, 940 AD), The Unique Contract (In Arabic: Al Aqed Al farid) , part 8, ed.: Abdul Majeed Al-Tarḥini, Dar al-Kutob al-Alami, 1st ed, Beirut, 1983.
- 4- Gergi Zidan (D. 1332 AH, 1914 AD), The Arabs Before Islam (In Arabic: Al Arab qabl Al Islam), Al-Hilal Press, 2nd ed, Egypt, 1922.
- 5- Jawad Ali (D: 1407 AH, 1987), Details of the history of the Arabs before Islam (In Arabic: Al mofaṣal fi Tariq Al Arab Qabl Al Islam) , part 10, University of Baghdad helped to publish, 2nd ed, 1993.
- 6- Roberta Scarpett, Sociology of Literature (In Arabic: Sāīkologīā Al Adab, translated by: Amal Antoine Armouni, Dar Owāīdat, 2nd ed, Beirut, 1983.
- 7- Samih Daghim, The Religions and Beliefs of the Arabs before Islam (In Arabic: Adyan wa mo'taqadat Al Arab Qabl Al Islam), Lebanese Thought House, 1st ed, Beirut, 1995.

- 8- Shawqi Daif (2004), The History of Arabic Literature (Pre-Islamic Age), (In Arabic: Tarikh Al Adab Alarabi Al Asr Al Jahili) Dar Al Ma'arif, 24th ed, Cairo, 2003.
- 9- Abdullah b. Muslim b. Qutaiba al-Dinūri (D. 276 AH, 889 AD), knowledge (In Arabic: Ala m'arif), ed.: Tharwat Okasha, Dar al-Ma'arif, 4th ed, Cairo, 1981.
- 10- Abdul-Malik b. Hussein al-I'sami (D: 1111 AH, 1699AD), Scalding stars in the news of the early and the successive (in Arabic: Samaṭ al-Najūm al-A'wali fi Anbaa alAwael w al-Tawali), part 4, published by: Maḥbuddin al-Khatib, Salafi Library, Cairo, 1961.
- 11- Abd al-Malik ibn Hisham al-Maafri (D: 213 AH, 828 AD), Biography of the Prophet (In Arabic: Al Sirah Al-Nabawyeah), part 4, Ed.: Taha Abdul Raouf Saad, Dar Jaleel, Beirut, 1975.
- 12- Ali b. Aḥmed b. Sa'īd b. ḥazm Andalusī (D: 456AH, 1064AD), Huddle of Arab Ancstries (In Arabic: Jamharet Ansab Al A'rab), ed.: Abdel Salam Haroun, Dar Ma'arif, Cairo, 1962.
- 13- Amr b. Bahr, known as Al Jaḥeẓ (D: 255 AH, 869 AD), The Animal (In Arabic: Al ḥywan), part 8, ed.: Abdel Salam Haroun, Mustafa Babi ḥalabi and Sons Press, 2, Egypt, 1965.
- 14- Farouk Khorshīd, in the Arabic Novel (Age of Agglomeration), (In Arabic: Fi Al Riwayah al A'rabiya – Asr Al Tajmi') Dar al-Shorouq, 3rd ed , Beirut, 1982.

- 15- Collection of Authors, Introduction to Critical Approaches to Literary Analysis (In Arabic: Moqadima Fi Al Manahej Al Naqdīya Liltahlil Al Abadi), Translated by: Wael Barakat and Ghassan Al Sayed, Dar Zeid B. Thabit, Damascus, 1995.
- 16- Mohammed b. Ahmed b. Manşour Al-Abshihī (D: 852 AH, 1448 AD), The Extreme in The Art of Humour (In Arabic: Al mostaṭraf fī kūl, part 2, review and commentary: Mohammed Said, Dar al-Fikr, revised new edition, Beirut, 1998.
- 17- Muhammad Tawfiq Abu Ali, Arabic Proverbs and the Pre-Islamic Age (In Arabic: AL Amthal Al Arabīā wa Al A'ser Al Jahīlī) (Analytical Study), Dar Al-Nafas, 1st edition, Beirut, 1988.
- 18- Mohammed Zaghloul Salam (D: 1434 AH, 2013 AD), Introduction to Pre-Islamic Poetry (Study in Environment and Poetry) (In Arabic: Madkhal ila Al She'er Al Jamhili), Al ma'aref Establishment, Alexandria, 1990.
- 19- Mohammed b. Abdul-Karīm al-Shahrīstanī (D: 548 AH, 1153 AD), Boredom and Bees (In Arabic: Al Malal wa Al Naḥel), part 2, ed. Amir Ali Muhanna and Ali Hassan Fa'our, Dar al-Ma'arīfah, 3rd edition, Beirut, 1993.
- 20- Mohammed Abdel Moneim Khafajī (D: 1426 AH, 2006 AD), Literary Life in the Pre-Islamic Age (In Arabic: Al ḥayat Al Adabiya Fi Aser Al Jahilī), Dar al-Jeel, 1st ed, Beirut, 1992.
- 21- Muhammad b. al-Makram b. Manẓūr (D: 711 AH, 1311 AD), The Arabs' Tongue (Līsan Al Arab), part 55, ed.

Abdullah Ali al-Kabir and Muḥammad Aḥmad ḥasbullah and Hashem Muḥammad al-Shadhli, Dar al-Ma'arif, Cairo.

- 22- Muḥammad No'man al-Jarem, The Religions of the Arabs in the Pre-Islamic Era (In Arabic: Adyan Al A'rab Fi Al Jahilī ā), Al-Sa'ada Press, 1st ed, Egypt, 1923.
- 23- Maḥmoud al-Miqdad, The History of the Prophet's Prose of the Arabs in the Pre-Islamic Era, (Tarikh AL Tarasol Al Nathri 'enda al Arab f ī al Jahilīā) Dar al-Fikr, 1st ed, Damascus, 1993.
- 24- Nasser al-Dīn al-Assad (D: 1436 AH, 2015 AD), Sources of Pre-Islamic Poetry and its Historical Value (In Arabic: Maṣader Al She'er AL Jahilī wa qīmatuha al tarīkīhīya), Dar Al-Jīl, 7th edition, Beirut, 1988.
- 25- Nashawan b. Sa'id Al- ḥumairi (D: 573 AH, 1178 AD), Al- ḥoor Al-A'in (on the books of science and literature without chaste women) (In Arabic: Al ḥ al 'iin – 'an kutob al 'ilm al Sharaef dun al nisaa al 'afaief), ed. Kamal Mustafa, Dar Azal, 2nd edition, Beirut, 1985.
- 26- Hisham b. Muḥammad b. al-Sāeb al-Kalby (D: 204 AH, 819 AD), Idols (in Arabic: al-Asnaam), ed. Aḥmād Zaki Basha, Dar al-Kūtib al-Masr īyāh, 3rd edition, Cairo, 1995.

الأنواع الناشئة من (قط): دراسة في مبناها ومعناها وتطورها اللغوي

أ.د. خالد محمد المساعفة (*)

الملخص

تقوم هذه الدراسة على استقراء الأنواع الاسمية والفعلية وأسماء الأفعال التي قامت الدلائل على نشأتها من البنية الثنائية الاستعمالية (قط) ك: قَطُّ وقَطْنٌ وقَطُّ وقَطُّ وقَطَّاطٍ... وفي هذه الدراسة ما يبيِّن معنى هذه الأنواع واستعمالها، ومنهج بنائها من أصلها، وتطورها اللغوي والتركيبى النحوي، بعد أن توفرت هذه الأنواع على معنى مشترك، وهو القطع الحقيقي أو المجازي، فصار من اللازم -مثلاً- ألا نفوت دلالة الفعل (قَطَّنَ) واسم الفعل (قَطَّنَ) على هذا المعنى المشترك فلا نقول بنشأتها من الأصل (قط) بزيادة النون، أو أن نغض الطرف عن علاقة الأصل السابق بالأفعال الثلاثية والرباعية الدالة على هذا المعنى، من قبيل: قَطَّفَ وقَرَطَفَ، وقَطَّرَ وقَنَطَّرَ، خلافاً لكثير من الآراء الموروثة والحديثة التي أدت إلى الفصل بين الأنواع السابقة؛ فأفضى ذلك إلى إهمال العلاقات اللغوية والدلالية المشتركة بين هذه الأنواع وغيرها.

وفي هذه الدراسة مزيد من دلائل الثنائية اللغوية التي تزودنا بها نشأة بعض الظروف، ك(لذُنْ)، والمصادر التي لا أفعال لها، ك(ويل)، والحروف الناسخة، ك(لعل)، ومن هذه الدلائل يتضح أن هذه الثنائية قادرة على تخطي المداخلات الثنائية الجدلية أو التطبيقية المُفكَّكة التي تناولت تطور أبنية العربية إلى المستوى الذي تصير فيه نظريةً تحتكم إلى أصولٍ منهجية في التفسير والتحليل اللغوي.

الكلمات الدالة: التطور اللغوي، الأنواع الناشئة من (قط).

(*) أستاذ النحو والصرف، جامعة الحسين بن طلال، معان.

The Emerging Forms of Qaṭ: A Semantic-Etymological Study

ABSTRACT

This study aims to examine the nominal, verbal, and verbal noun forms emerged from the bi-radical root 'qaṭ' such as qatṭ-u, qaṭan-a, qatṭ-a, qaṭ-u, and qitaṭ. To this end, the study sheds light on the meanings of these forms and their evolvement, development, and syntactic structure as they share a common meaning, which is either real or metaphoric. Accordingly, it is vital not to ignore the common meaning between the verb qaṭan-a and the verbal noun qatn-a as they both evolved from the bi-radical root 'qaṭ'. Also, it is implausible to overlook the relationship between the bi-radical root qat and the emerged tri- and tetra-radical roots such as qaṭaf-a, qarṭaf-a, Qatar-a, qanṭar-a. No doubt, the proposition concerning the semantic-etymological interrelationship among these forms clearly contradicts with many of the old and modern arguments, which separate between these forms and often neglect the inter-linguistic and inter-semantic relations among them.

This study also presents further evidence on the bi-radical roots exemplified in some adverbs such as 'ladun', gerunds 'wail', and abrogating particles 'la'ala'. It is apparent from the presented evidence that linguistic bi-radicality is quite able to overcome the bi-radical controversial and the disconnected practical arguments that tackled the evolvement of the Arabic word structure, and it also furnishes a fruitful ground for a new theory governed by a set of well-grounded principles.

Key words: linguistic development; emerging forms from qaṭ

مقدمة

اللغة كالكائن الحيّ تتطور، ولا يتوقف تطورها عند حدود زمانية ومكانية معيّنة، إلا إذا اقتضت مناهج الدرس أن نعين زماناً أو مكاناً للظاهرة اللغوية المدروسة؛ فهذا ضربٌ من التقنين المنهجي المقترن بصياغة قواعد التفسير اللغوي، أو أردنا إسقاط أنماطٍ من الأحكام التي تستوجب حداً فاصلاً بين مرحلة لغوية وأخرى، كالذي اصطنعه القدماء عندما أرادوا تحديد عصور الفصاحة، ومظنة الشاهد اللغوي الفصيح، وهذا من التقنين الذي قد يصير مشكلاً؛ لاعتبارات معروفة، ليس أقلها ما يحتاج إليه معنى (الفصيح) من ضوابط لم ترتق إلى الاتفاق عليها.

وإذا كانت اللغة تتطور متخطيةً أيّ فواصل نضعها أمام تطورها فمن الواجب أن نغض الطرف عن أيّ مقولة لغوية موروثة لا تتفق مع أطوار أبنية اللغة، وهذا ما جرت عليه هذه الدراسة حين تجاوزت مقولةً في الاشتقاق الصرفي مفادها أنّ أقلّ الأصول اللغوية ثلاثة، فالبنية الاستعمالية (قطّ) تقدم لنا أقوى الدلائل على قدم استعمال الثنائي وتطوره في العربية، ومن ثمّ كان تجاوزُ مثل هذه المقولة وغيرها هادياً للكشف عن علاقات مشتركة: دلالية وصرفية ونحوية بين الأنواع الناشئة من (قطّ)، فضلاً عن غير وجه من المشترك الصوتي بينها.

وهذا المسعى لا يُغفل ما يمكن أن يُقال من صعوبة التوفيق بين أنماط تتوزع بين الاسمية والحرفية والفعلية، وتتباين في الموروث اللغوي؛ ولهذا كان على الدراسة أن تجيب عن سؤالات ضمنية للوصول إلى غايتها، وهي:

١. كيف يمكن للنواة اللغوية الاستعمالية (قطّ) أن تكون أصلاً لغيرها من الأبنية المستعملة؟

٢. ما الجامع الدلالي والمعنوي المشترك الذي يسوغ ردّ الأنواع المتباينة إلى هذا الأصل؟

٣. هل يقوم تطور هذا الأصل الثنائي على انتظام مطّرد يسمح بالمقايسة، ويفضي إلى رجوع النظر في ثلاثية الأصول التي أدار عليها التصريفيون ظاهرة الاشتقاق الصرفي؟

ونحن لا نعدّ ثلاثية الأصول هذه من باب الخطأ في التععيد الموروث بقدر ما ننظر إليها على أنها تفسير قام على كثرة الأصول الثلاثية الاستعمالية بالمقارنة مع قلة الثنائيات في زمن التععيد، ومن ثمّ فإنّ ثنائية الأصول نمط من التفسير قد يصير بديلاً عن هذه الثلاثية إذا ما توصلت الثنائية إلى صياغة ضوابط منهجية تعيد للدرس اللغوي - بمستوياته الصوتية والصرفية والدالية - بناءه وفاقاً لهذه الثنائية التي نمت أصولها قليلاً في الموروث اللغوي، وتطورت في الدراسات الحديثة لتصير نظرية لغوية في التفسير.

وقد وقفنا على آراء القدماء والمحدثين التي تتصل بمباحث الدراسة، فتبين لنا أنّ من هؤلاء القدماء من يحمل اشتقاق الأنواع السابقة أو بعضها على الفعل الثنائي المضاعف (قَطٌّ) أو المصدر (القَطُّ)، وفي مقدمتهم سيبويه (ت ١٨٠هـ) الذي رجّح اشتقاق الظرف (قَطٌّ) بقوله: "وأظن قَطٌّ كذلك؛ لأنها يعنى بها انقطاع الأمر أو الشيء، والقَطُّ قطعٌ، فكأنها من التضعيف."^(١)

وأما المحدثون - كجرجي زيدان، ومرمجي الدومنيكي، والرافعي وغيرهم - فلم يعمدوا إلى المدخلات التطبيقية في نشأة الأبنية الفعلية المختلفة من الأصل (قط)،

(١) سيبويه، أبو بشر عمرو بن بحر (ت ١٨٠هـ)، الكتاب، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، ط ٢، القاهرة، ١٩٨٢، ٤٤٩/٣ - ٤٥٣.

كالأفعال: (قطف وقطب وقطع وقطم وقطل) التي تضمنت معنى هذا الأصل، وهو القطع.^(١)

ولعبدالحق فاضل دراسة عَنُونَهَا بـ: "أقاصيص لغوية قط وبناتها" بيّن فيها الألفاظ الناشئة من الأصل (قط)، فذكر أنها تربو على (٤٥٠) كلمة.^(٢) وعلى هذا المنهج تناولت سهى نعجة في الباب الثاني من كتابها "آفاق الدرس اللغوي في العربية المبنى والمعنى" تطوّر (قط) الذي أفضى إلى نشأة كثير من الأمثلة التي وردت في دراسة فاضل السابقة، وانتهت من هذا التناول إلى القول بأن: "سلسلة التطورات ليست نهائية، فاللغة كائن حيّ دائم التطور".^(٣)

وفي الدراسات السابقة جهد بيّن في الوقوف على بعض وسائل تطور الأصل الثنائي (قط)، كزيادة الصوامت والإبدال الصوتي؛ ولكنها خلت من أيّ مداخلة تبين علاقة هذا الأصل بالأنواع اللغوية والنحوية، ك(قط) الذي يأتي اسماً محضاً أو ظرفاً أو اسم فعل... زيادة على إهمالها للتطور النحوي التركيبي لهذه الأنواع.

ولرياض الخوّام دراسة وسمها بـ: (لُدُنْ ولُدَى بينَ الثنائِيَّةِ والثلاثِيَّةِ وأحكامهما النحويَّةِ)، وهي لا تخلو من بعض ما يُحسب من التناول الثنائي، ولكنها لم تستطع تجاوز مشكل كثير من الدراسات الحديثة التي

(١) زيدان، جرجي، الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية، مراجعة وتعليق: مراد كامل، دار الحداثة، د.ط، بيروت، ١٩٨٢م، ص ٦٢، الرفاعي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، راجعه: عبدالله المنشاوي، مهدي البقيري، مكتبة الإيمان، د.ط، القاهرة، د.ت، ص ١٥٨.

(٢) فاضل، عبدالحق، "أقاصيص لغوية قط وبناتها"، مجلة اللسان العربي، المجلد (١٨)، الجزء (٣)، السنة (١٩٧١م)، ص ٥، ٦.

(٣) نعجة، سهى فتحي، آفاق الدرس اللغوي في العربية المبنى والمعنى، عالم الكتب الحديث، ط ١، إربد، الأردن، ٢٠١٤م، ص ٩٣.

سعت إلى اصطناع النظرية الثنائية في تأصيل نشأة أبنية العربية وتطورها. وفي مقدمة هذا المشكل خلّو هذه الدراسات -في الغالب- من الضوابط الدلالية واللغوية التي يُحتكم إليها في المعالجات الثنائية النظرية والتطبيقية.

ولسنا ننكر ما لغير هؤلاء الباحثين المحدثين من آراء تتعلق بالتطور اللغوي والمقارنات السامية التي تفيد في بعض ضوابط الثنائية اللغوية دون توفّرها على دراسة عموم مسائل (قط) وأنواعها.^(١)

وقد انتظمت الدراسة في ثلاثة مباحث رئيسة، تتناول الأول أنواع (قط) ومسائلها اللغوية، وجاء الثاني لدراسة الأبنية الناشئة من (قط) ووسائل البناء منه أو ممّا نشأ منه، وفي المبحث الثالث كان المصير إلى بيان التطور التركيبي وما وسمناه ب: تداخل الأنواع، من طريق تطور أنواع (قط)، وبعض المصادر التي لا أفعال لها، والحرف الناسخ (لعلّ)، ومسائل الظرف (لذن). وما كان لهذه الدراسة أن تتوسّع في تناولها لهذا الضرب من التداخل إلاّ بعدما تبين وجود مشترك بين الأنواع السابقة يوجب رجوع النظر فيها.

واقترضى موضوع الدراسة أن يقوم منهجها على جمع المادة من مصادرها اللغوية، وتحليلها وتقويمها بموضوعية، وتقديم بعض البدائل التي تناسب تطور أبنية العربية من أصول ثنائية.

(١) منها دراسات إسماعيل عمايرة الموسومة ب: بحوث في الاستشراق واللغة، وتطبيقات في المناهج اللغوية، ومعالم دارسة في الصرف الأقيسة الفعلية المهجورة ... ودراسات يحيى عبابنة وفي مقدمتها كتابه: بنية الفعل الثلاثي في العربية والمجموعات السامية الجنوبية.

المبحث الأول: أنواع (قَط) ومسائلها اللغوية

تباينت الأنواع التي تنتمي إلى البنية الثنائية (قَط) على الوجه الآتي إجماله:

أولاً: قَطُّ الظرف

١. استعماله ظرفاً مختصاً

يُستعمل (قَط) ظرفَ زمانٍ لاستغراق الماضي، ويختصُّ بالتركيب المنفيّة؛ لقولهم: ما فعلته قَطُّ، وقد ذكر ابن هشام وغيره أنّ العامة يقولون: لا أفعُله قَطُّ، وهو لحنٌ؛ لدلالة الفعل على الاستقبال، واختصاص الظرف (قَط) بالماضي.^(١)

وأثبت ابن مالك استعماله بعد الإثبات من طريق حديث حارثة بن وهب، وهو: "صلى بنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ونحن أكثرُ ما كنا قط."^(٢) ف(قط) كلمة -كما يذكر- استعملت غير مسبوقه بنفي، وهو: "مما خفي على كثيرٍ من النحويين؛ لأنّ المعهود استعمالها لاستغراق الزمان الماضي بعد نفي، نحو: ما فعلت ذلك قط، وقد جاءت في هذا الحديث دون نفي، وله نظائر."^(٣)

وذكر هذا الضرب من اللحن الزبدي، ونقل من صحيح البخاري وغيره ما يؤيد استعماله بعد الإثبات، يقول: "وتختص بالنفي ماضياً... وتقول العامة: لا أفعُله قَطُّ. وإنما يُستعمل في المُستقبل عَوْضُ. وفي مواضع من صحيح الإمام أبي عبدالله البخاريّ جاء بعد المثبت، منها في باب صلاة الكُسوف: أطولُ صلاةٍ

(١) ابن هشام، عبدالله بن يوسف (ت ٧٦١هـ)، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق:

محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، د.ط، بيروت، ١٩٩٣، ١٩٩٥م، ٢٣٢/١.

(٢) ابن مالك جمال الدين محمد الطائي الجباني، شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات

الجامع الصحيح، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، مكتبة دار العروبة، د.ط، القاهرة، د.ت،

ص ١٩٠.

(٣) ابن مالك، المصدر السابق، ص ١٩٣.

صَلَّيْتَهَا قَطُّ، وفي سُنَنِ الإِمَامِ أَبِي دَاوُدَ: تَوْضُحاً ثَلَاثاً قَطُّ ... وَحَاوَلَ الكِرْمَانِيُّ جَزَّيَهَا عَلَى أَصْلِهَا، فَأَوَّلَ الأحَادِيثِ الوَارِدَةَ مُثَبَّتَةً بِالنَّفْيِ ... وَجَزَمَ الحَرِيرِيُّ فِي الدَّرَّةِ بَأَنَّ اسْتِعْمَالَ قَطُّ فِي المُسْتَقْبَلِ أَوْ المُثَبَّتِ نَفْيٌ. (١)

وأما الأستراباذي فذهب إلى أنه: "ربما استعمل قَطُّ بدون النفي لفظاً ومعنى، نحو: كنت أراه قَطُّ، أي: دائماً، وقد استعمل بدون لفظاً لا معنى، نحو: ... هل رأيت الذئبَ قَطُّ" (٢)

وعلى ذلك جرى بعض المحدثين في القول بهذا النمط من اللحن والخطأ كمصطفى الغلابيني (٣)، وعبد الرزاق (٤).

ولكن بعض المرويين يشير إلى استعمال (قَطُّ) في التراكيب المثبتة، فضلاً عن استعماله للدلالة على الاستقبال، ولعل ذلك ما دفع السيوطي إلى القول بأنها: "لَوَقَّتْ المَاضِي عُمُومًا" (٥) وهذا -في أقلّ تقدير- يخرج من دائرة اللحن والخطأ

(١) الزبيدي، محمد بن عبدالرزاق، (ت ١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين، دولة الكويت، ١٩٦٥-٢٠٠١م، (قطط)، ٤٠/٢٠.

(٢) الأستراباذي، رضي الدين (ت ٦٨٦هـ)، شرح كافية ابن الحاجب، تحقيق: أحمد السيد أحمد، المكتبة التوفيقية، د.ط، القاهرة، د.ت، ٣٠٤/٣، وقبله: حتّى إذا جنّ الظلامُ واخْتَلَطَ. والرجز للعجاج في ملحق ديوانه ٣٠٤/٢، وأورده البغدادي له في: خزنة الأدب، البغدادي، عبدالقادر بن عمر، خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط٤، القاهرة، ١٩٩٧م، ١٠٩/٢.

(٣) الغلابيني، مصطفى، جامع الدروس العربية، المكتبة العصرية، ط٢٨، بيروت، صيدا، ١٩٩٣م، ٥٧/٣.

(٤) الراجحي، عبده، التطبيق النحوي، مكتبة المعارف، ط١، القاهرة، ١٩٩٩م، ص٤١٨.

(٥) السيوطي، جلال الدين (ت ٩١١هـ)، همع الهوامع، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، د.ط، القاهرة، د.ت، ٢١٧/٢.

إلى دائرة الاستعمال اللغوي غير الشائع المُطرد، والفرق بينها كبير، ومن ثمَّ فلسنا محتاجين إلى تقدير ما جاء من مثبت الأحاديث منفياً؛ حتى يستقيم للقدماء إخضاع التراكيب على وجه من الاستعمال يروونه صواباً دون غيره.

وأما ما يذكره القدماء والمحدثون من علل يفسرون بها العدول عن الأحاديث النبوية في التأصيل النحوي فهي لا تثبت على أيِّ وجه أُديرت، كالقول بأن الرواة جوزوا النقل بالمعنى، والقول بوقوع اللحن في الحديث؛ بسبب كثرة الرواة الأعاجم وغير ذلك.^(١)

فالأقرب إلى تفسير هذه المسألة أنه في ابتداء وضع قواعدهم النحوية في زمن أبي الأسود (ت ٦٩هـ) لم تكن هذه الأحاديث قد جمعت بعد، وأنَّ المجموع منها كان قليلاً، ولم يصل من هذا القليل إلى النحاة إلا النزر اليسير.^(٢) فصار هذا العدول منهجاً لا يحددونه عنه حتى بعد جمعها في عصور لاحقة؛ فالمسائل اللغوية والنحوية التي أقاموها على الشاهد المفرد والشاهدين، وعلى المصنوع الذي غيرت روايته كثيرة، زيادة على أنهم لم يتحرَّجوا من رواية الأعاجم للشعر الذي صار شاهداً على مسائل اللغة ونحوها.

٢. بناء (قط) وصوره المستعملة

لخص السيوطي أسباب بناء (قط)، فذكر منها مشابته للحروف في إبهامها، وهو يقع على كل ما تقدم من الزمان، وقيل لأنه أشبه الفعل

(١) الحديثي، خديجة، موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف، وزارة الثقافة، دار الرشيد،

١، بغداد، ١٩٨١م، ص ٣٦٧-٤١٢.

(٢) تقول خديجة الحديثي: "من هذا يتبين أنَّ ابتداء التدوين وقع في أوائل القرن الثاني، ولم ينته

هذا القرن حتى كان قد تمَّ تدوين معظم الأحاديث النبوية." ينظر: موقف النحاة من

الاحتجاج بالحديث، ص ٣٧٩.

الماضي؛ لأنه لزمانه، أو أنه مبني لأنه تَضَمَّن معنى الحرف (في)، أو لتَضَمُّنه معنى (مُنْذُ)، فمعنى ما رأيته قَطًّا، أي: مُنْذُ خُلِّقْتُ، أو لتَضَمُّنه معنى (مِنْ) الاستغراقية، وبُني على الضَّمِّ تشبيهاً بقبل وبعد.^(١)

وعلة البناء تدور في محور قطعه عن الإضافة، فإذا قُطِع عنها بُني على الضم، وينقل ابن يعيش عن الكسائي تفسيراً آخر للبناء على هذه الحركة، وهو أن أصل الظرف أن يكون مبنياً على (قَطُّ)، فلما سكن الحرفُ الأول للإدغام، حُرِّك الآخر بحركته. ومن ثمَّ ذكر بعض المستعمل منه، من نحو: (قَطُّ)، وفَسَّرَه بحذف إحدى الطاءين تخفيفاً، وإبقاء الحركة تنبيهاً على الأصل، كما قالوا في (رُبَّ): رُبَّ بحذف الباء وإبقاء الفتحة. وذكر الصورة (قَطُّ) المتأتية من إتياع الضمِّ الضمَّ بعد الحذف والتخفيف، وهو استعمال قليل كما يذكر.^(٢) وكذا كانت الصورة (قَطُّ) ناتجةً عن النقاء الساكنين، والتخلص منه بالكسر.^(٣)

ومن الصور الاستعمالية المعدودة لدى القدماء من اللهجات: (قَطُّ، قَطُّ، وَقَطُّ، قَطُّ، قَطُّ).^(٤) وكان بعضهم يرى أن (قَطُّ) هو الأصل، أو: "أفصح اللُّغات."^(٥) وأما ابن دريد فيرى أن قَطُّ وَقَطُّ: "لُغَتَانِ فصيحَتان."^(٦)

(١) السيوطي، جلال الدين، همع الهوامع، ٢/٢١٦، ٢١٧.

(٢) ابن يعيش، يعيش بن علي (٦٤٣هـ)، شرح المفصل، تحقيق: أحمد السيد أحمد، المكتبة التوفيقية، د.ط، القاهرة، د.ت، ٣/١٤٧، ١٤٨.

(٣) السيوطي، همع الهوامع، ٢/٢١٦.

(٤) الزبيدي، تاج العروس، (قطط)، ٣٦/٢٠.

(٥) ابن هشام، عبدالله بن يوسف، مغني اللبيب، ١/٢٣٢.

(٦) ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن (ت ٣٢١هـ)، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، ط١، بيروت، ١٩٨٧م، (قطط)، ١/١٥٠.

٣. اشتقاق (قَطُّ) و (قَطُّ)

نسَقَ سيبويه (ت ١٨٠هـ) الظرف (قَطُّ) مع جملة الأسماء التي يردُّ تصغيرُها ما حذف منها، كفم وفؤيه، ليخلص إلى القول: "وأظن قَطُّ كذلك؛ لأنها يعني بها انقطاع الأمر أو الشيء، والقَطُّ قَطْعٌ، فكأنها من التضعيف." (١)

وقد فتح هذا الرأي باباً في درس (قَطُّ) لم يكن معروفاً من قبل؛ لأنَّ ظنَّ سيبويه في أن تكون ثمة علاقة اشتقاقية بين الظرف والمصدر (القَطُّ) تحوّل إلى رأي لا يقوم على الظنِّ لدى الخالفين، ففي باب (ما جاء مشتقاً من الأسماء المبنية) صرَّح ابنُ جنِّي بهذه العلاقة القائمة بين الظرف (قَطُّ) والفعل (قَطُّ) بقوله: "وقد جاء بعض هذه المبنية مشتقاً، نحو: لبيك؛ لأنهم يقولون: أَلَبَّ بالمكان، ونحو: قَطُّ؛ لأنها من قَطَطت أي: قطعت؛ لأن قولك: ما فعلته قَطُّ معناه: فيما انقطع ومضى من عمرك ... وكلما كان الاسم في شبه الحروف أقعد، كان من الاشتقاق والتصريف أبعد." (٢)

ورأى ابن فارس أنَّ القطع يكون على جهة الإمكان، يقول: "وقولهم ما رأيتُ مثله قَطُّ، أي: أقطعُ الكلام في هذا بقوله على جهة الإمكان. ولا يُقال ذلك إلا في الشيء الماضي." (٣)

ولا يختلف رأي ابن هشام عن رأي ابن جنِّي؛ لقوله: "واشتقاقه من قَطَطته أي: قطعته، فمعنى ما فعلته قَطُّ ما فعلته فيما انقطع من عمري؛ لأن الماضي مُنْقَطِعٌ عن الحال والاستقبال." (٤)

(١) سيبويه، الكتاب، ٤٤٩/٣-٤٥٣.

(٢) ابن جنِّي، أبو الفتح عثمان (ت ٣٩٢هـ)، المنصف لابن جنِّي شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني، دار إحياء التراث القديم، ط ١، ١٩٥٤م، ص ١٤٦.

(٣) ابن فارس، أبو الحسين أحمد (ت ٣٩٥هـ)، مقاييس اللغة، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الجليل، د.ط، بيروت، د.ت، (قط)، ١٤/٥.

(٤) ابن هشام، عبدالله بن يوسف، مغني اللبيب، ٢٣٢/١.

وربما يكتفي بعضهم في بيان اشتقاقه بالمصدر دون الفعل، وفاقاً لرأي سيبويه، كقول الأسترباذي: "وقطّ لا يستعمل إلا بمعنى أبدأ؛ لأنه مشتق من القطّ، وهو القطع، كما نقول: لا أفعله ألبتة."^(١) أو يُعبّر عن العلاقة بينهما بمصطلح النّقل، على النحو الوارد في قول السيوطي: "قالوا وأصلها مصدر، وهو القطّ بمعنى القطع نقلت إلى الظرف، فقولك ما رأيته قطّ معناه ما رأيته فيما انقطع من عمري."^(٢)

والنقل المُشار إليه من المصدر أو الاشتقاق من الفعل يوجبُ -بالضرورة- توفّر الظرف على دلالة القطع المعجمية، وإن صار له وظيفة نحوية لا يقوم بها المصدر أو الفعل.

وربما يكون الانقطاع متجهاً إلى الحدث المشتمل عليه الفعل، كقول أبي جعفر النحاس: "وما رأيته قطّ، أي: انقطعت الرؤية بيني وبينه."^(٣) وقد يستمرّ نفي الانقطاع إلى الزمن الحاضر، كما ذكر الشيخ خالد الأزهرّي، وهو يبيّن علة بناء الظرف (قط) في نحو: ما فعلته قطّ، يقول: "وعلة بنائها تضمّنّها معنى حرفي ابتداء الغاية وانتهائها، إذ المعنى: ما فعلته مُدْ خلقني الله تعالى إلى الآن."^(٤)

وقد اعترف كثير من القدماء باشتقاق أنواع مختلفة من الظروف، منها الظرف (عوض) الذي يقارب (قط) في غير سمة من سماته اللغوية والتركيبية،

(١) الأسترباذي، شرح كافية ابن الحاجب، ٣/٣٠٣، ٤٠٤.

(٢) السيوطي، جلال الدين، همع الهوامع، ٢/٢١٦، ٢١٧.

(٣) النحاس، أبو جعفر، (ت٣٣٧هـ)، عمدة الكتاب، تحقيق: بسام عبدالوهاب الجابي، دار ابن حزم والجابي، ط١، بيروت، ٢٠٠٤م، ١/١٢٧.

(٤) الأزهرّي، خالد بن عبدالله (٩٠٥هـ)، شرح التصريح على التوضيح، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ٢٠٠٠م، ١/٥٢٦.

يقول ابن هشام: "عوض ظرف لاستغراق المُستقبل، مثل أبدأ إلا أنه مُختصّ بالنّفي، وهو مُعرب إن أُضيف، كقولهم: لا أفعله عوضُ العائضين، مبنّي إن لم يُضف، وبنائوه إمّا على الضّم، كقَبْلُ أو على الكسر، كأمسٍ، أو على الفتح، كأين، وسمّي الزّمان عوضاً؛ لأنّه كلما مضى جزءٌ منه عوّضه جزءٌ آخر، وقيل: بل لأنّ الدّهر في زعمهم يسلبُ ويعوّضُ." (١)

ومن وجوه المقاربة بينهما ما ذكره ابن مالك من أنّ (عوض) قد يردُّ للماضي، فيكون بمعنى قطّ، على نحو قول الشاعر:

فلم أرَ عاماً عوضاً أكثرَ هالِكاً ووجهَ غلامٍ يُشترى وغلّامةً (٢)

وأبرز ما في هذه المقارنة والمقاربة اعترافُ النحويين باشتقاق الطرفين السابقين. والحقيقة أنه لا يمكن غضُّ الطرف عن اشتقاق (قطّ)، فلا نفيده منه بإدارته على نحوٍ موافق لمنهج التطور اللغوي.

ثانياً: استعمال (قط) لغير الظرفية

يستعمل (قط) لغير الظرفية، فيأتي اسماً محضاً أو اسمَ فعل، وفي الآتي تفصيل لمسائل كلّ واحد منهما:

١. قَطُّ بمعنى (حسبُ)

تحدث عن هذا المعنى ابن هشام، وهو يذكر وجوه استعمال (قط) في العربية، فبعد أن بين وجه استعماله ظرفَ زمان لاستغراق ما مضى قال: "والثّاني أن تكون بمعنى حسبُ، وهذه مفتوحة القاف ساكنة الطاء، يُقال: قَطِي وقَطْكَ وقَطُّ

(١) ابن هشام، مغني اللبيب، ٢٠٠/١.

(٢) ابن مالك، شرح التسهيل، ٢٢١/٢. والبيت غير منسوب ولا يعرف قائله، ينظر: البغدادي،

خزانة الأدب، ١٤٣/٧، يعقوب، إميل بديع، المعجم المفصل في شواهد العربية، دار الكتب

العلمية، ط١، بيروت، ١٩٩٦م، ٤٦/٧.

زيد دِرْهَم، كما يُقال: حَسْبِي وَحَسْبِكَ وَحَسْبِ دِرْهَمٍ، إِلَّا أَنَّهَا مَبْنِيَةٌ لِأَنَّهَا
مَوْضُوعَةٌ عَلَى حَرْفَيْنِ وَحَسْبٍ مَعْرَبَةٍ. (١)

ولـ(قط) بهذا المعنى جملة من الضوابط والأحكام البنيوية والتركيبية أجمالها
السيوطي مع أحكام (قَدْ) بقوله: "ويردان أيضاً اسمين مرادفين لحسب، فالغالب
حينئذٍ بناؤهما على السكون لوضعهما على حرفين، ويضافان إلى الاسم الظاهر،
وإلى ياء المُتَكَلِّم، وكاف المُخَاطَب، نَحْو: قَدْ زَيْدٍ دِرْهَمٍ، وَقَطُّ زَيْدٍ دِرْهَمٍ، وَقَدِي
وَقَطِي بِلَا نُونٍ، وَقَدْكَ وَقَطُّكَ، وَقَدْ يُعْرَبَانِ، وَهُوَ قَلِيلٌ، يُقَالُ: قَدْ زَيْدٌ أَوْ قَطُّ زَيْدٍ
دِرْهَمٍ بِالرَّفْعِ كَمَا يُقَالُ: حَسْبَهُ دِرْهَمٌ" (٢)

وذكر ابن هشام جواز دخول نون الوقاية عليهما: "حفظاً للبناء على السكون،
كما يجوز في لَدُنْ وَمِنْ وَعَنْ." (٣)

وأورد القدماء شاهدين شعريين استعمل فيهما (قط) و(قَدْ) بنون الوقاية ومن
دونها، الأول:

قَدْنِي مِنْ نَصْرِ الْخُبَيْبِينَ قَدِي لَيْسَ الْإِمَامُ بِالشَّحِيحِ الْمَلْحَدِ (٤)

والثاني:

أَمْتَلًا الْحَوْضُ وَقَالَ قَطْنِي مَهْلًا رُوَيْدًا قَدْ مَلَأَتْ بَطْنِي (٥)

(١) ابن هشام، مغني اللبيب، ٢٣٢/١.

(٢) السيوطي، جلال الدين، همع الهوامع، ٢١٦/٢، ٢١٧.

(٣) ابن هشام، مغني اللبيب، ٢٣٢/١.

(٤) الرجز لحُمَيْدِ بْنِ مَالِكِ الْأَرْقَطِ عِنْدَ ابْنِ مَنْظُورٍ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ، (خَبَب)، ٣٤٤/١، وَابْنُ بَدَائِدٍ فِي خَزَانَةِ الْأَدَبِ ٣٨٢/٥، ٣٨٣، ٣٨٥، ٣٩١، ٣٩٢، وَلِحُمَيْدِ بْنِ ثَوْرٍ عِنْدَ ابْنِ مَنْظُورٍ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ، (لَحْد)، ٣٨٩/٣، وَلَيْسَ فِي دِيَوَانِهِ؛ وَأَبِي بَدَلَةَ عِنْدَ ابْنِ يَعِيشَ فِي شَرْحِ الْمَفْصَلِ ١٢٤/٣، وَبِلَا نِسْبَةٍ عِنْدَ سَيْبَوِيهِ فِي الْكِتَابِ ٣٧١/٢، وَالسِّيُوطِيُّ، عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، الْأَشْبَاهُ وَالنِّظَائِرُ، دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ، ط١، بَيْرُوتَ، ١٩٩٠م، ٢٤١/٤.

(٥) مِنَ الْأَبْيَاتِ غَيْرِ الْمَنْسُوبَةِ، يَنْظُرُ: إِمْبِيلُ يَعْقُوبُ، الْمَعْجَمُ الْمَفْصَلُ فِي شَوَاهِدِ الْعَرَبِيَّةِ، ٢٨٩/١٢.

وهم مختلفون في معناهما حين تثبت فيهما نون الوقاية؛ لقول الأشموني:
"وكون قد وقط بمعنى حسب في اللغتين هو مذهب الخليل وسيبويه، وذهب
الكوفيون إلى أن من جعلهما بمعنى حسب قال: قدي وقطي بغير نون كما تقول:
حسبي، ومن جعلهما اسم فعل بمعنى أكتفي قال: قدني وقطني بالنون، كغيرهما
من أسماء الأفعال."^(١)

فالخليل وسيبويه يذهبان إلى أنهما اسمان بمعنى (حسب) وهما
مشتعلان على هذه النون أو غير مشتملين، والكوفيون يقيّدون هذا المعنى
بالاشتغال السابق، وإلا كانا من زمرة أسماء الأفعال، لا الأسماء المحضة.
ويُفهم من هذا أنّ (قطني) و(قدني) الواردين في الشاهدين السابقين اسما
فعلٍ بمعنى (يكفي) على رأي هؤلاء الكوفية، لا بمعنى (حسبي)؛
لاشتمالهما على نون الوقاية. ولا بدّ للخليل وسيبويه -بالضرورة- من أن
يعترفوا بأنّ معنى (حسبي) و(يكفي) واحد؛ لأنّ ما عدّه الكوفيون فارقاً بين
النوعين لا يعد كذلك لدى الخليل وسيبويه.

وأشار المرادي في موضوع نون الوقاية إلى استعمال (قط) في الحديث
الشريف: (قط قط بعزتك) -بسكون الطاء وبكسرها مع ياء ودونها- فخالف من
ذهب إلى أن حذف النون من (قد وقط) لا يجوز إلا في الضرورة، فأجازه هو في
الاختيار.^(٢)

ونذكر الأزهرى أصالة هذه النون في مادة (قدن) التي استعمل منها الاسم
(القدن) بمعنى الكفاية والحسب. يقول: "قلت: جعل القدن اسماً، وأصله من قولهم:

(١) الأشموني، علي بن محمد (ت ٩٠٠هـ)، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار الكتب
العلمية، ط ١، بيروت، ١٩٩٨م، ١/١٠٦، ١٠٧.

(٢) المرادي، أبو محمد بدر الدين (ت ٧٤٩هـ)، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن
مالك، تحقيق: عبدالرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، ط ١، بيروت، ٢٠٠٨م،
٣٨٧-٣٨٥/١.

قَدْنِي كَذَا وَكَذَا، أَي: حَسْبِي. وَمِنْهُمْ مَنْ يَحْذِفُ التَّوْنَ فَيَقُولُ: قَدِّي، وَكَذَلِكَ قَطْنِي وَقَطِي. ^(١)

وَكَذَا رَوَى ابْنُ سَيِّدِهِ عَنْ بَعْضِ الْقَدَمَاءِ أَصَالََةَ النَّوْنِ فِي (قَط) بِقَوْلِهِ: "وَقَالَ بَعْضُهُمْ: قَطْنِي: كَلِمَةٌ مَوْضُوعَةٌ لَا زِيَادَةَ فِيهَا كَحَسْبِي." ^(٢)

وَمِنْ آرَاءِ ابْنِ فَارِسٍ الْمَذْكُورَةِ فِي (قَط) أَنَّ الطَّاءَ مَبْدَلَةٌ مِنَ الدَّالِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَبَيِّنْ مَسْوُغَ هَذَا الْإِبْدَالِ، يَقُولُ: "فَأَمَّا قَطٌ بِمَعْنَى حَسْبُ فَلَيْسَ مِنْ هَذَا الْبَابِ، إِنَّمَا ذَلِكَ مِنَ الْإِبْدَالِ، وَالْأَصْلُ قَدْ... لَكُنْتُمْ أَبْدَلُوا الدَّالَ طَاءً، فَيُقَالُ: قَطِي وَقَطُّكَ وَقَطْنِي." ^(٣)

وَالْمَلْحُوظُ أَنَّ (قَط) وَ(قَد) يَسْلُكَانِ مَسْلَكاً وَاحِداً فِي بَعْضِ الْإِسْتِعْمَالَاتِ، مِنْ ذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ ابْنُ مَنْظُورٍ وَهُوَ أَنَّ (قَد) تَكُونُ مِثْلَ: "قَطُّ بِمَنْزِلَةِ حَسْبُ، يَقُولُونَ: مَا لَكَ عِنْدِي إِلَّا هَذَا فَقَدْ، أَي: فَقَطُّ، حَكَاهُ يَعْقُوبُ، وَزَعَمَ أَنَّهُ بَدَلٌ... وَفِي صِفَةِ جِهَتِهِمْ... فَيُقَالُ: هَلْ امْتَلَأْتِ، فَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ حَتَّى إِذَا أُوعِبُوا فِيهَا قَالَتْ: قَدْ قَد، أَي: حَسْبِي حَسْبِي، وَيُرْوَى بِالطَّاءِ بَدَلَ الدَّالِ، وَهُوَ بِمَعْنَاهُ. وَمِنْهُ حَدِيثُ التُّلَيْبِيَّةِ: فَيَقُولُ: قَدْ قَد، بِمَعْنَى حَسْبُ، وَتَكَرَّرَتْ لَهَا التَّأَكِيدُ الْأَمْرُ." ^(٤)

وَنَلْحِظُ -أَيْضاً- أَنَّ الْفَاءَ زِيدَتْ فِي (قَط) وَهُوَ اسْمٌ بِمَعْنَى (حَسْب)، وَلَمْ يَذْكَرْ بَعْضُ الْقَدَمَاءِ فَائِدَةَ زِيَادَتِهَا، يَقُولُ ابْنُ يَعِيشَ: "وَرَبَّمَا اسْتَعْمَلُوا قَطُّ وَحَسْبُ

(١) (الأزهري، تهذيب اللغة، (قدن)، ٥١/٩.

(٢) (ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت ٤٥٨هـ)، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبدالحاميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠م، (قطط)، ١١٠/٦.

(٣) (ابن فارس، مقاييس اللغة، (قط)، ١٢/٥-١٤.

(٤) (ابن منظور، لسان العرب، (قدد)، ٣٤٧/٣.

مفردَيْن من غير إضافة، فقالوا: رأَيْتُه مرَّةً واحدةً قَطُّ، وأعطاني ديناراً فَحَسَبْتُ، أي: اكَتَفَ بذلك واقْطَع. والإضافة أكثرُ وأغلبُ فأعرفه. ^(١) ويقول الفيومي: "وقَطُّ بالسُّكون بمعنى حَسَبُ وهو الاكتفاءُ بالشَّيء، تقول: قَطَّنِي، أي: حَسَبِي، ومن هنا يُقال: رأَيْتُه مرَّةً قَطُّ." ^(٢)

وقد ورد (فَقَدَّ) بالبدال في بيت النابغة:

قالتُ أَلَا لَيْتَمَا هَذَا الْحَمَامَ لَنَا إِلَى حَمَامَتِنَا أَوْ نَصَفُهُ فَقَدِ

وقد عدَّه السيرافي اسماً بمعنى حسبي. ^(٣) أو بمعنى كافٍ في بعض الآراء. ^(٤) وهذا ما يقربه هو و(قَطُّ) من اسم الفعل الآتي ببيانه:

٢. قَطُّ اسم فعل بمعنى (يكفي)

تحدث السيوطي عن معنى اسم الفعل (قَطُّ) و(قَدُّ) معاً، بقوله: "وترد قَطُّ وقد اُسْمِيَ فعل بمعنى يَكْفِي، نحو: قَدُّ زَيْدًا دِرْهَمًا، أي: يَكْفِيهِ، وقَدَّنِي وقَطَّنِي بنون الوقاية، أي: يَكْفِينِي، وليس فيهما إلا البناء على السُّكون، ثمَّ قيل: هما كلمتان مستقلتان، وقيل: الدَّال بدل من الطَّاء، وقيل: قَدُّ هي الحرفية نُقِلت إلى الاسمية." ^(٥)

(١) ابن يعيش، شرح المفصل، ١٤٦/١-١٤٨.

(٢) الفيومي، أحمد بن محمد (٥٧٧٠هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت، د.ط، د.ت، (قطط)، ٥٠٨/٢.

(٣) السيرافي، يوسف بن أبي سعيد (ت٣٦٨هـ)، شرح أبيات سيبويه، تحقيق: محمد علي الريح، مكتبة الكليات الأزهرية، دار الفكر، د.ط، القاهرة، ١٩٧٤م، ٢٧/١.

(٤) ابن يعيش، شرح المفصل، ٥٢٠/٤، ٥٢١، الهامش (٢).

(٥) السيوطي، جلال الدين، همع الهوامع، ٢١٦/٢، ٢١٧.

وهو لا يقصد بنقل (قد) الحرفية إلى الاسمية الخالصة، وإنما أراد نقلها إلى اسم الفعل، كنقل حروف الجرّ إلى أسماء الأفعال، من قبيل: إليك وعليك، وهذا في أقلّ مسعى بحثي يقتضي رجوع النظر في (قد) الحرفية نفسها ومعانيها، فننظر كيف تأتي لها أن تقوم بوظيفة اسم الفعل (يكفي) بعد النقل المذكور؟

ولا يصحّ أن نَعْفَلَ عن رأي مخالف ينصُّ على أنّ اسم الفعل (قطُّ) و(قدُّ) مشتقان، على نحو قول ابن يعيش: "واشتقاقُ قَدْ من قَدَدْتُ الشيء، واشتقاقُ قَطُّ من قَطَطْتُ الشيء، إذا قطعته، فأصلهما لذلك التثقيب، وإنما حُفِّقَا بحذف لاميهما، وغلبَ عليهما التخفيفُ لكثرة استعمالهما. وإنما لزمَت هذه الأسماءُ الإضافة، لأنّها واقعةٌ موقعَ فعلِ الأمر. وفعلُ الأمر لا بد له من فاعل، ولم تكن هذه الأسماء ممّا يَرْفَع، فأضيفت إلى الفاعل. فإذا قلت: قَدْكَ، وقَطُّكَ، فكأنك قلت: اكْتَفَيْ، واقْطَعْ، فالفاعلُ مضمَرٌ. وإذا قلت: قَدْ زيدٍ أو قَطُّ عمرو، فكأنك قلت: لِيَكْتَفِي زيدٌ، أو عمرو بذلك."^(١)

وفي موضع آخر قال: "ومن ذلك قَدْكَ وقَطُّكَ، وهما اسمان، ومُسَمَّاهما اكْتَفَيْ، وانْتَهَيْ، فهما لازمان على حسب ما سُمِّيَا به من الأفعال، وهما مبنيان لوقوعهما موقعَ الفعل المبني، وجريهما مجراه في الدلالة. وسُكِّنَ آخرهما على حدِّ التسكين في صَهْ، ومَهْ؛ لأنه الأصلُ في البناء، ولم يلتق في آخرهما ساكنان، فتجب الحركةُ لاجتماعهما. والكافُ فيهما ليست اسماً، وإنما هي حرفُ خطاب على حدّها في: النجاءكَ، ورؤيدَكَ، وقَدْ مُخَفَّفَةٌ، وأصلها قَدْ مُثَقَلَةٌ، فحذفت إحدى الدالّين تخفيفاً على حد قولهم: بَخٌّ خفيفةٌ في بَخٍّ مُثَقَلَةٌ؛ لأنه مأخوذ من: قددتُ

(١) ابن يعيش، شرح المفصل، ١/١٤٦-١٤٨.

الشيء، إذا قطعته طولاً، وكذلك قَطَّكَ مخففةً من قَطَّ مأخوذة من: قَطَطْتُ الشيء، أي: قطعته عرضاً، كأنَّ الاكتفاء قطعَّ عمَّا سِواه، فاعرفه.^(١)

وما يذكره ابنُ يعيشٍ فيهما يقربهما من (قَطُّ وقَدْ) بمعنى (حَسَب) من جهة، ومن الطرف (قَطُّ) من جهة أخرى حين وقع الاشتراك في الاشتقاق من الفعل (قَطُّ).

ومن القدما من يفرق بين (قط) إذا كان بمعنى حسبي أو بمعنى يكفي، من طريق ثبوت النون وعدمه، لقول الزبيدي: "والذي في المغني وشروحه: النَّونُ لازِمةٌ في التي بمعنى كَفَانِي، وعدمُ النَّونِ يَدُلُّ على أنَّها بمعنى حَسْبِي."^(٢)

ومن مسائل اسم الفعل (قَطُّ) زيادة الفاء فيه زينةً لفظيةً له؛ وقد ذهب الكافي إلى هذا الرأي حين قال: "وأما قَطُّ في قولك: اضربُ زيداً فقطً، فقد قيل: إنه اسم فعل بمعنى انْتَه، صُدِّرَ بالفاء لتزيين لفظه. فكأنه جزاء شرط محذوف، أي: إذا ضربتَ زيداً فانتَه عن ضرب غيره."^(٣) ونقل هذا الرأي الزبيدي عن السعد بقوله: "وقولهم: فقطً، قال السعدُ في المَطْوَل: قَطُّ: اسمُ فعلٍ بمعنى انْتَه، ويصْدَرُ كثيراً بالفاء تزييناً للفظ، كأنه جزاء شرطٍ محذوفٍ، أي: إذا كان كذلك فانتَه عن الآخر."^(٤)

وذهب الخضري إلى أن فقط تأتي بمعنى حسب في سياق حديثه عن بيت الألفية:

(١) ابن يعيش، شرح المفصل، ١٥/٣.

(٢) الزبيدي، تاج العروس، (قطط)، ٣٨/٢٠.

(٣) الكافي، محيي الدين (ت ٨٧٩هـ)، شرح قواعد الإعراب لابن هشام، تحقيق فخر الدين

قباوة، دار طلاس، ط ٣، دمشق، ١٩٩٦، ٢٦٨، ٢٦٩.

(٤) الزبيدي، تاج العروس، (قطط)، ٤٦/٢٠.

أل حرف تعريف أو اللام فقط فنمط عرفت قل فيه النمط
والفاء في فقط -كما يذكر- زائدة لتزيين اللفظ، وقل بمعنى حسب. وهي
حال من اللام، أي: حال كونها حسبك، أي: كافيتك عن طلب غيرها، أو الفاء في
جواب شرط مقدر، وقل خبر لمحذوف، فالتقدير: إن عرفت هذا فقط أي: فهي
حسبك، أو اسم فعل بمعنى: انته، أي: إذا عرفت ذلك فهي حسبك، أو فانتة على
طلب غيرها. (١)

وذكر إميل يعقوب أن (فقد) -بالدال- الوارد في بيت النابغة الذي
سبق (... أو نصفه فقد) عبارة عن اسم بمعنى كافٍ، ولم يذكر في هذه
الفاء غير أنها الفاء الفصيحة. (٢) وليس لمعنى (الفصيحة) دلالة معينة!

ومن أنفع المروي في اسم الفعل (قط) ما انفرد به أبو بكر بن الأنباري، وهو
روايته عن العرب زيادة النون فيه بقوله: "ومن العرب من يقول: قطنَ عبد الله
درهم، فيزيد نوناً على قَط، وينصب بها، ويخفض، ويضيف إلى نفسه، فيقول:
قطني. ولم يُحك ذلك في قَد، والقياس فيهما واحد." (٣)

فما ذكره يبيّن أن (قط) أصل (قطن) بزيادة النون، وأن (قد) تخلف عن (قط)
فلم تُسمع فيه هذه الزيادة، والقياس فيهما واحد، وهذا يفيد في أن (قط) يصح أن
يكون أصل (قد). وزاد الأزهري في النقل عن أبي بكر بن الأنباري بعض
الاستعمالات التي تفرق بين نوعي (قط)، يقول: "وقولهم: لا تقل إلا كذا وكذا قَط،

(١) الخصري، حاشية الخصري، ١/١٩٧.

(٢) ذكر هذا الرأي في الهامش (٢) من مؤلف ابن يعيش (شرح المفصل)، ٤/٥٢٠، ٥٢١.

(٣) الأنباري، أبو بكر، الزاهر في معاني كلمات الناس، تحقيق حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة،
ط١، بيروت، ١٩٩٢، ٢/٣٢٤.

معناه: حَسْبُ. وطاؤها ساكنة؛ لأنها بمنزلة: هَلْ وَبَلْ وَأَجَلْ، وكذلك قَدْ يُقَالُ: قَدْ
عَبَدَ اللهُ دِرْهَمًا. ومعناه: قَطَّ عِبَادَ اللهِ دِرْهَمًا، أي: يكفي عِبَادَ اللهِ دِرْهَمًا. (١)

وعلى ما تقدم نرى أننا لو كررنا نصاً سابقاً للسيوطي واستكملنا ما
حذفناه منه لوجدنا دليلاً قوياً على نمط من التقارب الذي نفيد منه في
الكشف عن ملامح من التطور اللغوي المشترك بين أنواع (قط)، يقول
السيوطي: "وترد قَطٌ وَقَدْ اسْمِي فعل بمعنى يَكْفِي، نحو: قد زيداً دِرْهَمًا،
أي: يَكْفِيه، وقدني وقطني بنون الوقاية، أي: يَكْفِينِي، وليس فيهما إلا
البناء على السَّكون، ثم قيل هما كلمتان مستقلتان، وقيل الدال بدل من
الطاء، وقيل قد هي الحرفية نقلت إلى الاسمية... ويردان -أيضاً- اسمين
مرادفين لحسب، فالغالب حينئذٍ بناؤهما على السَّكون لوضعهما على
حرفين، ويضافان إلى الاسم الظاهر وإلى ياء المتكلم وكاف المخاطب،
نحو: قد زيد دِرْهَمًا وقط زيد دِرْهَمًا، وقدني وقطي بلا نون وقدك وقطك، وقد
يعربان وهو قليل يُقال: قَدْ زيد أو قَطُ زيد دِرْهَمًا بالرفع كما يُقال: حَسْبُه
دِرْهَمًا." (٢)

فمن هذا النص يتبين أن اسمي الفعل (قط) و(قد) يمكن أن يكونا نمطاً
واحداً؛ لترجُّح إبدال الدال طاءً، ولما رأيناه من التماثل وجريهما على منوال واحد
في الوضع على صامتين اثنتين، والمعنى والوظيفة، واتصالهما بنون الوقاية،
والبناء على السكون، والتصرف النحوي التركيبي من جهة نصب الاسم بهما. وهذا
التماثل يطالع حين عُدَّ اسمين مرادفين للاسم حسب، وبُنِيَ على السكون ووُضِعَا
على صامتين، وأُضِيفَا إلى الاسم الظاهر، وإلى ياء المتكلم، وكاف الخطاب
وجواز إعرابهما. وكذا نلاحظ مجيء (قد) الاسمية والحرفية على صامتين والبناء

(١) الأزهري، تهذيب اللغة، (قطن)، ٢٢/٩.

(٢) السيوطي، همع الهوامع، ٢١٦/٢، ٢١٧.

على السكون، مع ما ذكره من نقل (قد) الحرفية إلى اسم الفعل الدال على الاكتفاء، فلا تتقل لهذا المعنى إلا وفي معانيها الحرفية ما يجعلها تقوم بأداء وظيفة اسم الفعل ومعناه.

٣. استعمال (قط) للتقليل

ذكر بعض النحاة أن (قط) يستعمل للتقليل، يقول السيوطي: "زعم الأخفش أنك إذا أردت بها الزمان تضم أبداً، نحو: ما رأيت مثله قط، فإن قلت بقط شيئاً سكنت: نحو: ما عندك إلا هذا قط." (١)

وقد روى الفيروزآبادي بعض الصور الاستعمالية بقوله: "فإن قلت بقط، فاجزمها: ما عندك إلا هذا قط. فإن لقيته ألف وصل، كسرت: ما علمت إلا هذا قط اليوم، وما فعلت هذا قط، ولا قط. أو يقال: قط يا هذا، مثلثة الطاء مُشدَّدة، ومضمومة الطاء مُخفَّفة ومرفوعة... وفي سنن أبي داود: (توضاً ثلاثاً قط). وأثبتته ابن مالك في الشواهد لغة، قال: وهي مما خفي على كثير من النحاة. وما له إلا عشرة قط يا فتى، مُخفَّفاً مجزوماً، ومُنقلاً مخفوضاً." (٢)

ونقل ابن سيده عن اللحياني بعض الصور الاستعمالية بقوله: "وحكى اللحياني: ما زال على هذا مذ قط يا فتى، بضم القاف والتثنية، وقال: ويُقال في التقليل: ما له إلا عشرة قط يا فتى، بالتخفيف والجزم. وقط يا فتى، بالتثنية والخفض." (٣)

(١) السيوطي، همع الهوامع، ٢/٢١٦، ٢١٧. وفي النسخة المحققة أخطاء في ضبط (قط)

الدالة على التقليل أثبتنا ما رأيناه صواباً موافقاً للمعنى المذكور.

(٢) الفيروزآبادي، مجد الدين أبو الطاهر، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في

مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت، ٢٠٠٥م، (قط)، ١/٦٨٣.

(٣) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، (قطط)، ٦/١١٠.

ولعلَّ الخليل أول مَنْ ذكر معنى التقليل، ففي معجمه (العين) ورد: "وأما القَطُّ الذي في موضع: ما أعطيته إلا عشرين درهماً قَطُّ، فإنه مجرور فرقاً بين الزمان والعدد." (١)

وتفسير معنى التقليل هو أنَّ التراكيب -ربما- نُطقت بتتغيمها تنغيماً قريباً ممَّا يحصل في الاستفهام الإنكاري الذي يكون في نحو قولنا: أعطيتني ديناراً! ونحن منكرون لهذا العطاء القليل، فكذا الحال حين قالوا: ما له إلا عَشْرَةٌ قَطُّ يا فتى! أرادوا إنكار ما صار له من الشيء القليل الذي لم يبلغ إلا العشرة.

٤. قَطَاطٍ بِمَعْنَى (حَسْبِي)

استعمال هذا الاسم يوافق اسم الفعل المبني على الكسر ممَّا جاء على وزن (فَعَالٍ) في العربية، من مثل: حَذَامٍ وغيرها، ومن استعماله في الشعر قولُ عَمْرِو ابن مَعْدٍ يَكْرِبُ:

أَطَلْتُ فِرَاطَهُمْ حَتَّى إِذَا مَا قَتَلْتُ سَرَاتَهُمْ كَانَتْ قَطَاطٍ (٢)

وقد اختلفوا في توجيه (قطاط) على وجهين، فثمة مَنْ يرى أنها معدولة، خلافاً لمن يقول إنها بمعنى (حسبي)، يقول ابن يعيش: "وقالوا: قَطَاطٍ، وهو معدول عن قاطَّة، أي: كافية، يُقال: قَطَاطٍ بِمَعْنَى حَسْبِي، من قولهم: قَطُّكَ دَرَهْمٌ، أي: حَسْبُكَ وكافيك، مأخوذاً من القَطِّ، وهو القَطْع، كأنَّ الكِفَايَةَ قَطَعْتَ عن الاستمرار." (٣)

(١) الفراهيدي، الخليل بن أحمد (١٧٠هـ)، العين، تحقيق: إبراهيم السامرائي ومهدي المخزومي،

وزارة الثقافة والإعلام العراقية، دار الرشيد، ط١، بغداد، ١٩٨٤م، (قط)، ١٥/٥.

(٢) الرِّيْدي، تاج العروس، (قطط)، ٤٠/٢٠.

(٣) ابن يعيش، شرح المفصل، ٦٤/٣.

والقول بالعدل يناسب ميلهم إلى تفسير ما جاء على وزن (فَعَالٍ) مبنياً على الكسر، وفي هذا التوجيه دلالة واضحة على جواز حمل (قَطَاطٍ) على معنى الاسم (قط) الذي رأيناه مستعملاً بمعنى (حسب)، ومن ثمَّ رأينا أنَّ اسم الفعل (قَطُّ) والظرف (قَطٌّ) حملاً على الاشتقاق من الفعل (قَطَّ) أو المصدر (القَطُّ)، ولو عدنا إلى حقيقة معنى (حسب) لوجدنا أنها لا تختلف عن معنى الاكتفاء أيضاً، وعلى هذا فسر الطبري قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾^(١) بقوله: "قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ، يَكْفِينِي رَبِّي".^(٢) وفي تبيان معنى الاسم (بَسَّ) ذكر ابن يعيش ما يشير إلى أنَّ (حسبُ) معناها الاكتفاء والقطع، يقول: "وَبَسَّ بِمَعْنَى حَسَبُ، فَهُوَ اسْمُ اكْتَفٍ وَأَفْطَعُ. يُقَالُ: ضَرِبُهُ فَمَا قَالَ حَسَّ وَلَا بَسَّ، أَي: لَمْ يَتَوَجَّعْ، وَلَا اسْتَكْفَفَ."^(٣)

ما نخلص إليه -بعد الانتهاء من حديث النحاة واللغويين عن أنواع (قط)- هو أنَّها من أصل واحد، بعد أن صارت معانيها ومبانيها تسمح بالمقارنة بينها. وهذا ما سنحاول بيانه والكشف عنه في المباحث الآتية:

المبحث الثاني: (قط) وأنواعها من الثنائية اللغوية إلى الثلاثية

أولاً: تحكُّم ثلاثية الأصول في الاشتقاق

ليس من الغريب أن يقوم اللغويون القدماء بردِّ (قَطُّ) إلى الثنائي المضاعف، كالظرف (قَطُّ) أو الفعل (قَطَّ) أو المصدر (القَطُّ)، فهذا الردُّ يتفق مع أصل في الاشتقاق يتمثل في كون أقلَّ الأصول ثلاثة؛ لأنَّه -كما يقول الخليل- لا بدَّ من:

(١) التوبة/١٢٩.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تفسير الطبري المسمى (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)،

تحقيق: عبدالله التركي، دار هجر، ط١، القاهرة، ٢٠٠١م، ٩٩/١٢، ١٠٠.

(٣) ابن يعيش، شرح المفصل، ٩٢/٣.

"حرف يُبتدأ به، وحرف يُحشى به الكلمة، وحرف يوقف عليه." (١) ويُعزى للكوفيين القول بثنائية الأصول الاسمية. (٢) وقد ذكر ما يشبه هذا الأصل في الأفعال الفارابي (ت ٣٥٠هـ) عندما فسّر اجتلاب هاء السكت، وزيادتها في فعل الأمر (قَه) من (وَقَى)، بقوله: "لأن العرب لا تتطق بحرف واحد، وذلك أن أقل ما يُحتاج إليه للبناء حرفان، حرف يُبتدأ به، وحرف يوقف عليه؛ لأن الحرف الواحد لا يحتمل ابتداءً ووقفاً معاً." (٣)

ومن غير الجديد القول بأن القدماء اتخذوا من الثلاثيات المستعملة أصولاً لغيرها؛ فبسبب هذه الثلاثية كانوا يردّون ما نقص عن الثلاثي إلى البناء الثلاثي، وكان بعضهم يردّ إليه ما زاد من الرباعي. ومن ثم صار الحذف مُكأهم في إيصال الثنائيات إلى البناء الثلاثي، على نحو ما يذكره قُطْرُب (ت ٢٠٦هـ) في تأصيل الاسم (عَب) بقوله: "وأما العَبُ بتخفيف الباء ... فهو ضوؤُ الشمس وحُسْنُها." (٤) "وأما الأزهري فيرى أنه من الناقص الواوي؛ لقوله: "العَبُ: وأصله العَبُو فنُقِص." (٥)

وقد طال هذا الحذف أبنية اسمية ثلاثية مختلفة، ففي كتاب "المتع في التصريف" لابن عَصْفُور (ت ٦٦٩هـ) نجد أنواعاً منها، فمن محذوف الواو قولهم:

(١) الخليل، العين، ٤٩/١.

(٢) ابن عقيل، عبدالله بن عبدالرحمن (ت ٧٦٩هـ)، المساعد على تسهيل الفوائد، ٩/٤.

(٣) الفارابي، أبو إبراهيم إسحاق (ت ٣٥٠هـ)، معجم ديوان الأدب، تحقيق: أحمد مختار عمر، دار الشعب، د.ط، القاهرة، ٢٠٠٣م، ٢٥٨/٣.

(٤) قطرب، محمد بن المستنير (ت ٢٠٦هـ)، الأزمنة وتلبية الجاهلية، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، ط ٢، بيروت، ١٩٨٥م، ص ١٥.

(٥) الأزهري، محمد بن أحمد (ت ٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، ١٥٠/٣.

حَمَّ وأصله حَمَوٌ، وأب وأخ، لقولهم في التنثية: أَبَوَانِ وَأَخَوَانِ، وغيرها، ومن محذوف الياء الاسم (دم)، وأصله دَمَيٌّ، ومن النون الاسم (دَد)، وأصله دَدَنٌ، ومن الباء ما وقع في (رُبِّ) لقولهم: رُبِّ، وحُذفت الحاء من (جِرِّ)، وأصله: جِرْحٌ، بدليل قولهم في تحقيره: حُرَيْحٌ، وحُذفت الخاء من (بَخِ)، والأصل: بَخَّ، ومن حذف الفاء قولهم في التضجُر: أُفٌ، وأصله التشديد؛ لأنهم يقولون في معناها: أُفٌ.^(١)!

وقد صرح ابن عصفور بأن الحذف في الأمثلة السابقة وغيرها لا يجري على قياس، يقول: "فهذه جملة كافية من المحذوف على غير قياس."^(٢) وكذا رأى أبو العلاء المعري أن الأصل ألا يكون في الأسماء حذف؛ لقوله: "وكان أصل الأسماء أن تجيء غير محذوفاتٍ، وإنما يُستدل على حذفها بالاشتقاق والتصغير والجمع والعلل الجارية عليها في أنحاء العربية."^(٣)

ويعلّل بعضُ القدماء الميل إلى الحذف من الأبنية دون الزيادة فيها، بقوة التصرف في الحذف؛ على النحو الذي يرد في نصِّ العُكْبَرِيِّ، وهو: "أنَّ الحروفَ قد وقعَ فيها حذفٌ، والحذفُ تَصْرُفٌ، كما أن الزيادة تَصْرُفٌ، بل التَّصْرُفُ بالحذف أقوى وبالزيادة أضعفُ."^(٤)

(١) ابن عصفور، علي بن مؤمن (ت ٦٦٩هـ)، الممتع الكبير في التصريف، مكتبة لبنان، ط ١، بيروت، ١٩٩٦م، ص ٣٩٦-٣٩٩.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٩٩.

(٣) المعري، أبو العلاء أحمد بن عبدالله، (ت ٤٤٩هـ)، رسالة الملائكة، تحقيق: محمد سليم الجندي، دار صادر، د. ط، بيروت، ١٩٩٢م، ص ١٢٥.

(٤) العكبري، أبو البقاء (ت ٦١٦هـ)، التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين، تحقيق: عبدالرحمن العثيمين، دار الغرب الإسلامي، ط ١، بيروت، ١٩٨٦م، ص ٣٥٩-٣٦١.

والضعف -هنا- يتقرّر وفاقاً لمقتضيات الصناعة الصرفية، والأصل أنّ ما يقرّره هو منهج التطور اللغوي؛ فالراجح أنّ الأنماط الثنائية (ربّ وبخّ ...) لم تنشأ مُدغمةً هكذا من أوّل استعمالها، قبل الأنماط غير المضاعفة منها (ربّ وبخّ)، قياساً على ما اتّفقوا عليه من بناء المضاعف من غير المضاعف، في نحو: كَسَرَ وكَسَّر ...

وأما الأسماء والأفعال الرباعية المجردة فيسير تطورها بالزيادة في الثلاثيات، من ذلك ما ذكره الأزهريّ من زيادة الميم في الأفعال: لَهَزَ وَلَهَزَمَ - إذا بدا الشَّيْبُ وظهر - وجلط الشَّعْرَ وجَلْمَطَه - إذا حَلَقَهُ، وقَصَلَ الشَّيْءَ وقَصَمَلَهُ، إذا كسره، وفي موضع آخر نسب الأزهريّ قَصَمَلَ إلى قَصَمَ بزيادة اللام.^(١) وزيادة النون التي يذكرها ابن دريد على النحو: "تَكَنَّبَتِ الرَّجُلُ إِذَا تَدَاخَلَ بَعْضُهُ فِي بَعْضٍ، وَالنُّونُ فِيهِ زَائِدَةٌ."^(٢)

لقد أفضى البحث في تطور أبنية اللغة من الأصول الثنائية إلى نشأة نظرية لغوية وسمت بـ: "النظرية الثنائية".^(٣) فلجملة من الأسباب كان بعض الباحثين المحدثين يذهب إلى أنّ هذه الأبنية نشأت من أصول ثنائية مضاعفة أو غير مضاعفة، فلأحمد فارس الشدياق، وجرجي زيدان، وأنستانس الكرمل، وممرجي الدومنيّ، وإبراهيم السامرائي، والرافعي، وأمّين فاخر آراء نظريّة وبعض المداخلات التطبيقية في النشأة من الثنائيات اللغوية.

(١) الأزهري، تهذيب، (لهز)، ٩١/٦، ٢٧٣ (قصل)، ٢٨٩/٩، (جلط)، ١٧٠/١١.

(٢) ابن دريد، جمهرة اللغة، (كنبث)، ٢٦١/١.

(٣) ينظر: المساعفة، خالد، الأصول الثنائية للأفعال العربية دراسة في التأصيل والتطور

اللغوي، خزائن القلم، ط١، عمان، ٢٠١٥م، ص ٩-١٤.

فجرجي زيدان يرى -مثلاً- أن الأفعال: قطف وقطب وقطع وقطم وقطل من الأصل الثنائي (قط)؛ لأنَّ هذه الأفعال تضمنت معنى أصلها.^(١) وكذا كان مصطفى صادق الرافعي يذهب إلى بناء هذه الأفعال من هذا الأصل الموضوع محاكاةً لصوت القطع، وكذا ذهب إلى نشأة الأفعال: قضم وقصب وقصر وقصف من الأصل الثنائي (قص)، يقول: "وكلها معان متقاربة تتقلب معها الألفاظ المتفرعة عن مقطع واحد، وهذا هو أكثر أنواع النمو اللغوي."^(٢)

وفي مجلة (اللسان العربي) دراسة منشورة لعبدالحق فاضل وسمها بـ"أقاصيص لغوية قط وبناتها" جاءت في عشر ورقات بين فيها الباحث كثرة الألفاظ الناشئة من الأصل (قط) بقوله: "لكنني شخصياً أردت ذات يوم إمتاع نفسي بتدوين ما يعنّ لي من الألفاظ التي نشأت من قط وبناتها وحفيداتها وبنات حفيداتها -دون إمعان في التقصي- ثمَّ عدت فأحصيتها فإذا بها تربو على (٤٥٠) كلمة. ولو أنني استقصيت ما لكل واحدة من هاته الكلمات الأربعمائة والخمسين من بنات وأخوات وحفيدات لبلغ تعدادها الألف" وأما منهج نشأة هذه الألفاظ من أصلها الثنائي (قط) فيذكر أنّه يقوم على الخطأ في النطق يقول: "وكل من راقب الأطفال في تعلمهم الكلام قد لاحظ ولا شكَّ أنّ من دأبه أن يحرف الألفاظ بإبدال حروفها أو إدغامها... فهكذا كان البشر أول أمرهم إذا ألقيت إليهم كلمة نطقها كل منهم بطريقته... وهكذا تكونت لدى الجيل الجديد صيغ كثيرة للكلمة الواحدة، وهذه إحدى طرائق تكون المترادفات."^(٣)

(١) زيدان، الفلسفة اللغوية، ص ٦٢.

(٢) الرافعي، تاريخ آداب العربية، ص ١٥٨.

(٣) فاضل، أقاصيص لغوية قط وبناتها، ص ٥، ٦.

وأما ما فعله الأعراب الأقدمون في (قط) -على حد تعبيره- فهو أنهم: "أفتتوا في تحريفها بإبدال الحرف الأول أو الثاني منها فنطقها بعضهم قث، وبعضهم قث، وبعضهم قد، وقد، وقز، قس، قش، قص، قض. ثمَّ أبدلوا الحرف الأول من الألفاظ المولدة فظهرت إلى الوجود صيغ: جث، جد، جذ، جز، جس، جش، حض، حظ، خث، خذ... خط."^(١)

وتحدثت سهى نعجة في الباب الثاني من كتابها "آفاق الدرس اللغوي في العربية المبنى والمعنى" عن تطور (قط) فكررت بعض الأمثلة الواردة في دراسة فاضل السابقة، ومن ثمَّ بينت منهج نشأة هذه الأمثلة من الأصل (قط) الذي توافق طأؤه ما تسميه بـ(البيئة الجغرافية الخشنة والمجتمع القاسي)؛ ولهذا نشأت منه الأمثلة المختلفة بإبدال الطاء إلى أصوات تنسجم مع معطيات الحضارة والبيئة والاعتیاد لهذه البيئات، فمنه نشأ: قث وقث وقص، وبزيادة صامت في الثنائي السابق نشأت الأبنية الثلاثية: قطع وقطف وقطب وقطر وقطل.^(٢)

وترى أن الثنائيات الناشئة من (قط) تتطور أيضاً؛ فمن (قث) نشأ: جز وجث وجد، ومن ثمَّ تتطور هذه مرة أخرى، فينشأ من (جز) الثنائي (حز) الذي يتطور إلى (خذ) و(جذ)، وتخلص من ذلك إلى القول بأن: "سلسلة التطورات ليست نهائية."^(٣)

ونحن لا نختلف مع هذين الباحثين وغيرهما من المحدثين في أن الأصول الثنائية كانت الأصل الذي يفسر نشأة كثير من أبنية العربية، وأنَّ النظرية الثنائية

(١) فاضل، أفاصيص لغوية قط وبناتها، ص ٦.

(٢) نعجة، آفاق الدرس اللغوي في العربية المبنى والمعنى، ص ٨٧.

(٣) المصدر السابق، ص ٩٣.

تصلح للتوفّر على البحث في الأنواع السابقة، بعد أن اطردت الدلائل المعنوية والتركيبية التي تسوغ عدّ (قط) غير المضاعف الأصل المستعمل الذي يفسر نشأة كلّ الأنواع الفعلية والاسمية والحرفية، ومن ثمّ كانت نشأتها وتباين أنواعها تقوم على وسائل مختلفة تحتاج إلى مزيد من الضبط الذي يسمح بالمقايسة واصطناعة في أصول العربية الثنائية وهذا الضبط ومنهجه هو موضع الخلاف بين دراستنا ودراسات هؤلاء المحدثين على النحو الذي نبينه في المباحث الآتية:

ثانياً: دلالة أنواع (قط) على القطع

توصّل ابن فارس إلى أنّ (القاف والطاء) أصل صحيح وهو: "قطع الشيء" ومنه الفعل: "قَطَطْتُ الشَّيْءَ أَقْطُهُ قَطًّا" ومن هذا الباب: "الشَّعْرُ القَطَطُ، وهو الذي يَنْزوي، خِلافُ السَّبْطِ، كأنَّه قُطَّ قَطًّا. يُقال: قَطِطُ شَعْرُهُ، وهو من الكَلِماتِ النَّادِرَةِ في إظهارِ تَضْعِيفِها" ولكنه يستثني (قَطُّ) و(قَطاطِ) من هذا التّأصيل والأصل، فيقول: "فأما قَطُّ بمعنى حَسْبُ فليس من هذا الباب، إنّما ذاك من الإبدال، والأصلُ قَدْ ... لكنهم أبدلوا الدالَّ طاءً فيقال: قَطِي وقَطْكَ وقَطْنِي... ويقولون: قَطاطِ، بمعنى حَسْبِي."^(١)

وقد رُوي الفعل (قَطِطَ) مع بعض الأمثلة الفعلية مضاعفاً دون إدغام، منها: دَبَبَ ودَبِبَ وعَزَّرَ ولَخَخَ وأَلْبَبَ.^(٢) وكذا: لَحَحَ ومَشَشَ وصَكِكَ وضَبِبَ وأَلَّلَ، وهي نواذر في إظهار التضعيف خرجت عن الأصل كما يقول الزبيدي: "منبهةً على أصلها ودليلاً على أوليّة حالها، والإدغام لغة."^(٣)

(١) ابن فارس، مقاييس اللغة، (قط)، ١٢/٥-١٤.

(٢) ابن عصفور، الممتع، ص ٣٩٩، الهامش (١).

(٣) الزبيدي، تاج العروس، (لحج)، ٨٨/٧.

وكان رأي كثير من القدماء أنّ الظرف (قَطُّ) مشتق من الفعل (قَطَّ) أو المصدر القَطُّ^(١)، وكذا رأينا الاسم (قَطَاطٍ) يدل على معنى القَطِّ؛ سواء أكان معدولاً عن (قَاطِئَةٍ) بمعنى كافيةٍ، أو بمعنى حَسْبِي، والتقليل يجري هذا المجرى في نحو قولهم: ما عندك إلا هذا قَطُّ، وقولهم: ما عَلِمْتُ إلا هذا قَطِّ اليوم؛ لأنَّ ما عندنا من القليل أو ما يقع عليه علمنا من القليل يكون مقطوعاً عن غيره، وهو الذي لا يكون عندنا أو الذي لا يقع عليه هذا العلم.

أما مجيء (قَطُّ) اسمَ فعل دالاً على الاكتفاء فقد ذكر بعضهم أنه مشتق من القَطِّ، أو كما يقول ابن يعيش: "كَأَنَّ الكِفَايَةَ قَطَعْتُ عن الاستمرار."^(٢) وكذا استعماله اسماً بمعنى (حسب) (دلَّ على أنه من القَطِّ؛ لأن معنى قولنا: حَسْبِي اللّهُ، أي: يَكْفِينِي.^(٣) والاكتفاء بالشيء هو ملازمة له، وانقطاع عن غيره، وقد عبر ابن مالك عن معنى الاكتفاء في النوعين السابقين عندما تناول معنى (قد) الحرفية والاسمية بقوله: "فإذا كانت اسماً فهي على ضربين: أحدهما: اسم فعل ماض بمعنى كفى ... كقولك: قَدْ زِيداً درهماً ... والثاني: أن تكون بمعنى حسب، أي: كاف ... كقولك: قَدْ زِيدِ درهمٌ."^(٤)

وأما (قَدْ) المستعمل اسماً بمعنى (حسب) فنرى أنه ناشئ من (قَطُّ) بإبدال الطاء دالاً، أو أنه أصل ثنائي مستقلّ دلت مشتقاته على معنى القطع، كمعنى نظيره الثنائي (قَطُّ)؛ لقولهم في الفعل الثنائي المضاعف: "الْقَدْ الْقَطْعُ مُطْلَقاً، ومنه قَدْ الطَّرِيقَ يُفْذُهُ قَدْأً قَطَعَهُ، وهو مجازٌ، وقيل: الْقَدْ هو الْقَطْعُ الْمُسْتَأْصِلُ، أو هو

(١) ينظر: سيبويه، الكتاب، ٣/٤٤٩-٤٥٣، ابن جني، المنصف، ص ١٤٦، ابن هشام، مغني اللبيب، ١/٢٣٢.

(٢) ابن يعيش، شرح المفصل، ٣/٦٤.

(٣) الطبري، تفسير الطبري، ١٢/٩٩، ١٠٠.

(٤) ابن مالك، شرح التسهيل، ٤/١٠٦، ١٠٧.

الْقَطْعُ الْمُسْتَطِيل ... أو هو الشَّقُّ طَوْلًا، وفي بعض كتب الغريب: القُدُّ القَطْعُ طَوْلًا كَالشَّقِّ ... وفي الأساس: قَدَّ القَلَمَ وَقَطَّه، القُدُّ: الشَّقُّ طَوْلًا، وَقَطَّه: قَطَعَهُ عَرْضًا. (١)

والرأي الأول أرجح؛ لأنَّ إبدال الدَّال من الطَّاء موافق للتطور اللغوي الذي ينحو بألفاظ اللغة نحو التيسير والخفَّة، وقد أشار إبراهيم أنيس إلى سمة التيسير المصاحبة للتطور اللغوي بقوله: "تبيَّن للباحثين أنَّ التطور الصوتي في اللغات يميل في غالب الأحيان نحو تيسير النطق بها، والاقتصاد في الجهد العضلي." (٢)

فبهذا الإبدال يُتخلص من ثقل الإطباق في الطاء؛ لقول سيبويه: "ولولا الإطباق لصارت الطاء دالًا." (٣) زيادة على أنَّ إبدال الدَّال من الطَّاء مذكور في (قط) و(قد) المستعملين اسمَ فعلٍ بمعنى يكفي.

ولسنا نرى أنَّ (قد) هي الحرفية المنقولة إلى اسم الفعل كما ذكر بعض القدماء. (٤) بل إنَّ معاني (قد) الحرفية تبين أنها بنية ثنائية استعمالية لها تعلق واضح بالقطع، وقد أوجز معانيها الحرفية ابنُ مالك بقوله: "وإذا كانت حرفاً فهي على ثلاثة أضرب: أحدها: أن تكون حرف تقريب، فتدخل على فعل ماضٍ متصرف متوقع، أي مُنتظر، لتقريبه من الحال. الثاني: أن تكون حرف تقليل فتدخل على المضارع المجرد من جازم وناصب وحرف تنفيس لتقليل وقوعه، كقولك: البخيل قد يعطي، والحواد قد يمنع. الثالث: أن تكون حرف تحقيق، فتدخل على كلِّ من بناء المضارع والماضي لتقرير معناه، ونفي الشكِّ عنه، فدخولها على

(١) الرِّبِّيدي، تاج العروس، (قدد)، ١١/٩، ١٢.

(٢) أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ص ٢٤.

(٣) سيبويه، الكتاب، ٤/٣٦٤.

(٤) السيوطي، همع الهوامع، ٢/٢١٧.

الماضي كثير، كقوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ ... ومن دخولها على المضارع قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾^(١)

والراجح لنا أَنَّ التَّحْقِيقَ هو أصل معناها، فإذا قيل: قد جاء محمدٌ، فمعنى ذلك أن الناطق أخبرَ بمجيء محمد على وجه التحقيق والقطع بما لا يحتملُ التأويل، وأمَّا المعاني الباقية، كتقليل الوقوع مع الفعل المضارع، نحو: البخيل قد يعطي، فلعلها عرفيَّة؛ لأنَّ قلةَ عطاء البخيل حاصلة بإسقاط (قد) من الجملة السابقة، فقولنا: (البخيلُ يعطي) لا يتصوَّر فيه -عقلاً- غير الإخبار بالقليل من العطاء؛ لأنَّ هذا هو المتعارف عليه من حال البخيل.

وقد رأينا أن التقليل معنى ذكره في (قط) السيوطي بقوله: "فإن قللت بقط شيئاً سكنت: نحو: ما عندك إلا هذا قط."^(٢) وكذا معنى تقريب الماضي من الحاضر في نحو: قد قامت الصلاة، أي: قد حان وقتها في هذا الزمان، فالمتكلم يريد أن قيام الصلاة من المتحقق المقطوع به في هذا الوقت، وليس القيام في مطلق الزمن الماضي.

فمعنى التحقيق الذي يدور في محور القطع يظل دليلاً قائماً على احتمال وضع العربية للبنية الثنائية (قد) التي صارت في الاستعمال اسماً وحرفاً أو أنها نشأت بإبدال الدال من طاء البنية الثنائية (قط) وهو الراجح.

وزيادة على المعنى فإنَّ التطور البنيوي والتركيب النحوي للأصل الثنائي (قط) يرجح نشأة الأنواع المختلفة من (قط)، على النحو الظاهر في الأفراد الآتي:

(١) ابن مالك، شرح التسهيل، ١٠٨/٤. والآية الأولى من المجادلة/١، والثانية من الأحزاب/١٨.

(٢) السيوطي، جلال الدين، همع الهوامع، ٢١٦/٢، ٢١٧. وفي النسخة المحققة أخطاء في ضبط (قط) الدالة على التقليل أثبتنا ما رأيناه صواباً موافقاً للمعنى المذكور.

ثالثاً: تطور (قَطُّ) النبوي

تطوّر مبنى الأصل (قَطُّ) بوسائل مختلفة نجملها على النحو الآتي:

١. تكرير الصوامت

والطاء هي الصامت الذي تكرر وأدغم على النحو الظاهر في الفعل (قَطُّ) والظرف (قَطُّ). وما يدل على أنّ الإدغام مرحلة لاحقة هو استعمال الفعل (قَطِطَ) بالفك وكذا الاسم (القَطِطَ)، وهو كما ذكر ابن فارس: "الشَّعْرُ الذي يَنْزوي، خِلافُ السَّبْطِ، كأنّه فُطَّ قَطًّا. يُقال: قَطِطَ شَعْرُهُ، وهو من الكَلِمات النّادرة في إظهار تَضَعِيفِها."^(١)

ولهذا فرأى الكسائي القاضي بأن الظرف (قَطُّ) من (قَطِطَ) بإسقاط الضمة للإدغام، وتحريك الطاء الثانية بالضمة أقرب إلى حقيقة التطور اللغوي من جهة وسيلة البناء، خلافاً لرأي مَنْ عكس هذا التطور، ومنهم ابن يعيش الذي سبق النصُّ على قوله، وهو: "واشتقاقُ قَدْ من قَدَدْتُ الشيء، واشتقاقُ قَطُّ من قَطِطْتُ الشيءَ إذا قطعته، فأصلهما لذلك التثقيل، وإنما حُفِّقَتَا بحذف لامِيهما."

وقد أدّى الإدغام إلى مزيد من الصور الاستعمالية؛ لأن النمط المضاعف (قَطُّ) عبارة عن مقطع صوتي واحد مؤلّف من صامت وحركة قصيرة وصامتين (ص ح ص ص)، وهو مقطع مستثقل تتخلص منه اللغة بزيادة حركة قصيرة في الصامت الأخير هكذا: (قَطُّ) أو (قَطُّ)؛ وبذلك ينقسم المقطع السابق إلى مقطعين خفيفين هما: (قَطُّ = ص ح ص) + (طُّ = ص ح)، فالأول مؤلّف من صامت وحركة قصيرة وصامت، والثاني مؤلّف من صامت وحركة قصيرة، وهما أخف من المقطع السابق (ص ح ص ص).

(١) ابن فارس، مقاييس اللغة، (قط)، ١٣/٥.

وتكرير القاف والطاء مسؤول -كما نرى- عن نشأة الفعل والاسم الرباعيين:
 (قَطَطَ) و (القَطِطَ)؛ لقول ابن منظور: "والقَطِطُ، بالكسر: المطر الصغار الذي
 كأنه شدر، وقيل: هو صِغَارُ البَرَدِ، وقد قَطَطَتِ السَّمَاءُ فهي مُقَطِّطَةٌ." (١) ولهذا
 الاسم الرباعي علاقةً بالقطع على نحو قول ابن فارس: "والقَطِطُ: الرِّدَادُ مِنَ
 المطر؛ لآتته من قَلَّتْه كأنه مُتَقَطِّعٌ." (٢)

٢. زيادة الصوامت

من وسائل تطور الأصل (قط) زيادة الصوامت واحتفاظ المزيادات بدلالة
 الأصل، ومنها زيادة الفاء صدرًا في اسم الفعل (قط)، فليست زيادتها زينةً لفظية،
 أو وهي فاء الجزاء كما نقل الزبيدي عن السعد بقوله: "وقولهم: فَقَطَّ، قال السعدُ في
 المُطَوَّلِ: قَطُّ: اسمُ فعلٍ بمعنى انْتَهَى، ويُصَدَّرُ كثيراً بالفاء تزييناً للفظ، كأنه جزاء
 شَرَطٍ محذوفٍ، أي: إذا كان كذلك فانتَهَ عن الآخر." (٣) بل إن ما يفسر هذه
 الزيادة هو أن الأصل الثنائي (قط) بنية لغوية قابلة للتطور بزيادة صوامت
 مختلفة؛ للوصول إلى البناء الثلاثي، وتأدية معان تدور في محور القطع، كزيادة
 الفاء كسماً التي أدت إلى نشأة الفعل الثلاثي: قطف، و: "القَطْفُ: القطع، قطفَ
 العنب وغيره قطفاً: أي قطعَه." (٤)

(١) ابن منظور، لسان العرب، (قطط)، ٧، ٣٨٣.

(٢) ابن فارس، مقاييس اللغة، (قط)، ١٣/٥.

(٣) الزبيدي، تاج العروس، (قطط)، ٤٦/٢٠.

(٤) الحميري، نشوان، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: حسين العمري

وآخرين، دار الفكر المعاصر، ط١، بيروت، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٩م، (قطف)،

ولكنَّ زيادتها صدرًا أبقت (فَقَطُّ) على غير أوزان الفعل الثلاثي فظل المشتق اسمَ فعلٍ. ونرى هذا المنهج يتكرر بزيادة النون، وقد نقلنا ما ذكره أبو بكر بن الأنباري روايةً عن العرب من زيادة النون في اسم الفعل (قَطُّ)، وهو قوله: "ومن العرب من يقول: قَطَّنَ عبدُ اللهِ درهمٌ، فيزيد نوناً على قَطُّ." (١) فزيادة النون أوصلت اسم الفعل (قَطُّ) إلى مرتبة الأفعال أو كادت؛ فقد نُصب (عبدالله) على أنه مفعول به، ورفع (درهم) على الفاعلية؛ فخالف بذلك منهج جمهور أسماء الأفعال من جهة استقلالها باستتار أحد ضمائر الفاعلية، فأسماء الأفعال من قبيل: (صَهْ) و(مَهْ) وغيرها كما يقول ابن يعيش: "تجري مجرى الجُمَل لاستقلالها بما فيها من الضمير." (٢)

والخلافُ نفسه في طبيعة أسماء الأفعال يرجح أن (قَطُّ) و(قَطَّنَ) والفعل (قَطَّنَ) من أصل واحد؛ لقول المرادي: "مذهب جمهور البصريين أنها أسماء، وقال بعض البصريين: أفعال استعملت استعمالَ الأسماء، وذهب الكوفيون إلى أنها أفعال حقيقية، والصحيح أنها أسماء؛ لقبولها بعض علامات الأسماء، كالتنوين والتصريف، ولعدم قبولها علامات الأفعال، ولورودها على أوزان تخالف أوزان الأفعال." (٣)

ولسنا نعلم أيّ علامة في (قَطَّنَ) ترجح جانب الاسمية فيه على الفعلية، فليس فيه تنوين الأسماء ولا تمام تصريفها؟

وقد صارت أسماء الأفعال من قسم رابع مستقل عن أقسام الكلمة الثلاثة: (الاسم والفعل والحرف)، وهو ما سمّاه أبو جعفر بن صابر الأندلسي (الخالفة). (٤)

(١) الأنباري، الزاهر في معاني كلمات الناس، ٣٢٤/٢.

(٢) ابن يعيش، شرح المفصل، ٣٩٩/١.

(٣) المرادي، توضيح المقاصد، ١١٥٩/٣.

(٤) السيوطي، همع الهوامع، ٢٥/١، ١٠٤/٣.

والخوالف من أقسام الكلمة السبعة لدى تمام حسان، وتعني الكلمات المستعملة: "في أساليب إفصاحية ... للكشف عن موقف انفعالي ما والإفصاح عنه."^(١) ومن أنواع الخوالف التي ذكرها: أسماء الأفعال، وأسماء الأصوات، والتعجب، والمدح والذم.^(٢)

ولعلي النجدي ناصف رأي في أسماء الأفعال المرتجلة مفاده أنها: "ليست سوى بقية من الأفعال على حالها السانجة الأولى، قدّر لها البقاء."^(٣) ونهج هذا النهج فيها إبراهيم السامرائي؛ لقوله: "والحقُّ أنّها مواد فعلية قديمة، جمدت على هيئة مخصوصة، فلم يُتصرف فيها تصرّف الأفعال."^(٤)

وأما مجيء (قَطْن) على وزن الأسماء (فَعَلَ) فلا يقوم دليلاً على اسميته المحضة، وإن قال ابن يعيش: "وليس في الثلاثي فَعَلَ ساكنَ العين، إنما ذلك من أبنية الأسماء، نحو: فُلْس وكَعْب."^(٥) وقد فسر ورود الفعل (سَلَفَ) ساكن العين بالضرورة في قول الشاعر:

وما كلُّ مُبتاعٍ ولو سَلَفَ صَفُّهُ
بِراجِعٍ ما قد فائَهُ بِرَدَادِ

وخلص إلى أنّ إسكان المفتوح ضرورة، وإسكان المضموم والمكسور لغة.^(٦)

(١) حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، د.ط، الدار البيضاء، ١٩٩٤م، ص ١١٣.

(٢) المصدر السابق، ص ١١٣-١١٥.

(٣) ناصف، النجدي، "رأي في اسم الفعل"، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الجزء (٢٣)، سنة (١٩٦٨م)، ص ٨.

(٤) السامرائي، إبراهيم، الفعل زمانه وأبنيته، مؤسسة الرسالة، ط ٣، بيروت، ١٩٨٣، ص ١٢١.

(٥) ابن يعيش، شرح المفصل، ٤/٤٢٥.

(٦) المصدر السابق، ٣/٤٢٥، ٤٢٦. والبيت للأخطل كما ذكر ابن منظور في لسان العرب، (رثد)، ٣/١٧٢، (سلف)، ٩/١٥٨. وفي إحدى روايته بعض الاختلاف.

ويظهر أنَّ إسكان عين الأفعال تسرب في الاستعمال الفصح من المرحلة الأولية التي لم تكن فيها اللغة قد مازت أبنية الأسماء من أبنية الأفعال ميّزًا تاماً بعد الزيادات؛ ولهذا فزيادة النون في الأصل (قَطُّ) أدت إلى بنائه على وزن (فَعَلَ) عندما استعملته العربية على الصورة الثلاثية (قَطَّنَ)، ولكنه انتقل إلى الفعلية المحضة بتحريك عينه بالفتحة؛ لأجل هذا الميز عندما استعملت الفعل الثلاثي (قَطَّنَ)، فابن فارس يذكر أن القاف والطاء والنون: "أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على استِثْرارٍ بمكانٍ وسكونٍ. يُقالُ: قَطَّنَ بالمكان: أقامَ به، وسكُنَ الدَّارَ: قَطَّيْنَهُ. ومن الباب: قَطَّيْنُ المَلِكِ، يُقالُ هم تَباعُهُ، وذلك أَنهم يسكُنون حيثُ يسكُن، وحَسَمُ الرَّجُلِ: قَطَّيْنَهُ أَيضاً." (١)

ومعنى الإقامة -هنا- من مجاز دلالة القطع؛ لأنَّ الذي يُقيم في مكان ما بملازمته إياه ينقطع عن غيره. وقد استعمل هذا الفعل بدلالة القطع الحقيقية في بعض اللهجات الأردنية الدارجة، فقيل: قَطَّنَ الماءَ، إذا قَطَعَ انصبابه من مجراه، وحبسه في مكانه، و: قَطَّنَ الشَّجَرَةَ إذا قَطَعَهَا واجتثَّها من أصلها. وكذا زيدت هذه النون حشواً وصدراً في الأصل الثنائي (قَطُّ) فنشأ الفعلان: قنطَ ونقطَ، ورد في معجم (تهذيب اللغة): "قَطَّ يَقْنُطُ، وَقَنْطُ، يَقْنُطُ قَنْوُطاً... قال اللَّيْثُ: القَنْوُطُ: الإيَّاسُ من الحَيرِ، ويُقالُ: سَرَّ النَّاسِ الَّذِينَ يَقْنُطُونَ النَّاسَ من رحمة الله، أي: يُؤَيِّسُونَهُمْ. نقطُ: قال اللَّيْثُ: يُقالُ: نَقَطَ النَّاقِطُ الكِتابَ: يَنْقُطُهُ نَقْطاً... ما بَقِيَ من أموالِهِم إلا النُّقْطَةُ، وهي قِطْعَةٌ من نَخْلِ هاهُنَا وقِطْعَةٌ من زَرْعِ هاهُنَا." (٢)

فلا تخفى دلالة الفعل (قنط) على انقطاع الشيء عن أصل، وأمّا دلالة الفعل (نقط) على ما يزيل مشكل الحروف غير المنقوطة ويقطع إبهامها فأوضح

(١) ابن فارس، مقاييس اللغة، (قطن)، ١٠٤/٥.

(٢) الأزهرى، تهذيب اللغة (قنط)، ٢٥/٩، ٢٦.

من تأويله لغير هذا المعنى، وكذا دلالة النُقْطَة على صريح معنى التفريق في النخل والزرع، وهو من معاني القطع.

وزيادة اللام في البنية الاستعمالية (قَطُ) كسعاً وصدراً أوصلت المزيدات الثلاثية إلى معنى القطع أيضاً، فالفعل: قَطَلَ والقَطْلُ معناهما: القَطْع، ونخلة قَطِيل، إذا قُطعت من أصلها فسَقَطت. ^(١) ومنه الفعل: لَقَطَ واللَّقْطُ، وهما أَخَذُ الشَّيْءِ مِنَ الْأَرْضِ. واللَّقِيطُ الطِّفْلُ الَّذِي يُوْجَدُ مَزْمِيًّا عَلَى الطَّرِيقِ لَا يُعْرَفُ أَبُوهُ، وَاللَّقَاطَةُ: مَا التَّقَطَّ مِنْ كَرَبِ النَّخْلِ بَعْدَ الصَّرَامِ. وَلَقَطُ السُّنْبُلِ الَّذِي يَنْتَقِطُهُ النَّاسُ، وَالْأَلْقَاطُ مِنَ النَّاسِ: الْقَلِيلُ الْمُتَفَرِّقُونَ. وَاللَّقَطُ: قِطْعُ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ أَمْثَالِ الشَّدْرِ. وَتَلَقَّطَ فُلَانٌ التَّمْرَ، أَي: النَّقْطَةَ مِنْ هَاهُنَا وَهَاهُنَا. ^(٢) وأما زيادة اللام حشواً فجاء منها الاسمُ دون الفعل المماتِ على حدِّ قول ابن دريد: "والقَلَطُ فعل مَمَاتٍ، ومنه اشتقاق القَلْطِيِّ، وهو القصير المُجْتَمِعُ الخَلْقِ. وَرَجُلٌ قَلَطٌ: قَصِيرٌ." ^(٣) والقصيرُ ما يَنْقَطِعُ عَنِ الطَّوْلِ فَلَا يَصِلُ إِلَيْهِ.

٣. تطور الثلاثيات الناشئة من (قَطُ)

تتطور الأفعال والأبنية الثلاثية الناشئة من الأصل الثنائي (قَطُ)، فتصير مصدرًا لاشتقاق الرباعيات، فزيادة الراء حشواً في الأصل (قَطُ) أدت إلى بناء الفعل الثلاثي (قَرَطُ)، يُقال: قَرَطَ الكُرَاتَ - وهو نوع من النَّبَاتِ - وَ قَرَطَهُ إِذَا قَطَعَهُ فِي القَدْرِ، وَذَكَرَ ابْنُ سَيِّدِهِ الفِعْلَ الرِّبَاعِيَّ: قَرَطَمَ الشَّيْءَ إِذَا قَطَعَهُ، وَنَقَلَ زِيَادَةَ المِيمِ فِي الاسْمِ (القَرَطْمُ) أَوْ (القَرِطْمِ) - بِمَعْنَى حَبِّ العُصْفُرِ - عَنِ ابْنِ جَنِّي، فَقَالَ: "وَجَعَلَ ابْنُ جَنِّي القَرَطْمَ ثَلَاثِيًّا، وَقَالَ: سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يُقَرَّطُ." ^(٤) والفعل (قَرَطُ) نراه

(١) ابن دريد، جمهرة اللغة، (قطل)، ٩٢٣/٢.

(٢) ابن فارس، مقاييس اللغة، (لقط)، ٢٦٣/٥، ابن منظور، لسان العرب، (لقط)، ٣٩٢/٧.

(٣) ابن دريد، جمهرة اللغة، (قلط)، ٩٢٣/٢.

(٤) ابن سيده، المحكم، (قراط)، ٢٦٨/٦، (قراطم)، ٦٢٤/٦.

أصل الرباعي الوارد في (كتاب الأفعال)، وهو: قَرَطَبَ بمعنى قطع وصرع^(١). وليس ورودُه بمعنى القطع من التصحيف الذي أوماً إليه الزبيدي بقوله: "قَرَطَبَ الْجَزُورَ قَطَعَ عِظَامَهُ، لم يذكره الجوهري، ولعله: قَرَضَبَ، بالضاد المُعجمة."^(٢)

وأما زيادة الراء كسعاً في الأصل (قط) فأفضت إلى نشأة الفعل الثلاثي (قَطَرَ) الذي بين معناه ابن منظور، وذكر معه جملةً من الأفعال التي نراها من هذا الثلاثي، فمن معاني: قَطَرَ في الأرض ذَهَبَ فَاسْرِع. ويُقال: تَقَطَّرَ عَنِّي، أي: تَخَلَّفَ عَنِّي، أو رَمَى بِنَفْسِهِ مِنْ عُلُوٍّ، وَتَقَطَّرَ الْجِدْعُ إِذَا فُطِعَ أَوْ انْجَعَبَ. وَنَاقَةٌ مِقْطَارٌ وَقَدْ أَفْطَرَتْ: تَكَسَّرَتْ. ويُقال: أَفْطَرَتِ النَّاقَةُ إِذَا لَقِحَتْ فَشَالَتْ بِذَنْبِهَا وَشَمَخَتْ بِرَأْسِهَا. وَالْمِقْطَرَةُ: الْفَلَقُ، وَهِيَ حَشَبَةٌ فِيهَا خُرُوقٌ، كُلُّ خَرَقٍ عَلَى قَدْرِ سَعَةِ السَّاقِ، يُدْخَلُ فِيهَا أَرْجُلُ الْمَحْبُوسِينَ. وَالْقِطْمِيرُ وَالْقِطْمَارُ: شَقُّ النَّوَاةِ، وَيُقَالُ: مَا أَصَبْتُ مِنْهُ قِطْمِيرًا، أي: شَيْئًا.^(٣) وإلى الفعل الثلاثي: أَفْطَرَتِ النَّاقَةُ، إِذَا لَقِحَتْ نَسَبَ الْأَزْهَرِيِّ الْفِعْلَ الرَّبَاعِي (اقمطر) بقوله: "قلت: وسماعي من العرب بهذا المعنى: اقمطرت فهي مُقْمِطَرَةٌ، وكأنَّ الميم زائدة."^(٤)

وذكر ابن منظور الفعل الرباعي: قَنَطَرَ الرَّجُلُ بِمَعْنَى تَرَكَ الْبَدْوَ، وَأَقَامَ بِالْأَمْصَارِ وَالْقُرَى، أَوْ أَقَامَ فِي أَيِّ مَوْضِعٍ.^(٥) وهو كما يبدو ناشئٌ بزيادة النون حشواً قبل الطاء، والإقامة في موضع ما هي انقطاع عن غيره دون شك.

(١) ابن القطاع، أبو القاسم علي بن جعفر، كتاب الأفعال، عالم الكتب، ط١، بيروت، ١٩٨٣، (قرطب)، ٦٧/٣.

(٢) الزبيدي، تاج العروس، (قرطب)، ٢٧/٤.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، (قطر)، ١٠٧/٥.

(٤) الأزهري، تهذيب اللغة، (قطر)، ٧/٩.

(٥) ابن منظور، لسان العرب، (قنطر)، ١١٨/٥.

وكذا الحال في زيادة الميم كسعاً فقد دلّت على القطع؛ لقول ابن دريد: "والقَطْمُ: القَطْع، قَطَمَ يَقْطِمُ قَطْمًا، إِذَا قَطَعَ، وعنه عُدِلَ اسم قَطَامٍ."^(١) وقد استعمل الفعل (قَطَمَ) في اللهجة الأردنية على معناه الفصيح، ومن ثمّ بنت هذه اللهجة الدارجة الفعل الرباعيّ (قَطْمَطَ) للدلالة به على العطاء القليل والتقتير. والعطاء أيّاً كان نوعه هو قطعُ شيءٍ من شيء. والمنهج الذي سلكته اللهجة الأردنية في بنائه من الثلاثي (قَطَمَ) يقوم على تكرير الطاء بعد الميم، هكذا: (قَطَمَ ← قَطْمَطَ).

وتكريرُ أحد صوامت الثلاثي منهج شائعٌ في توليد الأفعال الرباعية الفصيحة في نحو: طَرَبَ إِذَا فَرَّ الرَّجُلُ. بتكرير الطاء فاء الفعل (طرب) بعد عينه كما يذكر الزمخشري.^(٢) وكذا الحال في الثلاثي: رَقَفَ إِذَا أُرْعِدَ مِنَ الْبُرْدِ.^(٣) فقد نشأ منه الرباعيّ (قَرَقَفَ) الدال على معنى ثلاثيه بتكرير القاف قبل الراء، كما صرح ابنُ منظور.^(٤)

وهذا المنهج ينطبق على بناء الأسماء، فمن مادة (كهم) قيل: كَهَمَ الرَّجُلُ وَتَكَهَّمَ إِذَا بَطَّوْا عَنِ الْحَرْبِ وَالتُّصْرَةِ، وَأَكْهَمَ بَصْرَهُ، إِذَا كَلَّ وَرَقَّ، وَأَمَّا الاسم الرباعي الكَهْمُ بمعنى: المُسِنَّ الكَبِيرِ وَالرَّجُلُ الْمُتَهَيَّبُ فقد نَقَلَ الْأَزْهَرِيُّ عَنِ شَمْرِ أَنَّ أَصْلَهُ: كَهَامٌ زِيدَتِ الْكَافُ فِيهِ.^(٥) ولعلَّ أصله على التحقيق من الاسم الثلاثي (الكهم) الذي كُرِّرَتِ

(١) ابن دريد، جمهرة اللغة، (قطم)، ٩٢٣/٢.

(٢) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو، الفائق في غريب الحديث والأثر، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، ط٢، بيروت، دت، (طر)، ٣٦٠/٢.

(٣) الزبيدي، تاج العروس، (رقق)، ٣٥٣/٢٥، ٣٦٠.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، (رقف)، (قرفق)، ١٢٧/٩، ٢٨٢.

(٥) الأزهرى، تهذيب اللغة، (كه)، ٢٢٦/٥، (كهم)، ٢١/٦.

كُرِّرَتْ فيه الكاف بعد الهاء، ويرجِّح هذا الرأي ما نراه من زيادة اللام كسعاً في هذا الثلاثي لبناء الاسم الرباعي: الكَهْمَلُ بمعنى الثقيل الوَخِم. (١)

ونرى أن العربية جرت على منهج منضبط في زيادة الصوامت في الأصل الثنائي (قط) وزيادتها في الثلاثي الناشئ منه؛ لبناء الرباعيات على النحو الآتي بيأئه:

٤. ضبط نوع الزائد في الأصل (قط)

ما يضبط نوع الصامت المزيد في الأصل الثنائي (قط) يقوم على خفة المزيد بالمقارنة مع ثقل صامتيه (القاف والطاء)، وهذا يعني أن نوع المزيد يخضع لنوع من القياس؛ فقد زيدت النون فيه وهي أخفُّ من القاف والطاء، في: قَطَنَ وَقَطَّنَ، وقنطَ، ونقطَ، وكذا كانت زيادة الفاء في: فَقَطَّ، وقَطَّفَ، واللام في نحو: لَقَطَّ وقَطَّلَ، والميم في: قَطَمَ، والباء على النحو الوارد في قول ابن دريد: "وبَقَطَّ الرَّجُلُ مَتَاعَهُ إِذَا فَرَّقَهُ... وَقَطَّبَتِ الشَّيْءَ أَقْطَبُهُ قَطْباً إِذَا قَطَعْتَهُ." (٢)

وتبدو زيادة الشين أخفَّ من القاف والطاء -لاعتبارات صوتية مختلفة- فكان الثلاثي المرويُّ من نمط الاسم الذي انفرد الزبيديُّ بروايته على النحو: "والأَقْطَشُ بمعنى المَقْطُوعِ الأَدْنَيْنِ، هكذا تستعملُه العَوَامُّ والخَوَاصُّ، ولا أدري أعربيَّة أم لا، فليُنظَر." (٣)

ودعوة الزبيدي لنا للنظر فيه تقودنا إلى رصد استعماله في كثير من اللهجات الأردنية الدارجة على معناه الذي ذكره الزبيدي، فقد استعمل الفعل (قَطَشَ) في هذه اللهجات بمعنى قطع من الشيء قليلاً. وهذا ما يرجح استعمال

(١) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، (كهمل)، ١/١٠٥٥.

(٢) ابن دريد، جمهرة اللغة، (بقط)، ١/٣٥٩.

(٣) الزبيدي، تاج العروس، (قطش)، ١٧/٣٣٦.

الفصيحة لهذا الفعل الثلاثي الذي تسرب في اللهجات الدارجة، ومن ثمَّ فإنَّ بناءه من الأصل (قَطُّ) مع دلالاته على القطع ممَّا يرجح أنه من العربية، وليس مستعاراً أو معرباً من أصول غير عربية.

ويزيدنا اقتناعاً بهذا الرأي أن زيادة الشين حشواً أفضت إلى معنى الفعل (قَشِطَ)، على نحو استعماله في قراءة عبدالله بن مسعود: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ قُشِطَتْ﴾^(١) بدلاً من (كُشِطَتْ). وقد نقل الأزهرِيُّ عن الزَّجَّاجِ أَنْ: قُشِطَتْ وَكُشِطَتْ وَاحِدٌ، معناه: قُلِعَتْ كما يُقْلَعُ السَّقْفُ.^(٢) وذكر ابن السكِّيتِ أنه من اختلاف اللهجات؛ لقوله: "وفُريش تقول: كُشِطَتْ، وقيسٌ وتميمٌ وأسدٌ تقول: قُشِطَتْ."^(٣)، وفي "تاج العروس" ورد نقلاً عن ابن السكِّيتِ: "وليس الكافُ في هذا بدلاً من القاف؛ لأنَّهما لُغتانِ لأقوامٍ مُختلفين." ومن معاني (كشط) الواردة فيه: "وكشَطَ الغِطاءَ عن الشيء، والجُلْدَ عن الجَزور، والجُلَّ عن ظَهْرِ الفَرَس، يكشِطُه كَشِطاً: قَلَعَه، ونَزَعَه ونَضاه، وكشَفَه عنه."^(٤)

والفعل بهذا المعنى مستعملٌ في اللهجات الأردنية، وينطق بالكاف الفصيحة، وبالقاف التي تنطق كالجيم المصرية. ولا يتأتَّى لنا القول بأنَّ الفعل (قَشِطَ) ناشئ من أصول ثنائية، من قبيل: (قش) بزيادة الطاء، أو من (شط) بزيادة القاف، ولا هو كذلك من قبيل المقلوب قلباً مكانياً من الفعل (قشش)؛ لأسباب كثيرة تتعلق بمنهج العربية وميلها إلى زيادة ما هو أخف من صامتي الأصل، واستعمال

(١) التكوير/١١.

(٢) الأزهرِي، تهذيب اللغة، (قشط)، ٢٤٦/٨.

(٣) ابن السكِّيت، كتاب الإبدال، ص ١١٤.

(٤) الرِّيدي، تاج العروس، (كشط)، ٦٠/٢٠.

الفصيحة واللهجات الدارجة للفعلين (قشط) و(قطش) بشيء من الفروق الدلالية الدقيقة. ولمثل هذه الفروق تميل العربية إلى زيادة صوامت مختلفة كسماً وحشواً وصدراً، على النحو الذي يطالع فيما نشأ من الأصل (قط).

فمن زيادة السين حشواً وصدراً في (قط) ما ورد في الأفعال: قسَطَ الشَّيْءَ إِذَا فَرَّقَهُ. ^(١) وتَقَسَّطُوا الشَّيْءَ بَيْنَهُمْ اقْتَسَمُوهُ عَلَى السَّوَاءِ وَالْعَدْلِ، وَكُلُّ مَقْدَارٍ فَهُوَ قِسْطٌ فِي الْمَاءِ وَغَيْرِهِ. ولقريب من هذا المعنى استعمل الفعل (سقط) لِمَا سَقَطَ مِنَ النَّارِ حِينَ تُقَدِّحُ، وَسُقُطُ الرَّمْلِ وَسِقْطُهُ وَسَقَطُهُ يَعْنِي مَنْقُوعَهُ، وَهَذَا مَسْقُطُ الرَّمْلِ حَيْثُ انْقَطَعَ، وَهَذَا مَسْقِطُ رَأْسِهِ حَيْثُ وُلِدَ، وَيُقَالُ: سَقَطَ الْوَلَدُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ، وَلَا يُقَالُ: وَقَعَ حِينَ تَلِدُهُ. وَأَسْقَطَتِ الْمَرْأَةُ وَوَلَدَهَا إِسْقَاطاً إِذَا أَلْقَتْهُ لغير تمام. ^(٢)

وقد أكملت بعض اللهجات الأردنية بناء الفعل الرباعي (سَلَقَطَ) من الثلاثي (سقط) بزيادة اللام حشواً بعد السين، ففيها يُقال: سَقَطَ، إِذَا دَعَا عَلَيْهِ بِالْمَرَضِ أَوْ الْمَوْتِ، وَيُقَالُ: سَلَقَطَ، إِذَا بَالَعَ فِي الدَّعَاءِ عَلَيْهِ. وتسقيطُ الدعاء وسَلَقَطْتُهُ عَلَى الْمَدْعُوِّ عَلَيْهِ مِنْ مَجَازٍ دَلَالَةِ الْقَطْعِ؛ لِأَنَّ الدَّعَاءَ صَارَ بِمَنْزِلَةِ مَا يُقْتَطَعُ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْمَادِيَّةِ وَيُسَقَطُ.

وفي كل مرحلة من مراحل بناء الأفعال من أصولها لا بد من علاقة معنوية وصوتية تحكم هذا البناء، ومن تدرجٍ متسلسلٍ منطقي في التطور، فلا يصحُّ أن نتوقف في علاج هذا التطور عند مرحلة دون أخرى، من ذلك أنَّ الفصيحة بنت من مادة (كمر) الكَمْرَةَ، وهي رَأْسُ الذَّكَرِ، وتكامل الرَّجُلَانِ، إِذَا نَظَرَا أَيُّهُمَا أَعْظَمُ كَمْرَةً. ودلالة هذه الأبنية على صريح معنى التغطية لا تُفهم إلا إذا والينا البحث عن هذا المعنى في عصور التوليد، وفي هذا السياق نجد الرِّبِيدِيَّ يَذكر أَنَّ التَّكْمِيرَ كَلِمَةٌ مَوْلَدَةٌ، وَمَعْنَاهَا: التَّكْمِيدُ. ^(٣) ويظهر معنى التغطية فيما ذكره الأزهري في

(١) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، (قسط)، ٢٢١/٦.

(٢) الأزهري، تهذيب اللغة، (قسط)، ٢٩٩/٨، ابن منظور، لسان العرب، (سقط)، ٣١٦/٧.

(٣) الرِّبِيدِي، تاج العروس، (كمر)، ٦٧/١٤.

(كمد) بقوله: "كَمَدْتُ فلاناً، إذا أَخَذَهُ وَجَعٌ في بعض أَعْضَائِهِ، فَسَخَّنَتْ لَهُ ثوباً أو حَجْراً وَتَابَعَتْ وَضَعَهُ على مَوْضِعِ الوجع؛ فيستريح إليه." (١)

وحيث استعملت اللهجة الأردنية الفعل المُوَلَّد (كَمَر) للتغطية فإنها من جهة أخرى- والت الاشتقاق من هذا الثلاثي فبنت منه الرباعي: كَمَكَرَ على الشيء وَكَمَكَرَهُ، إذا غَطَّاه. سالكةً في هذا البناء تكرير الكاف فاء الثلاثي بعد الميم عينه. والتكرير -كما ذكرنا- منهج من مناهج العربية الفصيحة واللهجات الدارجة في بناء الأفعال الرباعية من الأفعال الثلاثية.

وأما بناء الرباعيات بزيادة الصوامت فقد رأينا أنه محكوم بنمط معين منها لا يخضع لنوع الصوامت التي يتألف منها الأصل الثلاثي. فقد أمكن العربية بناء الفعل الثلاثي (سقط) من الأصل الثنائي (قط) بمراعاة زيادة السين الأخف نطاقاً من القاف والطاء، فإذا صارت العربية إلى بناء الرباعيات فهذا يعني أنها ستبالغ في اختيار الزائد فيها؛ ليكون من أخف الصوامت اللغوية قاطبةً؛ لنقل الرباعيات بالمقارنة مع خفة الثلاثيات، وهو النقل الذي أفضى إلى توقُّف العربية عن بناء الأفعال الخماسية دون الأسماء الخماسية، لقول الفارابي: "والأفعالُ ضَرَّبان: ثلاثي، ورباعي فقط، نحو: ضَرَبَ، وَقَرَمَطَ. نَقَصَتْ مِنَ الأَسْمَاءِ بَدْرَجَةً لِنَقْلِهَا وَخَفَّةِ الأَسْمَاءِ." (٢)

فلو عدنا إلى بعض الأفعال الثلاثية الناشئة من (قط) لرأينا أن الزائد في هذه الثلاثيات لبناء الرباعيات لا يعدو أن يكون واحداً من الأصوات المائعة، وهي: (اللام والميم والنون والراء)، والصوت الشَّفوي (الباء)، والشفوي الأسنانِي (الفاء)، و(الواو والياء).

(١) الأزهرى، تهذيب اللغة، (كمد)، ٧٦/١٠.

(٢) الفارابي، معجم ديوان الأدب، ٧٧/١.

وقد تنبه الخليل من قبلُ إلى خفة هذه الأصوات، وتمسكُ العربية بها في مباني الرباعيات والخماسيات، من طريق حديثه عن أصوات الدَّلَاقَة (ر، ل، ن) والأصوات الشفوية (ف، ب، م)، يقول: "فلما دَلَقَتِ الحروفُ السَّتَّةَ، ومَدَّلَ بِهِنَّ اللِّسانَ وسهَّلتْ عليه في المَنْطِقِ كَثُرَتْ في أبْنِيَةِ الكلامِ، فليس شيءٌ من بناءِ الخماسيِّ التَّامِّ يَعْرِى منها أو من بعضها... فإن وَرَدَتْ عليك كلمة رباعيَّة أو خماسيَّة معرَّة من حروف الدَّلَقِ أو الشفوية ولا يكون في تلك الكلمة من هذه الحروف حرف واحد أو اثنان أو فوق ذلك فاعلم أنَّ تلك الكلمة مُحَدَّثَةٌ مُبَدَّعَةٌ، ليست من كلام العرب." (١)

والباحثون المحدثون لا يختلفون في أنَّ الأصوات المائعة من أوضح الأصوات اللُّغوية في السَّمْعِ، وأنها تشبه أصوات اللِّين في هذا الوضوح والجهر، وتشترك في كثرة دورانها على الألسنة لِخِفَتِها، وسهولة النطق بها. (٢)

فمن الثلاثي (قطر) الناشئ من (قط) بنت العربية الرباعيِّ (قنطر) بزيادة النون حشواً بعد القاف، والرباعيِّ (قمطر) ومزيده (أقمطر) بزيادة الميم حشواً بعد القاف كما ذكر الأزهري من قبلُ. وبنت الفعل (قرطب) بزيادة الباء كسعاً، والفعل (قرطف) المستعمل في العراقية الدارجة بزيادة الفاء كسعاً، والفعل (قوטר) المستعمل في بعض اللهجات الأردنية بزيادة الواو حشواً بعد القاف، ومعناه فيها: ذهبَ وانقطعَ عن الناس.

(١) الخليل، العين، ٥٢/١.

(٢) ينظر: أنيس، إبراهيم، الأصوات اللُّغوية، دار النهضة العربية، ط٣، القاهرة، ١٩٦١م، ص ٤٦، ص ٥٢-٦٣.

وقد ذكرنا أنه من الثلاثي (سقط) القائم على (قط) بزيادة السين التي هي أخف من القاف والطاء نشأ الرباعي (سلقط) في بعض اللهجات الأردنية بزيادة اللام حشواً بعد السين. وأمّا زيادة الياء في أحد الأفعال الثلاثية الناشئة من (قط) فلم نقف على مثال واحد، وهذه الزيادة تؤدي إلى ما يعرف بالإلحاق الصرفي في الفصيحة، ومنها الفعل (بيطر)، يقول ابن دريد: "وَيَبْطِرَ مَأْخُذَ مِنَ الْبَطْرِ، وَالْبَطْرُ: الشَّقُّ." (١) والثلاثي (بطر) يقوم على الأصل الثنائي (بط) الذي هو مصدر اشتقاق الفعل: بَطَطْتُ الْقَرْحَةَ، إِذَا شَقَّقْتَهَا. (٢)

ولسنا ننكر ما قد يعترض ضبط نوع الزائد، من ذلك -مثلاً- ما تذكره المعجمات من استعمال الفعل: وقطه، إذا صرعه صرعةً لا يقوم منها، ووقط به الأرض، إذا صرعه. (٣) وقد روي هذا الفعل بالهمز لقول ابن سيده: "وضربه فأقطه، أي: صرعه، كوقطه. وأرى الهمزة بدلاً، وإن قل ذلك في المفتوح." (٤)

فقد يُقال: كيف زيدت الهمزة في الأصل (قط) لبناء الفعل (أقط) والهمزة أثقل من صوتي القاف والطاء، أو يُقال أيضاً: كيف زيدت العين في الفعل الثلاثي (قطر) لبناء الرباعي (اقطعراً) والعين أثقل صوامت هذا الثلاثي؟

والمشكل ينجلي إذا ما تتبعنا إلى نمط آخر من التطور اللغوي، وهو التبادل الموقعي الذي يجري بين أصوات العلة والهمزة، وبين الهمزة وغيرها من الأصوات الحلقية؛ فمن الواضح أن الهمزة لم تُقَحَم في الثلاثي (أقط) وإنما هي إبدال من

(١) ابن دريد، جمهرة اللغة، (باب ما جاء على فعيل)، ١١٧٠/٢.

(٢) الجوهري، صحاح العربية، (ببط)، ١١١٦/٣.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، (وقط)، ٤٣٣/٧.

(٤) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، (أقط)، ٤٦٨/٦.

الواو التي زيدت في الأصل الثنائي (قط)، والواو -دون شك- أخفّ من القاف والطاء.

والأفعال الثلاثية الناشئة من أصولها الثنائية قد تُبنى على الوزن الصرفي (أفعالاً) فتصبح عرضةً لتطور آخر بإقحام الهمزة بدلاً من ألف المدّ، ومن ثمّ فقد توالي تطورها بإبدال الهمزة عيناً أو هاء، وهو ما حصل في الفعل: "اقطعَ الرَّجُلُ إذا انقطعَ نَفْسَه من بُهْر".^(١) فأصله من الثلاثي (قطر) الذي بُني منه (اقطاراً) والمهموز (اقطأراً) بدليل استعمالهم (المُقَطَّرُ) بمعنى الغضبان المُنتَشِر من النَّاسِ.^(٢) ويعني هذا أن تطور الرباعي (اقطعراً) جاء من إبدال الهمزة المُقحمة عيناً على النحو: (قطر ← اقطار ← اقطأراً ← اقطعراً)، وفي الأحوال كلها لم تكن العين مزيدة هذا الثلاثي لبناء الرباعي (اقطعراً)، ولعلّ العين في الثلاثي (قطع) إبدال من الهمزة أيضاً؛ ولهذا فقاعدة الزيادة التي بينها لا تكاد تتخلّف.

وبغير هذا التّأصيل نحسب أنّ من الصّعوبة فهم نشأة بعض الصور المروية في "تاج العروس" لما فيها من قلب مكاني، واحتمال القول بإبدال الراء لاماً، على نحو من قول الرّبيدي: "قَطَرَه وَقَعَطَلَه: صَرَعَه ... واقعَطَّرَ الرجلُ اقِعْطَرَاراً: انقطعَ نَفْسُه من بُهْر، مِثْلُ اقْطَعَّرَ اقِطْعُرَاراً".^(٣)

وقد عالج رمضان عبدالنّواب ظاهرة الهمز في صيغة (افعالاً)، فتوسع كثيراً في هذه المسألة مخالفاً رأي القدماء الذين فسروا إقحام الهمزة -هنا- بالتخلص من التّقاء الساكنين في الغالب؛ ليذهبَ إلى أن ما يأتي على وزن (افعالاً) ك: احماراً وغيره يشتمل على المقطع الطويل المغلق الذي يتألف من صامت وحركة طويلة

(١) الأزهري، تهذيب اللغة، (قطر)، ١٨٤/٣.

(٢) ابن منظور لسان العرب، (قطر)، ١٠٨/٥.

(٣) الرّبيدي، تاج العروس، (قعطر)، ٤٥٨/١٣.

وبعدها صامت (ص ح ح ص/ماز)، وهو مقطع مستثقل مقبولٌ في النثر دون الشعر؛ فإذا اضطر الشاعر إلى استخدام كلمة فيها هذا المقطع فإنه يقحم الهمزة في هذه الكلمة؛ وبذلك ينقسم المقطع السابق (ص ح ح ص) على مقطعين خفيفين، هما (م = ص ح) و(أز = ص ح ص).^(١)

ويخلص من ذلك إلى القول: "ومن هنا يبدو أن كل صيغة على وزن (افعالٌ) قد جاءت في العربية عن هذا الطريق، حتى ولو لم يوجد إلى جوارها صيغة (افعالٌ) في الاستعمال".^(٢) وقوله: "ولم يكن إقحام الهمزة في هذه الأمثلة السابقة وغيرها التطور الوحيد الذي أصابها؛ فقد أدت المبالغة في تحقيق الهمزة هنا إلى قلب الهمزة عيناً، في بعض كلمات هذا الوزن في الفصحى ... وهناك تطور آخر لصيغة افعالٌ لم يبالغ في تحقيق الهمزة فيها، وإنما يميل إلى تسهيلها بعض الشيء، فتتقلب في النطق هاء".^(٣)

على أن من الباحثين المحدثين من يرى أن الثنائي المضاعف يمكن أن ينشأ من الثلاثي غير المضاعف، ومن هؤلاء عبدالقادر المغربي الذي يذهب إلى أن الكلمة الفعلية: "قَطَّ هي المختزلة من (قَطَعَ) تخفيفاً أو تسهيلاً أو نقادياً من طول الكلمة، وامتداد الصوت بها".^(٤)

(١) عبدالنواب، رمضان، فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي، ط٦، القاهرة، ١٩٩٩م، ص١٩٤-١٩٧.

(٢) المصدر السابق، ص١٩٧.

(٣) المصدر السابق، ص٢١٥، ٢٢٠.

(٤) المغربي، عبدالقادر، كلمات شائعة في اللغة العامية، أعيد نشره في كتاب: "اللهجات العربية الفصحى والعامية"، المجلد (١). وقد صدر عن مجمع اللغة العربية المصري بإشراف كمال بشر، سنة ٢٠٠٦م، ص٣٢٦.

وما قد يحول دون أطراد هذا التفسير هو منهج العربية في الزيادات الصرفية المقيسة (حروف سألتمونيها)، فالفعل المزيد (استخرَج) ناشئ من الفعل (خرَج) باتفاق القدماء، وليس العكس، وهذا يرجح أن تطور الأبنية في العربية يبدأ من أقلها بنيةً.

ومن المقبول -نظرياً- أن نفسر نشأة الأبنية بعلة التخفيف، كنشأة الفعل (قَطَّ) المختزل من (قَطَعَ)، ولكن إذا فسرنا نشأة الأفعال الثلاثية من الأفعال الرباعية بعلة التخفيف -أيضاً- فإنه يتوجب علينا طرد هذه العلة والقول بسقوط أخف صوامت الرباعيات، وهذا يعني -بالضرورة- أن الفعل (قنطرَ) سيتطور هكذا: (قنطرَ ← نظرَ)، بإسقاط القاف من (قنطرَ)؛ لأنها أثقل من النون والطاء والراء، ومن ثمَّ يتوجب إسقاط الطاء من (نظرَ)؛ لأنها أثقل من النون والراء، وهذا يُقبل نظرياً، أمّا من ناحية استعمالية فلن نستطيع الزعم بأن دلالة الفعل (نظرَ) تسمح بأدنى مقارنة مع دلالة الفعل (قنطرَ).

ومن الصعوبة -بعد ذلك- أن نفسر كيف استطاعت أمثلة محدودة من الرباعيات المستعملة في العربية أن تولد عدداً كثيراً من الثلاثيات التي لا نستطيع ردّها -مهما بالغنا- إلى هذه الرباعيات. زيادة على أن الأفعال الرباعية التي استأثرت اللهجات الدارجة ببنائها من الأفعال الثلاثية الفصيحة ترجح هذا النمط من التطور الذي يقوم على أقل الأبنية بنية صوتية، فالفعل (قرطفَ) استعمل في اللهجة العراقية الدارجة دون الفصيحة التي توقفت عند استعمال الثلاثي (قطفَ)، وهذا يعني أنّ العراقية الدارجة استكملت بناءه لحاجتها إليه، مثلما توقفت هذه الفصيحة عند بناء الثلاثي (سقطَ)، فاستكملت بعض اللهجات الأردنية بناء الرباعي (سلقطَ) للمبالغة في معنى هذا الثلاثي.

المبحث الثالث: التطور التركيبي وتداخل الأنواع

بدا لنا أنّ اللغة لم تتوصل إلى الفصل التامّ بين الأنواع في مرحلة استعمالها الثنائيات المقطعية، وبعض ما نشأ منها، وسنأتي على بيان هذه المسائل بإفرادها على النحو الآتي:

١. مسائل (قط) وأنواعها

استعمل (قَطُّ) ظرفاً لما مضى، واسماً محضاً بمعنى (حسب)، وأمّا استعماله اسمَ فعلٍ بمعنى (يكفي) فيشير إلى تداخل الاسمية والفعلية فيه، وبإبدال الطاء دالاً نشأ الحرف (قُدُّ) على ما بينا سابقاً. وفي هذه المرحلة -أيضاً- لم تتمكن اللغة من الفصل التامّ بين المعربات والمبنيات؛ لهذا عُدَّ (قَطُّ) ظرفاً مبنياً، وكذا اسم الفعل (قَطُّ) بمعنى (يكفي)، وعندما استعمل اسماً بمعنى (حسب) ذكروا أنه مبنيّ، وذكروا أنه يُعرب؛ لقول السيوطي: "وقد يُعربان، وهو قليل، يُقال: قُدُّ زيد أو قَطُّ زيد دِرْهَمٌ بالزَّفْعِ كما يُقال: حَسْبُهُ دِرْهَمٌ"^(١) فروايتهم (قَطُّ) مرفوعاً دليلاً للإعراب، فلو كان مبنياً للزم البناء على السكون.

وقد تسرب تداخل الإعراب والبناء فيما جاء على وزن فَعَالٍ كالاسم (قَطَاطٍ) فهو من الأصل (قَطُّ) بتكرير الطاء والفصل بينهما بألف المدّ، وما يأتي على هذا الوزن يُعرب أو يبني على الكسر، يقول الزمخشري: "والبناء في المعدولة لغة أهل الحجاز، وبنو تميم يعربونها ويمنعونها الصرف، إلّا ما كان في آخره راء، كقولهم حضار... فإنهم يوافقون فيه الحجازيين إلا القليل منهم."^(٢)

وفي هذه المرحلة الأولية ظلت الثنائيات المقطعية تراوح بين الإضافة وعدمها، وهو ما يفهم من قول ابن يعيش الذي سبق: "وربّما استعملوا قَطُّ وحَسْبُ

(١) السيوطي، جلال الدين، همع الهوامع، ٢/٢١٦، ٢١٧.

(٢) الزمخشري، المفصل في صنعة الإعراب، ص ٢٠١.

مفردَيْن من غير إضافة، فقالوا: رأَيْتَهُ مرَّةً واحدةً فَقَطُّ، وأعطاني ديناراً فَحَسَبُ، أي: اكَتَفَ بذلك واقْطَع. والإضافةُ أكثرُ وأغلبُ فاعرفه. (١)

وهو ما يطالع فيما انفرد أبو بكر بن الأنباري بروايته عن العرب بقوله: "ومن العرب من يقول: قَطَّنَ عبدالله درهمٌ، فيزيد نوناً على قَطُّ، وينصب بها، ويخفض، ويضيف إلى نفسه، فيقول: قطني." (٢)

وتتكرر مسألة التداخل وعدم الفصل مع ما يسمونه نون الوقاية، فقد جاء (قَطُّ) و(قَدُّ) بهذه النون ومن دونها في الشاهد المعروف: (قَدْنِي من نَصْرِ الخُبَيْبِيْنِ قَدِي ...) ومن ثمَّ فسر ابن يعيش زيادتها بالمحافظَة على سكونهما، ولصيانة آخِرهما عن الكسر. (٣)

ومن الصعوبة أن تكون هذه النون علامةً فارقةً بين الاسم واسم الفعل على حدِّ قول الأشموني: "وكون قد وقط بمعنى حسب في اللغتين هو مذهب الخليل وسيبويه، وذهب الكوفيون إلى أن مَنْ جعلهما بمعنى حسب قال: قدي وقطي بغير نون كما تقول: حسبي، ومَنْ جعلهما اسم فعل بمعنى أكتفي قال: قطني وقطني بالنون، كغيرهما من أسماء الأفعال." (٤)

ففي مرحلة عدم الفصل التي ذكرناها تتقارب الأبنية اللغوية التي تنشأ من أصل ثنائي واحد إلى المستوى الذي لا يكون فيه للعلامات -كنون الوقاية- وظيفة دلالية قاطعة.

(١) ابن يعيش، شرح المفصل، ١٤٦/١-١٤٨.

(٢) الأنباري، أبو بكر، الزاهر في معاني كلمات الناس، ٣٢٤/٢.

(٣) ابن يعيش، شرح المفصل، ١٤٦/١-١٤٨.

(٤) الأشموني، علي بن محمد، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ١٠٦/١، ١٠٧.

ومن التداخل التركيبي استعمال الظرف (قط) بالنفي ودونه، لقول الأسترابادي: "ربما استعمل قط بدون النفي لفظاً ومعنى، نحو: كنت أراه قط، أي: دائماً."^(١)

ونرى أنه من الضروري الإفادة من التداخل في العربية؛ لأنه يظلّ دليلاً على التطور اللغوي، وتعاقبه على هذه الأبنية. ولهذا التداخل أمثلة مختلفة في غير أنواع (قط) تستحق إفراداً خاصاً بها، من ذلك ما رأيناه في وزن (فعل)، فالقدماء لم يختلفوا في الأنماط التي أسكنت عينها فظلت أفعالاً باتفاق، من قبيل الأفعال: دَبَرَ وضَجَرَ وعَلَّمَ، وشَهَدَ. ولكنهم اختلفوا في بعض الأنماط ساكنة العين، على النحو المروي في فعلي المدح والذم (نِعَمَ) و(بِئْسَ).

وفي هذين الفعلين حرّر أبو البركات الأنباري قريباً من ثلاثين ورقة؛ لينصر رأي البصريين القاضي بكونهما فعلين ماضيين لا يتصرفان، خلافاً لمن قال باسميتهما من الكوفيين. وفي بيانه لأدلة الكوفيين على اسميتهما كان يذكر سبقهما بحرف الجر، كقولهم: ما زيد بنِعَمَ الرجلُ، ونعمَ السيرُ على بئس العيرُ، ويذكر دخول حرف النداء عليهما، كقولهم: يا نعمَ المولى ونعمَ النصير، فضلاً عن ذكره عدم اقتران الزمان بهما، إذ لا يُقال: نعم الرجلُ أمسٍ أو غداً، وكذا جمودهما وعدم تصرفهما؛ ومجيء (نعم) على وزن (فَعِيل)؛ لقول العرب: نَعِيمَ الرجلُ زيد. وأمّا ما يُدلل على أنهما فعلان فاتّصال ضمائر الرفع، وتاء التأنيث الساكنة، من نحو: نِعما رجلين، ونِعمت المرأة، وبناءهما على الفتح. وقد بين أبو البركات استعمال (نِعَمَ) على أوزان مختلفة هي: نِعَمَ ونَعَمَ ونِعِمَ.^(٢)

(١) الأسترابادي، شرح كافية ابن الحاجب، ٣/٣٠٤.

(٢) الأنباري، أبو البركات، الإنصاف في مسائل الخلاف، ١/٩٧-١٢١.

وما نراه هو أنّ إخضاع أبنية العربية كلها لأنواع الكلمة الثلاثة (الاسم والفعل والحرف) ليس من المنهج الدقيق؛ ففي العربية من الأبنية ما يظلّ دالاً على تداخل الأنواع؛ اقتضاء لسنن التطور اللغوي الذي يتفق في منهجه العام مع أنواع مختلفة من التطور في مناحي الحياة المختلفة.

٢. مسائل المصادر التي لا أفعال لها

من الثنائيات التي تطورت بعضُ الأمثلة التي درسها النحويون في موضوع المصادر التي لا أفعال لها، ومنها ما ذكره ابن يعيش بقوله: "وأما قولهم: وَيَحَكْ وَيُسَكْ وَيُكَلْ وَيُوبِكْ فهي من المصادر التي لا أفعال لها، كأنهم كرهوا أن يبنوا منها فعلاً لاعتلال عينها وفائها، لِمَا يَلْزَمُ مِنَ النَّقْلِ فِي تَصْرِيفِ فَعْلِهَا لَوْ اسْتَعْمَلَ، فَاطْرِحَ لَذَلِكَ، وَأَجْرُوهَا مُجْرَى الْمَصَادِرِ الْمَفْرَدَةِ الْمَدْعُوعِ بِهَا."، ويقول: "وأما وَيَحُ وَيُسُ وَيُوبُ فكنائياتٌ عن الوَيْلِ".^(١)

ونقل الأزهري خلافاً في معانيها، ف: (وَيْحٌ) تُقَالُ لِمَنْ تَنْزَلَ بِهِ بَلِيَّةٌ، وَتُزَادُ لَهَا (مَا) فِي قَوْلِهِمْ (وَيْحَمَا)، وَالْوَيْلُ قَبُوحٌ وَالْوَيْحُ تَرْحُمٌ وَوَيْسٌ تَصْغِيرُهَا أَي هِيَ دُونُهَا، أَوْ الْوَيْحُ زَجْرٌ لِمَنْ أَشْرَفَ عَلَى الْهَيْكَةِ. وَمِنْ مَسَائِلِهَا النُّحْوِيَّةُ الْمَنْقُولَةُ عَنْ ابْنِ كَيْسَانَ أَنَّهُمْ إِذَا قَالُوا: وَيْلٌ لَهُ وَوَيْحٌ لَهُ وَوَيْسٌ لَهُ فَالْكَلَامُ فِيهِنَّ الرَّفْعُ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ، وَاللَّامُ فِي مَوْضِعِ الْخَبَرِ، فَإِنْ حَذَفْتَ اللَّامَ لَمْ يَكُنْ إِلَّا النَّصْبُ، كَقَوْلِهِمْ: وَيَحَهُ وَوَيْسَهُ. وَأَكْثَرُ مَا يَعْنِينَا مِمَّا ذَكَرَهُ الْأَزْهَرِيُّ هُوَ قَوْلُهُ: "وَقَالَ بَعْضُهُمُ الْأَصْلُ فِي وَيْحٍ وَوَيْسٍ وَوَيْلٍ (وَيْ) وَصِلْتُ بِحَاءِ مَرَّةٍ وَمَرَّةٍ بِسَيْنٍ وَمَرَّةٍ بِلامٍ. وَقَالَ سَيْبِيُّهُ سَأَلْتُ الْخَلِيلَ عَنْهَا، فزعم أن كل من ندم فأظهر ندامته قال وَيٌّ..."^(٢)

وقد اختلفوا في (وي) وهي مستعملة على الصورة الثنائية، فذكر ابن يعيش أنها اسم فعل؛ لقوله: "وَيٌّْ فِي حَالِ النَّدَمِ وَالْإِعْجَابِ بِالشَّيْءِ، وَهُوَ اسْمٌ سُمِّيَ بِهِ

(١) ابن يعيش، شرح المفصل، ٢٩٨/١، ٢٩٩.

(٢) الأزهري، تهذيب، (ويح)، ١٩١/٥، ١٩٢.

الفعل في حال الخبر، كأنه اسمٌ أعجبُ أو أتتدُم، وهو مبني؛ لأنه صوت سمي به." (١)

وقد ذكروا استعمالها متبوعة ببعض حروف الجر كالباء، وكاف المخاطب، يقول ابن سيده: "وي حرفٌ معناه التَّعَجُّبُ، ويُقال: وَيَكْأَنَّهُ، ويُقال: وَيِي بِكَ وَيِي بَعْدَ اللَّهِ." (٢) وفي قوله تعالى: ﴿وَيَكْأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ (٣) نقل ابن يعيش خلافاً في (وي) فذهب إلى أنها اسم فعل، ونقل رأي من يقول باتصالها بكاف الخطاب (ويك) وليست هي الكاف التي في صدر (كأن)، على حدّ اتصالها في قول عنترَةَ ولقد شَفَى نَفْسِي وَأَبْرَأَ سُقْمَهَا قَوْلُ الْفَوَارِسِ وَيِيكَ عَنَّتَرَ أَفْدِمِ

يقول: "فجاء بها متصلة بالكاف من غير أن، فهي حرفُ خطاب، وليست اسماً مخفوضاً، كالتي في غلامك، وصاحبك؛ لأن وي إذا كانت اسماً للفعل، فهي في مذهب الفعل، فلا تضاف لذلك، وأن وما بعدها في موضع نصب باسم الفعل الذي هو وي، ولذلك فُتحت أن، والتقدير: أعجبُ لأنه لا يفلح الكافرون. فلما سقط الجار، وصل الفعل، فنصَبَ. وذهب الكسائي إلى أن الأصل: وَيِيكَ، فحذفت اللام تخفيفاً. وهو بعيد، وليس عليه دليل. وقد ذهب بعضهم إلى أن وَيِيكَأَنَّهُ بكماله اسم واحد، والمراد شدة الاتصال، وأنه لا ينفصل بعضه من بعض، فاعرفه." (٤)

ونقل الزبيدي في تفسير (ويكأن) الواردة في الآية الكريمة: ﴿وَيَكْأَنَّهُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ (٥) كثيراً من الآراء، يقول: "وقال الفراء في تفسير الآية: وَيِيكَأَنَّهُ في كلام العربِ تَقْرِيرٌ، كقولِ الرَّجُلِ: أما ترى إلى صنَعِ اللَّهِ وإِحْسَانِهِ؛ قال: وأخبرني شيخٌ

(١) ابن يعيش، شرح المفصل، ٩٠/٣-٩٢.

(٢) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، (وي)، ٦٠٣/١٠.

(٣) القصص / ٨٢.

(٤) ابن يعيش، شرح المفصل، ٩٠/٣-٩٢.

(٥) القصص / ٨٢.

من أهل البصرة أنه سمع أعرابية تقول لزوجها: أين ابنك ويحك، فقال: ويكأنه وراء البيت؛ معناه أما تريته وراء البيت. وقيل: معناه ويحك... وقال الفراء: وقد يذهب بعض النحويين إلى أنها كلمتان يُريدون: ويك كأنهم، أرادوا: ويحك فحذفوا اللام، ويجعل أن مفتوحة بفعل مضمر. وقيل: اعلم، حكاه ثعلب أيضاً عن بعضهم. وقال الفراء: تقديره: ويحك أعلم أنه، فأضمر أعلم... ولم نجد العرب تُعمل الظن مضمرًا ولا العلم ولا أشباهه في ذلك، وأما حذف اللام من ويحك حتى يصير ويك فقد تقوله العرب لكثرتها.^(١)

ويحذف لام الجر أو لام (ويل) وجهوا قول العرب (ويلمه)، فقيل: الأصل: ويل لأمه فحذف لام ويل، وحذفت همزة (أم) تخفيفاً، فبقي: ويلمه. ويجوز أن تكون اللام المحذوفة هي لام الجر؛ كما حذف حرف الجر من قوله: الله أفعل.^(٢)

ويذكر أبو بكر الأنباري في قولهم: ويل للشيطان ستة أوجه بقوله: "فمن قال: ويل للشيطان، قال: وي؛ معناه: حزن للشيطان، فانكسرت اللام؛ لأنها لام خفض. ومن قال: ويل للشيطان، قال: أصل اللام الكسر، فلما كثر استعمالها مع وي، صارت معها حرفاً واحداً، فاختاروا لها الفتحة، كما قالوا في الاستغاثة: يا لُضْبَةَ، ففتحو اللام، وهي في الأصل لام خفض، لأن الاستعمال كثر فيها مع يا، فجُعلا حرفاً واحداً. قال الشاعر:

يا لَبَكْرٍ انشروا لي كُليياً يا لَبَكْرٍ أين أين الفِرارُ

... ومن قال: ويل للشيطان، قال الفراء: ما سمعتها من العرب، ولا حكاها لي ثقة، وقد رواها قوم منهم أبو عمرو، فإن كانت الرواية صحيحة فالأصل فيه: ويل للشيطان، فاستنقلوا اللامات فحذفوا بعضها... ومن قال: ويل للشيطان، رفع الويل

(١) الرِّيدي، تاج العروس، (وي)، ٢٧٠/٤٠، ٢٧١.

(٢) ابن جني، الخصائص، ١٥/٣.

باللام. وَمَنْ قَالَ: وَيَلًا للشيطان، نصب الويل بفعل مضمر، كأنه قال: ألزَمَ اللهُ الشيطانَ ويلاً. وَمَنْ قَالَ: وَيَلٌ للشيطان، جعله بمنزلة الأصوات وشبهه بقولهم: بَخٍ لَكَ. (١)

وقد أورد اللغويون جملة من معاني ويل منها: الهلاك والعذاب، ووادٍ في جهنم، وحُلُولُ السَّرِّ. والوَيْلَةُ: البليَّةُ والفضيحة. وقولهم: يا ويلتاه، فإنما يعني: يا فضيحتاه. ويُقال: وَيَلْتُ فلاناً، إذا أكثرت له من ذِكْرِ الوَيْلِ. ويُقال: وَيَلًا له وأئلاً، كقولك: شغل شاغل. وإذا قالت المرأة: وا وَيَلها، قلت: وَلَوْتُ. وينقل الأزهري عن بعض النحويين أَنَّ وَيْلَهُ أَصْلُهَا (وي) وصلت بـ: (لَه)، ومعنى وي: حُزْنٌ، أُخْرِجَ مُخْرَجَ النَّدْبَةِ. (٢)

ما يتبين لنا بعد ذكر هذه الآراء هو أَنَّ جمهور القدماء قد أصَلُوا (وي) بمعزل عن (ويل)، ونلاحظ أنهم رووا فيها معاني متقاربة، وثمة مَنْ عدَّ (ويل) هي الأصل من طريق سقوط اللام، وقليل منهم من رأى أن (وي) أصلٌ زيدَ فيها اللام لبناء (ويل). وهذا الرأي أقرب إلى تفسير الألفاظ: (وَيْحَكَ وَوَيْسَكَ وَوَيْلَكَ وَوَيْبِكَ)؛ فلنبات المكونات الصوتية (وَيْ) في هذه الألفاظ زيدت فيها الصوامت (ح، س، ل، ب)؛ لبناء هذه الثلاثيات من هذه البنية الثنائية المؤلفة من أصوات العلة وحدها، وهو نمط من التابع الصوتي المُستثقل بين الواو نصف المد وصوت المد القصير (الفتحة) ونصف المدّ (الياء). (٣) ومن ثمّ لم يتأتَّ إخضاع الزيادات لقاعدة الخفة التي بينها فيما سبق.

(١) الأنباري، الزاهر في معاني كلمات الناس، ١٣٧/١-١٣٩. والبيت لمهلهل بن ربيعة كما ذكر الجوهري في صحاح العربية، (لوم)، ٢٠٣٦/٥.

(٢) الأزهري، تهذيب اللغة، (ويل)، ٣٢٧/١٥.

(٣) في بعض الدراسات الحديثة يسمّى التابع بين أصوات المدّ في مقطع واحد بصوت المدّ المركّب (Diphthong). ينظر في معنى صوت المد المركب وأنواعه: غالب المطلبي، في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المدّ العربية، منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية، ط١، ١٩٨٤، ص٤٣-٤٥.

ونرى أنّ تفسير المسائل المذكورة في (ويل) يغدو أكثر يسراً ومسايرةً لمنطق التطور اللغوي إذا ما نظرنا إلى اللام على أنها مزيدة في البنية الاستعمالية (وي)؛ لما يلحظ من تقارب معانيهما أو تماثلها، دون غض الطرف عن عدم التمايز الدقيق الذي وقع في مبنى ومعنى هذين اللفظين، وتصرف (ويل) على أكثر من وجه نحويّ، وهذا من أبرز سمات الأبنية في مراحل تطورها الأولية. فقد رأينا تتقلها بين معانٍ متقاربة كالندم والعجب والحزن، واستعمالها مصدرًا أو اسم فعل، أو اسماً بمعنى الهلاك والعذاب، أو وادٍ في جهنم، أو بمعنى البليّة والفضيحة... وكان لزيادة اللام كسعاً بعد الياء أثر في تباين أنماط التفسير الستة التي ذكرها أبو بكر الأنباري في قولهم: ويل الشيطان، وهي: ويلٌ وويلٌ وويلٌ وويلٌ وويلٌ وويلٌ.

والتفسير الذي نراه أقرب إلى حقيقة هذا اللفظ هو أن زيادة اللام أفضت إلى توهم بعض الناطقين أنها لام الجرّ، أو ما يسميه بعض الدارسين المحدثين بـ: (القياس الخاطيء) الذي يعني: "الميل العارض -الذي لا يمكن التنبؤُ بحدوثه من كلمةٍ أو صيغةٍ- إلى الخروج عن مدارها الطبيعيّ في التّطوُّر والدخول في طبيعة كلمةٍ أو صيغةٍ أخرى لوجود مشابهةٍ حقيقيةٍ أو متوهمة بينهما".^(١) فلمشابهة اللام المزيّدة في (ويل) لام الجرّ تصرف الناطقون بهذه اللام فجاءوا بها مبنيةً على الكسر، لقولهم: ويل الشيطان، ومن ثمّ اختلف النحويون في اللام من قولهم: ويلّمه، فمنهم من يرى أنها لام (ويل)، أو لام الجرّ. وبقي ما يدلُّ على أن الناطقين استعملوا (ويل) على أن لامها أصل؛ لأنهم أجروا عليها الإعراب والتتوين في نحو قولهم: ويلٌ وويلٌ وويلٌ. وأما منعها من هذا التتوين فالظاهر أنه بسبب إضافة (الويل) للشيطان.

(١) عبدالتواب، رمضان، التطور اللغويّ مظاهره وعلله وقوانينه، مكتبة الخانجي، ط ١، القاهرة،

المبدعة، وأمامهم المجال الواسع ولديهم الزاد الكافي للتدليل على ذلك. ولا بأس من أن تطرد القواعد وتتنظم الأحكام خاصة أنهم في وضع تفعيدٍ للعربية.^(١)

وكان من الأفضل لمنهج هذا الباحث أن تقوم بعض معالجاته على المعنى المعجمي للفعل (لدّ)، ولكنه خلص إلى نتائج بعيدة عن مسار تطور (لدن) باتخاذ الثنائي المضاعف (لدّ) أصلاً، وغير المضاعف منه مستعملٌ وأولى أن يكون أصلاً، ك: (لُدّ، لُدّ، لُدّ، لُدّ)، وقد اضطر إلى القول بأنّ الذي أنشأ هذه الثنائيات أو بعضها هو سقوط النون من (لُدن).^(٢)

ونحن نفرّق بين نوعين مختلفين من سقوط النون في كثير من الأمثلة المشتمة عليها، أحدهما سقوطها المنظورُ إليه في الموروث اللغوي القديم والحديث على أنه وسيلة بناء، كسقوطها من الظرف (لدن) لبناء (لد)، ومن (مُنْد) لبناء (مُنذ)، وغير ذلك، فهذا النوع من السقوط أو الحذف نراه وسيلة بناء بزيادة النون لا حذفها. والنوع الثاني هو السقوط الذي يخضع لاعتبارات صوتية وصرفية ونحوية، فقد تحذف النون من الفعل (يكون) في نحو قولهم: لم يَكْ، وفي: لم يضربا. وكذلك يُحذف التنوين -وهو عبارة عن نون ساكنة- للإضافة النحوية.

وأما تفسير الخوام لنشأة (لدن) بالتركيب ففيه تعسفٌ لا يخفى، فهو -كما يذكر- يتكون: "من ثلاثة عناصرٍ إشاريةٍ لأن ٦ (ز) في العبرية تقابل (ذ) في العربية، وتقابل (د) في الآرامية و dé (د) في السريانية و de (د) في السبئية، ومعنى ذلك أن الدالّ والذالّ والزاي كانت عناصرٍ إشاريةٍ تؤدي معنى واحداً مع تتوّع نطقها، فلا يُستبعدُ أن تكون الدالّ من (لُدن) عنصراً إشارياً ثم دخلت عليها اللامُ تأكيداً وتقويةً ... أمّا النونُ فقد لَحِقَتْ بـ(لُدّ) للدلالة على فُرْبِ المشارِ إليه،

(١) الخوام، لدن ولدى بين الثنائية والثلاثية وأحكامهما النحوية، ص ٧٠، ٧٨.

(٢) المصدر السابق، ص ٧٧، ٧٨.

لأن السبئية والفنيقية والحبشية والآرامية تصلُّ إلى ذلك بإضافة نونٍ إلى اسم الإشارة . ومعنى ذلك أنَّ لُدُنْ كانت تعنى "مِنْ هذا أو مِنْ الذي" فقولنا -مثلاً- سافرتُ مِنْ لُدُنْ مكةَ إلى المدينةِ معناه سافرتُ من هذا المكانِ أو من المكان الذي هو مكة أو فيه مكة، وقولنا سافرت من لُدُنْ الظهر إلى العصرِ، معناه سافرت من هذا الوقتِ، أو الوقت الذي هو الظهر، وقولنا أعطني مالاً من لُدُنْكَ، معناه أعطني مالاً من هذا الذي عندك أو من الذي عندك، ونلحظُ من ذلك أنَّ معاني استعمالات لُدُنْ المتنوعة تستقيمُ." (١)

لو كانت الدال هي المكوّن الرئيس في (لدن)، لكان من جملة المروي من استعمالها (دن)، باعتبار سقوط اللام التوكيدية؛ لأنَّ العربية جرت على استعمال الأبنية بأدوات التوكيد ومن دونها، فضلاً عن أننا ما زلنا نقدّم الدلائل الراجحة على نشأة الأبنية من الأصول الثنائية، وما انفكّ الباحثون يشكّون فيها، فكيف إذا عدلنا إلى الأصول الأحادية لتكون أصل الأبنية اللغوية، نعني نشأة (لدن) من الأصل الأحادي (د) كما يرى الخوام؟

إنَّ دلالة (لدن) على ابتداء غاية مكانية أو زمانية تشير إلى معنى الثبات والحصر، وقد بين عباس حسن معنى الغاية، بقوله: "في مثل: سافرت من لدن بيتنا إلى الضاحية تشتمل هذه الجملة على الفعل: سافر، والسفر يقتضي الانتقال من مكان إلى آخر، فلا بد لتحقيقه من نقطة معينة يبتدئ منها، وأخرى ينتهي إليها، أي: لا بد له من مكان ابتداء ومكان انتهاء محددين مضبوطين؛ كاللذين هنا، وهما: البيت والضاحية، وبين نقطتي الابتداء والانتهاء مسافة محصورة بينهما، لا محالة، ويطلق على مجموع الثلاثة اسم اصطلاحى، هو: "الغاية المكانية" أي: "المسافة المكانية" أو: المقدار المكاني، وهي تشتمل كما ترى مكاناً

(١) الخوام، لدن ولدى بين الثنائية والثلاثية وأحكامهما النحوية، ص ٦٤، ٦٥.

محدوداً، محصوراً، له بداية ونهاية معيّنتان، ومسافة تصل هذه بتلك، وقد دخل لفظ لدن على كلمة هي بداية الغاية؛ فدخوله على هذه الكلمة وعلى نظائرها يرشد إلى أنها أول جزء من أجزاء الغاية المكانية، أو أنها نقطة البداية. ولو قلت: سافرت من لدن الصبح إلى العصر، لدلّ الفعل (سافر) على أنه استغرق زمناً محدداً معيناً، له بداية زمنية معروفة، ونهاية زمنية معروفة كذلك؛ فله نقطتا ابتداء وانتهاء زمنيّتان مضبوطتان، وينحصر بينهما مقدار زمني يصلهما، ويتكون من مجموع الثلاثة -أي: من نقطة البداية، ونقطة النهاية، وما بينهما- ما يسمى في الاصطلاح: الغاية الزمانية بمعنى: المقدار الزمني، ودخول لفظ (لدن) على الكلمة التي بعده يرشد إلى أن هذه الكلمة نفسها هي نقطة البداية، أي أول: جزء من أجزاء الغاية الزمانية.^(١)

وهذا الرأي يسهّل النظر إلى منشأ هذا الظرف من الأصل الثنائي (لد)، ففي معجم (العين) ذكر الخليل أنّ: "التلُدُّ في التلُقَّتِ، أن يعطِفُ بعُنُقِهِ مرّةً كذا ومرّةً كذا. وهُدَيْلٌ تقول: لَدَّهُ عن كذا أي: حَبَسَهُ."^(٢) وفي بعض اللهجات الأردنية استعمل الفعل المضاعف (لَدَّ) بمعنى نظرَ وحدَّقَ، يقال: لَدَّ على كذا، أي: انظرَ إليه، ولا تصرفَ نظركَ عنه. وهذا من معنى حبس النظر وتثنيته. وقد زيدت النون كسعاً في البنية الثنائية (لد) فنشأ الفعل الثلاثي الفصيح (لدن) الذي استعمل مزیده (لَدَّنَ) فدَلَّ على معنى الثبات والحبس، ففي (باب الحبس في غير السجّن) ذكر كراع النمل هذا الفعل مع جملة أفعال دالة على هذا المعنى. يقول: "وعَجَسْتُهُ عن حاجته: حَبَسْتُهُ عنها ... وتَأَرَيْتُ: حَبَسْتُ، وتَلَبَّيْتُ، وتَلَبَّيْتُ، وتَلَدَّنْتُ."^(٣) وفي "تاج العروس" ورد: "وتَلَدَّنَ بالمكان: أقام."^(٤)

(١) حسن، عباس، النحو الوافي، دار المعارف، ط٢٥، القاهرة، ٢/٢٩٢، ٢٩٣.

(٢) الخليل، العين، (لد)، ٩/٨.

(٣) كراع النمل، المنتخب من كلام العرب، (باب الحبس في غير السجّن)، ١/٣٩٠.

(٤) الرّيدي، تاج العروس، (لدن)، ٣٦/١١١.

وفي بعض اللهجات الأردنية يقال: لَدَنَّ عليه التُّراب أو الوَسَخ، وتلدنتُ عليه الأقدار، إذا زادت ولصقت به؛ لطول مكوثها عليه. فإذا قام معنى الحبس والثبات في الفعل (لَدَّ) و(لَدَنَّ) فهذا أدعى أن يكون ما نشأ من الأصل الثنائي (لَد) كالظرف (لَدُنْ) وغيره دالاً على المعنى السابق؛ فيكون لقولنا: سافرت من لَدُن بيتنا إلى الضاحية معنى واحد، وهو سافرت من هذا المكان المعروف الثابت، وهو ما ينطبق على قولنا: سافرت من لَدُن الصبح إلى العصر، فمعنى (لَدُن) واحد، وهو سافرت من هذا الوقت المعلوم الثابت.

ولعلَّ دخول الحرف (مِن) -دون غيره من حروف الجر- على الظرف (لَدُ) و(لَدُن) يفيد توكيد ابتداء الغاية، وهو معنى من معاني هذا الحرف.

فزيادة النون -إذاً- هي المسؤولة عن بناء (لَدُنْ) من (لَد)؛ لا طَراد زيادتها في كثير من الأصول الثنائية، ويسري تأصيل اختلاف هذه الصور باتخاذنا (لَدُ) أصلاً، فيكون (لَدُن) -على اختلاف ضبطه- ناشئاً بزيادة النون كسعاً، واختلاف الضبط تحكمه علل صوتية مختلفة، وأمّا ألف (لَدِي) فأشباع لفتحة الدال، و(لَت) ناشئة من (لَد) بإبدال التاء من الدال.

ولدينا دليل نحويٌّ يرجح قيام هذه الأنواع على الأصل الثنائي؛ فالعلاقة بين (لَدُ) و(لَدُن) واضحة من طريق مجيء الاسم بعدهما منصوباً، ومنه نصب (شَوْلًا) بعد (لَدُ) في قول الشاعر:

من لَدُ شَوْلًا وإلى إِتْلَائِهَا^(١)

ونصب (عُدوة) بعد لَدُن في قول الآخر:

ما زالَ مُهْرِي مَرْجَرَ الكلبِ مِنْهُمْ لَدُنْ عُدْوَةً حَتَّى دَنَّتْ لِعُرُوبِ^(٢)

(١) لم ينسبه سيبويه في الكتاب، ٢٦٤/١، ولا إميل يعقوب في المعجم المفصل في شواهد العربية، ٢١/٩.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، (لَدُن)، ٣٨٤/١٣. والبيت لأبي سفيان بن حرب كما ذكر العوتبي في الإبانة في اللغة العربية، (لَدُن)، ١٨٦/٤.

وأما نصب الاسم (عُدوة) فحمله الجوهري على التوهم بقوله: "وقد حمل حذف النون بعضهم على أن قال: لدنُ عُدوةٌ فنصب عُدوةً بالتثوين... لأنه توهم أن هذه النون زائدة تقوم مقامَ التثوين، فنصب كما تقول: ضاربٌ زيداً. ولم يُعملوا لدنٌ إلا في عُدوة خاصة."^(١)

والأولى أن يكون التوهم قد حصل من زيادة النون وقياسهم إياها على التثوين في العمل النحوي، لا أنه حصل من حذفها؛ والتثوين زيادة تلحق آخر الأسماء، فتصحّ المقايسة بينهما في تفسير هذا العمل، ولكنّ القول بهذا الحذف جزء من دعائم ثلاثية الأصول التي أقام القدماء عليها تأصيل نشأة أبنية العربية.

وفي تصرف (لدن) مع (عُدوة) ما يشير إلى نمط من التداخل الذي بيّنا دلالاته على مرحلة سابقة من التطور لم يكن الفصل التامّ فيها بين الأنواع قد أخذ مأخذه في أبنية اللغة وتراكيبها، فالأصل في الظرف لدن أن يكون مضافاً إلى ما بعده، وحين ينقطع عن الإضافة لفظاً ومعنى، فإن ما يتبعه يظلّ يراوح بين النصب والرفع، ولا أدلّ على ذلك ممّا حصل في نصب (عُدوة) على التمييز أو على التشبيه بالمفعول؛ لشبهه (لدن) -كما يقول بعض القدماء- باسم الفاعل، مع ما يضعف علة التشبيه من سماع النصب بـ: (لدن) بحذف النون، وفسروا نصب (عُدوة) على أنها خبرٌ لكان المحذوفة مع اسمها: أي: لدن كانت الساعةُ عُدوةً، وحكى الكوفيون رفع عُدوة بعد لدن بكان التامة المحذوفة. والتقدير: لدن كانت عُدوةً، أو أنها خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: لدن وقت هو عُدوة. وقيل: على التشبيه بالفاعل.^(٢)

ولو أننا أخذنا بالثنائية اللغوية لرأينا أنّ الظرف (لدن) نصب (شولاً) في الشاهد الذي سبق، وهذا يقابل النصب بالفعل الثنائي المضاعف الفصيح (لدن)؛ للمروى

(١) الجوهري، صحاح العربية، (لدن)، ٦/٢١٩٥.

(٢) الأشموني، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ٢/١٦١.

عن هُدَيْلٍ، وهو قولُها: لَدَّه عن كذا أي: حَبَسَه. واستُعملَ الفعل (لَدَّ) لازماً في بعض اللهجات الأردنية بمعنى دوام النظر إلى الشيء، والفعلُ ناشئ من البنية الاستعمالية (لد)، ومن ثَمَّ ظلَّ النصب قائماً فيما نشأ بزيادة النون، نعني الظرف (لَدْن) الذي نصب (غدوة)، خلافاً لمزيد الفعل (لَدْن) الذي تنويسي فيه التعدي، فقيل: تَلَدَّنَ بِالْمَكَانِ إِذَا أَقَامَ، ولعلَّ زيادة التاء هي التي حولته إلى فعل لازم، حين أريد معنى المطاوعة الصرفية.

وأما رفع (غدوة) فيشير إلى شيء من معنى الفعلية في (لَدْن)؛ لهذا كان قول القدماء برفعه على التشبيه بالفاعل له دلالة على معنى هذه الفعلية فيه. وهذه المراوحة بين نصب الاسم ورفعه وجره على الإضافة بعد الظرف (لَدْن) لا تكاد تختلف عما حصل في الظرف (قَطْن) على نحو قول أبي بكر بن الأنباري الذي سبق، وهو: "ومن العرب من يقول: قَطْنٌ عَبْدَ اللَّهِ دَرَهْمٌ. فيزيد نوناً على قَطْ، وينصب بها، ويخفض، ويضيف إلى نفسه، فيقول: قَطْنِي. ولم يُحْك ذلك في قَدْ، والقياس فيهما واحد." (١)

والمشترك من التطور الذي تعاور على البنيتين اللغويتين (قط) و(لد) قد يكون الشاهد الأقوى على تطور أبنية العربية من أصول ثنائية.

٤. مسائل الحرف الناسخ (لعل)

يدل المروي في المؤلفات اللغوية على أن (لعل) من أكثر ألفاظ العربية تصرفاً في المعنى والمبنى، واختلافاً في لهجاتها، يقول ابن يعيش: "اعلم أن العرب قد تَلَعَّبَتْ بهذا الحرف كثيراً؛ لكثرت في كلامهم، لأنَّ معناه الطمع، ولا يخلو إنسانٌ من ذلك." (٢) وقد رأينا أنهم يروون فيه معاني كثيرة، فقد تكون بمعنى (كَي)،

(١) الأنباري، الزاهر في معاني كلمات الناس، ٣٢٤/٢.

(٢) ابن يعيش، شرح المفصل، ٣٩١/٥.

وتكونُ تَرْجِيَاءً، وظنّاً، وبمعنى عَسَى، يقال: لعلَّ عبدُاللهِ يَقومُ، معناه: عسى عبدُاللهِ يَقومُ؛ وبدل على هذا المعنى دُخول (أَن) في خَبرها في نحو قول مُنَمَّم:

لَعَلَّكَ يَوْمًا أَن تُلِمَّ مُلِمَّةٌ عَلَيْكَ مِنَ اللَّاتِي يَدْعُوكَ أَجْدَعًا

وتدل على الاستفهام، كقول النبي -صلى الله عليه وسلم- لبعض الأنصار

وقد خرج إليه مستعجلاً: "لعلنا أعجلناك."^(١)

ومن معاني (لَعَلَّ) و(لَعَلَّ) و(عَلَّ) الطَّمَعُ والإشفاق، كقول جميل بثينة:

أَتُونِي فَقَالُوا يَا جَمِيلَ تَبَدَّلْتَ بُنَيَّةً أَبَدَالًا فَقُلْتَ لَعَلَّهَا

وَعَلَّ جِبَالًا كُنْتُ أَحْكَمْتُ فَنَأَلَّهَا أَتِيحَ لَهَا وَاشِ رَفِيْقٌ فَحَلَّهَا

وتكون للتعليل، كقول الشاعر:

وَقَلَّيْتُمْ لَنَا كُفُّوا الْحُرُوبَ لَعَلَّنَا نَكْفُ وَوَتَقْتُمْ لَنَا كُلَّ مَوْثِقِ

وجاءت لغير هذه المعاني السابقة.^(٢)

وقد أحصى الزبيدي لهجات مختلفة واستعمالات متباينة في (لعلَّ)، هي:

عَنَّ، عَنَّ، أَنْ، لَأَنَّ، لَوَنَّ، رَعَلَّ، لَعَنَّ، لَعَنَّ، رَعَنَّ، وَيَقَالُ: عَلِّيَّ أَفْعَلُ، عَلَّنِي أَفْعَلُ،

(١) الزبيدي، تاج العروس، (لعل)، ٣٧٢/٣٠، ٣٧٣.

(٢) ابن مالك، شرح التسهيل، ٧/٢، ٨. والبيت أورده ابن الشجري في أماليه، ٧٧/١، ولم ينسبه إلى قائله.

لَعَلِّي أَفْعَلُ، لَعَلَّنِي أَفْعَلُ، لَعَنِّي، لَعَنَّنِي، لَعَنِّي، لَعَنَّنِي، لَوْنِي، لَوْنَنِي، لَأَنِّي، لَأَنَّنِي،
أَنِّي، أَنَّنِي، رَعَنِّي، رَعَنَّنِي. (١)

والمشهور من هذه اللهجات - كما يذكر العُكْبَرِي - لَعَلَّ وَعَلَّ. (٢) ويرى ابن
مالك أَنَّ (لَعَلَّ، عَلَّ، لَعَنَّ، عَنَّ، لَأَنَّ، أَنْ) هي المشهورة، وَأَمَّا (رَعَنَّ، رَعَنَّ، لَعَنَّ،
لَعَلَّنَّ) فقليلة، وأقلها استعمالاً لَعَلَّنَّ. (٣)

وبعض هذا الاختلاف قائم على جواز استعمال نون الوقاية مع (لَعَلَّ)
وعدمه، وقد اختلفوا في علّة حذف هذه النون، فسيبويه يراه لكثرة الاستعمال،
واجتماع النونات في هذه النواسخ، ك: إِنَّ وَأَنَّ وَلَكَنَّ وَكَأَنَّ، وهم يستنتقلون
التضعيفَ. وَأَمَّا لَعَلَّ فَإِنَّهَا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي آخِرِهَا نُونٌ فَإِنَّ فِي آخِرِهَا لَاماً
مضاعفةً، واللامُ قريبةٌ من النون. (٤) وبعض الاختلاف بسبب إبدال التّون من اللّام
في (لَعَلَّ)، لقول العكبري: "فقالوا: لَعَنَّ، وإِنَّمَا جازَ ذلك لوجهين: أحدهما قربُ ما
بين النون واللام، والثاني كثرة اللّامات في لَعَلَّ، ففرّوا منها إلى النون، وكانت
النونُ أليَنَ منها إذ كانت تشبه حرفَ المدِّ." (٥)

وقد بيّن ابن يعيش علّة هذا الإبدال بقوله: "وذلك لكثرة لَعَلَّ، وعموم
استعمالها، والنونُ تقارب اللّام في المخرج." (٦) وأشار إلى إبدال العين في (لَعَلَّ)
والإبدال منها بقوله: "قالوا: لَعَنَّ ... كأنهم أبدلوا العين غيناً؛ لأنها تقرب منها في
الحلق ليس بينهما إلاّ الحاء، وهي أخفّ من العين؛ لأن العين أدخلُ في الحلق،
وكُلّما استقلّ الحرفُ كان أثقل. وقالوا أيضاً: أَنَّ ولَأَنَّ بمعنى عَنَّ ولَعَنَّ، كأنهم

(١) الزبيدي، تاج العروس، (لعل)، ٣٧٢/٣٠، ٣٧٣.

(٢) العكبري، اللباب في علل البناء والإعراب، ٢٠٦/١، ٢٠٧.

(٣) ابن مالك، شرح التسهيل، ٤٦/٢.

(٤) ابن يعيش، شرح المفصل، ٣٠٠/٢.

(٥) العكبري، اللباب في علل البناء والإعراب، ٣٣٣/٢.

(٦) ابن يعيش، شرح المفصل، ٣٩١/٥.

أبدلوا من العين همزة.^(١) وكذا روي إبدال اللام راءً، وقد نصَّ السيوطيُّ في (همع الهوامع) على هذا الإبدال بقوله: "وَرَعَنَّ بِإِبْدَالِ اللَّامِ رَاءً."^(٢)
وهذا ينطبق على الأنواع الواردة في قول ابن منظور: "وقالوا: لَعَنَّكَ وَلَعَنَّكَ وَرَعَنَّكَ وَرَعَنَّكَ، كُلُّ ذَلِكَ عَلَى الْبَدَلِ."^(٣)

واختلفوا في اللام المتصدرة في (لعلَّ)، فهي لام زائدة أو لام الابتداء.^(٤) والبصريون هم من قال بزيادتها، وأما الكوفيون فرأوا أنها أصل، ويدل على زيادتها أنها استعملت بغير لام في الشعر كثيراً، والأصل عَدَمَ حَذْفِ الْأَصْلِ، والزيادة أقرب لا سيما إذا أُريدَ تَقْوِيَةُ الْحَرْفِ أو قُوَّةُ مَعْنَاهِ. وَأَنَّ (عَلَّ) مؤلفة من ثلاثة أحرف، وأصل الباب إنَّ وَأَنَّ وهما على ثلاثة أحرف، وهذا يُؤنس بأنَّ الأصل هو (عَلَّ) كسائر أخواتها. زيادة على أنَّ هذه الحروف مشبهة بالفعل في العمل، والفعلُ تلحقه الزوائد، فجاز أن تكون اللام زائدة، كما تُزاد في الفعل، في نحو: إنَّ زِيداً لَيَقُومُ، وَاللَّهِ لِقَامٌ زَيْدٌ. وَأَمَّا مَا يَرَجَّحُ أَصَالََةَ هَذِهِ اللَّامِ فَهُوَ أَنَّ الْحَذْفَ نَصْرَفٌ، وَالْحُرُوفَ لَا تَنْصَرَفُ، وَأَنَّ نُونَ الْوَقَايَةِ لَا تَكَادُ تَجِيءُ مَعَ (لَعَلَّ)؛ لِأَنَّ اللَّامَ الْأُولَى أَصْلٌ وَبَعْدَ الْعَيْنِ لِأَمَانِ، وَالنُّونُ تُشْبِهُ اللَّامَ فَكَانَتْ عَلَى هَذَا تَجْتَمِعُ فِي التَّقْدِيرِ أَرْبَعُ لَامَاتٍ، فَتُحْمَوِي ذَلِكَ فِرَاراً مِنْ اجْتِمَاعِ الْأَمْثَالِ. وَيَخْلصُ الْعُكْبَرِيُّ مِنْ ذَلِكَ إِلَى أَصَالََةِ كُلِّ مِنْهُمَا بِقَوْلِهِ: "الصَّحِيحُ عِنْدِي أَنَّ لَعَلَّ وَعَلَّ لُغَتَانِ لَا يُحْكَمُ فِي إِحْدَاهُمَا بِالزِّيَادَةِ وَلَا فِي الْأُخْرَى بِالْحَذْفِ... وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ تَعَدُّدُ اللَّغَاتِ فِي لَعَلَّ، فَقَدْ قَالُوا: لَعَلَّ وَعَلَّ وَعَنَّ وَلَعَنَّ وَلَعَنَّ، وَكُلُّ مِنْهَا لُغَةٌ غَيْرُ الْأُخْرَى، وَلَا يُقَالُ: إِنَّ الْغَيْنَ

(١) ابن يعيش، شرح المفصل، ٣٩١/٥.

(٢) السيوطي، همع الهوامع، ٤٨٩/١.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، (عل)، ٤٧٢/١١-٤٧٤.

(٤) السيوطي، همع الهوامع، ٤٨٨/١.

بدلٌ من العين." (١) ويقول أيضاً: "واللام الأولى في لعلٌ أصلٌ في أقوى القولين؛ لأنَّ الزيادة تصرّف، والحروف بعيدة منه، ولأنَّ الحرف وضع اختصاراً." (٢)

وقد ذكر أبو البركات الأنباري -من قبل- هذه المسألة الخلافية، وخلص منها إلى موافقة الكوفيين بقوله: "والصحيح في هذه المسألة ما ذهب إليه الكوفيون." (٣)

وأما عمل (لعلّ) النحوي فيتمثل بصيرورتها من النواسخ الحرفية العاملة التي تتصّب المبتدأ وترفع الخبر؛ وعلّة هذا العمل مشابهتها للأفعال، من وجوه، منها: اختصاصها بالأسماء كاختصاص الأفعال بالأسماء، وأنها على لفظ الأفعال، إذ كانت على أكثر من حرفين كالأفعال، وبنائها على الفتح كالأفعال الماضية، وشبّهت من الأفعال بما فُدم مفعولُه على فاعله. فقولهم: إنَّ زيذاً قائمٌ بمنزلة: ضربَ زيذاً رجلاً. (٤)

وينفاس هذا العمل فيما يأتي من صور (لعلّ) بعد الحذف أو الإبدال، في نحو: علّك وعنك. (٥) وتكف (لعلّ) عن هذا العمل بزيادة (ما) الكافة، كقول الأسود ابن كراع:

تحلّل وعالج ذات نفسك وانظرنْ أبا جعلٍ لعلّما أنت حالّم (٦)

(١) العكبري، التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين، ص ٣٥٩-٣٦١.

(٢) العكبري، اللباب في علل البناء والإعراب، ٢٠٦/١، ٢٠٧.

(٣) الأنباري، أبو البركات، الإنصاف في مسائل الخلاف، ١٧٧/١، ١٨١، ١٨٣.

(٤) ابن يعيش، شرح المفصل، ٢٥٤/١، ٢٥٥.

(٥) العكبري، التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين، ص ٣٥٠.

(٦) ابن يعيش، شرح المفصل، ٥١٩/٤.

ويُنسب إلى عُقَيْلِ الجَرِّ بـ: لَعْلٌ وَعَلٌّ، ورد في (لسان العرب): "وحكى أبو زيد أن لُغَةَ عُقَيْلٍ: لَعْلٌ زَيْدٌ مُنْطَلِقٌ.. وقال الأَخْفَشُ: ذَكَرَ أَبُو عُبَيْدَةَ أَنَّهُ سَمِعَ لَامَ لَعْلٍ مَفْتُوحَةً فِي لُغَةِ مَنْ يَجُرُّ بِهَا فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ:

لَعْلٌ اللهُ يُمَكِّنُنِي عَلَيْهَا جِهَاراً مِنْ زُهَيْرٍ أَوْ أُسَيْدٍ^(١)

وقد سوَّغ بعض القدماء الجر بـ: (لعلّ) وأنكره بعضهم بمسوغات، يقول المرادي: "أصل كل حرف اختص بالاسم، ولم يكن كالجزة منه، أن يعمل الجر... وإنما خرجت إنَّ وأخواتها، عن هذا الأصل، فعملت النصب والرفع، لشبهها بالفعل؛ ولذلك قال الجزولي: وقد جروا بلعلّ منبهة على الأصل. وروى الجرّ بها عن العرب أبو زيد والفراء، والأخفش، وغيرهم من الأئمة... وأنكر بعضهم هذه اللغة، وتأول قول الشاعر:

لعلّ أبي المغوار منك قريب

ف قيل لعلّ في البيت مخففة، واسمها ضمير الشأن، واللام المفتوحة لام الجر، ولأبي المغوار منك قريب جملة في موضع خبرها. وهذا ضعيف، من أوجه: أحدها أن تخفيف لعلّ لم يسمع في هذا البيت. والثاني أنها لا تعمل في ضمير الشأن. والثالث أن فتح لام الجر مع الظاهر شاذ. ونقل بعضهم هذا التخريج عن الفارسي، على رواية من كسر لام لعلّ أبي المغوار فلا يلزمه الاعتراض الثالث.^(٢)

(١) ابن منظور، لسان العرب، (عل)، ١١/٤٧٢-٤٧٤. والبيت لجعفر بن خالد كما ذكر البغدادي في خزنة الأدب، ١٠/٤٤١.

(٢) المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص ٥٨٣-٥٨٥. وهو الشطر الثاني من بيت كعب بن سُؤيد العنوي كما ذكر ابن منظور في لسان العرب، (عل)، ١١/٤٧٣.

وتتصرف بدخولها على (أنّ) قياساً على (ليت)، يقول ابن مالك: "وأجاز الأخفش أن تعامل لعل معاملة ليت في الدخول على أنّ بلا فاصل، فيقال: لعل أنّ الله يرحمنا. ورأيه في هذا ضعيف، لأن مقتضى الدليل ألاّ يكتفى بأنّ وصلتها إلا حيث يكتفى بمصدر صريح، والمصدر الصريح لا يكتفى به بعد ليت، فحق ألا يكتفى بها بعدها، لكن سُمع قبل في هذه المسألة مع مخالفته الأصل، فلا يزداد عليه دون سماع." (١)

ونقل ابن منظور عن الفراء في (لعلّ) الواردة في البيت السابق: (لعلّ أبي المغوار) ما يخرجها عن أصل استعمالها حرفاً ناسخاً، يقول: "العربُ تقولُ للعائِر: لَعَا لَكَ وتقول: عَلَ وَلَعْلُ وَعَلَّكَ وَلَعْلَكَ، وأنشد للفرزدق:

إِذَا عَثَرْتُ بِبِي قَلْتُ عَلَّكَ وَانْتَهَى إِلَى بَابِ أَبْوَابِ الْوَلِيدِ كَلَّأَهَا

... شُدَّتِ اللَّامُ فِي قَوْلِهِمْ: عَلَّكَ؛ لِأَنَّهُمْ أَرَادُوا: عَلَ لَكَ، وَكَذَلِكَ لَعْلَكَ إِنَّمَا هُوَ لَعْلُ لَكَ، قَالَ الْكِسَائِيُّ: الْعَرَبُ تُصَيِّرُ لَعْلَ مَكَانَ لَعَاً، وَتَجْعَلُ لَعَاً مَكَانَ لَعْلٍ، وَأَنْشَدَ فِي ذَلِكَ الْبَيْتِ، أَرَادَ وَلَا لَعْلُ، وَمَعْنَاهُمَا ارْتَفَعَ مِنَ الْعَثْرَةِ، وَقَالَ فِي قَوْلِهِ:

عَلَّ صُرُوفِ الدَّهْرِ أَوْ دَوْلَاتِهَا يُدِلُّنَا اللَّمَّةَ مِنْ لَمَاتِهَا

معناه: عَا لِصُرُوفِ الدَّهْرِ، فَأَسْقَطَ اللَّامَ مِنْ لَعَا لِصُرُوفِ الدَّهْرِ، وَصَيَّرَ نُونَ لَعَاً لَاماً، لِقُرْبِ مَخْرَجِ النَّونِ مِنَ اللَّامِ، هَذَا عَلَى قَوْلِ مَنْ كَسَرَ صُرُوفَ، وَمَنْ نَصَبَهَا جَعَلَ عَلَّ بِمَعْنَى لَعْلٍ فَنَصَبَ صُرُوفَ الدَّهْرِ، وَمَعْنَى: لَعَا لَكَ، أَي: ارْتَفَاعاً؛ قَالَ ابْنُ رُومَانَ: وَسَمِعْتُ الْفَرَّاءَ يُنْشِدُ عَلَّ صُرُوفِ الدَّهْرِ، فَسَأَلْتَهُ: لِمَ تَكْسِرُ عَلَّ

(١) ابن مالك، شرح التسهيل، ٤٠/٢، ٤٧.

صُرُوفٍ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا مَعْنَاهُ لَعًا لِصُرُوفِ الدَّهْرِ وَدَوَلَاتِهَا، فَانخَفَضَتْ صُرُوفُ بِاللَّامِ
وَالدَّهْرُ بِإِضَافَةِ الصُّرُوفِ إِلَيْهَا." (١)

ونقل المرادي في هذا ما نصه: "قيل: يجوز أن يكون لَعًا في البيت هي التي
تقال للعائر، واللام للجر، والكلام جملة قائمة بنفسها والموصوف محذوف، تقديره:
فرج، أو شبهه. وهذا بعيد أيضاً. وقيل: أراد الحكاية." (٢) ويرى ابن خالويه أن
قولهم: لَعًا لك معناه سلمك الله وحفظك. (٣)

وفي الشاهد الآتي المروي بفتح اللام المتطرفة في (لعل) وكسرهما:

لَعَلَّ اللهُ فَضًّا لَكُمْ عَلَيْنَا بِشَيْءٍ أَنْ أَمْكُمُ شَرِيرٌ

يطالع هذا التوجيه الذي ينقله ابن السكيت عن الفراء بقوله: "ذهب الفراء إلى أن
أصلها لَعًا، من قولك: لَعًا لزيد. أدغم التتوين في اللام، وكثر بها الكلام؛ حتى
صارت في اللفظ لَعَلَّ. وإنما هي من حرفين الثاني لام الإضافة. قال: ثم فتحوها
توهماً أن الكلمتين واحدة." (٤)

وبالعود إلى ما سبق بيانه يتضح لنا أن المروي في (لعل) وأنواعه يشير إلى
أنه نمط لغوي بدت فيه ملامح التطور من أصل ثنائي، وأما المعاني المختلفة
المذكورة في أنواعه فقد أوجزها الخليل بقوله: "يقال: عَلَّ أَخَاكَ: أي لَعَلَّ أَخَاكَ،

(١) ابن منظور، لسان العرب، (عل)، ١١ / ٤٧٢-٤٧٤. والبيت (عَلَّ صُرُوفِ الدَّهْرِ...) من
الآبيات التي لا يعرف قائلها، ينظر: إميل يعقوب، المعجم المفصل في شواهد العربية،
١٧٥/٩.

(٢) المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص ٥٨٣-٥٨٥.

(٣) ابن خالويه، ليس في كلام العرب، ص ٧٢.

(٤) ابن السكيت، كتاب الألفاظ، ص ٢٦١، ٢٦٢.

وهو حرفٌ يُقَرَّبُ من قضاء الحاجة ويُطَمَعُ.^(١) وقد أعاد هذه المعاني البصريون كما يذكر السيوطي: "إلى الترجي والإشفاق."^(٢) وفسَّر ابن يعيش كثرة تصرف العرب بهذا اللفظ بدلالاته على معنى الطمع، ولا يخلو إنسانٌ من ذلك.^(٣)

وهذه المعاني الجامعة تقارب المروي في (لعاً) بمعنى: سلّمك الله وحفظك، وهو دعاء، ومنه قولهم: لعاً لك، أي: ارتفاعاً. وقد ذكر هذا المعنى قطرب في (كتاب الفرق في اللغة) بقوله: "لعاً لك، ولعلٌ لك ولعلّك كلها في الانتعاش، يُزَجَر إذا صُرِعَ لينهض."^(٤) وكذا ذكر الصاحب بن عباد هذا المعنى بقوله: "ويُقال للعائر: لَعُ لَع، وَلَعٌ وَلَعْلٌ بمعنى لعاً."^(٥) وقد يكون (لَع) ناشئاً بالقلب المكاني من (عَل)؛ لقول الفراء الذي سبق، وهو: "العَرَبُ تقولُ للعائر: لعاً لك وتقول: عَلٌ وَلَعْلٌ وَعَلَّكَ وَلَعْلَكَ."

وليس الترجي والإشفاق والطمع سوى ما نرجوه من زوال هم أو ضيق، وهذا من مجاز معنى الارتفاع الحقيقي، عندما نقول: لعلَّ الله يأتي بالفرج، فإذا كان الأمر على هذا النحو فمن الراجح أنَّ البنية الثنائية التي نشأت منها هذه الأنواع كلها هي (عَل)، ومن بين مشتقات هذه البنية جملة الأفعال والأسماء الدالة على الارتفاع في العربية، وقد جمعها ابن فارس مع (لعاً) وعدّها من أصل معتل واحد، يقول: "علو، العين واللام والحرف المعتلُّ ياءٌ كان أو واواً أو ألفاً أصلٌ واحدٌ يدلُّ على السُمُو والارتفاع، لا يشدُّ عنه شيءٌ. ومن ذلك: العلاء والعُلُو. ويقولون:

(١) الخليل، العين، (لَع)، ٨٩/١.

(٢) السيوطي، همع الهوامع، ٤٨٨/١.

(٣) ابن يعيش، شرح المفصل، ٣٩١/٥.

(٤) قطرب، أبو علي محمد بن المستنير، كتاب الفرق في اللغة، تحقيق: خليل إبراهيم العطية، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، القاهرة، د.ت، ص ١٦٩.

(٥) ابن عباد، الصاحب، المحيط في اللغة، تحقيق محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، ط١، بيروت، ٢٠١١م، (لَع)، ٤/١.

تَعَالَى النَّهَارُ، أَي: اِرْتَفَعَ. وَيُدْعَى لِلْعَاثِرِ: لَعَا لَكَ عَالِيًا، أَي: اِرْتَفَعَ فِي عِلَاءٍ وَثَبَاتٍ".^(١)

ولولا ثلاثية الأصول التي ألزم القدماء أنفسهم بها، لكان أصل هذه الأنواع لديهم هو (عَلْ) لا (علو)، ولو أنهم نظروا إلى أن الاشتقاق يمكن له أن ينطبق على بعض الحروف لرأينا أن حرف الجر (على) الدال على الاستعلاء الحقيقي والمجازي هو من هذه البنية الثنائية.

ويظهر أن هذا الحرف لم يخلص إلى الحرفية المحضّة، يتضح ذلك ممّا ذكره الجوهريّ فيه، وهو أنّه حرفٌ خافض، وقد يكونُ اسماً يدخلُ عليه حرفٌ جرّ، كقول الشاعر:

عَدَّتْ مِنْ عَلَيْهِ تَنْفُضُ الطَّلَّ بَعْدَمَا رَأَتْ حَاجِبَ الشَّمْسِ اسْتَوَى فَتَرَفَعَا

أَي: عَدَّتْ مِنْ فَوْقِهِ؛ لِأَنَّ حَرْفَ الْجَرِّ لَا يَدْخُلُ عَلَى حَرْفِ الْجَرِّ.^(٢)

ونقل الزبيدي عن المبرّد قوله: "على لفظةً مُشْتَرَكَةٌ لِلِاسْمِ وَالْفِعْلِ وَالْحَرْفِ لَا أَنَّ الْاسْمَ هُوَ الْحَرْفُ أَوْ الْفِعْلُ، وَلَكِنْ قَدْ يَتَّفِقُ الْاسْمُ وَالْحَرْفُ فِي اللَّفْظِ، أَلَا تَرَى أَنَّكَ تَقُولُ: عَلَى زَيْدٍ ثَوْبٌ، فَعَلَى هَذِهِ حَرْفٌ، وَتَقُولُ: عَلَا زَيْدًا ثَوْبٌ، فَعَلَى هَذِهِ فِعْلٌ لِأَنَّهُ مِنْ عَلَا يَعْلُو."^(٣)

والإتفاق -كما نرى- ثابت في اللفظ، وفي المعنى، وفي الاشتقاق من أصل واحد. ويظل معنى الاستعلاء ثابتاً في بعض الأسماء الثنائية التي استعملت في

(١) ابن فارس، مقاييس اللغة، (علو)، ١١٢/٤.

(٢) الجوهري، صحاح العربية، (علا)، ٢٤٣٨/٦. والبيت نسبه ابن منظور إلى يزيد بن الطَّرِيفَةِ في لسان العرب، (علا)، ٨٩/١٥.

(٣) الزبيدي، تاج العروس، (علا)، ١٠٣/٣٩.

نحو: أُنْتِيَهُ مِنْ عَلِ الدَّارِ، وَمِنْ عَلِ الدَّارِ، وَ: مِنْ عَلَا. وَلَا نَرَاهَا نَاشِئَةً مِنْ أَصُولِ ثَلَاثِيَّةٍ بِالْحَذْفِ أَوْ الْإِبْدَالِ كَمَا يَذْكَرُ بَعْضُ الْقَدَمَاءِ.^(١)

وباتخاذنا (عَلْ) أصلاً نستطيع المضي في رصد نشأة الأبنية وتطورها على نحو يخضع لنمط معقول من القياس، والبعد عن المداخلات التأصيلية الحدسية، فبتكرير اللام صدرًا قبل العين ينشأ النمط المستعمل (لَعَلْ)، وبتكريرها وإدغامها ينشأ الثنائي المضاعف (عَلْ) و(لَعَلْ)، وعلى ذلك يكون رأي البصريين القاضي بزيادة هذه اللام الأقرب إلى حقيقة تطور (لَعَلْ)، بيد أنهم خالفوا منهجهم العام في الاشتقاق؛ بذهابهم إلى القول بالزيادة -هنا- دون الحذف الذي اطرَد اتكاؤهم عليه في تأصيلهم نشأة الأبنية من بعضها. والسبب في ذلك أن حذف اللام الابتدائية من النمط (لَعَلْ) يبقيه -بعد حذفها- ثنائيًا مضاعفًا مستعملًا، والاستعمال دليل الاشتقاق.

والمضاعفة هي الوسيلة التي أفضت إلى نشوء الأبنية الثنائية المضاعفة، من نحو: قَطَّ وَقَطُّ، وأما تكرير أحد صوامت الأصل الثنائي فنراه مسؤولاً عن نشأة جملة الأبنية الثلاثية التي يتماثل فيها فائوها ولامها، فمن الثنائي المقطعي (رَجْ) نشأ الفعل الثلاثي: جَرَجَ الخائِمَ في الإصبع إذا اضطرب وتحرك من سعته، بتكرير الجيم قبل الراء، هكذا: (رَجْ ← جَرَجَ).^(٢) ونشأ من الأصل (رَجْ) الفعل الثنائي المضاعف: رَجَّ الشيءَ إذا حَرَكَّه^(٣)، والأجوف: راجَ، إذا جاء في سرعة، والرباعي

(١) الزبيدي، تاج العروس، (علا)، ٩١/٣٩.

(٢) الجوهري، صحاح اللغة، (جرج)، ٣٠٢/١.

(٣) الزبيدي، تاج العروس، (رجج)، ٥٩٢/٥-٥٩٥.

المكرّر: رَجَرَ الشيءُ إذا جاء وذهب.^(١) ولا تخفى دلالة ما بُني من هذا الأصل على تحريك الشيء واضطرابه.

وقد رأينا من قبل أن العربية احتفظت بتكرير أحد صوامت الأصل الثلاثي؛ لبناء نمط معين من الرباعيات باعتراف القدماء، من قبيل الأفعال والأسماء: طرَبَ وطَرَطَبَ، ورَقَفَ وقرَقَفَ، وكهَمَ والكهَمَ.

وبالعود إلى نتاج الأخذ بالأصل (عل) المسؤول عن نشأة الحرف الناسخ (علّ) نجد أن بناءه منه يشبه بناء الأفعال الثنائية المضاعفة، من قبيل: مَدَّ وردَّ، وهذا مدعاة إلى توهم الناطقين وإجرائه مجرى الأفعال في التراكيب اللغوية؛ لهذا رأيناه يعمل عمل الأفعال، ويُشَبَّه بها عندما صار من زمرة النواسخ الحرفية، ويُزاد فيه نون الوقاية، ويكسَع بتاء التأنيث الساكنة بعد زيادة اللام صدرًا في النمط (لَعَلَّتْ)، أو قد يظَلَّ يراوح بين كونه حرف جر أو ناسخًا، على ما ظهر في الشاهد: (عَلَّ صُرُوفَ الدَّهْرِ) بنصب (صُرُوف) وجره. وصار هذا النمط الاستعمالي مدعاةً إلى توهم آخر بسبب مضاعفة اللام، فأجريت هذه اللام مجرى اللام حرف الجرّ؛ وقد صرح الفراء بشيء من هذا التوهم عندما وقف على الشاهد السابق: (لَعَلَّ اللهُ فَضْلَكُمْ...) فرأى أن أصل (لعلّ) هو (لَعَأ)، من قولهم: لَعَأَ لِيُزِيدَ. بإدغام التثوين في اللام، فلما كثر بها الكلام؛ صارت في اللفظ لَعَلَّ، وهي مؤلفة من حرفين الثاني لام الجر ومن ثمّ: "فتحوها توهُماً أن الكلمتين واحدة."^(٢)

والذي نراه راجحاً هو أن (لَعَأَ لِيُزِيدَ) يتألف من: (لَعَنَ + ل) والنون الساكنة التي رسمت بالتثوين مُبدلة من اللام، ويعني ذلك أنه عبارة عن: (لَعَلَّ + ل ← لَعَلَّ ← لَعُنَّ) فقام في عقول الناطقين أن اللام المتطرفة

(١) الفيومي، المصباح المنير، (روج)، ٢٤٢/١.

(٢) ابن السكيت، كتاب الألفاظ، ٢٦١، ٢٦٢.

عبارة عن حرف الجر، فحركوها بالكسرة، وعليه فالناطقون توهموا أنهما كلمتان لا كلمة؛ ولذلك فليس لدينا تنوين أدغم في اللام كما يذكر، بل لدينا تنوين (أي نون ساكنة) مبدل من اللام.

وما يرجح أن التنوين عبارة عن النون الساكنة ما رُوي بالنون المضاعفة التي أصلها اللامُ المضاعفة، في نحو: لَعَنَّكَ وَلَعَنَّكَ وَرَعَنَّكَ وَرَعَنَّكَ. (١) و: عَنَّ وَلَعَنَّ. (٢) ونصُّ الكسائي على أنها نون عندما فسر (لعلَّ) من: (لعلَّ صُرُوفِ الدَّهْرِ...) بقوله: "معناه: عاً لِصُرُوفِ الدَّهْرِ، فأسقطَ اللامَ من لَعاً لِصُرُوفِ الدَّهْرِ، وصيِّرَ نونَ لَعاً لاماً، لقربٍ مخرجِ النَّونِ من اللام، هذا على قول مَنْ كَسَرَ صُرُوفَ، وَمَنْ نَصَبَهَا جَعَلَ عَلَّ بمعنى لَعَلَّ فَنَصَبَ صُرُوفَ الدَّهْرِ..." (٣)

ونلاحظ أنَّ الكسائي فسَّرَ هذا التحول دون بيانه علة سقوط اللام من (لَعاً)، وهذا ما سبق لنا بيانه، وهو كثرة اتكاء القدمات على الحذف والإسقاط من الأبنية الثلاثية؛ لتفسير الأبنية الثنائية المستعملة، مع ما نراه من كون البنية الثنائية (عاً) هي نفسها البنية (عَنَّ) التي استعملت مضاعفةً على الصورة (عَنَّ)، وهذه نتائج الإبدال من (عَلَّ) بعد وصولها بالمضاعفة والإدغام إلى (عَلَّ).

ونشير إلى أنه في بعض اللهجات الداريجة في مصر وفلسطين ما زلنا نسمع استعمالهم (عَنَّ) متصلةً بكاف الخطاب الساكنة؛ للدعاء بعدم حصول الشيء، يقال: عَنَّكَ ما رُحِت، ويضمير الغيبة (الهاء) في نحو: عَنُّهُ ما راح، وتستعمل بسكون النون، فيقال: عَنَّهُم ما راحوا، وعَنُّها ما راحت.

وقد وقفنا على أصل ثنائي اضطرَّ بعضُ القدمات إلى الاعتراف بتطوره، وهو الأصل (عَلَّ) المستعمل زجراً للحيوان، يقول أبو عمرو الشَّيباني: "العَلْعَلَةُ: زجر

(١) ابن منظور، لسان العرب، (عل)، ١١/٤٧٢-٤٧٤.

(٢) ابن يعيش، شرح المفصل، ٥/٣٩١.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، (عل)، ١١/٤٧٢-٤٧٤.

المعزى، تقول: عَلَّ عَلٌ. ^(١) وفي (تاج العروس) أورده الزبيدي على النحو: "ويقالُ في رَجْر العَنْزِ: عَلُّ عَلٌ، وعَلَا عَلًا." ^(٢)

وقد ذكر الفيروزآبادي ما يؤكّد تطوره بقوله: "عَلَّعَ، كَأَيَّنَ، وَعَلَّ عَلٌ بزيادة لام: رَجْرٌ لِلعَنَمِ والإِبِلِ." ^(٣) والمقصود بزيادة اللام هو أن (عَلُّ) صار بناء ثلاثياً موافقاً للبنية الصرفية (فَعَلَّ)، فوقع صوت العين المزيد لأمّاً لهذه البنية، والزيادة -كما نراها- من نمط تكرير العين التي وقعت فاءً في الأصل الثنائي. وأمّا إن قصد أن (عَلَّعَ) تطور بزيادة لام في آخره فهذا لا يستقيم؛ لأن تطوره بتكرير صامتيه (العين واللام) هو ما يؤدي إلى بناء النمط الرباعي المكرر (العلّعة).

ونحا الزبيدي منحي ردّ هذا النمط من التطور بقوله: "عَلَّعَ -كَأَيَّنَ- وَعَلَّلَ بزيادة لام، أهمله الجوهري، وصاحب اللسان، والصّاغاني في التكملة، وأورده في العباب عن ابن عبّاد، قال: هو رَجْرٌ لِلعَنَمِ والإِبِلِ. قلتُ: وذكُرُ الثَّانِي هنا مُسْتَدْرِكٌ؛ لأنَّ محلَّه اللامُ، وسيأتي أنّه مقلوبٌ لَعَلَّعَ، عن يعقوب، وكأنَّ الأوّل مقصورٌ منه، فتأمَّل." ^(٤)

فإن كان مقلوباً فماذا نضع برواية الشيباني لأصله على (عَلُّ)، واعتراف الفيروزآبادي بتطور هذا الأصل بزيادة العين؛ ليصير على البناء الثلاثي (عَلَّعَ)، وكذا تطوره بالإشباع الصوتي الذي ولّد الصورة (علا)؟

وعليه فليس بالمقبول ما نقله الزبيدي عن ابن السكّيت (يعقوب) من أن (عَلَّلَ) ناشئ من (لَعَلَّعَ) بالقلب، ولسنا نقبل بهذا المنهج الذي أخذ به الزبيدي في

(١) الشيباني، الجيم، ٢/٢٩٤.

(٢) الزبيدي، تاج العروس، (علو)، ١٠٢/٣٩.

(٣) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، (علع)، ٧٤٥/١.

(٤) الزبيدي، تاج العروس، (علع)، ٤٧٤/٢١.

عكس التطور اللغوي بذهابه إلى أنّ (عَلَجَ) ناشئ من قصر (لَعَلَع)، وهو يقصد بالقصر حذف اللام فاء (لَعَلَع)؛ فهذا الحذف من أكثر الوسائل اللغوية التي اتّكأ عليها القدماء لتحامي القول بنشأة الأبنية اللغوية من أصول ثنائية.

نتائج الدراسة

توصّلت الدراسة من توفرها على بيان الأنواع الاستعمالية الفصيحة: قَطُّ وقَطُّ وقَطْنٌ وقَطْنٌ، وقَطُّ وقَطُّ وقَطُّ وقَطُّ والقَطِّقِطِ إلى جملة من النتائج، نوجز أبرزها على النحو الآتي:

1. الأنواع السابقة عبارة عن ألفاظ ناشئة من الأصل الثنائي (قَطُّ)، بغض الطرف عن اختلاف مسمياتها، كوسمهم إياها ظرفاً، أو اسم فعل، أو فعلاً أو اسماً محضاً، وبغض الطرف عن فصل القدماء بينها، ونظر كثير منهم إليها على أنها أنواع مستقلة، فهذه الأنواع تلتقي معانيها على القطع الحقيقي أو المجازي.
2. قامت الدلائل الاستعمالية على أن الأصل (قَطُّ) عبارة عن بنية ثنائية مؤلفة من مقطع صوتي واحد قابلة للتطور باشتقاق الأبنية الثنائية المضاعفة، بتكرير الطاء وإدغامها، ك: كالظرف: قَطُّ، والفعل: قَطُّ، وتكرير القاف والطاء للوصول إلى البناء الرباعي المكرر (القَطِّقِطِ)، وبإشباع الفتحة القصيرة لبناء (قَطَّاطِ)، وأما زيادة النون فقد أفضت إلى بناء اسم الفعل (قَطْنٌ) والفعل الثلاثي (قَطْنٌ).
3. توصلت الدراسة إلى ضابط في نوع الصوامت المزيدة في الأصل (قَطُّ)، وهو أنها يجب أن تكون أخفَّ من صامتي هذا الأصل (القاف والطاء)؛ وليبيان هذا الضابط فقد اتكأت الدراسة على جملة الأفعال الثلاثية التي أدت معنى القطع، كالفعل: قَطْنٌ وقَطْمٌ وقَطْلٌ وقَطْرٌ وقَرَطٌ، وقَطْرٌ وقَطَشٌ... وكان لتطور الأصول الثلاثية القائمة على هذا الأصل منهجٌ واضح يقوم على بناء الرباعيات منها بزيادة أخف الصوامت المعروفة في العربية دون النظر إلى نوع صوامت الأبنية الثلاثية؛ فصح لذلك بناء الرباعي: قَرَطَمٌ من الثلاثي: قَرَطٌ (بزيادة الميم) وبناء: قَرَطَبٌ بزيادة الباء، وكان كثير من اللغويين القدماء يعترفون بهذه الزيادات وينصون عليها. وقد حصرنا الزيادات المفضية إلى بناء الرباعيات غير

٥. كشفت الدراسة عن تطور الأصول الثنائية بزيادة الصوامت حشواً وكسعاً وصدراً، على نحو زيادة النون في الأفعال الدالة على القطع، وهي: قنطَ وقطنَ ونقطَ. وهذا يصلح في زيادة الميم وغيره من الصوامت الأخف من صوامت الثنائي (القاف والطاء). وكذا بينت الدراسة وسيلة أخرى في البناء، وهي تكرير أحد صوامت الأصل، وبهذه الوسيلة تطور الأصل (علّ) المستعمل زجراً للحيوان -بتكرير العين بعد اللام- فصار مستعملاً على معنى الزجر، فقيل: عَلَّعَ. وهذا التكرير وسيلة ذكرها بعض القدماء في بناء الأبنية الرباعية، من قبيل: طَرَبَ وقَرَفَ والكَهَمَ.

٦. أولت الدراسة مسألة تطور الأبنية بالإبدال الصوتي ما تستحق من البحث، فكان لها مستخلصات تدور في محور نشأة الاسم والحرف (قدّ) من (قطّ) بإبدال الطاء دالاً، وهو إبدال تفره القوانين الصوتية، فكلاهما من الأصوات الأسنانية اللثوية، زيادة على أن الحرف (قد) يشتمل على معنى (التحقيق)، وهو من معنى القطع المجازي، إذ لا يُقال: (قدّ نزل المطرُ) إلا بعد تيقن الناطق وقطعه بنزوله، وأما معاني (قد) -كالتشكيك وغيره- فهي سياقية في الكثير الأغلب. وبهذا الإبدال الصوتي بين الطاء والدال فسرنا نشأة الظروف (لَتّ، لَتّ، لَتّ) من أصلها (لد).

وأما الأمثلة: (عَنَّ، غَنَّ، أَنْ، لَأَنَّ، لَوَنَّ، رَعَلَّ، لَعَنَّ، لَعَنَّ، رَعَنَّ) فناشئة من الحرف الناسخ (علّ) عندما استعمل بهذه الصيغة الثنائية المضاعفة، والصيغة الثلاثية (لعلّ) بعد زيادة اللام صدراً، ولا تخفى نشأة هذه الأمثلة بإبدال العين همزةً وغيناً، وإبدال اللام نوناً وراء. والتقارب الصوتي في مخارج هذه الأصوات هو ما سوَّغ إبدال بعضها من بعض، فالأصوات (أ، ع، غ) من الأصوات الحلقية عند القدماء، والأصوات (ل، ر، ن) من الأصوات اللثوية. وأما الصيغة (لَوَنَّ) فناشئة بإبدال الهمزة واواً، والتبادل الموقعي بين الهمزة والواو والياء معروف شائع في العربية.

مصادر الدراسة ومراجعتها الرئيسية

١. الأزهرى، خالد بن عبدالله، شرح التصريح على التوضيح، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
٢. الأزهرى، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة علق عليه: عمر سلامي وزميله، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
٣. الأستراباذي، رضي الدين محمد بن الحسن، شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، د ط، د ت.
٤. الأستراباذي، رضي الدين محمد بن الحسن، شرح كافية ابن الحاجب، تحقيق: أحمد السيد أحمد، المكتبة التوفيقيّة، القاهرة، د ط، د ت.
٥. الأشموني، أبو الحسن علي، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
٦. الأشموني، أبو الحسن علي، منهج السالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق: عبدالحميد السيد، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، د ط، د ت.
٧. الأنباري، أبو البركات، الإنصاف في مسائل الخلاف، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، ط٤، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٩٦١م.
٨. الأنباري، أبو بكر، الزاهر في معاني كلمات الناس، تحقيق: حاتم الضامن، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٢م.
٩. الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف، ارتشاف الضرب في لسان العرب، تحقيق: رجب عثمان محمد، مراجعة: رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م.

١٠. أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، دار النهضة العربية، القاهرة، ط٣، ١٩٦١م.
١١. أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
١٢. ابن جنّي، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، وزارة الثقافة والإعلام العراقية، بغداد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٤، ١٩٩٠م.
١٣. ابن دُرَيْد، أبو بكر محمد بن الحسن، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.
١٤. ابن سيده الأندلسي، أبو الحسن علي، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
١٥. ابن سيده الأندلسي، أبو الحسن علي، المخصص، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.
١٦. ابن عباد، صاحب، المحيط في اللغة، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، ط١، ٢٠١١م.
١٧. ابن عصفور، علي بن مؤمن، الممتع الكبير في التصريف، مكتبة لبنان، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
١٨. ابن فارس، أبو الحسين أحمد، مقاييس اللغة، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت، د ط، د ت.
١٩. ابن القطاع، أبو القاسم علي بن جعفر، كتاب الأفعال، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٨٣م.
٢٠. ابن مالك، جمال الدين محمد، شرح التسهيل، تحقيق: عبدالرحمن السيد ومحمد المختون، هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٩٠م.

٢١. ابن مالك، جمال الدين محمد الطائي الجياني، شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، مكتبة دار العروبة، القاهرة، د ط، د ت.
٢٢. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب، دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٩٩٤.
٢٣. ابن هشام، أبو محمد عبدالله جمال الدين، مغني اللبيب، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، بيروت، د ط، ١٩٩٣، ١٩٩٥ م.
٢٤. ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي، شرح المفصل، تحقيق: أحمد السيد أحمد، المكتبة التوفيقيّة، القاهرة، د ط، د ت.
٢٥. البغدادي، عبدالقادر بن عمر، خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٩٩٧ م.
٢٦. الحديثي، خديجة، موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف، وزارة الثقافة، دار الرشيد، بغداد، ط١، ١٩٨١ م.
٢٧. حسان، تمام، اللغة العربيّة معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، د ط، ١٩٩٤ م.
٢٨. حسن، عباس، النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، ط٢٥.
٢٩. الحميري، نشوان، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: حسين العمري وآخرين، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٩ م.
٣٠. الخوأم، رياض، لدنّ ولدنّ بين الثنائيّة والثلاثيّة وأحكامهما النحويّة، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد (٣٦)، ١٩٧٩ م.

٣١. الراجحي، عبده، التطبيق النحوي، مكتبة المعارف، القاهرة، ط ١، ١٩٩٩م.
٣٢. الرافعي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، راجعه: عبدالله المنشاوي، مهدي البحقيري، مكتبة الإيمان، القاهرة، د ط، د ت.
٣٣. الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين، دولة الكويت، ١٩٦٥-٢٠٠١م.
٣٤. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو، الفائق في غريب الحديث والأثر، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ط ٢، د ت.
٣٥. زيدان، جرجي، الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية، مراجعة وتعليق: مراد كامل، دار الحداثة، بيروت، د ط، ١٩٨٢م.
٣٦. السامرائي، إبراهيم، الفعل زمانه وأبنيته، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣، ١٩٨٣م.
٣٧. سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٢، ١٩٨٢م.
٣٨. السيرافي، يوسف بن أبي سعيد، شرح أبيات سيبويه، تحقيق: محمد علي الريح، مكتبة الكليات الأزهرية، دار الفكر، القاهرة، د ط، ١٩٧٤م.
٣٩. السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن، الأشباه والنظائر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٠م.
٤٠. السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، شرح وتعليق: محمد جاد المولى بك وزملائه، المكتبة العصرية، بيروت، د ط، ١٩٨٧م.
٤١. السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن، همع الهوامع، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د ط، د ت.

٤٢. الشايب، فوزي، محاضرات في اللسانيات، منشورات وزارة الثقافة، عمان، ط١، ١٩٩٩م.
٤٣. الطبري، محمد بن جرير، تفسير الطبري المسمى (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، تحقيق: عبد الله التركي، دار هجر، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م.
٤٤. عبدالنواب، رمضان، التطور اللغويّ مظهره وعالله وقوانينه، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٩٧م.
٤٥. عبدالنواب، رمضان، فصول في فقه العربيّة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٦، ١٩٩٩م.
٤٦. عبدالنواب، رمضان، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٩٧م.
٤٧. العكبري، أبو البقاء عبدالله، التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين، تحقيق: عبدالرحمن العثيمين، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٨٦.
٤٨. الغلابيني، مصطفى بن محمد، جامع الدروس العربية، المكتبة العصرية، بيروت، صيدا، ط٢٨، ١٩٩٣م.
٤٩. الفارابي، أبو إبراهيم إسحاق، معجم ديوان الأدب، تحقيق: أحمد مختار عمر، دار الشعب، القاهرة، د ط، ٢٠٠٣م.
٥٠. فاضل، عبدالحق، أقاصيص لغوية قط وبناتها، مجلة اللسان العربي، المجلد (١٨)، الجزء (٣)، ١٩٧١م.
٥١. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، تحقيق: إبراهيم السامرائي ومهدي المخزومي، وزارة الثقافة والإعلام العراقية، دار الرشيد، بغداد، ط١، ١٩٨١م.
٥٢. الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط٨، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٥م.

٥٣. الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت، د ط، د ت.
٥٤. قطرب، أبو علي محمد بن المستنير، الأزمنة وتلبية الجاهلية، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٩٨٥ م.
٥٥. قطرب، أبو علي محمد بن المستنير، الفرق في اللغة، تحقيق: خليل إبراهيم العطية، مكتبة الثقافة الدينيّة، القاهرة، ط ١، د ت.
٥٦. الكافيحي، محيي الدين، شرح قواعد الإعراب لابن هشام، تحقيق: فخر الدين قباوة، دار طلاس، دمشق، ط ٣، ١٩٩٦ م.
٥٧. المرادي، أبو محمد بدر الدين، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، تحقيق: عبدالرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٨ م.
٥٨. المرادي، الحسن بن قاسم، الجنى الداني، تحقيق: فخر قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط ٢، ١٩٨٣ م.
٥٩. المساعفة، خالد، الأصول الثنائية للأفعال العربية دراسة في التأصيل والتطور اللغوي، خزائن القلم، عمان، ط ١، ٢٠١٥ م.
٦٠. المطلبي، غالب فاضل، في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المد العربية، منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية، ط ١، ١٩٨٤ م.
٦١. المعاينة، ريم، بنى الأفعال العربيّة في معاجم الأفعال دراسة صوتية صرفيّة، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، ط ١، ٢٠٠٨ م.
٦٢. المعري، أبو العلاء أحمد بن عبدالله، رسالة الملائكة، تحقيق: محمد سليم الجندي، دار صادر، بيروت، د ط، ١٩٩٢ م.

٦٣. المغربي، عبدالقادر، كلمات شائعة في اللغة العامية، أعيد نشره في كتاب: "اللهجات العربية الفصحى والعامية"، المجلد الأول، وقد صدر عن مجمع اللغة العربية المصري بإشراف كمال بشر، ٢٠٠٦م.
٦٤. النَّحَّاس، أبو جعفر، عمدة الكتاب، تحقيق: بسام عبدالوهاب الجابي، دار ابن حزم والجابي، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.
٦٥. نعجة، سهى فتحي، آفاق الدرس اللغوي في العربية المبنى والمعنى، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط١، ٢٠١٤م.
٦٦. يعقوب، إميل بديع، المعجم المفصل في شواهد العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

References

1. AlAzhari, Khalid bin Abdullah, Sharh Altasreh Ala altawdeh, Dar AlKotob Alelmeah, Birut, 1st Edition, 2000.
2. Alazhari, Moh'ed bin Ahmed, Tahtheb Allughah commented by: Omar Salmay and partner, Dar Ehia Alturath AlArabi, Birut, 1st Edition, 2001.
3. Alastrabathy, Radhy Aldin Moh'ed bin Alhasan, Sharh Shafiat ibn Alhajeb, investigated by: Moh'ed Mohee Aldin AbdAlhamid and others, Dar AlKotob Alelmeah, Birut.
4. Alastrabathy, Radhy Aldin Moh'ed bin Alhasan, Sharh Kafiat ibn Alhajeb, investigated by: Ahmed Alsaid Ahmed, AlMaktabah Altawfiqeeh, Cairo.
5. AlAshmony, Abu Alhasan Ali, Manhaj Alsalik Ela Alfeat Ibn Malek, Investigated by: Abdulhamid Alsaid, Almaktabah Alazhariah Le Alturath, Cairo
6. Alanbari, Abu Albarakat, Allnsaf fi Masael AlKhelaf, Investigated by: Moh'ed Mohee Aldin AbdAlhamid, 4th Edetion, Almaktabah Altijareah AlKubra, 1969.
7. Alanbari, Abu Baker, Alzaher fi Ma'any Kalamat Alnas, Investigated by: Hatem Aldhamin, 1st Edition, Mussasat Alresalah, Birut, 1992.
8. Alandalusi, Abu Hayan Moh'ed bin Yousef, Ertishaf Aldharb fi Lisan Alarab, Investigated by: Rajab Othman Moh'ed, Reviewed by: Ramdhan Abdaltwab, Maktabat Alkhanjy, Cairo, 1st Edition, 1998.
9. Anees, Ibrahim, Alaswat Allughawih, Dar Alnahdha Alarabiah, Cairo, 3rd Edition, 1961.
10. Anees, Ibrahim, Dalalat Alalfath, Maktabat Alanjlo Almisriah, Cairo.
11. Ibn Jini, Abu Alfath Othman, Alkhasaes, Inestigated by: Moh'ed Ali Alnajar, Iraqi Ministry of Culture and Information, Baghdad, Alhaiah Almisriah Ala'amah le Alkutab, Cairo, 4th Edition, 1990.

12. Ibn Duraid, Abu Baker Moh'ed bin Alhasan, Jamharat Alughah, Investigated by: Ramzi Muneer Ba'alabki, Dar Aleim Le Almalaeen, Birut, 1st Edition, 1987.
13. Ibn Sido Alandalusi, Abu Alhasan Ali, Almukhasas, Investigated by: AbdAlhamid Hindawi, Dar AlKotob Alelmeh, Birut, 1st Edition, 2005.
14. Ibn Abad, Alsaheb, Almuheed fi Allughah, Inestigated by: Moh'ed Hasan Al Yasin, 1st Edition, Alam Alkutob, Birut, 2011.
15. Ibn Fares, Abu Alhussin Ahmed, Maqaes Allughah, Inwstigated by: Abdusalam Haron, Dar Aljeel, Birut.
16. Ibn Alketa'a, Abu Alqasem Ali bin Ja'afer, Kitab Alafa'al, Alam Alkotob, Birut, 1st Edition, 1983.
17. Ibn Malek, Jamal aldin Moh'ed, Sharh Altasheel, Investigated by:
18. Abdurahamn Alsaid & Moh'ed Almakhton, Hajr le Alteba'a wa Alnasher, Cairo, 1st Edition, 1990.
19. Ibn Malek Jamal aldin Altaei Aljiani, Shawahed Altawdheh wa altasheh le Mushkelat Aljame' Alsaheh, Investigated by: Moh'ed Fuad Abdelbaqi, Maktabet Al Orwabah, Cairo.
20. Ibn Manathor, Abu Alfadel Jamal Aldin Moh'ed, Lisan Alarab, Dar Alfaker, Birut, 3rd Edition, 1994.
21. Ibn Hisham, Abu Moh'ed Abduallah Jamal Aldin, Mughny Allabib, Investigated by: Moh'ed Mohe Aldin Abdelhamid, Almaktabah Alasreh, Birut, 1993, 1995.
22. Ibn Ya'ish, Mufaq Aldin Ya'ish bin Ali, Sharh Almufasel, Investigated by: Ahmed Alsaid Ahmed, AlMaktabah Altawfiqeeh, Cairo.
23. Alhadethy, Khadijah, Mawqif Alnuhat min Alehtijaj be Alhadith Alsharif, Ministry of Culture, Dar Alrashid, Baghdad, 1st Edition, 1981.

24. Hassan, Tamam, Allughah Alarabiah Ma'anah & Mabnah, Aldar Albidha, 1994.
25. Hasan, Abas, Alnahw Alwafi, Dar Alma'aref, Cairo, 25th Edition.
26. Alhamiry, Nashwan, Shams Alolom & Dawa Kalam Arab min Alkolom, Investigated by: Hussin Alomari & others, 1st Edition, Dar Alfiker Almua'aser, Birut, Dar Alfeker, Damascus, 1999.
27. Alkhawam, Riadh, Ladn wa Lada bein Althonaeh & Altholatheh & Ahkamuhma Aknahweah, Majalat Majma'a Allughah Alarabia Alordony, aladad 36, 1979.
28. Alzubaidy, Moh'ed Murtadha, Taj Alaros min Jawaher Alqamos, Investigated by a group of investigators, Kuwait, 1965-2001.
29. Alsamerai, Ibrahim, Alfel Zamanoh wa Abneatoh, Mussasat Alresalah, Birut, 3rd Edition, 1983.
30. Sibawih, Abu Beshar Amro bin Othman, Alketab, Investigated by: Abdusalam Moh'ed Haron, Maktabat Alkhanjy, Cairo, 2nd Edition, 1982.
31. Alseuty, Jalal Aldin Abdulrahman, Almuzher fi Olom Allughah wa Anwa'eha, explained & commented by: Moh'ed Jad Almwala bek & partners, Almaktabah Alasreh, Birut, 1987.
32. Alseuty, Jalal Aldin Abdulrahman, Hame' Alhawame', Investigated by: AbdAlhamid Hindawi, AlMaktabah Altawfiqeeh, Cairo.
33. Alshaib, Fawzi, Muhadarat fi Allesaniat, Publications of the Ministry of Culture, Amman, 1st Edition, 1999.
34. Abdaltwab, Ramdhan, Altadour Allughawi Mazahro & Ellaloh & Qawaninh, Maktabat Alkhanjy, Cairo, 3rd Edition, 1997.
35. Abdaltwab, Ramdhan, Fosol fi Fiqh Alarabia, Maktabat Alkhanjy, Cairo, 6th Edition, 1999.

36. Abdaltwab, Ramdhan, Almadkhal ela elm Allighah wa Manahij Albahth Allughawi, Maktabat Alkhanjy, Cairo, 3rd Edition, 1997.
37. Alakbari, Abu Albaqa' Abduallah, Altabeen an Mathaheb Alnahween
38. Alghaleeni, Mustafa bin Moh'ed, Jame' Aldoros Alarabia, Almaktabah Alasreh, Birut, Saida, 28th Edition, 1993.
39. Fadel, Abd Ahaq, Aqasis Lughawih Qat & Banateha, Majalat Allesan Alarabi, 18th Volume, Part 3, 1971.
40. Alfarahedy, Alkhalil bin Ahmed, Alain, Investigated by: Ibraim Alsamerai & Mahdi Almakhzoumi, Iraqi Ministry of Culture and Information, Dar Alrasheed, Baghdad, 1st Edition, 1981.
41. Alfayrozabady, Majd Edin abu Taher, Alqamous Almohid, Investigated by: Office of Heritage Investigation at Al-Resala Foundation, 8th Edition, Al-Resala Foundation, Birut, 2005.
42. Qutrob, Abu Ali Moh'ed bin Almustanir, Alfarq fi Allughah, Investigated by: Khalil Ibrahim Alatih, Maktabit Althaqafah Aldineh, Cairo, 1st Edition.
43. Alkafeji, Mohy Aldin, Sharh Quaed Alerab le ibn Hisham, Investigated by: Fakher Aldin Qabawah, dar Talas, Damascus, 3rd Edition, 1996.

44. Almarady, Alhasn bin Qasem, Aljana Aldani, Investigated by: Fakher Aldin Qabawah & Moh'ed Nadeem Fadel, Dar alafaq aljadidah, Beirut, 2nd Edition, 1983.
45. Almasa'feh, Khalid, Alosol Althunaeiah le Alafa'al Alarabiah Dirasah fi Alta'sil wa Altadawr Allughawi, Khazain Alqalam, Amman, 1st Edition, 2015.
46. Almatlaby, Ghalib Fadel, fi Alaswat Allughawiah Dirasah fi Aswat Almad Alarabia, Publications of Iraqi Ministry of Culture & Information, 1st Edition, 1984.
47. Al,a'aita, Reem, Buna Alafa'al Alarabia fi Ma'ajem Alafa'al Dirasah Sawtiah Sarfiah, Azminah le Alnasher wa Altawze', Amman, 1st Edition, 2008.
48. Na'ajah, Suha Fathi, Afaq Aldars Allughawi fi Alarabia Almabna wa Alma'ana, Alam Alkotob Alhadith, Irbid, Jordan, 1st Edition, 2014.
49. Almaghribi, Abdelqader, Kalimat Shae'ah fi Allughah Ala'ameah, Republished as a book: Alhajat Alarabia Alfusha wa Ala'miah, Volum 1, it was issued by the Egyptian Arabic Language Complex under the supervision of: Kamal Beshar, 2006.

المعنى اللغويّ

وأثره في اتساع باب الأفعال الناسخة للابتداء

د. هادي أحمد فرحان الشجيري (*)

الملخص

الأفعال الناسخة من أشهر أبواب النحو، وأسبقها في الدراسة، وهي ثلاثة أبواب: باب كان وأخواتها، وباب أفعال المقاربة، وباب ظن وأخواتها، وكتب النحو تكاد تتفق على عدد محدود للأفعال في كل باب، تعتني به وتجمع له الشواهد، وتفصّل فيما له من الخصائص التعبيرية والمعنوية؛ ولكن ما كادت تجمع عليه أغلب الكتب النحوية في مسألة عدد أفعال كل باب قد تجاهل كثيراً من آراء النحاة المعتبرة في الزيادة على تلك الأفعال، وقد كان المعنى العام الذي بنيت عليه تلك الأبواب هو الحجة التي احتج بها من زاد في عددها، آزره في ذلك ما بلغه من شواهد الفصحاء، وقد رأيت أن أجمع في هذا البحث ما استطعت أن أصل إليه من أفعال ألحقها النحاة بتلك الأبواب مع بيان العلة التي من أجلها ألحقت، وإيراد ما أوردوه من الشواهد الفصيحة التي تشهد لرايهم واجتهادهم.

(*) الجامعة العراقية/ كلية التربية/ قسم اللغة العربية.

The linguistic meaning and its effect in the widening of the Duplicate acts

ABSTRACT

Acts copier of months doors as, and precede it in the study, which is three Theme: the door was and sisters, and the door of the actions of the approach, and the door of thought and sisters, and wrote as almost agree on a limited number of actions in each door, look after him and gathered his evidence, and decide with his properties expressive and moral; but what almost gathered by most grammar books in question of the number of acts each door may ignore a lot of the views of grammarians considered to increase on those acts, was the general meaning, which is built upon those doors is the argument invoked by the increase in their number, burdens so what in a language other than eloquent evidence. I have seen that the whole of this research I could out of him by the acts inflicted grammarians those doors with a statement of the illness for which they have caused, and revenue all've welcomed their input eloquent evidence of that witness to their minds and hard work.

المقدمة

فمن نعم الله علينا أن خصّنا بلغة كتابه الخاتم، وهذه اللغة على طول عمرها وكثرة ما كتب فيها تعطي من تأملها فسحة للقول والكتابة وإن تأخر عهده، وقد بدأ لي من تأملي فيما قرأت في كتب النحو أن أسطر في هذه الصفحات مسألة تناثرت أطرافها في كتب النحاة، وتباينت فيها آراؤهم، وإن طغى فيها قول جمهورهم، ألا وهي عدة الأفعال الناسخة وأثر المعنى في تغييرها زيادة ونقصاناً.

فمن أشهر الأبواب النحوية وأسبقها في الدرس باب الأفعال الناسخة، وهي على ثلاثة أقسام: الأول: باب كان وأخواتها، والثاني باب أفعال المقاربة، والثالث: باب ظن وأخواتها، وليس غرضي في هذا البحث أن أبحث في تفاصيل هذه الأفعال وشواهدا وخصائص عملها، فذلك مشهور ماثوث في جميع كتب النحو، صغيرها وكبيرها، ولكن جهدي سيتوجه إلى النظر في عدد هذا الأفعال واختلاف النحاة في الاقتصاد أو التوسع فيها.

فكتب النحو تكاد تتفق على عدد محدود للأفعال في كل باب، تعتنى به وتجمع له الشواهد، وتفصل فيما له من الخصائص التعبيرية والمعنوية؛ ولكن ما كادت تجمع عليه أغلب الكتب النحوية في مسألة عدد أفعال كل باب قد تجاهل كثيراً من آراء النحاة المعتبرة في الزيادة على تلك الأفعال، وقد كان المعنى العام الذي بنيت عليه تلك الأبواب هو الحجة التي احتج بها من زاد في عددها، آزره في ذلك ما بلغه من شواهد الفصحاء، وقد رأيت أن أجمع في هذا البحث ما استطعت أن أصل إليه من أفعال ألحقها النحاة بتلك الأبواب مع بيان العلة التي من أجلها ألحقت، وإيراد ما أوردوه من الشواهد الفصيحة التي تشهد لرايهم واجتهادهم، وإن خلا اجتهادهم من الشواهد اجتهدت في البحث عما يشهد لما قالوه.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون على ثلاثة مباحث وتمهيد بعد هذه المقدمة، يتبعها خاتمة بأهم النتائج:

التمهيد: وفيه الحديث عن المعاني المقتضية للتوسع في باب الأفعال الناسخة واتجاهاته، وضوابطه، وعلاقته بالتضمين والترادف.

المبحث الأول: أثر المعنى اللغوي في اتساع باب كان وأخواتها.

المبحث الثاني: أثر المعنى اللغوي في اتساع باب أفعال المقاربة.

المبحث الثالث: أثر المعنى اللغوي في اتساع باب ظن وأخواتها.

أسأله تعالى السداد في القول، والتوفيق فيما اجتهدت فيه، وأن يجعل هذا العمل لبنة صالحة في صرح عربيتنا الخالد، إنه ولي ذلك.

التمهيد:

اقتضت طبيعة البحث أن نسبقه بتمهيد تكون مادته توطئة لموضوع البحث، وسأذكر فيه النقاط الآتية:

أولاً: الحقول المعنوية المقتضية لنسخ الابتداء:

يتبين للمتأمل في باب الأفعال الناسخة أن ثمة معان عامة تجمع أفعال هذا الباب، وتبعاً لهذه المعاني كان لها ما تستحقه من عمل، فأبي فعل وجد فيه معنى من المعاني بشروطه المعتبرة ألحق بهذا الباب واستحق ما له من عمل، وهذه المعاني العامة هي:

١- معنى الاتصاف المؤقت للمسند إليه بالمسند أو نفيه، وغالباً ما يتحول هذا الاتصاف المؤقت إلى اتصاف عام. ويمثل هذا المعنى: كان، وأصبح، وأمسى، وأضحى، وبات، وظل، وتبعاً لهذا المعنى أدخل الفراء ومن تابعه الأفعال الثلاثة: أسحر، وأفجر، وأظهر، في هذا الباب، وأدخل غيره: غدا، وراح^(١).

(١) ينظر: ص ١٧٩-١٨٠ من البحث.

- ٢- معنى النفي المطلق لاتصاف المسند إليه بالمسند، ويمثل هذا المعنى: ليس، وما حمل عليها من الحروف العاملة عملها.
- ٣- معنى استمرارية اتصاف المسند إليه بالمسند، ويمثل هذا المعنى الأفعال المنفية بـ(ما)، وهي: ما زال، وما فتئ، وما انفك، وما برح، وما دام. وتبعاً لهذا المعنى أدخل ابن مالك ومن تابعه ونى، ورام في باب الأفعال الناسخة^(١).
- ٤- معنى التحول في ذات المسند إليه أو صفته، ويمثل هذا المعنى: صار، وصير وتبعاً لهذا المعنى ألحق النحاة ما رادفهما في المعنى من الأفعال، وسيأتي تفصيلها في موضعه^(٢).
- ٥- معنى مقاربة اتصاف المسند إليه بالمسند، ومقاربة الاتصاف تشعر بالحدث؛ لذا فإن المسند في هذا الباب في الغالب فعل يدل على ذلك الحدث، ويمثل هذا المعنى: كاد، وكرب، وأوشك^(٣).
- ٦- معنى الرجاء في اتصاف المسند إليه بالمسند، ولكون الرجاء مستقبلاً لذا كان المسند في هذا الباب فيه ما يشعر بالحدث المستقبلي من كونه فعلاً مقروناً بأن، ويمثل هذا المعنى: عسى، وحرى، واخولق^(٤).
- ٧- معنى شروع المسند إليه بالمسند، والشروع يقتضي البدء بحدث ما، لذا كان المسند في هذا الباب فيه ما يشعر ببدء الحدث من كونه فعلاً مجرداً من علامة استقبال، ويمثل هذا المعنى: أخذ، وأنشأ، وطفق، وعلق، وألحق بها النحاة ما شاكلها في المعنى^(٥).

(١) ينظر: ص ١٦٣-١٦٤ من البحث.

(٢) ينظر: ص ١٦٦ من البحث.

(٣) ينظر: ص ١٨٢ من البحث.

(٤) ينظر: ص ١٨٣ من البحث.

(٥) ينظر: ص ١٨٤ من البحث.

٨- معنى اليقين أو الشكّ في اتصاف المسند إليه بالمسند، ويمثل هذا المعنى: علم، ووجد، ورأى، ودرى، وحجى، وخال، وحسب، وزعم، وظن، وما وافقها في المعنى^(١).

ثانياً: التوسع في المعنى في باب الأفعال الناسخة:

إن التوسع في باب الأفعال الناسخة هو نوع من التوسع في المعنى عموماً، وهو باب من أبواب شجاعة العربية له أساليبه، وطرقه، ولا يتبين إلا بعد التركيب، ويكون تارة باللفظ المشترك، وتارة بالصيغة، وتارة بالإعراب، وتارة بالجمع بين بعضها^(٢).

وبعد التأمل فيما ألحقه النحاة من الأفعال في باب النواسخ يمكن لنا أن نقول: إن هذا التوسع قائم على ركيزتين، الأولى: دلالة الفعل، والثانية: أثره الإعرابي.

فالإعراب أثر مسموع أو مرئي يشير إلى معنى اللفظ العامل، فيجب أن يتوافق مع معنى عامله بحيث ينسجم المعنى العام للتركيب اللغوي.

وقد كان توجه النحاة في إلحاق ما ألحق بباب الأفعال الناسخة قائم على تبين معانيها، وتوجيهها بما يتناسب مع السياق العام للتركيب، والمعاني العامة المقتضية لنسخ الابتداء، فما وافق منها معنى من المعاني المقتضية للنسخ جعلوه من الأفعال الناسخة تبعاً للضوابط التي سأذكرها، ومعاني الأفعال التي ألحقت بباب النواسخ لا تخرج عن الاتجاهات الآتية:

١- المعنى الموافق:

فهناك أفعال شاركت الأفعال الناسخة المشهورة في دلالتها، كما هو الحال في الأفعال: غدا، وراح، وأسحر، وأفجر، وأظهر، فكل هذه الأفعال مؤقّنة بوقت

(١) ينظر: ص ١٨٥-١٨٧ من البحث.

(٢) ينظر: بحثي الموسوم: الإعراب وأثره في توسع المعنى في آي من التنزيل الحكيم، وهو

بحث قيد النشر.

خاص حالها كحال الأفعال المشهورة، نحو: أصبح وأضحى وأمسى، ولكنها تخلفت عن اللحاق بها عند الجمهور لقلة استعمالها وندرة شواهدها^(١).

٢ - تعميم الدلالة أو تخصيصها:

كل لفظ في العربية له دلالاته الخاصة، ولكن هذه الدلالة قد يعترئها تعميم أو تخصيص تبعاً للسياق الذي ترد فيه، وقد لاحظت أن قسماً من الأفعال الناسخة قد ألحق بباب النواسخ بتعميم دلالتها أو تخصيصها. فمما عمم في دلالاته كثير من الأفعال المرادفة لصار وصير، فالأفعال: عاد، وآض، ورجع على سبيل المثال معانيها الخاصة هي: العودة والرجوع، ومعناها العام الأوسع الدلالة على الانتقال والتحول من حال إلى حال، وهذا المعنى هو المعنى العام لصار؛ لذا حملت عليها في العمل.

ومما خصص في دلالاته الأفعال المرادفة لما زال وأخواتها فهذه الأفعال دلالاتها الخاصة هو عدم الزوال في ما زال مثلاً، ولكن معناها الأخص الذي من أجله نسخت الابتداء هو الاستمرار والبقاء، وهو لازم من لوازم عدم الزوال، فهو جزء من معناه، ولهذا المعنى ألحق النحاة بها ما شاكلها في المعنى من الأفعال نحو: ونى، ورام.

٣ - التضمين:

هو فن من فنون البلاغة يختص به المتمكنون من فن التعبير لئلا يكون سبباً في ضياع المعاني، ومعنى التضمين أن يدل بكلمة واحدة على أكثر من معنى عند تقييدها بقيد خاص في التركيب، فلفظ الكلمة يدل على معناه المشهور، وقيد الحرفي أو الإعرابي الخاص يحمله معنى جديداً آخر^(٢).

(١) ينظر: ص ١٧٩-١٨٠ من البحث.

(٢) ينظر: بحثي الموسوم: التضمين النحوي وأثره في المعنى، بحث منشور في مجلة

الأستاذ، جامعة بغداد، العدد ٢٠٢، لسنة ١٤٣٣ هـ-٢٠١٢م، ص ١٩٦.

والتضمين كان باباً مقيداً من أبواب التوسع في باب الأفعال الناسخة.

٤ - الترادف:

نص النحاة فيما ألحقوه من أفعال في باب النواسخ على أنها رادفت معاني الأفعال الناسخة المشهورة، فقالوا: إن ونى ورام رادفت معنى ما زال وأخواتها، وأن عاد وآض ورجع... رادفت صار في معناها، ولكني أرى أن الترادف في هذا الباب ترادف مقيد يحكمه السياق العام، وصحة الإعراب، فلا يصلح أن يكون الترادف في معاني أفعال هذا الباب ترادفاً مطلقاً^(١).

ثالثاً: الضوابط المستنبطة للتوسع في باب النواسخ:

لسائل أن يسأل كيف جمع النحاة الأفعال الناسخة، وكيف جاز لهم أن يتوسعوا في عدد الأفعال الناسخة، وهل هناك ضوابط لهذا التوسع؟ أقول إن النحاة قد ساروا على هدى في ضبط هذا الباب، فجمهورهم اقتصر على عدد محدود من الأفعال، وهو المذكور في غالب كتب النحو متسلحين بكثرة الشواهد وشهرة الاستعمال، ولكنهم لم ينصوا على أن عدة أفعال الباب انتهت بما عدوه وذكره، بل أشاروا إلى إمكانية الزيادة عليها؛ لذا كان اتجاه النحاة الأوائل إلى ذكر الضوابط المعنوية لأفعال الباب مع التمثيل ببعضها، ثم توسع من جاء بعدهم تبعاً لما أقروه من الضوابط^(٢).

(١) ينظر: ص ١٦٣-١٦٤ من البحث.

(٢) ينظر: سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان، (ت ١٨٠هـ-٧٩٦م)، الكتاب، ٥، ج، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، عالم الكتب، بيروت: ١، ص ٤٥، ينظر: أبو حيان، محمد بن يوسف، (ت ٧٤٥هـ-٣٤٤م)، ارتشاف الضرب من لسان العرب، ٤، ج، تحقيق: د. رجب عثمان محمد، راجعه: د. رمضان عبدالنواب، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط ١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، ج ٣، ص ١٢٢٢، وأبو حيان، محمد بن يوسف، (ت ٧٤٥هـ-٣٤٤م)، التذليل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، ...، ج، تحقيق: د. حسن هندراوي، كنوز إشبيلية، الرياض، ط ١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، ج ٤، ص ٣٢٨، والسيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر، (ت ٩١١هـ-٥٠٥م)، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، ٤، ج، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط ١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، ج ١، ص ٤١٢.

ويمكن لنا أن نقيّد ضوابط التوسع في باب الأفعال الناسخة استنباطاً مما كتبه النحاة بالنقاط الآتية:

١ - الشاهد الفصيح:

فوجود الشاهد أصل في التقييد النحوي، ثم تفرق النحاة في الإفادة من هذا الشاهد فمنهم من اعتمد على الكثير الشائع، فبنى عليه، ومنهم من تصيد النواذر والشوارد فأجاز القياس عليه.

ووجود الشاهد في باب التوسع في الأفعال الناسخة أصل معتمد؛ لذا فإن الفراء لم يتابع على ما زاده في باب الأفعال الناسخة لأنه ذكره غفلاً من الشواهد^(١).

٢ - انسجام المعنى:

قدمت قريباً المعاني العامة التي تقتضي نسخ المبتدأ والخبر، فكل فعل أمكن لنا أن نجد فيه معنى من تلك المعاني أمكن إدخاله في باب النواسخ بعد أن تتوفر فيه الضوابط الأخرى.

٣ - القرينة الإعرابية:

القرينة الإعرابية هي الأثر الظاهر الذي يدركه السامع والقارئ لمعاني الأفعال العاملة، فالفعل يتوسع في معناه فيصرف عن معناه الظاهر إلى معنى آخر مناسب للأثر الإعرابي، وهذا الأمر يبدو واضحاً في باب التضمين المدلول عليه بالصلة الحرفية^(٢).

(١) ينظر: جمال الدين محمد بن عبدالله الطائي الأندلسي، (ت ٦٧٢هـ - ١٢٧٤م)، شرح التسهيل لابن مالك، ج٤، تحقيق: د. عبدالرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون، هجر للطباعة، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ج١، ص٣٤٤، وأبو حيان، ارتشاف الضرب، ج٣، ص١١٤٨، ونتائج التحصيل في شرح التسهيل، ج٣، ص١١٧٨.

(٢) ينظر: د. هادي الشجيري، التضمين النحوي، ص٢٠٧.

٤ - التأويل القريب:

إن التوسع في معاني الأفعال مدخل من مداخل البلاغة في التعبير، ولكن هذا التوسع يجب أن يخضع لضوابط اللغة لئلا يؤدي الإسراف فيه إلى ضياع المعاني اللغوية؛ لذا رفض كثير من النحاة التوسع في باب الأفعال الناسخة وعدوا الشواهد القليلة الواردة في استعمال بعض الأفعال من باب التضمنين، والتضمنين لا ينفاس عند المحققين من العلماء بل يقتصر فيه على السماع حرصاً على سلامة الألفاظ من التحريف والتأويل البعيد المتكاف.

المبحث الأول: أثر المعنى اللغوي في اتساع باب كان وأخواتها

أول من أشار إلى عدّ أفعال هذا الباب هو سيبويه، فقال في كتابه: ((هذا باب الفعل الذي يتعدى اسم الفاعل إلى اسم المفعول، واسم الفاعل والمفعول فيه لشيء واحد، فمن ثمّ ذكر على حدته ولم يذكر مع الأول، ولا يجوز فيه الاقتصار على الفاعل، كما لم يَجْزُ في (ظننت) الاقتصار على المفعول الأول؛ لأنّ حالك في الاحتياج إلى الآخر ههنا، كحالك في الاحتياج إليه ثمة، وسنبين لك إن شاء الله.

وذلك قولك: كان ويكون، وصار، وما دام، وليس، وما كان نحوهنّ من الفعل ممّا لا يستغني عن الخبر))^(١).

فذكر أربعة من أفعال هذا الباب، وذكر قاعدة عملها التي يمكن على أساسها أن نضيف إليها ما شابهها من الأفعال. قال محمد الدلائي، وهو من شراح التسهيل: ((وأما سيبويه فأورد منها ألفاظاً، ثمّ قال: وما كان نحوهنّ ممّا لا يستغني مرفوعه عن الخبر، فأعطى قانوناً كلياً مضبوطاً به أفعال الباب))^(٢).

(١) سيبويه، ج ١، ص ٤٥.

(٢) محمد بن محمد بن أبي بكر المرابط الدلائي، (ت ١٠٨٩هـ - ١٦٧٨م)، نتائج التحصيل في شرح كتاب التسهيل، ٣، تحقيق: د. مصطفى الصادق العربي، مطابع الثورة للطباعة والنشر، بنغازي، ج ٣، ص ١١٧٩.

وقانون سبويه الكلبي فيه إشارة إلى أنّ أفعال هذا الباب غير محصورة كما يرى الرضي إذ يقول: ((ولم يذكر سبويه منها سوى كان، وصار، وما دام، وليس... والظاهر أنها غير محصورة))^(١).

وفي قانونه أيضاً تنبيه علي سائر أفعال الباب كما يرى ابن يعيش: ((سبويه لم يأت على عدتها، وإنما ذكر بعضها ثم نبّه على سائرها؛ بأن قال: وما كان نحوهنّ من الفعل، ممّا لا يستغني عن الخبر، يريد: ما كان مجرداً من الحدث، فلا يستغني عن منصوب يقوم مقام الحدث))^(٢).

وقد اجتهد النحاة في جمع أفعال هذا الباب على أساس دلالتها وربطها بين معمولها الأول والثاني، فكاد الإجماع يقع على ثلاثة عشر فعلاً، وهي التي اصطلح على تسميتها في كتب النحو بباب كان وأخواتها، وهي: ((كان، وصار، وأصبح، وأمسى، وأضحى، وظلّ، وبات، وما زال، وما برح، وما انفكّ، وما فتئ، وما دام، وليس))^(٣).

وقد توسع نحاة آخرون اعتمدوا المعنى اللغويّ العامّ لهذه الأفعال، فألحقوا ببعض أفعالها أفعالاً أخرى شاركتها في دلالتها العامة، فجعلوا لها من العمل ما

(١) رضي الدين الأستراباديّ، محمد بن الحسن، (ت ٦٨٦هـ - ٢٨٧م)، شرح الرضي على كافية ابن الحاجب، ٤ج، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط ٢، ١٩٩٦م، ج ٢، ص ٢٧٠.

(٢) ابن يعيش، يعيش بن علي، (ت ٦٤٣هـ - ٢٤٥م)، شرح المفصل، ١٠ج، عالم الكتب، بيروت، ج ٧، ص ٩٠.

(٣) الخوارزمي، صدر الأفاضل القاسم بن الحسين، (ت ٦١٧هـ - ٢٢٠م)، التخمير شرح المفصل في صنعة الإعراب، ٤ج، تحقيق: د. عبدالرحمن بن سليمان العثيمين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٩٠م، ج ٣، ص ٢٨٣، وينظر: الجرجاني، عبدالقاهر بن عبدالرحمن، (ت ٤٧١هـ - ١٠٧٩م)، المقتصد في شرح الإيضاح، ٢ج، تحقيق: د. كاظم المرجان، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٢م، ج ١، ص ٣٩٧، وشرح ابن يعيش، ج ٧، ص ٨٩.

لأفعال هذا الباب، ومما ألحقه النحاة المحققون في أفعال هذا الباب اعتماداً على معناها الأفعال الآتية:

أولاً: ما ألحق بـ(ما زال) وأخواتها في العمل لمرادفتها في المعنى:
١- ونى:

ذكره المغاربة وزاده بعض البغداديين وابن مالك في أفعال هذا الباب؛ لأنه في بعض استعمالاته مرادف لـ(ما زال) وأخواتها في المعنى^(١)، فهي تدل على ملازمة الصفة للموصوف مذ كان قابلاً لها، فألحق بها في العمل، فكان من نواسخ الابتداء^(٢).

قال أبو حيان: ((فإن أصحابنا ذكروا (ونى)، وأن بعض البغداديين زادها في أفعال هذا الباب؛ لأن معناها معنى (ما زال)، وذلك: ما ونى زيداً قائماً، أي: ما فتر عن القيام^(٣)؛ ولذلك ألحقها بها))^(٤).

(١) ينظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، (ت ٧١١هـ-٣١١م)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د.ت)، (ونى).

(٢) ينظر: ابن مالك، شرح التسهيل، ج ١، ص ٣٣٣، وشرح الرضي، ج ٤، ص ١٨٦، وأبو حيان، التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، ج ٤، ص ١١٥، والدلائي، نتائج التحصيل في شرح كتاب التسهيل، ج ٣، ص ١١٤١، والأشموني، علي بن محمد، (ت نحو ٩٠٠هـ-٤٩٥م)، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ج ٤، طبع مع حاشية الصبان، ومعه شرح الشواهد للعيني، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد، المكتبة التوفيقية، مصر، ج ١، ص ٣٧٤، والسيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، ج ١، ص ٣٥٦.

(٣) وتفسير أبي حيان لـ(ما ونى زيداً قائماً) بـ(ما فتر عن القيام) لا يستقيم؛ لأن (ونى) بمعنى (فتر) تامة، والتي بمعنى (ما زال) ناقصة، وقد نص النحويون على أن تقييد (ونى) بمرادفة (ما زال) احتراز عن (ونى) بمعنى (فتر)، قال ابن مالك: ((وقيد: ونى ورام الملحقتان بهن بمرادفتها لهن، احتراز من ونى بمعنى فتر)). ابن مالك، شرح التسهيل، ج ١، ص ٣٣٤. وقال أيضاً: ((وتتم ونى بأن يراد بها معنى فتر، وهو أشهر من استعمالها بمعنى دام الناقصة)). ابن مالك، شرح التسهيل، ج ١، ص ٣٤٣.

(٤) أبو حيان، التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، ج ٤، ص ١٢٣، وينظر: ابن عصفور الأشبيلي، (ت ٦٦٩هـ-٢٧١م)، شرح جمل الزجاجي (الشرح الكبير)، ج ٢، تحقيق: د.صاحب أبو جناح، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٤١هـ-١٩٩٩م، ج ١، ص ٣٧٦، والدلائي، نتائج التحصيل في شرح كتاب التسهيل، ج ٣، ص ١١٤٠، وهمع الهوامع، ج ١، ص ٣٥٦.

ويرى ابن مالك أن استعمال (ونى) بمعنى (ما زال) غريب، ولا يكاد النحويون يعرفونه إلا من عني باستقراء الغريب، ومن شواهد استعمالها قوله^(١):

لا يَنِي الخَبُّ شَيْمَةً الحَبِّ ما دا م فلا تَحَسَبَنَّهَ ذا ار عواء
٢- رام:

زاده ابن مالك، كما ذكر أبو حيان^(٢)، إذ جعله مرادفاً لـ (ما زال) وأخواتها في معناها^(٣)، فلحق بها في العمل، فأصبح من نواسخ الابتداء^(٤). واستعمال هذا الفعل استعمال الأفعال الناقصة غريب، كاستعمال (ونى) حسب رأي ابن مالك؛ إذ يقول في تسهيله: ((وهي وونى بمعنى زال غريبتان، ولا يكاد النحويون يعرفونهما إلا من عني باستقراء الغريب))^(٥).

(١) البيت من الخفيف، وهو بلا نسبة في: ابن مالك، شرح التسهيل، ج ١، ص ٣٣٤، والسيوطي، همع الهوامع، ج ١، ص ٣٥٦، وينظر: عبدالسلام محمد هارون، معجم شواهد العربية، مكتبة الخانجي القاهرة، ط ٣، (د.ت)، ص ٣٠، ود.إميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، ج ١٤، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ج ١، ص ٧٧. والخب: الخذاع.

(٢) ينظر: ابن مالك، شرح التسهيل، ج ١، ص ٣٣٣، وأبو حيان، ارتشاف الضرب من لسان العرب، ج ٣، ص ١١٤٨، والسيوطي، همع الهوامع، ج ١، ص ٣٥٢.

(٣) وأكثر ما يرد تشبيهها ببرح، قال صاحب التاج: ((يقال: ما رمت أفعل ذلك، أي: ما برحت)). ينظر: الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، (ت ١٢٠٥هـ-١٧٩١م)، تاج العروس من جواهر القاموس، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط ١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، (ريم).

(٤) ينظر: ابن مالك، محمد بن عبدالله بن مالك الأندلسي، (ت ٦٧٢هـ-١٢٧٤م)، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تحقيق: محمد كامل بركات، القاهرة، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م، ص ٥٢، وشرح التسهيل لابن مالك، ج ١، ص ٣٣٣، وابن عقيل، عبدالله بن عبدالرحمن القرشي، (ت ٧٦٩هـ-١٣٦٨م)، المساعد على تسهيل الفوائد، ج ٤، تحقيق: محمد كامل بركات، دار المدني، ١٩٨٤م-١٤٠٥هـ، ج ١، ص ٢٤٩، وأبو حيان، التذليل والتكميل في شرح التسهيل، ج ٤، ص ١١٥، وشرح الأشموني، ج ١، ص ٣٧٤.

(٥) ابن مالك، شرح التسهيل، ج ١، ص ٣٣٤، وينظر: أبو حيان، التذليل والتكميل في شرح التسهيل، ج ٤، ص ١٢٣، والدلائي، نتائج التحصيل في شرح كتاب التسهيل، ج ٣، ص ١١٤٠، والسيوطي، همع الهوامع، ج ١، ص ٣٥٦.

ومن شواهد استعماله ناقصاً قول الشاعر^(١):

إِذَا رُمْتَ مَمَّنْ لَا يَرِيمُ مَتِيماً سَلُوءاً فَقَدْ أُبْعِدْتَ فِي رَوْمِكَ الْمَرَمَى
ثانياً: ما ألحق بـ (صار) في العمل لموافقتها في المعنى:

قال الأشموني: ((مثل صار في العمل ما وافقها في المعنى من الأفعال،
وذلك عشرة، وهي: أض، ورجع، وعاد، واستحال، وقعد، وحرار، وارتد،
وتحول، وغدا، وراح))^(٢).

وقال السيوطي: ((وألحق قوم بـ صار: أض، وعاد، وآل، ورجع، وحرار،
واستحال، وتحوّل، وارتدّ، وما جاءت حاجتك، وقعدت كأنّها حربة. وقوم: غدا،
وراح. والفراء: أسحر، وأفجر، وأظهر))^(٣). وبما ألحقه الفراء ((تمت أفعال
الباب ثلاثين فعلاً))^(٤).

١- أض:

ألحقه في أفعال هذا الباب كثير من النحاة، منهم: الأعلام الشنتمري،
والزمخشري في مفصله، وتابعه على ذلك شراح المفصل^(٥)، وابن مالك في

(١) البيت من الطويل، وهو بلا نسبة في: ابن مالك، شرح التسهيل، ج ١، ص ٣٣٤، وينظر: د.إميل يعقوب، المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، ج ٧، ص ٧٥.

(٢) شرح الأشموني، ج ١، ص ٣٦١، وينظر: أبو حيان، محمد بن يوسف، (ت ٧٤٥هـ—٣٤٤م)، النكت الحسان في شرح غاية الإحسان، تحقيق: د.عبدالحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ—١٩٨٥م، ص ٦٦.

(٣) السيوطي، همع الهوامع، ج ١، ص ٣٥٢، وينظر: ابن مالك، شرح التسهيل، ج ١، ص ٣٤٤.

(٤) المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٥٩. وتوسع آخرون فقالوا: يدخل في هذا الباب كل فعل يجيء المنصوب به بعد المرفوع لا يستغني عنه تقول: قام زيدٌ كريماً، وذهب زيدٌ متحدثاً، وعاش الفتى مجاهداً في قومه. ينظر: أبو حيان، ارتشاف الضرب، ج ٣، ص ١١٤٨. وسأفصل القول فيما ألحق بـ صار مرتباً إياها على ما أورده السيوطي في الهمع، إذ هو أوسع من عدّها، وأرى أنه سار في ترتيبها على وفق كثرة ورودها، وهذا الضابط ينطبق على الأفعال الواردة في جميع الأبواب.

(٥) ينظر: شرح ابن يعيش، ج ٧، ص ٩٠، والخوارزمي، التخمير شرح المفصل في صنعة الإعراب، ج ٣، ص ٢٨٤.

تسهيله^(١)، وتابعه على ذلك شراح التسهيل^(٢)، وأبو حيان في نكته وارتشافه^(٣)، وغيرهم من النحاة^(٤).

ومن الشواهد الفصيحة التي أوردتها النحاة لاستعمال (أض) بمعنى (صار):

قول زهير في أرض قطعها^(٥):

قطعت إذا ما الال أض كأنه
سُيُوفٌ تَحَّى سَاعَةً ثُمَّ تَلْتَقِي
وقول الآخر^(٦):

وبالمحض حتى أض جعداً عنطنطاً
إذا قام ساوى غارب الفحل غارباً

-
- (١) ينظر: ابن مالك، شرح التسهيل، ج ١، ص ٣٤٤.
- (٢) ينظر: أبو حيان، التذييل والتكميل في شرح التسهيل، ج ٤، ص ١٦١، والدلائلي، نتائج التحصيل في شرح كتاب التسهيل، ج ٣، ص ١١٧٦.
- (٣) ينظر: أبو حيان، النكت الحسان في شرح غاية الإحسان: ٦٦، وأبو حيان، ارتشاف الضرب، ج ٣، ص ١١٤٨.
- (٤) ينظر: ابن أبي الربيع الأشبيلي، عبيدالله بن أحمد القرشي، (٦٨٨هـ—١٢٨٩م)، البسيط في شرح جمل الزجاجي، تحقيق ودراسة عياد بن عيد الثبيني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤٠٧هـ—١٩٨٦م، ج ٢، ص ٦٧٣، والسيوطي، همع الهوامع، ج ١، ص ٣٥٢، وشرح الأشموني، ج ١، ص ٣٦١، وعباس حسن، (١٣٩٨هـ—١٩٧٨م)، النحو الوافي، ج ٤، دار المعارف، مصر، ج ١، ص ٥٥٧. وقد أشار إلى هذا الاستعمال كثير من أصحاب اللغة، ينظر: الأزهرى، محمد بن أحمد، (٣٧٠هـ—٩٨١م)، تهذيب اللغة: تحقيق مجموعة من العلماء، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٤م—١٩٦٧م، (أض)، وابن منظور، لسان العرب، (أض)، والفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، (٨١٧هـ—١٤١٥م)، القاموس المحيط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٠هـ—١٩٨٠م، (أض).

(٥) شرح ديوان زهير، ص ٢٤٨.

(٦) البيت من الطويل، وهو لفرعان بن الأعرف، في ابنه منازل. ينظر: عبدالسلام محمد هارون، معجم شواهد العربية، ص ٥٢، ود.إميل يعقوب، المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، ج ١، ص ١٩٥، والعنطنط: الطويل من الرجال.

وقول الآخر^(١):

رَبِّيْتُهُ حَتَّى إِذَا تَمَعَّدَا وَأَضَّ نَهْدًا كَالْحِصَانِ أَجْرَدَا

٢ - عاد:

زاده في أفعال هذا الباب جمع من النحاة منهم: الأعلام الشنتمري،
والزمخشري، وشرّاح مفصله^(٢)، وابن مالك وشرّاح تسهيله^(٣)، وأبو حيان في
نكته وارتشافه^(٤)، ونحاة آخرون^(٥).

ومن الشواهد الفصيحة التي أوردوها لاستعمال (عاد) بمعنى (صار):

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ (يس: ٣٩)^(٦)، وقوله صلى الله

عليه وسلم لمعاذ: أعدت فتاناً يا معاذ، أي: صرت^(٧).

(١) البيت للعجاج، وفي بعض كتب النحاة: ... كالحسام أجردا، ينظر: ملحق ديوانه، ج ٢،
ص ٢٨١. ويقال للغلام إذا شب وغلظ، قد تمعدد.

(٢) ينظر: شرح ابن يعيش، ج ٧، ص ٩٠، والخوارزمي، التخمير في شرح المفصل، ج ٣،
ص ٢٨٤.

(٣) ينظر: ابن مالك، شرح التسهيل، ج ١، ص ٣٤٤، وأبو حيان، التذييل والتكميل في شرح
التسهيل، ج ٤، ص ١٦١، والدلائي، نتائج التحصيل في شرح كتاب التسهيل، ج ٣،
ص ١١٧٦.

(٤) ينظر: أبو حيان، النكت الحسان في شرح غاية الإحسان: ٦٦، وأبو حيان، ارتشاف
الضرب، ج ٣، ص ١١٤٨.

(٥) ينظر: ابن أبي الربيع الأشبيلي، البسيط في شرح جمل الزجاجي، ج ٢، ص ٦٧٣،
والسيوطي، همع الهوامع، ج ١، ص ٣٥٢، وشرح الأشموني، ج ١، ص ٣٦١، وعباس
حسن، النحو الوافي، ج ١، ص ٥٥٧. وهو معنى مشهور أشار إليه أصحاب معاجم اللغة،
ينظر: الفيومي، أحمد بن محمد، (ت ٧٧٠هـ - ٣٦٩م)، المصباح المنير، المطبعة
الأميرية، القاهرة، ١٩٢٢م، (عود)، والفيروزآبادي، القاموس المحيط، (عود).

(٦) ينظر: ابن أبي الربيع الأشبيلي، البسيط في شرح جمل الزجاجي، ج ٢، ص ٦٦٨.

(٧) ابن الأثير، المبارك بن محمد بن محمد، مجد الدين، (ت ٦٠٦هـ - ١٢١٠م)، النهاية في غريب
الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، دار إحياء التراث العربي،
بيروت، لبنان، (د. ت)، ج ٣، ص ٣١٦، وينظر: ابن منظور، لسان العرب، (عود).

قول الشاعر^(١):

وَكَانَ مُضِلِّي مَنْ هُدَيْتُ بِرُشْدِهِ فَلَلَهُ مُغْوٍ عَادَ بِالرُّشْدِ أَمْرًا

وقول الآخر^(٢):

تَعُدُّ فَيْكُمُ جَزَرَ الْجَزُورِ رِمَاحُنَا وَيَرْجِعُنَ بِالْأَكْبَادِ مُنْكَسِرَاتِ

٣- آل:

ذكره في أفعال هذا الباب بعض النحاة منهم: أبو حيان في النكت الحسان، وارتشاف الضرب^(٣)، والسيوطي في الهمع^(٤)، وقد أكد هذا المعنى بعض اللغويين^(٥).

وذكره ابن مالك في التسهيل، ثم استدرك، وصحح عدم الإلحاق^(٦)، وتابعه في ذلك شراح تسهيله^(٧).

ومما أورده ابن مالك شاهداً على استعمال (آل) بمعنى (صار) قول الشاعر^(٨):

(١) البيت من الطويل، وهو لسواد بن قارب، ينظر: عبدالسلام محمد هارون، معجم شواهد العربية، ص ١٧٨، ود.إميل يعقوب، المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، ج ٣، ص ١٣٨.

(٢) البيت من الطويل، وهو لامرأة من بني عامر، ينظر: أبو حيان، التذليل والتكميل في شرح التسهيل (هامش ٤)، ج ٤، ص ١٦١، ود.إميل يعقوب، المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، ج ١، ص ٥٢٨.

(٣) ينظر: أبو حيان، النكت الحسان في شرح غاية الإحسان: ٦٦، وأبو حيان، ارتشاف الضرب، ج ٣، ص ١١٤٨.

(٤) ينظر: السيوطي، همع الهوامع، ج ١، ص ٣٥٢.

(٥) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، (أول).

(٦) ينظر: ابن مالك، شرح التسهيل، ج ١، ص ٣٤٤.

(٧) ينظر: أبو حيان، التذليل والتكميل في شرح التسهيل، ج ٤، ص ١٦٢، والدلائي، نتائج التحصيل في شرح كتاب التسهيل، ج ٣، ص ١١٧٦.

(٨) قال محقق التذليل والتكميل: البيتان ليسا في مطبوعة شرح المصنف، وهما في النسخة التي حققها الدكتور محمد علي إبراهيم ص ١٠٢ (رسالة دكتوراه)، وقد علق عليهما شراح التسهيل. ينظر: أبو حيان، التذليل والتكميل في شرح التسهيل، ج ٤، ص ١٦٢، والدلائي، نتائج التحصيل في شرح التسهيل، ج ٣، ص ١١٧٦، وهما بلا نسبة في المصادر المتقدمة.

وَعَرُوبٍ غَيْرِ فَاحِشَةٍ مَلَكَتْنِي وَدَهَا حَقْبًا
ثُمَّ آَلَتْ لَا تُلَكْمَنَا كُلُّ حَيٍّ مُعْقِبٌ عَقْبًا

قال أبو حيان: ((ولا حجة في هذا؛ لأنه يحتمل أن يكون (آلت) بمعنى: حَلَفْتُ، و(لا تكلمنا) جواب القسم))^(١).

وقال الدلائي: ((والأصح أن لا يلحق بها (آل) استشعاراً؛ لأن لا دليل فيما أنشده؛ لاحتمال تطرق ذلك الاحتمال))^(٢).

٤- رجوع:

زاده في أفعال هذا الباب جمع من النحاة منهم: ابن مالك وشرّاح تسهيله^(٣)، وأبو حيان في نكته وارتشافه^(٤)، ونحاة آخرون^(٥).

ومن الشواهد الفصيحة التي ذكروها لاستعمال (رجع) بمعنى (صار)^(٦):
قوله صلى الله عليه وسلم: ((لا تَرْجِعُوا بَعْدِي كَفَّاراً يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ))^(٧). قال ابن مالك في شواهد التوضيح: ((قلت: مما خفي على أكثر

(١) أبو حيان، التذييل والتكميل في شرح التسهيل، ج٤، ص١٦٢.

(٢) الدلائي، نتائج التحصيل في شرح التسهيل، ج٣، ص١١٧٦.

(٣) ينظر: ابن مالك، شرح التسهيل، ج١، ص٣٤٤، وأبو حيان، التذييل والتكميل في شرح التسهيل، ج٤، ص١٦١، والدلائي، نتائج التحصيل في شرح كتاب التسهيل، ج٣، ص١١٧٦.

(٤) ينظر: أبو حيان، النكت الحسان في شرح غاية الإحسان: ٦٦، وأبو حيان، ارتشاف الضرب، ج٣، ص١١٤٧.

(٥) ينظر: السيوطي، همع الهوامع، ج١، ص٣٥٢، وشرح الأشموني، ج١، ص٣٦١، وعباس حسن، النحو الوافي، ج١، ص٥٥٧.

(٦) ينظر: نتائج التحصيل في شرح التسهيل، ج٣، ص١١٧٤، والسيوطي، همع الهوامع، ج١، ص٣٥٧.

(٧) أخرجه البخاري في كتاب العلم - باب الإنصات للعلماء، ج١، ص٣٥.

النحويين استعمال رجع كصار معنى وعملاً، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: لا ترجعوا بعدي كفاراً، أي: لا تصيروا^(١).

وحمله بعض من أدخله في باب كان على تضمينه معنى صار، قال السمين الحلبي: ((وزعم بعضهم أنه يُضْمَنُ معنى صار، فيرفع الاسم وينصب الخبر، وجعل منه قوله عليه السلام: لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، ومن منع من جريانه مجرى صار جعل المنصوب حالاً))^(٢).

ومن الشواهد أيضاً^(٣):

قول الشاعر^(٤):

وَيَرْجِعْنَ بِالْأَكْبَادِ مُنْكَسِرَاتٍ

.....

وقول الآخر^(٥):

قَدْ يَرْجِعُ الْمَرْءُ بَعْدَ الْمَقْتِ ذَا مَقَّةٍ بِالْحِلْمِ فَاذْرَأْ بِهِ بَعْضَاءَ ذِي إِحْنٍ

(١) ابن مالك، محمد بن عبدالله بن مالك الأندلسي، (ت ٦٧٢هـ - ١٢٧٤م)، شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، تحقيق: د. طه محسن، مكتبة ابن تيمية، ط ٢، ١٤١٣هـ، ص ١٩٧.

(٢) السمين الحلبي، أحمد بن يوسف، (ت ٧٥٦هـ - ١٣٥٥م)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ١١ ج، تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، دار القلم - دمشق، ط ١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ج ١، ص ١٦٦-١٦٧.

(٣) ينظر: أبو حيان، التذييل والتكميل في شرح التسهيل، ج ٤، ص ١٦٢.

(٤) تقدم القول فيه في الفعل (عاد).

(٥) البيت من البسيط، وهو بلا نسبة في: أبو حيان، التذييل والتكميل في شرح التسهيل، ج ٤، ص ١٦٢، وينظر: عبدالسلام محمد هارون، معجم شواهد العربية، ص ٥٢٠.

٥- حار:

زاده في أفعال هذا الباب جمع من النحاة منهم: ابن مالك وشرّاح تسهيله^(١)، وأبو حيان في نكته وارتشافه^(٢)، ونحاة آخرون^(٣).
ومن الشواهد الفصيحة التي ذكرها النحاة على استعمال (حار) بمعنى صار:

قول لبيد بن ربيعة^(٤):

وما المرءُ إلّا كالشَّهَابِ وضوئِهِ يَحُورُ رماداً بعدَ إذْ هُوَ سَاطِعُ

٦- استحال:

زاده في أفعال هذا الباب جمع من النحاة منهم: ابن مالك وشرّاح تسهيله^(٥)، وأبو حيان في نكته وارتشافه^(٦)، ونحاة آخرون^(٧).
ومن الشواهد الفصيحة التي ذكرها النحاة على استعمال (استحال) بمعنى صار:

(١) ينظر: ابن مالك، شرح التسهيل، ج١، ص٣٤٤، وأبو حيان، التذليل والتكميل في شرح التسهيل، ج٤، ص١٦١، والدلائي، نتائج التحصيل في شرح كتاب التسهيل، ج٣، ص١١٧٤.

(٢) ينظر: أبو حيان، النكت الحسان في شرح غاية الإحسان: ٦٦، وأبو حيان، ارتشاف الضرب، ج٣، ص١١٤٨.

(٣) ينظر: السيوطي، همع الهوامع، ج١، ص٣٥٨، وشرح الأشموني، ج١، ص٣٦١، وعباس حسن، النحو الوافي، ج١، ص٥٥٧.

(٤) وهو من الطويل، ديوان لبيد بن ربيعة العامري (ت ٤١هـ-٦٦١م): دار صادر، بيروت، ص٨٨.

(٥) ينظر: ابن مالك، شرح التسهيل، ج١، ص٣٤٤، وأبو حيان، التذليل والتكميل في شرح التسهيل، ج٤، ص١٦١، والدلائي، نتائج التحصيل في شرح كتاب التسهيل، ج٣، ص١١٧٤.

(٦) ينظر: أبو حيان، النكت الحسان في شرح غاية الإحسان: ٦٦، وأبو حيان، ارتشاف الضرب، ج٣، ص١١٤٨.

(٧) ينظر: السيوطي، همع الهوامع، ج١، ص٣٥٨، وشرح الأشموني، ج١، ص٣٦١، وعباس حسن، النحو الوافي، ج١، ص٥٥٧.

قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((فَاسْتَحَالَتْ فِي يَدِهِ غَرْبًا))^(١)، ومثله قول الشاعر^(٢):

إِنَّ الْعَدَاوَةَ تَسْتَحِيلُ مَوَدَّةً بَتَّادَارِكِ الْهَفَوَاتِ بِالْحَسَنَاتِ
٧- تحوّل:

زاده في أفعال هذا الباب جمع من النحاة منهم: ابن مالك وشرّاح تسهيله^(٣)، وأبو حيان في نكته وارتشافه^(٤)، ونحاة آخرون^(٥).

ومن الشواهد الفصيحة التي ذكرها النحاة على استعمال (تحوّل) بمعنى صار:

قول امرئ القيس^(٦):
وَبُدِّلْتُ قَرْحًا دَامِيًا بَعْدَ صِحَّةٍ فَيَا لَكَ مِنْ نَعْمَى تَحَوَّلْنَ أَبُوْسَاءَ

(١) البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل، (ت ٢٥٦هـ - ٨٧٠م)، صحيح البخاري (الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه)، ج ٥، تحقيق: محب الدين الخطيب، وترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي، وأشرف على طبعه: قصي محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، ط ١، ١٤٠٠هـ، رواه البخاري في التعبير (باب ٢٨، حديث ٧٠١٩).

(٢) البيت من الكامل، وهو بلا نسبة في: السيوطي، همع الهوامع، ج ١، ص ٣٥٨، وينظر: عبدالسلام محمد هارون، معجم شواهد العربية، ص ٩٢، ود. إميل يعقوب، المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، ج ١، ص ٥٣٧.

(٣) ينظر: ابن مالك، شرح التسهيل، ج ١، ص ٣٤٤، وأبو حيان، التذييل والتكميل في شرح التسهيل، ج ٤، ص ١٦١، والدلائي، نتائج التحصيل في شرح كتاب التسهيل، ج ٣، ص ١١٧٤.

(٤) ينظر: أبو حيان، النكت الحسان في شرح غاية الإحسان: ٦٦، وأبو حيان، ارتشاف الضرب، ج ٣، ص ١١٤٨.

(٥) ينظر: السيوطي، همع الهوامع، ج ١، ص ٣٥٨، وشرح الأشموني، ج ١، ص ٣٦١، وعباس حسن، النحو الوافي، ج ١، ص ٥٥٧.

(٦) البيت من الطويل، ديوان امرئ القيس وملحقاته بشرح أبي سعيد السكري، (ت ٢٧٥هـ - ٨٨٨م): دراسة وتحقيق: د. أنور عليان أبو سويلم، ود. محمد علي الشوابكة، مركز زايد للتراث والتاريخ - العين، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ٥٥١، وفي بعض المصادر النحوية يروى: لعل منايانا تحول أبوْساء. ينظر: الدلائي، نتائج التحصيل، ج ٣، ص ١١٧٤.

ومثله قول الآخر^(١):

لَا يُؤَسِّنُكَ سُؤْلُ عَيْقٍ عَنْكَ فَكَمْ بُؤْسٍ تَحَوَّلَ نَعْمَى أَنْسَتِ النَّقَمَا

٨ - ارتد:

زاده في أفعال هذا الباب جمع من النحاة منهم: ابن مالك وشرّاح

تسهيله^(٢)، وأبو حيان في نكته وارتشافه^(٣)، ونحاة آخرون^(٤).

قال ابن مالك: ((وإنما استحق ارتدّ أن يكون بمعنى صار؛ لأنه مطاوع ردّ

بمعنى صير))^(٥).

ومن الشواهد الفصيحة التي ذكرها النحاة على استعمال (ارتدّ) بمعنى صار:

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ، فَارْتَدَّ بَصِيرًا﴾ (يوسف: ٩٦).

قال السمين الحلبي: ((وفي (بصيراً) وجهان، أحدهما: أنه حال، أي: رجع في

هذه الحال، والثاني: أنه خبرها؛ لأنها بمعنى صار عند بعضهم))^(٦).

٩ - جاء:

أول من أشار إلى إلحاق (جاء) بـ(صار) إلحاقاً مقيداً هو سيبويه، إذ يقول:

((ومثل قولهم: من كان أخاك؟ قول العرب: ما جاءت حاجتك؟ كأنه قال: ما

صارت حاجتك... وإنما صيرّ جاء بمنزلة كان في هذا الحرف وحده؛ لأنه بمنزلة

(١) البيت بلا نسبة في ابن مالك، شرح التسهيل، ج ١، ص ٣٤٧.

(٢) ينظر: ابن مالك، شرح التسهيل، ج ١، ص ٣٤٤، وأبو حيان، التذييل والتكميل في شرح التسهيل،

ج ٤، ص ١٦١، والدلائي، نتائج التحصيل في شرح كتاب التسهيل، ج ٣، ص ١١٧٤.

(٣) ينظر: أبو حيان، النكت الحسان في شرح غاية الإحسان: ٦٦، وأبو حيان، ارتشاف الضرب،

ج ٣، ص ١١٤٨.

(٤) ينظر: السيوطي، همع الهوامع، ج ١، ص ٣٥٨، وشرح الأشموني، ج ١، ص ٣٦١، وعباس حسن،

النحو الوافي، ج ١، ص ٥٥٧.

(٥) ابن مالك، شرح التسهيل، ج ١، ص ٣٤٧.

(٦) السمين الحلبي، الدر المصون، ج ٦، ص ٥٥٧.

المثل))^(١)، وتابعه على ذلك شراح كتابه، يقول السيرافي: ((فأما قول العرب: ما جاءت حاجتك؟ فقد أجروها مجرى صارت، وجعلوا لها اسماً وخبراً هو الاسم، كما كان ذلك في باب كان وأخواتها... وجعل (جاء) بمنزلة (صار)، وإدخالها على اسم وخبر هو غير معروف إلا في هذا، وهو من أمثال العرب))^(٢).

ثم زاده في أفعال هذا الباب جمع من النحاة على تباين في طرد هذا الاستعمال، منهم: ابن الحاجب، والأولى عنده طرد جاء في جميع المواضع^(٣)، فقد نقل عنه الدلائي قوله في أمالي المفصل: ((في (جاء البرُّ قفيزين)، اختلف في نصب القفيزين فقيل: على الحالية، والأولى أنه على الإخبار، لفضلية الحال، وأن المعنى على الصيرورة، وأن القفيزين محط الفائدة، تقول: كَلْتُ البرُّ، فجاء قفيزين... واعتل له بعض بأن ليس القصدُ صيرورته على ذلك بعد أن لم يكن عليها، بل إنه جاء مفصلاً مجعولاً انتقله من الجهل به إلى العلم به))^(٤).

وجعلها الزمخشري بمعنى صار في قول العرب: (ما جاءت حاجتك؟) خاصة، وتابعه على ذلك شراح مفصله^(٥)، وأبو حيان في ارتشافه^(٦)، ونحاة آخرون^(٧).

(١) سيبويه، الكتاب، ج ١، ص ٥٠، وعنه نقل أصحاب اللغة، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، (جياً).

(٢) أبو سعيد السيرافي، (ت٣٦٨هـ-٩٧٩م)، شرح كتاب سيبويه، ج ٥، حققه: د.رمضان عبدالنواب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م، ج ٢، ص ٣٨٧.

(٣) ينظر: الدلائي، نتائج التحصيل في شرح التسهيل، ج ٣، ص ١١٧٦، ومحمد بن علي الصبان، (ت١٢٠٦هـ-١٧٩٢م)، حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ج ٤، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م، ج ١، ص ٣٦٢.

(٤) الدلائي، نتائج التحصيل في شرح التسهيل، ج ٣، ص ١١٧٥.

(٥) ينظر: شرح ابن يعيش، ج ٧، ص ٩٠، والخوارزمي، التخمير في شرح المفصل، ج ٣، ص ٢٨٤.

(٦) ينظر: أبو حيان، ارتشاف الضرب، ج ٣، ص ١١٤٨.

(٧) ينظر: السيوطي، همع الهوامع، ج ١، ص ٣٥٢، وشرح الأشموني، ج ١، ص ٣٦٢، وعباس حسن، النحو الوافي، ج ١، ص ٥٥٧. وقال ابن أبي الربيع: ((ولا أعلم خلافاً أن جاء لم تستعمل بمعنى صار إلا في هذا الموضع وحده)). ابن أبي الربيع الأشبيلي، البسيط في شرح جمل الزجاجي، ج ٢، ص ٦٦٩، أقول: قدمت أن ابن الحاجب يرى استعمالها في غير الموضع المشار إليه.

وجعل ابن مالك إلحاق (جاء) بصار في قول العرب: ما جاءت حاجتك؟ من النادر^(١)، وتابعه على ذلك شراح التسهيل^(٢).

وأما قول العرب: ما جاءت حاجتك؟ فقد رواه سيبويه عن بعض العرب، قال الأشموني: ((وحكى سيبويه عن بعضهم: ما جاءت حاجتك؟ بالنصب والرفع، بمعنى: ما صارت؟ فالنصب على أن ما استفهامية مبتدأ، وفي جاءت ضمير يعود على ما، وأدخل التأنيث على ما؛ لأنها هي الحاجة، وذلك الضمير هو اسم جاءت، وحاجتك خبر، والتقدير: أية حاجة صارت حاجتك؟ وعلى الرفع: حاجتك اسم جاءت وما خبرها))^(٣).

وقال ابن يعيـش في تفصيل سبب إعمال (جاء): ((وقد قالت العرب: ما جاءت حاجتك؟ بتأنيث جاء وإلحاقه التاء، ونصب حاجتك.

وأول من تكلم به الخوارج حين أتاهم ابن عباس يدعوهم إلى الحق من قبل علي عليه السلام، فأجروا جاء ههنا مجرى صار، وجعلوا لها اسماً وخبراً، ويكون المنصوب هو المرفوع كما يكون ذلك في كان لما بينهما من الشبه، وذلك أن قولك: جاء زيد إلى عمرو كقولك: صار زيد إلى عمرو؛ لأن في جاء الانتقال مثل ما في صار؛ فلما كانت في معناها أجريت مجراها، فـ(ما) اسم مبتدأ مرفوع الموضع، وجاءت فعل ماضٍ فيه ضمير مرفوع يعود إلى (ما)، وأنت حملاً على المعنى؛ لأن (ما) هو الحاجة في المعنى، والتقدير: أي حاجة جاءت حاجتك؟

(١) ينظر: ابن مالك، شرح التسهيل، ج ١، ص ٣٤٤.

(٢) ينظر: أبو حيان، التذليل والتكميل في شرح التسهيل، ج ٤، ص ١٦٣، الدلائي، ونتائج التحصيل في شرح التسهيل، ج ٣، ص ١١٧٥.

(٣) شرح الأشموني: ١، ص ٣٦٢، وينظر: سيبويه، الكتاب، ج ١، ص ٥٠-٥١.

وحاجتك منصوبة؛ لأنها الخبر، والجملة خبر (ما)... ولا عهد لنا بـ(جاء) في معنى صار إلا في هذا المثل^(١).

١٠ - قَعَدَ:

أول إشارة إلى استعمال (قعد) بمعنى صار استعمالاً مطرداً نقلها ابن مالك عن الفراء والكسائي، فقال: ((والفراء يرى استعمال قعد بمعنى صار مطرداً، وجعل من ذلك قول الراجز^(٢)):

لا يُقْنَعُ الجاريةَ الخِضَابُ ولا الوشاحانِ ولا الجلبابُ
من دون أن تلتقي الأركابُ ويقعد الأربُ له لعابُ

وحكى الكسائي: قعد لا يسأل حاجةً إلا قضاها، بمعنى: صار، ويمكن أن يكون من ذلك قول الشاعر^(٣):

ما يقسمُ اللهَ أقبلَ غيرَ مُبتَسِّسٍ منه وأقعدُ كريماً ناعمَ البالِ^(٤).

ويرى الزمخشري في (مفصله) أن استعمال (قعد) بمعنى (صار) في قولهم: (أرهِفْ شَفْرَتَهُ حَتَّى قَعَدَتْ كَأَنَّهَا حَرْبَةٌ)، نظير استعمال جاء بمعنى صار^(٥)، وتابعه على ذلك شراح المفصل، قال ابن يعيش: ((ونظيره، أي نظير الفعل جاء في الاستعمال الخاص، قعد في قول الأعرابي: أرهِفْ شَفْرَتَهُ حَتَّى قَعَدَتْ كَأَنَّهَا حَرْبَةٌ، ففي قعدت ضمير يعود إلى الشفرة، وكان واسمها وخبرها في موضع نصب

(١) شرح ابن يعيش، ج ٧، ص ٩١، وينظر: السيرافي، شرح كتاب سيبويه، ج ٢، ص ٣٨٧.
(٢) الرجز بلا نسبة في اللسان (ركب)، وينظر: د.إميل يعقوب، المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، ج ٩، ص ٨٩.

(٣) البيت من البسيط، وهو لحسان بن ثابت، ينظر: شرح ديوان حسان بن ثابت: ١٩٢.
(٤) ابن مالك، شرح التسهيل، ج ١، ص ٣٤٨، وينظر: الفراء، يحيى بن زياد، (ت ٢٠٧هـ) —
١٨٢٢م)، معاني القرآن، ج ٣، تحقيق: الأول: نجاتي والنجار، والثاني: النجار، والثالث: شلبي، عالم الكتب - بيروت، ط ٣، ١٩٨٣م، ج ٢، ص ٢٧٤.
(٥) ينظر: شرح ابن يعيش، ج ٧، ص ٩٠.

خبر قعدت، وليس المراد القعود الذي هو في معنى الجلوس، وإنما المراد الصيرورة والانتقال فلذلك ضاهت صار فاعرفه^(١).

ولكنه في الكشاف توسع في استعمال قعد، فجعل منه قوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ (الإسراء: ٢٢)، فقال: ((فتقعد: من قولهم: شخذ شفرته حتى قعدت كأنها حربية، بمعنى: صارت، يعني: فتصير جامعاً على نفسك الذمّ وما يتبعه من الهلاك من إهلك، والخذلان والعجز عن النصره ممّن جعلته شريكاً له))^(٢).

ويرى ابن الحاجب طرد (قعد) بمعنى صار في مثل الموضع المستعمل فيه، فلا يقال: قعد كاتباً، بمعنى: صار، بل: قعد كأنه سلطان، لكونه مثل: قعدت كأنها حربية، واستحسنه المحقق الرضي^(٣).

وجعل ابن مالك إلحاق (قعد) بـ(صار) من النادر، وذلك في قولهم: أرفه شفرته حتى قعدت كأنها حربية، وصحّ عدم إطلاقه^(٤)، وتابعه على ذلك بعض شرّاح التسهيل^(٥)، ونحاة آخرون، قال ابن أبي الربيع: ((والذي يظهر لي أن العرب لم تستعمل قعد بمعنى صار إلا في هذا الموضع خاصة))^(٦).

(١) شرح ابن يعيش، ج٧، ص٩١، وينظر: الخوارزمي، التخمير في شرح المفصل، ج٣، ص٢٨٤.

(٢) الزمخشري، محمود بن عمر، (ت٥٣٨هـ—١١٤٤م)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج٦، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض، مكتبة العبيكان - الرياض، ط١، ١٤١٨هـ—١٩٩٨م، ج٣، ص٥٠٦، وينظر: السيوطي، همع الهوامع، ج١، ص٣٥٩.

(٣) ينظر الرضي، شرح الكافية، ج٤، ص١٨٨، والدلائي، نتائج التحصيل في شرح التسهيل، ج٣، ص١١٧٦.

(٤) ينظر: ابن مالك، شرح التسهيل، ج١، ص٣٤٧.

(٥) ينظر: أبو حيان، التذييل والتكميل في شرح التسهيل، ج٤، ص١٦٤، والدلائي، نتائج التحصيل في شرح التسهيل، ج٣، ص١١٧٧.

(٦) ابن أبي الربيع الأشبيلي، البسيط في شرح جمل الزجاجي، ج٢، ص٦٦٩.

ثالثاً: ما ألحق بـ(أضحى وأخواتها) لاشتراكها في الدلالة المؤقتة:

٢-١: غداً وراح:

ألحقهما في أفعال هذا الباب جمع من النحاة، منهم: الزمخشري^(١)، وشراح مفصله^(٢)، والجزولي^(٣)، وابن عصفور^(٤)، وأبو البقاء^(٥)، وابن أبي الربيع الأشبيلي^(٦)، وشمس الدين الكيشي^(٧).

ويبدو أنّ لبعض النحاة أكثر من وجه في إلحاق هذين الفعلين بباب كان، قال ابن عصفور: ((وأما غدا وراح فيستعملان تامين وناقصين، فإذا استعملتا تامين دلّا على دخول الفاعل في الوقت الذي اشتقّا من اسمه على حسب ما تقتضيه الصيغة من مُضيٍّ أو غيره، فتقول: غداً زيدٌ وراح، أي: دخل في الغدوّ والرواح.

وقد يدلان على إيقاع الفاعل شيئاً في الوقت الذي اشتقّا منه، يقال: غداً زيدٌ وراح، أي: مشى في الغدوّ والرواح.

(١) ينظر: ابن يعيش، ج٧، ص٩٠.

(٢) ينظر: شرح ابن يعيش، ج٧، ص٩١، والخوارزمي، التخمير في شرح المفصل، ج٣، ص٢٨٤.

(٣) ينظر: الجزولي، عيسى بن عبدالعزيز، (ت٦٠٧هـ-١٢١١م)، المقدمة الجزولية في النحو، تحقيق: شعبان عبدالوهاب محمد، القاهرة، ط١، ٩٨٨م، ص١٠٤.

(٤) ينظر: المقرب: ١٠١، وشرح الجمل لابن عصفور، ج١، ص٣٧٦.

(٥) ينظر: إعراب لامية الشنفرى: ٧٩، وأبو حيان، ارتشاف الضرب، ج٣، ص١١٤٨، والسيوطي، همع الهوامع، ج١، ص٣٥٢.

(٦) ابن أبي الربيع الأشبيلي، البسيط في شرح جمل الزجاجي، ج٢، ص٦٧٣.

(٧) ينظر: شمس الدين الكيشي، محمد بن أحمد، (ت٦٩٥هـ-١٢٩٦م)، الإرشاد إلى علم الإعراب، تحقيق: د. عبدالله علي الحسيني البركاتي، د.محسن سالم العميري، جامعة أم

القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م، ص١٤٦، ١٥١.

وإذا استعملنا ناقصين جاز أن يكون فيهما ضمير الأمر والشأن وأن لا يكون، ويكونان إذ ذاك للدلالة على اقتران مضمون الجملة بالزمان الذي اشتقّا منه، وذلك نحو: غداً زيدٌ قائماً، أي: وقع قيامه في وقت الغدوّ، وراح عبدالله منطلقاً، أي: وقع انطلاقه وقت الرواح. وقد يكونان بمعنى صار، فتقول: غداً زيدٌ ضاحكاً، وراح عبدالله منطلقاً، أي: صار في حال ضحك أو انطلاق))^(١).

وصحح ابن مالك في التسهيل عدم إلحاقها في باب كان فقال: ((وألحق قوم بأفعال هذا الباب: غدا وراح، وقد يستشهد على ذلك بقول ابن مسعود رضي الله عنه: (اغد عالماً أو متعلماً ولا تكن إمعة)^(٢)، وبقول النبي صلى الله عليه وسلم: (لو توكلتم على الله حقّ توكله لرزقكم كما تُرزقُ الطير، تغدو خماصاً، وتروح بطناً)^(٣)، والصحيح أنهما ليسا من الباب، وإنما المنصوبُ بعدهما حالٌ؛ إذ لا توجد إلّا نكرة))^(٤). وتابعه على ذلك شراح التسهيل^(٥).

٣-٤-٥: أسحر، وأفجر، وأظهر:

انفرد الفراء بحسب المصادر التي اطلعت عليها في إلحاق هذه الأفعال بباب كان، فقد نسب إليه جمع من النحاة هذا الإلحاق في كتاب الحدود^(٦).

-
- (١) ابن عصفور الأشبيلي، (ت ٦٦٩هـ - ١٢٧١م)، شرح جمل الزجاجي (الشرح الكبير)، ج ١، ص ٤١٦، وينظر: الدلائي، نتائج التحصيل في شرح كتاب التسهيل، ج ٣، ص ١١٧٨، والسيوطي، همع الهوامع، ج ١، ص ٣٥٩.
- (٢) السخاوي، المقاصد الحسنة: ١٢٩.
- (٣) مسند الإمام أحمد (حديث رقم ٢٠٥)، ج ١، ص ٣٣٢.
- (٤) ابن مالك، شرح التسهيل، ج ١، ص ٣٤٨.
- (٥) ينظر: أبو حيان، التذييل والتكميل في شرح التسهيل، ج ٤، ص ١٦٦، والدلائي، نتائج التحصيل في شرح كتاب التسهيل، ج ٣، ص ١١٧٨.
- (٦) ينظر: أبو حيان، التذييل والتكميل في شرح التسهيل، ج ٤، ص ١٦٧، وابن عقيل، المساعد، ج ١، ص ٢٠٦، والسيوطي، همع الهوامع، ج ١، ص ١١٢.

ولم أجد أحداً من النحاة وافقه على هذا الإلحاق إلا ابن سعدان الكوفي في (أظهر) إذ ذكرها في باب كان^(١)، أما جمهور النحاة فقد خالفوه في ذلك، بدعوى أنه لم يورد شاهداً على هذا الإلحاق^(٢).

قال السيوطي: ((وأحق الفراء بها: أسحر، وأفجر، وأظهر ذكرها في كتاب الحدود. قال أبو حيان: ولم يذكر لها شاهداً على ذلك))^(٣).

المبحث الثاني: أثر المعنى اللغوي في اتساع باب أفعال المقاربة

هذا هو القسم الثاني من أقسام الأفعال الناسخة للابتداء، وتسميتها بذلك على سبيل التغليب إذ هي ثلاثة أقسام: أحدها: ما هو لمقاربة الفعل، والثاني: ما هو لترجي الفعل، والثالث: ما هو للشروع في الفعل^(٤).

وعدة أفعال هذا الباب تتفاوت، كما سيأتي تفصيله، تبعاً لاجتهاد النحاة في استقراء كلام العرب، ومنهجهم في التعامل مع الشواهد في تعديد القواعد، فمن أطال التأمل وبالغ في الاستقراء، وبنى على الشواهد الفصيحة القليلة، كثرَ عنده العدد، ومن تأول المعاني واشترط كثرة الشواهد قلَّ عنده العدد؛ لذا فهي عند بعضهم عشرة أفعال، وتصل عند آخرين إلى أربعين إلى أربعين فعلاً^(٥).

(١) ابن سعدان الكوفي، (ت ٢٣١هـ - ٨٤٦م) مختصر في النحو، دراسة وتحقيق: د. حسين أحمد بو عباس، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية السادسة والعشرون، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ص ٦٤.

(٢) ينظر: ابن مالك، شرح التسهيل: ١، ص ٣٤٤، وأبو حيان، ارتشاف الضرب، ج ٣، ص ١١٤٨، ونتائج التحصيل في شرح التسهيل، ج ٣، ص ١١٧٨.

(٣) السيوطي، همع الهوامع، ج ١، ص ٣٥٩، وينظر: أبو حيان، ارتشاف الضرب، ج ٣، ص ١١٤٨، أبو حيان، التذييل والتكميل في شرح التسهيل، ج ٤، ص ١٦٧.

(٤) ينظر: ابن مالك، شرح التسهيل، ج ١، ص ٣٨٩، وأبو حيان، التذييل والتكميل في شرح التسهيل، ج ٤، ص ٣٢٧.

(٥) ينظر: السيوطي، همع الهوامع، ج ١، ص ٤١٢، وشرح الأشموني، ج ١، ص ٤٠٥.

وإنما اختلف النحاة في عدد أفعال هذا الباب بأقسامه الثلاثة تبعاً لاجتهادهم في استقراء الشواهد الفصيحة واستنباط معاني الأفعال منها؛ لذا فإنني أرى أن المعنى اللغوي الذي يوافق العنوان، مع الشاهد الفصيح، هو بطاقة الفعل للدخول في أفعال هذا الباب، وما اختلف النحاة في عدد أفعال هذا الباب إلا اختلف في المعاني التي رأوها في تلك الأفعال بحسب ما وردهم من الشواهد التي خرجت فيها الأفعال عن معناها الظاهر المشهور إلى معنى يقارب معاني هذا الباب بأقسامه الثلاثة، فسلكوها في هذا الباب وأعطوها من العمل ما تستحقه أفعال هذا الباب الرئيسة.

أولاً: أفعال المقاربة:

يقصد بالمقاربة في هذا الباب: أن هذه الأفعال تفيد مقاربة وقوع الفعل الكائن في أخبارها، ولهذا المعنى كانت محمولة على باب كان في رفع الاسم ونصب الخبر، والجامع بينهما دخولهما على المبتدأ والخبر، وإفادة المعنى في الخبر^(١).

وعنوانها، الذي هو المقاربة، هو الضابط في توسيع عدد أفعالها؛ لذا فقد اختلفت عدتها في كتب النحاة، فمنهم من يقتصر على ثلاثة أفعال، هي: كاد، كرب، وأوشك.

وهذا رأي ابن مالك في الألفية، وتابعه على ذلك شراحها^(٢)، قال ابن هشام: ((ما وضع للدلالة على قرب الخبر، وهو ثلاثة: كاد، وكرب، وأوشك))^(٣).

(١) ينظر: شرح ابن يعيش، ج٧، ص١١٥، وشرح الأشموني، ج١، ص٤٠٥.

(٢) ينظر: بدر الدين الحسن بن قاسم المرادي، (ت٧٤٩هـ-١٣٤٨م)، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، ج٣، تحقيق: أحمد محمد عزوز، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، ج١، ص٥١٥، وشرح الأشموني، ج١، ص٤٠٥.

(٣) خالد زين الدين بن عبدالله الأزهرى، (ت٩٠٥هـ-١٥٠٠م)، التصريح بمضمون التوضيح، ج٥، تحقيق: د. عبدالفتاح بحيري إبراهيم، القاهرة، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م، ج١، ص٢٧٧.

ومنهم من يزيد على ذلك، فيوصلها إلى خمسة أفعال، وهذا رأي ابن مالك في شرح التسهيل؛ إذ يقول: ((ولمقاربتة: هَلْهَلْ وَكَادَ وَكَرَبَ وَأَوْشَكَ وَأَوْلَى))^(١). ومنهم من يوصلها إلى ستة أفعال؛ فيزيد (أَلَمَّ)، قال السيوطي: ((ما هو لمقاربة الفعل، وهو ستة ألفاظ، أشهرها: كاد، وأغربها أَوْلَى... والبواقي: كرب بفتح الراء وكسرهما، والفتح أفصح، وزعم بعضهم: أنها من أفعال الشروع، وأوشك، وهلهل... وألمَّ، ومن شواهدنا حديث: (وَإِنَّ مِمَّا يَنْبَغُ الرَّبِيعُ يَقْتُلُ أَوْ يُلْمُ)^(٢)، أي: يلمُّ أَنْ يَقْتُلَ، وحديث: (فَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدَّرَهُ لِأَلَمِّ أَنْ يَذْهَبَ بَصْرَهُ)^(٣))).^(٤)

ثانياً: أفعال الرجاء:

ومعنى الرجاء في أفعال هذا الباب: هو ترقّب الخير، والأمل في تحقّق وقوعه، وقد يدل بعض أفعاله على الإشفاق من الفعل، وهو عسى، ومعنى الإشفاق: هو الخوف من أمر مكروه^(٥). والذي أجمع عليه النحاة على أنه من أفعال الرجاء حسب قول السيوطي فعلان، هما: عسى، واخولق^(٦).

ثم زاد ابن طريف، والسرقسطي، وابن مالك: حرى^(٧).

(١) ابن مالك، شرح التسهيل، ج ١، ص ٣٨٩، وينظر: أبو حيان، التذليل والتكميل في شرح التسهيل، ج ٤، ص ٣٢٧.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب ٤٧، ج ١، ص ٤٥٣.

(٣) أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبدالله، (ت ٤٣٠هـ - ١٠٣٩م)، صفة الجنة، ج ٢، دراسة وتحقيق: علي رضا بن عبدالله بن علي رضا، دار المأمون للتراث، دمشق، ط ٢، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، أخرجه أبو نعيم في صفة الجنة (حديث رقم ٢٨٠)، ج ٢، ص ١٢٥.

(٤) السيوطي، همع الهوامع، ج ١، ص ٣٥٩.

(٥) ينظر: عباس حسن، النحو الوافي، ج ١، ص ٦٢٢.

(٦) ينظر: السيوطي، همع الهوامع، ج ١، ص ٤٠٩.

(٧) ينظر: ابن مالك، شرح التسهيل، ج ١، ص ٣٨٩، وأبو حيان، ارتشاف الضرب، ج ٣،

ص ١٢٢٣، والسيوطي، همع الهوامع، ج ١، ص ٤٠٩.

ثالثاً: أفعال الشروع:

ومعنى الشروع في أفعال هذا الباب هو البدء والمباشرة بمضمون الخبر الفعليّ في المبتدأ. وقد عدّها ابن مالك في ألفيته خمسة أفعال، هي: أنشأ، وطَفِقَ، وأَخَذَ، وجَعَلَ، وعلِقَ^(١)، ثمّ زادها في تسهيله إلى ثمانية أفعال، وهي: طَفِقَ، وطَفِقَ، وطَبِقَ، وجَعَلَ، وأَخَذَ، وعلِقَ، وأنشأ، وهَبَّ^(٢).

واعترض أبو حيان على عدّ ابن مالك وتفصيله المؤلف، وجعلها ستة فقط؛ ((لأن طَفِقَ بفتح الفاء، وطَبِقَ بالباء المكسورة لغتان في طَفِقَ))^(٣).

وقال الشيخ خالد الأزهرى: ((أنهاه بعضهم إلى نيف وعشرين فعلاً))^(٤). فزاد ثعلب في أفعال الشروع: قام، وقال: يقال: قام يفعل كذا إذا أخذ فيه، وأنشدوا^(٥):

قَامَتْ تَلُومٌ وَبَعْضُ اللُّومِ آوَنَةٌ مِمَّا يَضُرُّ وَلَا يَبْقَى لَهُ نَقْلُ

وزاد أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن يحيى البهاريّ في كتابه المسمى (الإملاء المُنتخَل في شرح كتاب الجُمَل)^(٦) في أفعال هذا الباب مع (قام)

(١) ينظر: بدر الدين الحسن بن قاسم المرادي، (ت ٧٤٩هـ - ١٣٤٨م)، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، ج ١، ص ٥١٥، وشرح الأشموني، ج ١، ص ٤٠٥، وخالد الأزهرى، التصريح بمضمون التوضيح، ج ١، ص ٢٧٧.

(٢) ينظر: ابن مالك، شرح التسهيل، ج ١، ص ٣٨٩، وأبو حيان، التذييل والتكميل في شرح التسهيل، ج ٤، ص ٣٢٧.

(٣) أبو حيان، التذييل والتكميل في شرح التسهيل، ج ٤، ص ٣٢٩.

(٤) خالد الأزهرى، التصريح بمضمون التوضيح، ج ١، ص ٢٧٧.

(٥) البيت من البسيط، وهو بلا نسبة في: أبو حيان، التذييل والتكميل في شرح التسهيل، ج ٤، ص ٣٢٩.

(٦) قال السيوطي: ((قال ابن مكتوم: له في النحو: المنخل، نقل عنه أبو حيان في أفعال المقاربة من شرح التسهيل، ولا نعرفه إلا من جهته. قلت: نقل عنه في الارتشاف في عدة مواضع، والمنخل المذكور شرح على الجمل كما ذكر في آخر الارتشاف)). السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر، (ت ٩١١هـ - ١٥٠٥م)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج ٢، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت، ط ٢، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ج ١، ص ٤٠٧.

المذكورة: قاربَ، وكاربَ، وقربَ، وأحالَ، وأقبلَ، وأظلَّ، وأشفيَ، وشارفَ، وقربَ، ودناَ، وأثرَ، وقعدَ، وذهبَ، وازدلفَ، ودلفَ، وأزلفَ، وأشرفَ، وتهيأَ، وأسفَّ^(١).

وزاد غيره: طارَ، وانبرىَ، وألمَّ^(٢)، ونشَبَ.

وزاد ابن هشام اللخميَّ فيها: ابتداءً، ونشَبَ، وعبأَ^(٣).

فكلُّ الأفعال التي ألحقت بهذا الباب إنما كان سبب إحاقها هو التوسع في معناها أو إكسابها معنى جديداً، فهي مصروفة عن معناها الظاهر لها إلى معانٍ أخرى متناسبة مع معاني المقاربة، أو الرجاء، أو الشروع مستتبطة من الشواهد الفصيحة التي وردت عن العرب، واعتمدها النحاة؛ ففي البيت الذي اعتمده ثعلب على سبيل المثال في إحاق (قام) بأفعال الشروع، نرى أن معنى الفعل (قام) قد صُرفَ عن ظاهره المشهور الذي هو القيام المقابل للعود، إلى معنى الشروع والبدء باللوم، وهذا المعنى الجديد الذي دلَّ عليه الشاهد الفصيح هو سبب إدخال (قام) في نواسخ الابتداء. فمعنى الفعل في التركيب هو الذي يحدد عمله، إن كان فعلاً لازماً، نحو: قام زيدٌ، الدال على القيام المقابل للعود، أو إن كان فعلاً ناسخاً دالاً على الشروع في عملٍ ما، نحو: قام زيدٌ يلومُ أصحابه.

المبحث الثالث: أثر المعنى اللغوي في اتساع باب ظن وأخواتها

يضم هذا الباب نوعين من الأفعال، جمعها العمل، وفرقها المعنى، فهي جميعاً من نواسخ الابتداء وتعمل النصب في الجزأين، وهي بحسب معناها على قسمين:

(١) ينظر: السيوطي، همع الهوامع، ج ١، ص ٤٠٩.

(٢) تقدم قريباً عدَّ بعض النحاة هذا الفعل في أفعال المقاربة، ولا ضير فبين المقاربة والشروع في الفعل فرق دقيق يفصله سياق النص الذي يرد فيه الفعل، فالشواهد الحديث التي استدل بها من سلكه في أفعال المقاربة شاهدة بمعنى المقاربة، ولم يذكر من سلكه في أفعال الشروع شواهد حتى نحكم على اجتهاده في عده من أفعال الشروع.

(٣) ينظر: أبو حيان، ارتشاف الضرب، ج ٣، ص ١٢٢٢، وأبو حيان، التذليل والتكميل في شرح التسهيل، ج ٤، ص ٣٢٨، والسيوطي، همع الهوامع، ج ١، ص ٤١٢.

القسم الأول: أفعال القلوب:

دلالة هذا الصنف من الأفعال كما عبّر القدماء ((تتفد منك إلى غيرك، ولا يكون من الأفعال المؤثّرة، وإنما هي أفعال تدخل على المبتدأ والخبر فتجعل الخبر يقيناً أو شكاً))^(١).

وتبعاً للمعنى العامّ لهذه الأفعال وعملها جمعها القدماء في باب واحد ولم يفرقوا بينها، وأجزوا في عدّها؛ لأنهم قد استغنوا بذكر معناها الجامع عن عدّ أفراد أفعالها، قال المبرد: ((هذا باب الفعل المتعدّي إلى مفعولين، وليس لك أن تقتصر على أحدهما دون الآخر: وتلك الأفعال هي أفعال الشك واليقين، نحو: علمت زيداً أخاك، وظننت زيداً ذا مال، وحسبت زيداً داخلاً دارك، وخلت بكراً أبا عبدالله، وما كان من نحوهن))^(٢).

فبينما عدّ منها المبرد في نصّه المتقدم أربعة أفعال، وأحال على المعنى، فقد ذكر منها ابن السراج ستة أفعال، وهي: حسب، وظن، وخال، ورأى، ووجد، وعلم^(٣)، وذكر إمام النحاة سيبويه سبعة أفعال هي: رأى، ووجد، وظنّ، وحسب، وخال، وعلم، وزعم^(٤)، وتابعه على ذلك الزمخشري^(٥)، وأربى على الجميع ابن مالك في التسهيل فذكر منها: أربعة عشر فعلاً سيأتي ذكرها قريباً^(٦).

(١) ابن السراج، محمد بن سهل، (ت ٣١٦هـ - ٩٢٨م)، الأصول في النحو، ج ٣، تحقيق: د. عبدالحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٩٨٧م، ج ١، ص ١٨٠، وينظر: ابن يعيش، شرح المفصل، ج ٧، ص ٧٨.

(٢) المبرد، محمد بن يزيد، (ت ٢٨٥هـ - ١٩٨م)، المقتضب، ج ٤، تحقيق: محمد عضيمة، عالم الكتب - بيروت، ج ٣، ص ٩٥.

(٣) ينظر: ابن السراج، الأصول في النحو، ج ١، ص ١٨٠.

(٤) ينظر: سيبويه، الكتاب، ج ١، ص ٣٩.

(٥) ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل، ج ٧، ص ٧٨.

(٦) ينظر: ابن مالك، شرح التسهيل، ج ٢، ص ٧٦.

وبعد هؤلاء جرى تقسيم أفعال هذا الباب على أقسام، تبعاً لمعناها الخاص، وأوفى هذه التقسيمات أربعة:

١- ما يفيد في الخبر يقيناً:

وقد ذكر منها ابن مالك في الألفية أربعة أفعال، وهي: عَلِمَ، وَوَجَدَ، وَدَرَى، وَتَعَلَّمَ^(١). وزاد في التسهيل خامساً، وهو: أَلْفَى^(٢)، وتابعه على ذلك شراحه، وهو مذهب الكوفيين كما ذكر أبو حيان^(٣)، وسبب إلحاقه أنه مرادفٌ لَوَجَدَ في المعنى^(٤).

وهي عند ابن هشام أربعة أيضاً بإلحاق (ألفى)، وبإبعاد (عَلِمَ) إلى ما يرد بالوجهين: وهي: وجد، وألْفَى، وتَعَلَّمَ بمعنى اعْلَمَ، وَدَرَى^(٥).

٢- ما يفيد في الخبر ظناً:

وقد ذكر منها ابن مالك في التسهيل والألفية خمسة أفعال، وهي: حَجَا، وَعَدَّ^(٦)، وَزَعَمَ، وَجَعَلَ، وَهَبَ^(٧). وتابعه على ذلك شراح التسهيل والألفية^(٨).

٣- ما يرد بالوجهين، والغالب كونه لليقين:

وهو عند ابن مالك في التسهيل فعلٌ واحدٌ، هو: رأى^(٩)، وعند ابن هشام اثنان: رأى، وعلم^(١٠).

(١) ينظر: ابن مالك، الألفية، ص ١٦.

(٢) ينظر: ابن مالك، شرح التسهيل، ج ٢، ص ٧٦.

(٣) ينظر: أبو حيان، التذييل والتكميل في شرح التسهيل، ج ٦، ص ٣٠، والسيوطي، همع الهوامع، ج ١، ص ٤٨٠.

(٤) ينظر: ابن مالك، شرح التسهيل، ج ٢، ص ٧٩.

(٥) ينظر: خالد الأزهرى، التصريح بمضمون التوضيح، ج ١، ص ٣٥٩.

(٦) ينظر: ابن مالك، شواهد التوضيح والتصحيح، ص ١٨٣.

(٧) ينظر: ابن مالك، شرح التسهيل، ج ٢، ص ٧٦، وشرح ابن عقيل، ج ٢، ص ٣٨٠.

(٨) ينظر: أبو حيان، التذييل والتكميل في شرح التسهيل، ج ٦، ص ٢١، وخالد الأزهرى، التصريح بمضمون التوضيح، ج ١، ص ٣٦٠.

(٩) ينظر: ابن مالك، شرح التسهيل، ج ٢، ص ٨١.

(١٠) ينظر: خالد الأزهرى، التصريح بمضمون التوضيح، ج ١، ص ٣٦٢.

٤- ما يرد بالوجهين، والغالب كونه للظن:

وهو عند أكثر النحاة ثلاثة أفعال: هي: ظَنٌّ، وَحَسِبَ، وَخَالَ^(١).
والحق بعض النحاة بقسم الأفعال القلبية بأنواعه أفعالاً أخرى هيأها للدخول
في هذا الباب معناها المقارب لليقين أو الظنّ، وهو الذي بنيت عليه أفعال هذا
الباب:

فألحق هشام الكوفي: عَرَفَ، وَأَبْصَرَ^(٢).

وألحق ابن درستويه: أَصَابَ، وَصَادَفَ، وَغَادَرَ^(٣).

وألحق الأخفش والفراسي بـ(عَلِمَ) ذات المفعولين (سَمِعَ) الواقعة على اسم
عين، ولا يكون ثاني مفعولها إلا فعلاً يدلّ على صوت، كقوله تعالى:
﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ (الأنبياء: ٦٠)، ويجوز حذفه إن علم
كقوله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ﴾ (الشعراء: ٧٢) أي: هل يسمعونكم
تدعون إذ تدعون^{(٤)؟}

وقد ألحقت العرب، بحسب تعبير ابن مالك، رأى الحُلُمِيَّة بـ(رأى)
العلمية، فأدخلتها على المبتدأ والخبر ونصبتهما مفعولين، ومنه قول الشاعر^(٥):

(١) ينظر: ابن مالك، شرح التسهيل، ج ٢، ص ٨١، وخالد الأزهري، التصريح بمضمون
التوضيح، ج ١، ص ٣٦٢.

(٢) ينظر: ابن مالك، شرح التسهيل، ج ٢، ص ٨٥، والسيوطي، همع الهوامع، ج ١، ص ٨٥.

(٣) ينظر: ابن مالك، شرح التسهيل، ج ٢، ص ٨٥، وأبو حيان، ارتشاف الضرب، ج ٣،
ص ٢١٠٦، والسيوطي، همع الهوامع، ج ١، ص ٨٥.

(٤) ينظر: ابن مالك، شرح التسهيل، ج ٢، ص ٨٤.

(٥) قائلها عمرو بن أحمر الباهليّ، وهو من الوافر، شعر عمرو بن أحمر الباهليّ، (ت نحو:
٧٧هـ-٦٩٦م): جمعه وحققه: حسين عطوان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق،
(د.ت)، ص ١٢٩.

يُورِقْنِي أَبُو حَنْشٍ وَطَلَّقَ وَعَمَّارٌ وَأَوْنَةَ أُثَالَا
 أَرَاهُمْ رَفَقْتِي حَتَّى إِذَا مَا تَفَرَّى اللَّيْلُ وَأَنْخَزَلَ أَنْخَزَالَا
 إِذَا أَنَا كَالَّذِي أَجْرَى لِوَرْدٍ إِلَى آلٍ فَلَمْ يُدْرِكْ بِلَالَا
 فنصب بها اسمين معرفتين، الضمير (هم) نائب الفاعل المفعول الأول،
 و(رفقتي) المفعول الثاني، وهما مبتدأ وخبر في الأصل، كما تفعل بـ(رأى)
 بمعنى علمَ وبمعنى ظن^(١).

القسم الثاني: أفعال التحويل:

وللنحاة في هذا القسم مذاهب، فمنهم من أغفلها ولم يُجر لها ذكراً في
 كتابه، كما هو الحال عند كثير من النحاة المتقدمين، منهم: المبرد، وابن السراج،
 وأبو علي الفارسي، وشارح إيضاحه، والزمخشري، وشارح مفصله.
 ومنهم من أشار إليها إشارة عابرة، مثل سيبويه في أثناء حديثه عن
 (جعل)، إذ يقول: ((وجعلت إذا لم ترد أن تجعلها بمنزلة علمت، ولكن تجعلها
 بمنزلة صيرته خيراً منك))^(٢).

ومنهم من اكتفى بإيراد الضابط الكلي لها، وهو معناها العام، كما هو
 الحال عند ابن مالك في الألفية، إذ اقتصر في الإشارة إليها بقوله^(٣):

..... وَالَّتِي كَصَيِّرًا أَيْضًا بِهَا أَنْصَبُ مُبْتَدَأً وَخَبَرًا

فاجتهد شارح الألفية في عدّها، فعدها ابن هشام سبعة، وهي:
 صَيَّرَ، وَجَعَلَ، وَوَهَبَ، وَتَخَذَ، وَاتَّخَذَ، وَتَرَكَ، وَرَدَّ^(٤). وتابعه على ذلك
 ابن عقيل^(٥)، والأشموني^(٦)، وعدّها المرادي سبعة أيضاً بإغفال (تَرَكَ)،

(١) ينظر: ابن مالك، شرح التسهيل، ج ٢، ص ٨٣.

(٢) سيبويه، الكتاب، ج ٢، ص ٣٩٠.

(٣) ألفية ابن مالك: ١٦.

(٤) ينظر: خالد الأزهرى، التصريح بمضمون التوضيح، ج ١، ص ٣٦٦.

(٥) ابن عقيل، عبدالله بن عبدالرحمن القرشي، (ت ٧٦٩هـ - ١٣٦٨م)، شرح ابن عقيل على

ألفية ابن مالك، ٤ ج، تعليق: محمد محيي الدين عبدالحميد، مكتبة التراث، القاهرة، ط ٢٠،

١٩٨٠م، ج ٢، ص ٣٩١-٣٩٢.

(٦) ينظر: شرح الأشموني، ج ٢، ص ٣٤.

وإيراد (أصار^(١))، وعدّها المكودي أيضاً سبعة بإغفال (ردّ)، وإيراد (أصار^(٢)).

وقد سلك ابن مالك مسلكاً آخر في التسهيل فعدّ منها تسعة أفعال فقال: ((والرابع، أي التحويل، صيرَ، وأصار^(٣) وما رادفها من جعلَ، وهَبَ غير متصرفٍ، وردَّ، وترَكَ، وتَخَذَ، واتَّخَذَ، وأكَّانَ))^(٤).

وقال في الشرح: ((والحق ابن أفلح بأصار أكان المنقولة من كان بمعنى صار، وما حكم به جائز قياساً، لكني لا أعلمه مسموعاً))^(٥).

وألحق بها بعضهم سوّى بمعنى صيرَ^(٦)، وجعل منه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ (البقرة: ٢٩):

فـ(سبع سموات): في نصبه خمسة أوجه، أحدها أنه مفعول ثانٍ لسوّى؛ إذ المعنى يحتمل أن يكون (سوّى) بمعنى (صيرَ)، وقد ضعف هذا الرأي السمين الحلبي بعدم ورود (سوّى) بمعنى (صيرَ).

قال في الدر المصون، وهو يعدد أوجه نصب (سبع سموات): ((الرابع: أن يكون سوّى بمعنى صيرَ، فيتعدى لاثنتين، فيكون سبع مفعولاً ثانياً، وهذا لم يثبت أيضاً، أعني: جعل سوّى مثل صيرَ))^(٧).

(١) ينظر: المرادي، توضيح المقاصد، ج ٢، ص ٥٥٨.

(٢) ينظر: شرح المكودي على ألفية ابن مالك، ج ١، ص ٢٥٢.

(٣) وهي ساقطة من بعض نسخ التسهيل، وليست في النسخة المطبوعة من شرح التسهيل، وهي مذكورة في النسخة التي شرحها أبو حيان. ينظر: أبو حيان، التذييل والتكميل في شرح التسهيل، ج ٦، ص ٣٩.

(٤) ابن مالك، شرح التسهيل، ج ٢، ص ٧٦.

(٥) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٨٣.

(٦) أبو البركات بن الأنباري، عبدالرحمن بن محمد، (ت ٥٧٧هـ - ١١٨١م)، البيان في غريب إعراب القرآن، ج ٢، تحقيق: د. طه عبد الحميد طه، ومراجعة مصطفى السقا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، ج ١، ص ٤٥.

(٧) السمين الحلبي، الدر المصون، ج ١، ص ٢٤٥.

وألحق بها بعضهم خَلَقَ بمعنى جَعَلَ، كقوله تعالى: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ (النساء: ٢٨)^(١)، قال ابن عطية: ((ويصح أن يكون (خلق) بمعنى (جعل)، فيكسبها ذلك قوة التعدي إلى مفعولين، فيكون قوله: (ضعيفاً) مفعولاً ثانياً))^(٢).

ومثله قوله تعالى: ﴿فَمَخَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ (المؤمنون: ١٤).

فالنطفة والعلقة منصوبان؛ لأنهما مفعولاً (خلقنا)؛ وخلقنا هنا يتعدى إلى مفعولين؛ لأنه بمعنى (صيرنا)، ولو كان بمعنى (أحدث) لتعدى إلى مفعول واحد^(٣).

وألحق آخرون نَبَذَ بمعنى تَرَكَ في أفعال هذا الباب، وجعل منه قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٠١)، فكتاب الله: مفعول أول، ووراء: مفعول ثان، ولا يصح أن يكون ظرفاً لنبذ؛ لأن الظرف لا بد أن يكون حاوياً لفاعل العامل فيه، وذلك متعذر هنا، كذا نقله غير واحد عن ابن هشام وأقره^(٤).

(١) ينظر: السيوطي، همع الهوامع، ج ١، ص ٤٨٥.

(٢) ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبدالحق بن عطية، (ت ٥٤١هـ - ١١٤٦م)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ٨، تحقيق: الرحالة الفاروق، وعبدالله بن إبراهيم الأنصاري، والسيد عبدالعال السيد إبراهيم، ومحمد الشافعي الصادق العناني، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - قطر، ط ٢، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، ج ٢، ص ٤١، وينظر: الدر المصون، ج ٣، ص ٦٦٣.

(٣) ينظر: أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، (ت ٤٣٧هـ - ١٠٤٦م)، مشكل إعراب القرآن، ج ٢، تحقيق: د.حاتم صالح الضامن، دار البشائر، دمشق، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ج ٢، ص ٥٢، والأنبأري، البيان في غريب إعراب القرآن، ج ٢، ص ١٨١.

(٤) ينظر: حاشية الصبان، ج ٢، ص ٣٤.

والحق قوم بأفعال هذا الباب ضَرَبَ المتعلقة بالمثل، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي ۚ أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ (البقرة: ٢٦)، وقال تعالى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ (يس: ١٣)، و﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا﴾ (النحل: ٧٥)، ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ﴾ (النحل: ٧٦)، فظاهر هذه الآيات أنّ ضرب بمعنى صيّر تتعدى إلى اثنين، ويكون مثلاً فيما يظهر هو المفعول الثاني، وما بعده هو المفعول الأول؛ لأنّ مثلاً نكرة لا مسوغ لها لجواز الابتداء بها، وما بعده إمّا معرفة أو نكرة لها مسوغ للابتداء بها^(١).

وقد صرح بتقديمه على مثل أبو تمام، فقال^(٢):

لا تُتَكَرَّرُوا ضَرْبِي لَهُ مَنْ دُونَهُ مَثَلًا شَرُودًا فِي النَّدَى وَالْبَاسِ
 وذهب ابن أبي الربيع: إلى أن ضرب بمعنى صيّر متعدٍ لاثنتين مطلقاً مع
 المثل وغيره، نحو: ضربت الفضة خلخالاً أو خاتماً، وضربت الطين خزفاً أو
 لبناً. واستظهر أبو حيان معنى التصيير في هذه الأمثلة، ولكنه رأى أن يستثبت
 في هذا الباب، أهو من كلام العرب أم من كلام المولدين^(٣)؟

(١) ينظر: أبو حيان، التذييل والتكميل في شرح التسهيل، ج ٦، ص ٥٢، والدر المصون، ج ١، ص ٢٢٣، والسيوطي، همع الهوامع، ج ١، ص ٤٨٥.

(٢) البيت من الكامل، الخطيب التبريزي، أبو زكريا يحيى بن علي، (ت ٥٠٢هـ - ١١٠٩م)، شرح ديوان أبي تمام، ج ٢، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ٤١٤هـ - ١٩٩٤م، ج ١، ص ٣٦٢.

(٣) ينظر: أبو حيان، ارتشاف الضرب، ج ٣، ص ٢١٠٦، وأبو حيان، التذييل والتكميل في شرح التسهيل، ج ٦، ص ٥٢، والسيوطي، همع الهوامع، ج ١، ص ٤٨٥. واستصوب ابن مالك عدم إلحاق (ضرب) بهذا الباب. ينظر: ابن مالك، شرح التسهيل، ج ٢، ص ٨٣.

وبالغ بعض المتأخرين في التوسع بأفعال هذا الباب فزعموا أنه يجوز أن يُضْمَنَ الفعل المتعدي إلى واحد معنى صَيَّرَ، ويُجْعَلُ من هذا الباب، فأجاز أن يقال: حَفَرْتُ وسط الدار بئراً، بمعنى: صَيَّرْتُ وسط الدار، وبُنِيْتُ الدار مسجداً، وقَطَعْتُ الثوب قميصاً، وقَطَعْتُ الجلد نعلًا؛ لأن المعنى فيها صَيَّرْتُ، وجعل من ذلك قول أبي الطيب^(١):

فَمَضَتْ وَقَدْ صَبَغَ الْحَيَاءُ بِيَاضَهَا لَوْنِي كَمَا صَبَغَ اللَّجَيْنَ الْعَسْجَدُ
قال: لأن المعنى: صَيَّرَ الْحَيَاءُ بِيَاضَهَا لَوْنِي، أي: مثلَ لَوْنِي^(٢).

وردّ هذا التوسّع أبو حيان، وقال: ((والصحيح أنّ هذا كله من باب التضمين، والتضمين لا يجوز بقياس في الكلام، وإنما يجيء في الشعر للضرورة، وإن جاء شيء منه في الكلام حفظ، ولم يقس عليه لقلته))^(٣). وما ذهب إليه أبو حيان في ردّ هذا التوسع هو المذهب الذي نرتضيه؛ لأن التوسع في باب التضمين عموماً يفضي لمن تأمله إلى ذهاب المعاني اللغوية الأصلية لمفردات العربية مما يؤدي إلى الفوضى الدلالية، والعربية أبعد اللغات عن مثل هذه الفوضى، إذ هي في مقدمة اللغات التي تميزت بالدقة في التعبير، وتخصيص كل معنى ببنية خاصة.

(١) البيت من الكامل، شرح أبي البقاء العكبري (المسمى بالتنبين في شرح الديوان)، ديوان أبي الطيب المتنبي، ٤ ج، ضبطه وصححه ووضع فهارسه: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبدالحفيظ شلبي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (د.ت)، ج ١، ص ٣٢٩.

(٢) ينظر: أبو حيان، ارتشاف الضرب، ج ٣، ص ٢١٠٥، وأبو حيان، التذييل والتكميل في شرح التسهيل، ج ٦، ص ٤٤، والسيوطي، همع الهوامع، ج ١، ص ٤٨٥.

(٣) أبو حيان، التذييل والتكميل في شرح التسهيل، ج ٦، ص ٤٤.

الخاتمة

١- لقد توسع النحاة في باب الأفعال الناسخة، معتمدين في هذا التوسع على المعنى اللغويّ العامّ لهذه الأفعال، فألحقوا ببعض أفعالها أفعالاً أخرى شاركتها في دلالتها العامة، فجعلوا لها من العمل ما لأفعال هذا الباب.

٢- كان التوسع في الدلالة وتضييقها، والتضمين، والترادف من أساليب التوسع في المعنى في باب الأفعال الناسخة للابتداء.

٣- بلغ عدة الأفعال الناسخة في باب كان وأخواتها عند بعض النحاة ثلاثين فعلاً، كلها تعمل عمل كان، بعد أن شاركت بعض أفعال الباب في المعنى.

٤- الأفعال الملحقة بباب كان لمشاركتها (ما زال) في المعنى فعلاً، هي: وني، ورام.

٥- الأفعال الملحقة بباب كان لمشاركتها (صار) في المعنى بلغت خمسة عشر فعلاً مفصلة مع شواهدا في ثنايا البحث.

٦- الأفعال الملحقة بباب كان لمشاركتها (أضحى) وأخواتها في دلالتها المؤقتة بلغت خمسة أفعال مفصلة في ثنايا هذا البحث.

٧- عدّة أفعال باب المقاربة تفاوتت تفاوتاً كبيراً، تبعاً لاجتهاد النحاة في استقراء كلام العرب، ومنهجهم في التعامل مع الشواهد في تفعيد القواعد، فمن أطال التأمل وبالغ في الاستقراء، وبنى على الشواهد الفصيحة القليلة، كثرَ عنده العدد، ومن تأوّل المعاني واشترط كثرة

الشواهد قلّ عنده العدد؛ لذا فهي عند بعضهم عشرة أفعال، وتصل عند آخرين إلى أربعين فعلاً.

٨- اختلفت مناهج النحاة في جمع أفعال باب ظن وأخواتها، فكان منهج المتقدمين ذكر ضابط المعنى والاقتصار في العدد، ومنهج المتأخرين الاعتماد على المعنى في التوسع في ذكر العدد، فبينما اقتصر سيبويه على سبعة من القلبية مع الإشارة العابرة لأفعال التحويل بالغ المتأخرون في التوسع حتى زعم بعضهم أنه يجوز أن يضمن كل فعل متعد معنى صيرّ ويجعل من هذا الباب.

مصادر البحث

- ابن أبي الربيع الأشبيلي، عبيد الله بن أحمد القرشي، (ت ٦٨٨هـ - ٢٨٩م)، البسيط في شرح جمل الزجاجي، تحقيق ودراسة: عياد بن عيد الثبتي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.
- ابن الأثير: المبارك بن محمد بن محمد، مجد الدين، (ت ٦٠٦هـ - ١٢١٠م)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د.ت).
- ابن السراج، محمد بن سهل، (ت ٣١٦هـ - ٩٢٨م)، الأصول في النحو، ج٣، تحقيق: د. عبدالحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م.
- ابن سعدان الكوفي، (ت ٢٣١هـ - ٨٤٦م) مختصر في النحو، دراسة وتحقيق: د. حسين أحمد بو عباس، حويلات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية السادسة والعشرون، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- ابن عصفور الأشبيلي، (ت ٦٦٩هـ - ١٢٧١م)، شرح جمل الزجاجي (الشرح الكبير)، ج٢، تحقيق: د. صاحب أبو جناح، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبدالحق بن عطية، (ت ٥٤١هـ - ١١٤٦م)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج٨، تحقيق: الرحالة الفاروق، وعبدالله بن إبراهيم الأنصاري، والسيد عبدالعال السيد إبراهيم، ومحمد الشافعي الصادق العناني، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - قطر، ط٢، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- ابن عقيل، عبدالله بن عبدالرحمن القرشي، (ت ٧٦٩هـ - ٣٦٨م):

- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ٤ج، تعليق: محمد محيي الدين عبدالحميد، مكتبة التراث، القاهرة، ط ٢٠، ١٩٨٠م.
- والمساعد على تسهيل الفوائد، ٤ج، تحقيق: محمد كامل بركات، دار المدني، ١٩٨٤م-١٤٠٥هـ.
- ابن مالك، محمد بن عبدالله بن مالك الأندلسي، (ت ٦٧٢هـ-١٢٧٤م):
- ألفية ابن مالك، مكتبة النهضة، بغداد، بخط يحيى سلوم العباسي.
- وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تحقيق: محمد كامل بركات، القاهرة، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م.
- وشرح التسهيل لابن مالك، ٤ج، تحقيق: د. عبدالرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون، هجر للطباعة، ط ١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
- شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، تحقيق: د. طه محسن، مكتبة ابن تيمية، ط ٢، ١٤١٣هـ.
- ابن منظور، محمد بن مكرم، (ت ٧١١هـ-١٣١١م)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د.ت).
- ابن يعيش، يعيش بن علي، (ت ٦٤٣هـ-١٢٤٥م)، شرح المفصل، ١٠ج، عالم الكتب، بيروت، (د.ت).
- أبو البركات بن الأباري، عبدالرحمن بن محمد، (ت ٥٧٧هـ-١١٨١م)، البيان في غريب إعراب القرآن، ٢ج، تحقيق: د. طه عبدالحميد طه، ومراجعة مصطفى السقا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٠-١٩٨٠م.
- أبو البقاء العكبري، عبدالله بن الحسين، (ت ٦١٦هـ-١٢١٩م)، شرح أبي البقاء العكبري (المسمى بالتبيان في شرح الديوان)، ديوان أبي الطيب المتنبّي، ٤ج، ضبطه وصححه ووضع

- فهارسه: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبدالحفيظ شلبي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (د.ت).
- أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، (ت ٧٤٥هـ - ١٣٤٤م):
- ارتشاف الضرب من لسان العرب، ٤ ج، تحقيق: درجب عثمان محمد، راجعه: د.رمضان عبدالنواب، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- والتذليل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، ... ج، تحقيق: د.حسن هنداوي، كنوز إشبيلية، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- والنكت الحسان في شرح غاية الإحسان، تحقيق: د.عبدالحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- أبو سعيد السيرافي، (ت ٣٦٨هـ - ٩٧٩م)، شرح كتاب سيبويه، ٥ ج، حققه: د.رمضان عبدالنواب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.
- أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبدالله، (ت ٤٣٠هـ - ١٠٣٩م)، صفة الجنة، ٢ ج، دراسة وتحقيق: علي رضا بن عبدالله بن علي رضا، دار المأمون للتراث، دمشق، ط٢، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ - ٨٥٥م): مسند الإمام أحمد، ٥٠ ج، المشرف العام على إصدارها: د.عبدالله بن عبدالمحسن التركي، والمشرف العام على تحقيقها: الشيخ المحدث شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- الأزهرى، محمد بن أحمد، (ت ٣٧٠هـ - ٩٨١م)، تهذيب اللغة: تحقيق مجموعة من العلماء، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٤م - ١٩٦٧م.
- الأشموني، علي بن محمد، (ت نحو ٩٠٠هـ - ١٤٩٥م)، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ٤ ج، طبع مع حاشية الصبان،

ومعه شرح الشواهد للعيني، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد،
المكتبة التوفيقية، مصر.

- امرئ القيس بن حجر بن الحارث، (ت ٥٦٥م)، ديوان امرئ
القيس وملحقاته بشرح أبي سعيد السكري، (ت ٢٧٥هـ—٨٨٨م):
دراسة وتحقيق: د. أنور عليان أبو سويلم، ود. محمد علي
الشوابكة، مركز زايد للتراث والتاريخ - العين، ط ١،
١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

- د. إميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية:
٤ ج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٧هـ-
١٩٩٦م.

- البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل، (ت ٢٥٦هـ—٨٧٠م)،
صحيح البخاري (الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه)، ٥ ج، تحقيق: محب الدين
الخطيب، وترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي، وأشرف على طبعه:
قسي محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، ط ١،
١٤٠٠هـ.

- الجرجاني، عبدالقاهر بن عبدالرحمن، (ت ٤٧١هـ—١٠٧٩م)،
المقتصد في شرح الإيضاح، ٢ ج، تحقيق: د. كاظم المرجان، دار
الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٢م.

- الجزولي، عيسى بن عبدالعزيز، (ت ٦٠٧هـ—٢١١م)، تحقيق:
شعبان عبدالوهاب محمد، القاهرة، ط ١، ١٩٨٨م.

- خالد زين الدين بن عبدالله الأزهرى، (ت ٩٠٥هـ—١٥٠٠م)،
التصريح بمضمون التوضيح، ٥ ج، تحقيق: د. عبدالفتاح بحيري
إبراهيم، القاهرة، ط ١، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

- الخطيب التبريزي، أبو زكريا يحيى بن علي، (ت ٥٠٢هـ—
١١٠٩م)، شرح ديوان أبي تمام، ٢ ج، قدم له ووضع هوامشه

وفهارسه: راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

- الخوارزمي، صدر الأفاضل القاسم بن الحسين، (ت٦١٧هـ-١٢٢٠م)، التخمير شرح المفصل في صنعة الإعراب، ٤ج، تحقيق: د. عبدالرحمن بن سليمان العثيمين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٠م.

- الدلائي، محمد بن محمد بن أبي بكر المرابط، (ت١٠٨٩هـ-٦٧٨م)، نتائج التحصيل في شرح كتاب التسهيل، ٣ج، تحقيق: د.مصطفى الصادق العربي، مطابع الثورة للطباعة والنشر، بنغازي.

- رضي الدين الأستراباذي، محمد بن الحسن، (ت٦٨٦هـ-٢٨٧م)، شرح الرضي على كافية ابن الحاجب، ٤ج، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قاربيونس، بنغازي، ط٢، ١٩٩٦م.

- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، (ت١٢٠٥هـ-١٧٩١م)، تاج العروس من جواهر القاموس، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

- الزمخشري، محمود بن عمر، (ت٥٣٨هـ-١١٤٤م)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ٦ج، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض، مكتبة العبيكان - الرياض، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

- زهير بن أبي سلمى، (ت٦٠٩م)، شرح ديوان زهير: تقديم سيف الدين الكاتب، وأحمد عصام الكاتب، مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٨٦م.

- سيويه، أبو بشر عمرو بن عثمان، (ت ١٨٠هـ - ٧٩٦م)، الكتاب، ٥ج، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، عالم الكتب- بيروت.
- السمين الحلبي، أحمد بن يوسف، (ت ٧٥٦هـ - ١٣٥٥م)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ١١ج، تحقيق: د.أحمد محمد الخراط، دار القلم- دمشق، ط ١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر، (ت ٩١١هـ - ١٥٠٥م): بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ٢ج، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت، ط ٢، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- وهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع، ٤ج، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- الشجيري، د.هادي أحمد فرحان: الإعراب وأثره في توسيع المعنى في آي من التنزيل الحكيم، وهو بحث قيد النشر.
- التضمين النحوي وأثره في المعنى، بحث منشور في مجلة الأستاذ، جامعة بغداد، العدد ٢٠٢، لسنة ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
- الصبان، محمد بن علي، (ت ١٢٠٦هـ - ١٧٩٢م)، حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ٤ج، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- عباس حسن، (ت ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م)، النحو الوافي، ٤ج، دار المعارف، مصر، (د.ت).
- عبدالسلام محمد هارون، معجم شواهد العربية، مكتبة الخانجي القاهرة، ط ٣، (د.ت).

- العجاج (عبدالله بن روبة) (ت ١٤٥هـ - ٧٦٢م)، ديوان العجاج، رواية وشرح: عبدالملك بن قريب الأصمعي، (ت ٢١٦هـ - ٨٢٨م)، تحقيق: عبدالحفيظ السطلي، مكتبة أطلس، دمشق، (د.ت).
- عمرو بن أحمر الباهلي، (ت نحو: ٧٧هـ - ٦٩٦م) شعر عمرو بن أحمر الباهلي، جمعه وحققه: حسين عطوان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، (د.ت).
- الفراء، يحيى بن زياد، (ت ٢٠٧هـ - ٨٢٢م)، معاني القرآن، ٣ ج، تحقيق: الأول: نجاتي والنجار، والثاني: النجار، والثالث: شلبي، عالم الكتب- بيروت، ط ٣، ١٩٨٣م.
- الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، (ت ٨١٧هـ - ٤١٥م) القاموس المحيط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- الفيومي، أحمد بن محمد، (ت ٧٧٠هـ - ٣٦٩م)، المصباح المنير، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٢٢م.
- القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب، (ت ٤٣٧هـ - ١٠٤٦م)، مشكل إعراب القرآن، ٢ ج، تحقيق: د.حاتم صالح الضامن، دار البشائر، دمشق، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- الكيشي، شمس الدين محمد بن أحمد، (ت ٦٩٥هـ - ١٢٩٦م)، الإرشاد إلى علم الإعراب، تحقيق: د.عبدالله علي الحسيني البركاتي، ود.محسن سالم العميري، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط ١٠، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.
- لييد بن ربيعة العامري (ت ٤١هـ - ٦٦١م)، ديوان لييد بن ربيعة العامري، دار صادر، بيروت.
- المبرد، محمد بن يزيد، (ت ٢٨٥هـ - ٨٩٨م)، المقتضب، ٤ ج، تحقيق: محمد عبدالخالق عزيمة، عالم الكتب- بيروت.

- المرادي، بدر الدين الحسن بن قاسم، (ت ٧٤٩هـ—١٣٤٨م)، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، ٣ج، تحقيق: أحمد محمد عزوز، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ—٢٠٠٥م.
- المكودي، أبو زيد، عبدالرحمن بن علي، (ت ٨٠٧هـ—١٤٠٥م)، شرح المكودي على ألفية ابن مالك: المكودي، ٢ج، حققه وعلق عليه: د.فاطمة راشد الراجحي، جامعة الكويت، ١٩٩٣م.

References

1. IbnAbi al-Rabeeh al-Ashbaily, Ubayd Allah ibn Ahmad al-Qurashi, (688 AH = 1289 AD), the simple explanation of the glass sentences, investigation and study: Ayad bin Eid al-Thubaiti, Dar al-Gharb al-Islami, Beirut, 1, 1407 AH.
2. Ibn al-Atheer: Al-Mubarak bin Muhammad ibn Muhammad, Majd al-Din, (606 AH = 1210 AD), investigation: Tahir Ahmed Al-Zawi, and Mahmoud Mohammed Al-Tanahi, House of Revival of Arab Heritage, Beirut, Lebanon.
3. bn al-Sarraj, Muhammad ibnSahl, (p. 316 AH = 928 CE), assets in grammar, 3 c, investigation: d. Abdul Hussain Al-Fattaly, Al-Resala Foundation, Beirut, 2, 1987.
4. IbnSaadan al-Kufi, (v 231 e = 846 m) abbreviated in grammar, study and investigation: d. Hussein Ahmed Abu Abbas, Annals of Arts and Social Sciences, The Twenty-Sixth Yearbook, 2005.
5. IbnAsfour al-Ashbaily, (d. 669 AH = 1271 AD), Explanation of glass sentences (great explanation), 2 C, investigation: d. Abu Jinnah, World of Books, Beirut, Lebanon, 1, 1419 AH = 1999.
6. IbnAttayah al-Andalusi, Abu Muhammad Abdul-HaqibnAttia, (541 AH = 1146 AD), the brief editor in the interpretation of the dear book, 8 C, investigation: the traveler Faruq, Abdullah bin Ibrahim Al-Ansari and Mr. Abdel-Al Sayed Ibrahim And Mohammed Al-ShafeiSadiq Al-Anani, publications of the Ministry of Awqaf and Islamic Affairs – Qatar, 2, 1428 AH = 2007 AD.
7. IbnAqil, Abdullah bin Abdul Rahman al-Qurashi, (T. 769 AH = 1368 AD):
8. Explanation IbnAqil on Alfialbn Malik, 4 C, Commentary: Mohamed Mohieddin Abdel Hamid, Heritage Library, Cairo, I 20, 1980.

9. And facilitator to facilitate the benefits, 4c, investigation: Mohammed KamelBarakat, Dar Al-Madani, 1984 m = 1405 e.
10. Ibn Malik, Muhammad bin Abdullah bin Malik Andalusī, (d. 672 e = 1274):
11. Ibn Malik, Al Nahda Library, Baghdad, by YahyaSalloum Al-Abbasi.And to facilitate the benefits and complement the purposes, achieve: Mohammed KamelBarakat, Cairo, 1388 e = 1968 m.
12. Explain the facility to Ibn Malik, 4C, investigation: d. Abdul Rahman Al-Sayed, d. Mohammed Badawi, the author, Hager Printing, 1, 1410 e = 1990.
13. Evidence of clarification and correction of the problems of the right mosque, investigation: d. Taha Mohsen, IbnTaymiyyah Library, 2, 1413H .
14. IbnManzoor, Muhammad ibnMakram, (711 AH = 1311 CE), the Arabic language, Dar Sader, Beirut, (DT).
15. IbnYaish, Hayyibn Ali, (d. 643 AH = 1245 AD), explanation of the chapter, 10 C, World of Books, Beirut, (DT).
16. Abu al-Barakatibn al-Anbari, Abd al-Rahmanibn Muhammad, (d. 577 AH = 1181 AD), the statement in the strange expression of the Koran, 2 c, investigation: d. Taha Abdel Hamid Taha, and review of Mustafa El Sakka, the Egyptian General Book Organization, 1400 AH = 1980.
17. Abu al-'Abd al-'Aqbari, Abdullah ibn al-Husayn, (616 AH = 1219 CE), the explanation of Abi al-Waqib al-'Aqbari, Dar Al Maarifah, Beirut, Lebanon, (LA).
18. Abu Hayyan, Muhammad ibn Yusuf al-Andalusī, (d. 745 AH = 1344 AD):
19. Reverberation of beatings of the tongue of the Arabs, 4 C, investigation: d. Ragab Osman Mohamed, reviewed by: Dr. Ramadan

Abdul Tawab, publisher of Al-Khanji Library in Cairo, 1, 1418 AH = 1998.

20. Appendix and supplement to explain the facilitation book, ... c, Inquiry: d. Hassan Hindawi, Treasures of Seville, Riyadh, 1, 1426 AH = 2005 AD. And jokes Al-Hassan in explaining the purpose of charity, achieve: d. Abdul Hussein Al-Fattaly, Al-Resala Foundation, Beirut, 1, 1405 AH = 1985.

21. Abu Said al-Sirafi, (d. 368 e = 979 m), explain the book Sebwayh, 5 c, achieved by: Ramadan Abdel Tawab, Egyptian General Book Organization, 1990.

22. Abu Naim al-Asbahani, Ahmad bin Abdullah, (430 AH = 1039 AD), the status of Paradise, 2C, study and investigation: Ali Reza bin Abdullah bin Ali Reza, Dar Al-Maamoon Heritage, Damascus, 2, 1415 e = 1995.

23. Ahmed bin Hanbal (241 AH = 855 m): Musnad Imam Ahmad, 50 c, the general supervisor of the issuance: Dr. Abdullah bin Abdul Mohsen al-Turki, and the supervisor of the achievement: Sheikh Sheikh Shuaib Arnaout, the Foundation letter, Beirut, 1, 1416 e = 1995.

24. Al-Azhari, Muhammad ibn Ahmad, (370 AH = 981 AD), Language Proficiency: Achieving a Group of Scientists, The Egyptian House of Composition and Translation, Cairo, 1964-1967.

25. Al-Ashmouni, Ali ibn Muhammad, (c. 900 AH = 1495 AD), Explanation of Al-Ashmouni on Alfialbn Malik, 4C, printed with the footnote of Sabban.

26. Al-Qais bin Hajar bin al-Harith, (565 AD), the office of the people of the Qais and its accessories, explained by Abu Sa'eed al-Sukkari (d. 275 AH = 888 AD): study and investigation: Anwar Alian Abu Sweilem, Mohammed Ali Al-Shawabkeh, Zayed Center for Heritage and History – Al Ain, 1, 1421H = 2000 AD.

27. Dr. Emile BadiYaqoub, The Detailed Dictionary in Arabic Language: 14 C, Dar al-Kuttab Al-Sulti, Beirut, Lebanon, 1, 1417H.
28. Al-Bukhari, Abu Abdullah Mohammed bin Ismail, (256 H = 870 m), SahihBukhari (the right mosque Almstn of the Prophet of Allah, peace be upon him and his Sunnah and his days), 5 C, investigation: Muhibin al-Khatib, and narrator: Mohamed Fouad Abdel Baqi, Edition: QusayMuhib al-Din al-Khatib, printing press Salafi, Cairo, 1, 1400 e.
29. Al-Gergani, Abdul Qahir bin Abdul Rahman, (d. 471 e = 1079 m), Motaqsid in explaining the clarification, 2c, investigation: d. Kazem Al-Morgan, Dar Al-Rasheed Publishing, Baghdad, 1982.
30. Al-Jazuli, Issa bin Abdul Aziz, (607 AH = 1211 AD), Forensic Introduction, the investigation: Shaaban Abdul Wahab Mohammed, Cairo, 1, 1988.
31. Khalid Zayn al-Din bin Abdullah al-Azhari, (905 AH = 1500 AD), the statement of the content of clarification, 5 C, investigation: d. Abdul Fattah Bahiri Ibrahim, Cairo, I 1, 1413 e = 1992 AD.
32. Al-Khatib al-Tabrizi, Abu ZakariaYahya bin Ali, (502 AH = 1109 AD), Explanation of Abu Tammam's Court, 2 C, presented to him and the status of Huamesh and his indexes: RajiAsmar, Dar al-Kitab al-Arabi, Beirut, 2, 1414 AH.
33. Al-Khawarizmi, Al-Qasim al-Qasim al-Husayn, (617 AH = 1220 AD), fermentation, detailed explanation in the work of expression, 4c, Abd al-Rahmanibn Suleiman al-Othaimeen, Dar al-Gharb al-Islami, Beirut, Lebanon, 1, 1990.
34. Al-Dalai'i, Muhammad ibn Muhammad ibnAbiBakr al-Murabit, (1089 AH = 1678 AD), the results of collection in explaining the book of facilitation, 3c, Mustafa Al-Sadiq Al-Arabi, Al-Thawra Printing and Publishing Press, Benghazi.

35. Al-Rashed Ali Ali Al-Hajib, 4C, Correction and Commentary: Yousef Hassan Omar, published by Qaryounis University, Benghazi, 1, 2, 1996.
36. Al-Zubaidi, Muhammad Mortada al-Husseini, (1905 AH = 1791), Crown of the Bride by Jawahar al-Kalam, National Council for Culture, Arts and Letters, Kuwait, 1, 1422 AH = 2001.
37. Al-Zamakhshari, Mahmud ibn Umar, (538 AH = 1144 CE), the search for the facts of the mystery of the download and the eyes of the narrations in the faces of interpretation, 6c, investigation: Adel Ahmed Abdul-Muqeem, and Ali Mohammed Moawad, Obeikan Library, Riyadh, 1, 1418 AH = 1998.
38. ZuhairibnAbi Salma, (609 AD), DiwanZuhair explanation: the presentation of Saif al-Din writer, and Ahmad Issam writer, library life, Beirut, 1986.
39. Sebwayh, Abu-BishrAmrIbn Othman, (1801 = 796 AD), Book 5, C, investigation: Abdel Salam Mohamed Haroun, World of Books – Beirut.
40. Al-Fatim al-Halabi, Ahmad ibn Yusuf, (d. 756 AH = 1355); Ahmed Mohamed Al-Kharrat, Dar Al-Qalam – Damascus, 1, 1407 AH = 1987 m.
41. Suyuti, Abdul Rahman bin AbiBakr, (T 911 AH = 1505):
42. In order to distinguish between the layers of linguists and grammarians, 2c, investigation: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Dar al-Fikr, Beirut, 2, 1399 AH = 1979.
43. And the delusion of the mosques in the explanation of the collection of mosques, 4 C, investigation: Ahmed Shams al-Din, Dar al-Kuttab al-Ulami, Beirut-Lebanon, 1, 1418 AH = 1998 AD
44. Al-Shujairi, Dr. Hadi Ahmad Farhan:

- Expression and its impact on the expansion of meaning in any wise download, a research under publication.
 - The inclusion of grammatical and its impact in meaning, research published in the Journal of Professor, University of Baghdad, No. 202, for the year 1433 AH = 2012.
45. Al – Sabban, Muhammad ibn Ali, (T. 1206 AH = 1792 AD), the footnote of the Sabban on the explanation of Al – Ashmouni on Alfialbn Malik, 4 C, Dar Al – Fikr, Beirut, 1, 1419 e = 1999.
 46. Abbas Hassan, (d. 1398 AH = 1978 AD), grammar, c. 4, Dar al-Ma'aref, Egypt, (DT).
 47. Abdel Salam Mohamed Haroun, The Dictionary of Arabic Shawahd, Al-Khanji Library Cairo, I 3, (DT).
 48. Al-Ajaj (Abdullah bin Ru'ba) (d. 145 AH = 762 AD), Diwan al-Ajaj, narration and explanation: Abd al-Malik ibnQarib al-Asma'i, (216 AH = 828 CE), investigation: Abdul Hafiz al-Satali, Atlas Library, Damascus, .
 49. Amribn al-Bahl al-Bahli, (c. About 77 = 696 AD). The poetry of Amribn al-Bahli, collected and realized by: Hussein Atwan, publications of the Arabic language complex in Damascus, (L).
 50. The first: Najati and Al-Najjar, the second: Najjar, and the third: Chalabi, the world of books – Beirut, 3, 1983.
 51. Al-Fayrouzabadi, Majd al-Din Muhammad ibnYa`qub, (c. 817 AH = 1415 AD) The Surrounding Dictionary: The Egyptian General Book Authority, 1400 AH = 1980.
 52. Al-Fayoumi, Ahmad ibn Muhammad, (770 AH = 1369 CE), the light bulb, the Amiri printing press, Cairo, 1922.
 53. Al-Qaisi, Abu Muhammad MakkilbnAbiTalib, (T 437 AH = 1046 AD), the problem of the expression of the Koran, 2 C, investigation: d.

HatemSaleh Al-Daman, Dar Al-Bashaer, Damascus, 1, 1424 AH = 2003 AD.

54. Al-Keshi, Shams al-Din Muhammad ibn Ahmad (d. 695 AH = 1296 AD), guidance to the science of expression, investigation: Dr. Abdullah Ali Al-Husseini Al-Barakati, and D. MuhsinSalim Al-Amiri, Umm Al-Qura University, Makkah.

55. LabeedibnRabia al-Amiri (d. 41 AH = 661 AD), DiwanLabeed bin RabiaAmiri, Dar Sader, Beirut

56. Muhammad ibnYazid, (285 AH = 898 AD), summary, 4 C, investigation: Mohamed Abdelkhalig, author of the books, Beirut.

57. Al-Muradi, Badr al-Din al-Hassan bin Qasim, (d. 749 AH = 1348 AD), clarification of the purposes and tracts in explanation of Ibn Malik's millennium, 3j, investigation: Ahmed Mohamed Azzouz, Modern Library, Beirut, Lebanon, 1, 1426 AH.

58. Al-Makoudi, Abu Zaid, Abdul Rahman bin Ali, (807 AH = 1405 AD), Explanation Almkodi on Alfialbn Malik: Makoudi, 2 c, achieved and commented on it: d. Fatima Rashed Al Rajhi, Kuwait University, 1993.

المشتقات التي لا أفعال لها:

دراسة في معجم (المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده)

أ.د. سيف الدين طه الفقراء (*)

الملخص

يدرس هذا البحث المشتقات التي لا أفعال لها في العربية من خلال تتبعها في معجم (المحكم والمحيط الأعظم) لابن سيده، وتناول البحث المصادر، وأسماء الفاعلين ومبالغتها، والصقات المشبهة، وأسماء المفعولين التي لا أفعال لها، وثم أفعال التفضيل والتعجب مما لا فعل لهما، وكشف البحث أن ثمة مشتقات نص العلماء على أنها لا فعل لها، وتبين للباحث أن أفعالها مستعملة في اللغة، وثمة مشتقات أميتت أفعالها، وثمة مشتقات استغني فيها بفعل عن فعل، وهناك طائفة من المشتقات لا أفعال لها؛ لأن العرب استعملتها لأداء معانٍ دون مراعاة لمقاييس العلماء وضوابطهم في الاشتقاق. وقد أسهمت عوامل لغوية في وجود هذه المشتقات التي لا أفعال لها؛ من أظهرها: التطور اللغوي ممثلاً بالاستغناء بفعل عن فعل، والشذوذ اللغوي، والحمل على معنى النسب، وكذلك مراعاة الإتيان والمزاوجة، وموت الألفاظ، وزيادة على الخط من بعض العلماء بين الفعل المتروك إظهاره، والفعل غير المستعمل أصلاً.

وقد خلص البحث إلى أن المشتقات التي لا أفعال لها صورة من صور التداولية التي يوظف فيها المستعمل اللفظ، دون أن يأبه للقواعد القياسية في بناء المشتقات، فيشتق من الفعل، أو الاسم، أو الحرف، وقد يبني اشتقاقه من المعنى؛ وقد يأخذه من الجذر فيضيف عليه أو يغير فيه بما يحقق المعنى، وقد يوجد اللفظ المشتق دون أن يكون له أصل في الاشتقاق؛ وفي هذا دليل على أن المسافة شاسعة بين الاستعمال وضوابط القياس في الاشتقاق.

(الكلمات الدالة: لا فعل له، المشتقات، ابن سيده).

(*) جامعة مؤتة - كلية الآداب - قسم اللغة العربية وآدابها.

Derivative Forms that Have No Verbal Roots in Standard Arabic (A Study in Al-Muhkam and Al-Muheet Al-Atham dictionary of Ibin Seedah)

ABSTRACT

The study investigates derivative forms in Standard Arabic that do not have verbal roots in the language by tracing them in Al-Muhkam and Al-Muheet Al-Atham dictionary of Ibin Seedah. The forms included in the study included gerunds, present participles and their exaggerative forms, adjectives, past participles, the comparative form of 'ʔaf3al and exclamation forms. Although scholars have argued that some of these forms have no verbal roots, the researcher has found out that some do have verbal roots in the language. The researcher has also found out that the verbal roots of some of these forms have vanished over time, and that some have been replaced by other verbs. The researcher has also found out that some of these forms have no verbal roots because they have come into use with no consideration of the rules for derivation in the language. A number of factors have contributed to the emergence of such forms, the most prominent of which is language development through which a verb is replaced by another verb, among others.

The study has concluded that the derivative forms that have no verbal roots reflect one aspect of language use whereby a language user employs a language form with no consideration for the rules of derivation in the language. This allows the language user to derive a language form from a verb, a noun, a particle or even an intended meaning. It is also possible for a derivative form to have no root in the language for reasons that are related to form or to meaning which, in turn, indicates that language use and language prescriptive rules are not always compatible.

Key words :Derivative, No Verbal Roots, Ibin Seedah.

مقدمة

طغنت مسألة الاشتقاق على الصّرف العربيّ، حتّى غدت واحدة من أهمّ أركان النّظريّة الصّرفيّة، إن لم تكن أظهرها، وسار البحث فيها عبر محورين هما: أفعال أصل للمشتقات أم المصدر؟ وأيّ منهما أصلّ والآخر فرع؟ وطاف العلماء في هذه المسألة في فريقين، بينهما فريق أراد التوسّط وعدم الانحياز، فذهب السيرافيّ إلى أنّ المصدر أصلّ للفعل، والفعل أصلّ لبقية المشتقات، وذهب ابن طلحة إلى أنّ المصدر والفعل كلّ منهما أصلّ، ليس أحدهما أصلاً للآخر، وذهب الزجاج إلى أنّ كلّ لفظ مشتقٌّ^(١)، وقد بسط السيوطي هذه الاختلافات بقوله: "واختلفوا في الاشتقاق الأصغر؛ فقال سيبويه، والخليل، وأبو عمرو، وأبو الخطاب، وعيسى بن عمر، والأصمعيّ، وأبو زيد، وابن الأعرابيّ، والشّيبانيّ، وطائفة: بعض الكلم مشتقٌّ، وبعضه غير مشتقّ. وقالت طائفة من المتأخّرين اللغويين: كلّ الكلم مشتقٌّ؛ ونُسب ذلك إلى سيبويه والزّجاج، وقالت طائفة من النظار: الكلم كلّه أصلّ، والقول الأوسط تخليط لا يعدّ قولاً؛ لأنّه لو كان كلّ منها فرعاً للآخر لدار أو تسلسل، وكلاهما محالٌّ؛ بل يلزم الدّور عيناً؛ لأنّه يثبت لكلّ منها أنّه فرع،

(١) ابن الحاجب، جمال الدين أبو عمرو (ت ٦٤٦هـ)، الكافية في النحو، دار الكتب العلميّة، بيروت، ج ٢، ص ١٩١-١٩٢. الاسترلابادي، رضي الدين محمّد (ت ٦٨٦هـ)، شرح الكافية، قدم له ووضع هوامشه، إميل يعقوب، دار الكتب العلميّة، ط ١، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ج ٢، ص ٢١٤. الأندلسي، أبو حيان محمّد بن يوسف، التذييل والتكميل في شرح التسهيل، تحقيق حسن هندراوي، دار العلم للملايين، دمشق، ج ٢، ص ٢١٣. السيوطي، عبدالرحمن جلال الدين (ت ٩١١هـ)، المزهّر في علوم اللّغة وأنواعها، تحقيق محمّد جاد المولى، وعلي البجاوي، ومحمّد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت، ج ١، ص ٣٤٨. وانظر خديجة الحديثي، أبنية الصّرف في كتاب سيبويه، مكتبة لبنان ناشرون، ط ١، بيروت، ٢٠٠٣م، ص ١٧٦-١٧٧.

وبعض ما هو فرع لا بدَّ أنه أصل؛ ضرورة أن المشتقَّ كلُّه راجعٌ إليه أيضاً. لا يقال: هو أصلٌ وفرعٌ بوجهين؛ لأنَّ الشرطَ اتحَادَ المعنى والمادةِ وهيئةِ التَّركيبِ؛ مع أنَّ كلاًَّ منها مفرَّعٌ عن الآخرِ بذلك المعنى^(١). ويستندُ كلُّ فريقٍ ممَّن اختلفوا في: أفعال أصل أم المصدر؟ إلى حُججٍ وأدلةٍ أشبه ما تكون بمغالطات المنطق في مسألة بيزنطية، لن يغيَّر الانتصارُ فيها لفريقٍ على الآخر شيئاً في واقع الاستعمال.

وفي خضمِّ الخلاف النَّظريِّ بين الفريقين، الذي بسطه العلماء في أصل الاشتقاق^(٢)، يجد الباحثُ نفسه أمامَ قضايا بارزةٍ في هذه المسألة؛ ففريقٌ يرى المصدرَ أصلاً، وفريقٌ يرى الفعلَ أصلاً، وبين هذا وذاك نجدُ طائفةً من المصادر لا أفعال لها، وطائفةً من الأفعال لا مصادر لها، وثمة أسماءٌ مشتقةٌ من أسماء جامدةٍ نحو: لابنٍ، وتامرٍ، ودارعٍ، وعانب^(٣)؛ فلا هي مُشتقةٌ من مصدرٍ ولا من فعلٍ. وثمة ألفاظٌ مشتقةٌ من أسماء الأعيان، فلا هي من مصدرٍ ولا من فعلٍ، واشتقوا بعضَ أسماء الآلة من أسماء جامدةٍ، مثل: المِخْدَة، والمِرْزود، والمِصدِغَة، والمِرْفِق، وبنوا صيغةَ فعَّالٍ من الأسماء، نحو: خشَّابٍ، وحدَّادٍ، وجمَّالٍ، وسيَّافٍ،

(١) السيوطي، المزهري، ج ١، ص ٣٤٨.

(٢) الأنباري، أبو البركات عبدالرحمن بن محمد (ت ٥٧٧هـ)، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، دار إحياء التراث، القاهرة، ج ١، ص ٢٣٥-٢٤٥. وكذلك: أسرار العربية، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص ١٠٣-١٠٤. وانظر ابن مالك؛ جمال الدين محمد بن عبدالله (ت ٦٧٢)، شرح التسهيل، تحقيق عبدالرحمن السيد، ومحمد بدوي المختون، دار هجر، ط ١، القاهرة، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ج ٢، ص ١٧٧-١٨٠. والسيوطي، المزهري، ج ١، ص ٣٤٦-٣٥٠.

(٣) الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ)، العين، تحقيق مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨١، ج ٢، ص ١٥٩ (عنب).

وهي مسألة طالَ البحثُ فيها عند العلماء^(١)، والذي يشغلُ البحثَ ويمثّلُ ضالته تلك المشتقات التي تناثرت في مصادر اللغة، ونصّ العلماء على أنّها لا فعل لها، وفي الوقت نفسه لم يقولوا إنّها بُنيت من مصادر.

لقد لمح العلماء الاضطرابَ والتناقضَ في تحديد الأساس في ماهية الاشتقاق، فقد رأى محمّد خير الحلواني أنّ جهود العلماء في هذه المسألة تتسمّ بسمات ثلاث: أولاً اعتماد النّصّورِ الذهنيّ، والفرضيات الذهنيّة، وثانيتهما إهمال النّظر الاستقرائيّ الشامل، وآخرها انعدام الأساس العلميّ في تحديد ماهية المشتقات، ولذلك اضطرت أقوال العلماء في الاشتقاق^(٢). ومثّل هذا الاضطراب حظي بنصيبٍ وافٍ في كتاب: (ظاهرة الاشتقاق في اللغة العربيّة) لطنطاوي دراز الذي أشار إلى مواضع الاضطراب في تفسير المشتقات، واختلاف العلماء في ذلك^(٣). ويؤيد ما قاله الحلواني أنّه على الرّغم من الخلاف الظاهر بين النحويين البصريين والكوفيّين في أصل الاشتقاق، نجد علماء البصرة وأعلامهم يبسطون لنا طائفة من الألفاظ المشتقة ممّا لا أفعال لها؛ فيقولون بأصالة المصدر أصلاً للمشتقات، ويبحثون عن أفعال يفسّرون بها اللفظ المشتق؛ فكان البون شاسعاً بين النظرية والتطبيق. فهذا الخليل -رحمه الله- يقول: "وإذا كان النعتُ فاعلاً ولا فعل له، كان بغير الهاء، الذكر والأنثى سواءً، كقولك: رجلٌ رامحٌ، ورجلٌ كاسٍ، وامرأةٌ رامحٌ، وامرأةٌ كاسٍ، أي: معهما رامحٌ وأكسيةٌ"^(٤). فالخليل يقول: لا فعل له، ولم يقل: لا مصدر له، فهو يبحث عن فعلٍ يكونُ أصلاً للمشتق لا عن مصدرٍ. وفي

(١) الحلواني، محمّد خير، المغني الجديد في الصرف، دار الشرق العربيّ، بيروت، ص ٢٣٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٣٦-٢٣٩.

(٣) انظر: دراز، محمّد طنطاوي، ظاهرة الاشتقاق في اللغة العربيّة، القاهرة، ١٩٨٦،

ص ١٦٠-١٧٦، و ص ٢٦٥-٢٧٧.

(٤) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، ج ٤، ص ٢٦٩ (خلف).

موضع آخر يقول: "وعبدٌ بيِّنُ العبودة، وأقرَّ بالعبوديَّة، ولم أسمعهم يشتمون منه فعلاً، ولو اشتقَّ لقليل: عبدٌ، أي: صار عبداً، ولكن أميت منه الفعل... وأمّا عبدٌ يعبدُ عبادة، فلا يقال إلا لمن يعبدُ الله. وتعبَّدَ تعبداً، أي: نفرَدَ بالعبادة"^(١).

إنَّ المواضع التي نصَّ الخليلُ فيها على أنَّ اللفظَ المشتقَّ لا فعلَ له كثيرةٌ، نسوقُ منها -على سبيلِ التمثيلِ والاستدلالِ، لا الحصرِ والاستقصاءِ- ما يلي: "والرَّجُلُ يذُرُّعُ في ساحته تدرِيعاً إذا اتَّسع، وكذلك يتذُرُّعُ أي: يتوسَّعُ كيف شاء. وموتٌ ذريعٌ، أي: فاشٍ، إذا لم يتدافنوا، ولم أسمع له فعلاً. وذَرَعَهُ القَيءُ، أي: غلبه"^(٢). وكذلك قوله: "والعُنَابُ: ثَمَرٌ، والعُنَابُ: الجبلُ الصَّغيرُ الأسودُ. وظبيٌّ عَنَابٌ: نشيطٌ، ولم أسمع للعَنَابِ فعلاً"^(٣). وقوله: "وشاةٌ عَكْوَاءٌ: إذا ابيضَّ ذَنبُهَا، وسائرُهَا أسودٌ، ولو استعملَ فعلٌ لهذا لقليل: عَكِيَّ يَعَكِيُّ فهو أَعَكَى، ولم أسمع له ذلك"^(٤). وقوله: "والوَاعِيَةُ: الصُّرَاخُ على المَيِّتِ ولم أسمع منه فعلاً"^(٥). وقوله: "والقَبُولُ: أن تقبلَ العفوَّ والعافية، وهو اسمٌ للمصدر وقد أميتَ الفعلُ منه"^(٦).

هذه المواضعُ وغيرها ممَّا لم أذكره رغبةً في الاختصارِ، يبحثُ فيها الخليلُ عن فعلٍ للاشتقاق، ويبينُ أنَّ بعضها قد أميتَ فعلُهُ، ولم نجده يسألُ فيها عن مصدرٍ تُشتقُّ منه؛ فمن هنا برزَ التفاوتُ بين النظريةِ والتطبيقِ في البحثِ عن أصلِ الاشتقاق.

وما سيبويه -رحمه الله- ببعيد عن شيخه في البون بين النظريةِ والتَّعْييدِ، بل نجده أجراً في التَّعبيرِ عن جهلِ العالمِ في معرفة أصلِ الاشتقاق، يقول: "والعديلُ

(١) الخليل، كتاب العين، ج ٢، ص ٤٨ (عبد).

(٢) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٩٦ (ذرع).

(٣) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٥٩ (عنب).

(٤) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٨٠ (عكو).

(٥) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٧٢ (وعى).

(٦) المصدر نفسه، ج ٥، ص ١٦٦ (قبل).

ما عادلِكَ من النَّاسِ، والعِدْلُ لا يكون إلا للمتاعِ، ولكنَّهم فرَّقوا بين البناءين؛ ليفصلوا بين المتاعِ وغيره، ومثُل ذلك: بناءُ حَصِينٍ، وامرأةُ حَصَانٍ، فرَّقوا بين البناءِ والمرأةِ، فإنَّما أرادوا أن يخبروا أنَّ البناءَ مُحَرَّرٌ لمن لجأ إليه، وأنَّ المرأةَ مُحَرَّرَةٌ لفرجها، ومثُل ذلك الرزِينُ من الحجارةِ والحديدِ، والمرأةُ رَزَانٌ؛ فرَّقوا بين ما يُحملُ وبين ما تُثقلُ في مجلسه فلم يخفَّ، وهذا أكثرُ من أن أصفه لك في كلامِ العربِ، فقد يكونُ الاسمانُ مشتقين من شيءٍ، والمعنى فيهما واحدٌ، وبنائهما مختلفٌ، فيكونُ أحدُ البناءين مُختصاً به شيءٌ دون شيءٍ ليفرقَ بينهما، فكذلك هذه النجومُ اختصت بهذه الأبنيةِ، وكلَّ شيءٍ جاء قد لزمه الألفُ واللامُ فهو بهذه المنزلةِ، فإن كان عربياً نعرفه، ولا نعرفُ الذي اشتقَّ منه، فإنَّما ذاك لأنَّ جهلنا ما علمَ غيرنا^(١).

وفي موضعٍ آخر يتحدث سيبويه عن أفعل التفضيل -وعهدنا به أنه من المشتقات- فنجده يبحث عن فعلٍ لم يُستعمل، يقدِّره قياساً؛ لبيانِ ممَّا اشتقَّ اللفظُ، ولم يطلب له مصدراً، يقول: " (هذا باب ما تقول العرب فيه: ما أفعله، وليس له فعلٌ، وإنَّما يُحفظُ هذا حفظاً، ولا يُقاسُ) قالوا: أحنكُ الشاتين، وأحنكُ البعيرين، كما قالوا: أكل الشاتين، كأنَّهم قالوا: حنكٌ ونحو ذلك، فإنَّما جاءوا بأفعل على نحو هذا، وإن لم يتكلموا به، وقالوا: آبل النَّاسِ كلَّهم، كما قالوا: أرعى النَّاسِ كلَّهم، وكأنَّهم قد قالوا: آبلُ يأبل، وقالوا: رجلٌ آبلٌ، وإن لم يتكلموا بالفعل، وقولهم: آبلُ النَّاسِ بمنزلة آبل منه، لأنَّ ما جاز فيه أفعل النَّاسِ جاز فيه هذا، وما لم يجز فيه ذلك، لم يجز فيه هذا، وهذه الأسماءُ التي ليس فيها فعلٌ، ليس القياسُ فيها أن يقال: أفعل منه، ونحو ذلك، وقد قالوا: فلانٌ آبلٌ منه، كما قالوا: أحنكُ الشاتين^(٢).

إنَّ الذي يُبرزُ الاضطرابَ في البحثِ عن أصلِ المشتقات أنَّهم تناسوا الفعلَ والمصدرَ في تفسير أصلِ المشتقات؛ ونجدهم ينصِّون على أنَّ العربَ يشتقُّون

(١) سيبويه، عثمان بن قنبر، (ت ١٨٠هـ)، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ومطبعة دار الجيل، بيروت، ج ٢، ص ١١٠. يقصد بالنجوم: الدبران والسماك والعيوق.

(٢) المصدر نفسه، ج ٤، ص ١٠٠.

أفعالاً من أسماء (جوهر) لا من مصادر، كالذي نصّ عليه الأصمعيّ، وهو يفسّر اشتقاق بعض الألفاظ، كقوله: "شَمَّاس: أصله من الشَّمَّاس"^(١)، و"مضر: أصله من اللبن المضير"^(٢)، ونجده يذهب أحياناً إلى تعدّد الاحتمالات في بيان أصل الاشتقاق، نحو قوله: "بُحِينَة: اشتقّ من واحد من شيئين: يقال للغرب إذا كان عظيماً، كثير الأخذ: إنّه لَبْحُون. وضرب من النخل يقال له: بناتٌ بَحْنَة"^(٣). والقول بأنّ العرب اشتقت من أسماء جوهر نصّ عليه ابن السراج نحو قولهم: استحجر الطين، واستنوقَ الجمل، وترجّلت المرأة، ووصفَ ذلك بأنّه أكثر من أن يُحصى^(٤). وهي مسألة أكدها ابنُ جنّي، وضربَ عليها أمثلة كالنبات من النبات، وكالاستحجار من الحجر، وكلاهما اسم^(٥)، ثمّ نجدهم ينصّون على أنّ العرب اشتقت أفعالها من الحروف، مثل: لوليت من قولك: لولا، وسوّفت الرجل، من سوف، وتصريف (ن ع م) من حرف الجواب: نعم، وبجّلته من (بجّل) وقالوا: البجّال، والبجيل^(٦). وأنهم كثيراً ما اشتقوا الأفعال من أسماء الأصوات، نحو: هاهيت، وحاحيت، وعاعيت، وجأجات، وحأحات، وسأسأت، وشأسأت^(٧).

وثمة مشتقات نصّوا على أنّها بُنيت من المشتقات، كاشتقاق الصّفة من الصّفة، فهذا الأزهرّي ينصّ على أنّ (رَجَل) مشتقٌّ من راجل، و(عَجَل) من عاجل، و(حِذِر) من حاذر، ويوافقه في ذلك ابن منظور، يقول الأزهرّي: "وتصغيرُ

(١) الأصمعيّ، أبو سعيد عبدالمك بن قريب (ت ٢١٦هـ)، اشتقاق الأسماء، تحقيق رمضان

عبدالتواب، وصلاح الدين الهادي، مكتبة الخانجي، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص ٩٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ٩٩.

(٣) المصدر نفسه، ص ٩٤.

(٤) السراج، أبو بكر محمّد بن السري (ت ٣١٦هـ)، الاشتقاق، تحقيق محمّد صالح التكريتي،

مطبعة المعارف، ط ١، بغداد، ١٩٧٣، ص ٣٦، والسيوطي، المزهر، ج ١، ص ٣٥٠.

(٥) ابن جنّي، أبو الفتح عثمان (ت ٣٩٢هـ)، الخصائص، تحقيق محمّد علي النجار، دار

الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٠، ج ٢، ص ٣٦.

(٦) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٦-٤٠.

(٧) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٢.

رَجُلٍ رُجِيلٍ، وَعَامَتَهُمْ يَقُولُونَ: رُؤَيْجِلٌ صِدْقٍ، وَرُؤَيْجِلٌ سُوءٍ، يَرْجِعُونَ إِلَى الرَّاجِلِ، لِأَنَّ اشْتِقَاقَهُ مِنْهُ. كَمَا أَنَّ الْعَجَلَ مِنَ الْعَاجِلِ، وَالْحَذَرَ مِنَ الْحَاذِرِ^(١). ويضرب لنا السيوطي أمثلةً على تفسيرِ غرائبِ المشتقاتِ تبينُ التفاوتَ الكبيرَ بين العلماءِ في معرفة أصلِ الاشتقاقِ؛ فهذا الأصمعيُّ يُسألُ عن لفظِ مِمَّا اشْتَقَّ يَقُولُ: لا أدري، وأبو عبيدة يقول: لم أكن مع آدم حين علمه الله الأسماءَ، وذا أبو حاتم السجستانيُّ يُسألُ عن لفظِ آخر فيقول: لا أدري؛ فيعقبُ الرياشيُّ بقوله: يا معشرَ الصَّيَّانِ؛ إنَّكُمْ لَتَتَعَمَّقُونَ فِي الْعِلْمِ. وَسُئِلَ أَبُو عَمْرٍو بِنِ الْعَلَاءِ عَنِ اشْتِقَاقِ الْخَيْلِ فَلَمْ يَعْرِفْ^(٢). وقال ابنُ سيده في تفسيرِ أحدِ أسماءِ الفاعلينِ مِمَّا لا فِعْلَ لَهُ: "وَلَيْلٌ دَاخٍ: مُظْلَمٌ، فِيمَا أَنْ يَكُونَ عَلَى النَّسَبِ، وَإِمَا أَنْ يَكُونَ عَلَى فِعْلٍ لَمْ تَسْمَعْهُ"^(٣).

إِنَّ تَتَوَعَّ أَصُولِ الْمَشْتَقَاتِ مَسْأَلَةٌ لَا تَحْتَاجُ إِلَى فَيْضِ أَدَلَّةٍ، فَالْعَرَبُ اشْتَقَّتْ مِنْ أَسْمَاءِ الشَّجَرِ، وَمِنْ أَسْمَاءِ الْأَرْضِينَ، وَمِنْ بَعْضِ الصِّفَاتِ^(٤)، وَالْعَرَبُ تَشْتَقُّ أَيْضاً مِنْ أَسْمَاءِ الْمَعَانِي، مِثْلُ: أَسْمَاءِ الْعَدَدِ، وَأَسْمَاءِ الْأَزْمَنِ، وَأَسْمَاءِ الْأَمْكَنَةِ، وَتَشْتَقُّ مِنْ أَسْمَاءِ الْأَعْيَانِ، وَأَسْمَاءِ الْأَصْوَاتِ، وَحُرُوفِ الْمَعَانِي، وَحُرُوفِ الْمَبَانِي،

(١) الأزهرى، أبو منصور محمد بن أحمد (ت ٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق: عبدالسلام هارون، راجعه محمد النجار، المؤسسة المصرية العامة للتأليف، ١٣٤٨هـ/١٩٦٤م، ج ١١، ص ٢٤ (رجل)، ابن منظور، جمال الدين بن مكرم (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج ١١، ص ٢٦٦ (رجل).

(٢) انظر: السيوطي، المزهري، ج ١، ص ٣٥٣.

(٣) ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت ٤٥٨هـ)، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق عبدالحميد هندواوي، دار الكتب العلميّة، ط ١، بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ج ٥، ص ٢٥٢ (دخي).

(٤) انظر: ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن (ت ٣٢١هـ) الاشتقاق، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الجيل، ط ١، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ص ٥٥٣-٥٦٣.

واشتقوا من الألفاظ المعرّبة، وهذه مسألة نالت من البحث عند عبدالله أمين ما يرى فيه الباحث كفايةً عن التكرار^(١). وهذا كله يؤكد حقيقة أن أصل الاشتقاق بعيداً عن المصدر أو الفعل، وأن الاضطراب في تحديد أصل الاشتقاق سمة برزت في الدرس اللغوي، لا تنم عن تقصير في البحث عند علماء العربية، بل تدل على تمرّد في الاستعمال اللغوي فاق حدود التقعيد. وأن العرب تفننت في بناء مشتقاتها بعيداً عن القياس الصارم في أصول الاشتقاق، وهي تبحث عن طرائق لأداء معانيها، دليلنا على ذلك قول السراج: "ويجوز عندي أن يخترع المُسمّي اسماً لم يسمعه، وأن يُسمّي بالأعجمي، وباب التسمية غير محذور على أحد"^(٢).

ومما نستدل به على مخالفة القياس في الاشتقاق، ما ذكره الفراء من أن أهل الحجاز يغيرون القياس في بناء الاشتقاق، يقول: "وإن أهل الحجاز أفعل لهذا من غيرهم، أن يجعلوا المفعول فاعلاً إذا كان في مذهب نعت، تقول العرب: هذا سرّ كاتم، وهم ناصب، وليل نائم، وعيشة راضية"^(٣). وفي هذا خروج على القياس في سبيل تحقيق المعنى الذي يجول في النفس.

إن تعدد الأصول التي بنى العرب عليها مشتقاتهم تدفعنا إلى القول بأنهم اعتمدوا في طائفة كثيرة من المشتقات على الجذر المجرد الذي ليس فعلاً ولا اسماً، وهو الجذر الذي اعتمده بعض العلماء في بناء المعاجم، وهو الجذر الذي بنى عليه العلماء مسألة التقلبات الصوتية في الاشتقاق الكبير، وهو الجذر المعتمد في دراسة اللغات السامية؛ فيضيفون إلى الجذر النووي ما يلبي حاجتهم،

(١) عبدالله أمين، الاشتقاق، مكتبة الخانجي، ط٢، القاهرة، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص ١٥-١٤٤.

(٢) السراج، الاشتقاق، ص ٣٦.

(٣) الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد (ت ٢٠٧هـ)، معاني القرآن، ط٥، بيروت، ١٩٨٠م، ج ٣،

ويعدلون عليه بما يحقّق المعنى، وهذا الجذر عبّر عنه العلماء بقولهم: (كلّ الكلم مشتقٌّ) وقولهم: (الكلم كله أصلٌ).

وإذا أخذنا الرّمخشري (ت ٥٣٨هـ) مثلاً للنحاة القدامى في طُرُق المشتقاتِ التي لا أفعالَ لها؛ نجده يقسّم المصادرَ الواقعةَ مفعولاً مطلقاً في ثلاثةِ أقسامٍ - شأنه في ذلك شأنُ غيره من العلماءِ، يقولُ: "والمصادرُ المنصوبةُ بأفعالٍ مضمرةٍ على ثلاثةِ أنواعٍ: ما يستعملُ إظهارُ فعله وإضماره، وما لا يستعملُ إظهارَ فعله، وما لا فعلَ له أصلاً"^(١). فالنوعُ الثالثُ فاقِدٌ للفعليةِ من وجهين: فعلٌ ينتصبُ به، وفعلٌ يُشتقُّ منه، وإذا كان العاملُ ديدنَ الرّمخشريِّ وضالته، فإنَّ الاشتقاقَ هاجسُ ابنِ يعيش، وهو يبسطُ القولَ في تفسيرِ غيابِ أفعالِ هذه المصادرِ، ويعلّلُ عدمَ استعمالها، وما هيئتها لو أنّنا قدرناها قياساً على ما ناظرها^(٢). وهو تفسيرٌ لا يبتعدُ عن رأيِ ابنِ مالك، وهو يعلّلُ غيابَ أفعالِ هذه المصادرِ^(٣).

إنَّ جهودَ علمائنا القدامى في دراسةِ ما لا فعلَ له جاءتْ أشناتاً في مؤلفاتهم، فالخليلُ -رحمه الله- نثرَ منها خمسين موضعاً تقريباً، نصّ فيها نصّاً صريحاً على أنّها ممّا لا فعلَ له، زيادةً على تلكِ المواضع التي نصّ فيها على أنّ فعلها أميتٌ، ونذكرُ منها بضعةَ مواضعٍ على سبيلِ التمثيلِ: "الأفكَلُ: رعدةٌ تعلقو الإنسان، ولا فعلَ له"^(٤). وقوله: "والفاقةُ: الحاجةُ، ولا فعلَ لها"^(٥). وقوله: "هذا

(١) الرّمخشريِّ، أبو القاسم محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ)، المفصل في علم العربية، قدّم له وراجعته: محمّد السعيدى، دار إحياء العلوم، ط ١، بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٩٩م، ص ٤٥-٤٦.

(٢) ابن يعيش، أبو البقاء، موفق الدين الأسد (ت ٦٤٣هـ)، شرح المفصل للرمخشري، قدّم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت -

لبنان، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، ج ١، ص ١١٩-١٢١.

(٣) انظر: ابن مالك، شرح التسهيل، ج ٢، ص ١٧٩.

(٤) الخليل، العين، ج ٥، ص ٣٧٤ (فكل).

(٥) المصدر نفسه، ج ٥، ص ٢٢٥ (فوق).

فَرَسٌ، وهذه فَرَسٌ، والفُروسَةُ مصدر الفارس، لا فِعَلَ له^(١). وغيرها من المواضع التي تنوعت فيها المشتقات التي لا أفعال لها^(٢).

وسيبيويه تحدّث عن المشتقات التي لا أفعال لها في غير موضع من كتابه؛ أمّا أولهما: فتلك الطائفة من المصادر التي لا أفعال لها، أو تلك المصادر التي تُركَ فعلها كما قال، وذكرها وهو يبحث عن عوامل نصب المفعول المطلق، أي أنّ حديثه عنها نحويّ تركيبيّ، وكان ذلك في الباب الموسوم بـ(هذا باب ما جرى من المصادر المضافة مجرى المصادر المفردة المدعّو بها) وثانيها: الباب الموسوم بـ(هذا باب ما يجيء من المصادر مُنتئى منتصباً على إضمار الفعل المتروك إظهاره)^(٣). أمّا الباب الثاني فجاء في أفعال التفضيل والتعجب ممّا لا فعل له، وعنوانه: "هذا باب ما تقول العرب فيه ما أفعله وليس له فعل، وإنّما يُحفظ هذا حفظاً ولا يقاس"^(٤).

إنّ حديث العلماء اللاحقين لسبيويه في هذه المسألة متشابهة إلى درجة كبيرة، فثمة طائفة كبيرة من العلماء جاء حديثهم عنها في معرض القول في أصل الاشتقاق، ولم يتجاوزوا في ذلك ما ذكره البصريون من مصادر لا أفعال لها، وهم يحتجّون لرأي البصريين في هذه المسألة، وهي مسألة معروفة أغنانا العلماء عن تكرار ذكرها^(٥). وثمة طائفة أخرى اكتفت بذكر المصادر التي لا أفعال لها في

(١) الخليل، ج٧، ص٢٤٥ (فرس).

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص١٨٢ (لحد). وج٣، ص١٠٧ (نضح) وج٥، ص١٦٧ (قبل)، وج٧، ص٢٤٥ (فرس). وج٨، ص٤٠٤ (ابن).

(٣) سبيويه، الكتاب، ج١، ص٣١٨-٣٢٢، وص٣٤٨-٣٤٩.

(٤) المصدر نفسه، ج٤، ص١٠٠.

(٥) الحلواني، المغني الجديد في علم الصّرف، ص٢٣٦. وانظر: عبدالله أمين، الاشتقاق،

باب المفعول المطلق، ولا تكادُ تختلفُ إلا في مقدارٍ ما حصروه من ألفاظٍ لا فعلٍ لها، لذا سأعرض منها نماذج للاستدلال والتمثيل، فهذا المبرّد (ت ٢٨٥هـ) يُفرد باباً لـ (ما جرى من المصادر وليس بمتصرفٍ من فعلٍ) يذكرُ فيه طائفةً من المصادر غير المتصرفة من أفعالٍ، نجدها مكررةً عند معظم من جاؤوا بعده، زيادةً على أن الخليل وسيبويه وابن دريد ذكروا بعضاً منها قبله، ومنها: سبحان الله، ومعاذ الله، وقولهم: أفة، وثقة، وويل، وويح، وسلام، وثرب. وكذلك: حجر، و(مرحباً) و(أهلاً) وريحانة^(١). ومدارُ حديثِ المبرّد فيها عن النَّصبِ وعامله لا عن الاشتقاق.

وإذا ما أخذنا نموذجاً آخر من جهود العلماء السابقين في بحث هذه المسألة نجدُ القاسمَ المؤدّب (ت ٣٣٨هـ) يُفردُ باباً في (دقائق التصريف) عنوانه: (حكّم في المصادر التي لا أفعال لها) يذكر فيه نوعاً من المصادر المأخوذة من الأسماء، سبقه العلماء إلى ذكرها كالخليل وسيبويه، منها: أب بين الأبوّة، وابن بين البنوة، ورجل بين الرجولة والرجولية، وراجل بين الرجلة، وعمّر بين العمورة (أي العطاء) وبين الغمارة (أي التجارب)، وهجين بين الهجونة، وامرأة هجان بينة الهجانة، وحصان بينة الحصانة، وفرس حصين بين التحصين والتحصين، وخال بين الخولة، وعم بين العمومة، وفارس بين الفروسة والفروسية والفراسة. وغيرها من هذه المصادر التي اشتقت من أسماء^(٢).

وهذا ابن سيده (ت ٤٥٨هـ) يُفردُ باباً للمصادر التي لا يشتق منها أفعال، يستفيضُ فيه في سرد طائفةٍ كبيرةٍ من هذه المصادر، وينقلُ فيه ما انفرد به العلماء

(١) المبرّد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٥هـ)، المقتضب، تحقيق: عبدالحال عزيمة، عالم الكتب، ط ٢، بيروت، ١٣٨٦هـ، ج ٣، ص ٢١٧-٢١٩.

(٢) المؤدّب، القاسم بن محمّد بن سعيد (ت ٣٣٨هـ)، دقائق التصريف، تحقيق حاتم الضامن، وحسين تورال، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص ٥٩-٦٠.

من ذكر هذه المصادر، ولعله -أي ابن سيده- من أكثر العلماء حصرًا لهذه المسألة^(١). وأشار إليها أيضاً في حديثه عن المصادر المثناة التي استعملت في العربية لضرب من المبالغة^(٢). وما ابنُ يعيشٍ ببعيدٍ عن سابقه في ذكر المصادر التي لا أفعالَ لها في معرض حديثه عن العامل في المفعول المطلق وتفسيرِ نصبه بفعلٍ متروكٍ إظهاره^(٣)، ويكاد حديثه يكونُ نموذجاً للنحاة في طَرَقِ هذه المسألة، لا يزيدون أو يُقصون إلا في ضربِ الأمثلة.

لقد استحوذت هذه المسألة على فكرِ النحاة المحدثين وهم يبحثون عن فعلية الاشتقاق أو اسميته، فهذا المستشرق الألماني ولفنسون ينصُّ في كتابه: (تاريخ اللغات السامية) على سيادة العقلية الفعلية على اللغات السامية ومنها العربية، وأنَّ الفعلَ فيها هو أصلُ كلِّ شيءٍ بما في ذلك الاشتقاق، وأنَّ ما ذهبَ إليه علماءُ العربية من أنَّ الاسمَ أصلٌ للمشتقات هو رأيٌ خطأ -كما قال- وأنَّ هذا الرأيَ تسرَّب إليهم من الفُرسِ الذين بحثوا في اللغة العربية بعقليتهم الآرية، والأصلُ في الاشتقاق عند الآريين أن يكونَ من مصدرٍ اسمي^(٤). وقد أثارَ هذا الرأيَ اهتمامَ الدكتور عبدالقادر سلامي الذي عقَّبَ على رأي ولفنسون في مقالةٍ عنوانها: (رأي أ. ولفنسون في أصالة الفعل في اللغات السامية) وتحدَّثَ فيها عن مسألة أصلِ الاشتقاق وتاريخها في الدرس اللغوي، وانتهى إلى أنَّ الاسمَ والمصدرَ لهما السبقُ في أصلِ الاشتقاق، وأنَّ رأي ولفنسون متأثرٌ بموقف الكوفيين من أصلِ الاشتقاق^(٥).

(١) ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت ٤٥٨هـ)، المخصَّص، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ٤، السفر ١٤، ص ٢٢٢-٢٢٤.

(٢) المصدر نفسه، ج ٤، السفر ١٣، ص ٢٣١-٢٣٣.

(٣) ابن يعيش، شرح المفصل، ج ١، ص ١٢٠-١٢١.

(٤) ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، دار القلم، بيروت، ص ٢٠.

(٥) سلامي، عبدالقادر، "رأي أ. ولفنسون في أصالة الفعل في اللغات السامية". مداخلة ضمن

ملتقى جامعة الأمير عبدالقادر للعلوم الإسلامية، الجزائر.

لقد تجاوز موقفَ المحدثين حدودَ فعليةِ أصلِ الاشتقاقِ ومصدريتهِ إلى البحثِ عن أصولٍ أُخرَ للمشتقات؛ على النحو الذي يطالعنا به طنطاوي دراز وهو يقول: "نستطيع أن نستنتج من غير تجويزٍ في القولِ أنَّ الحدثَ أصلٌ، والزمانَ فرعٌ عليه، وهذا لا يتعارضُ مع دعوتنا إلى اعتبارِ أسماءِ المرّةِ والهيئةِ أصلَ المشتقاتِ"^(١). ولستُ أعرف كيف فانتته تلك الطائفةُ من المشتقاتِ التي لم نهتدِ فيها إلى أفعالٍ أو مصادرٍ؛ حتى نبحتَ فيها عن مصدرٍ مرّةً، أو مصدرٍ هيئةً ليكونَ أصلاً لاشتقاقها؟.

واليوم نبحتُ هذه المسألةَ، وليس نصبَ أعيننا مصدرٌ أصلٌ للمشتقاتِ، ولا فعلٌ، بل نقدّم طائفةً من المشتقاتِ نصّ العلماء على أنّها لا فعلَ لها تشقّقَ منه؛ نستدلُّ بها ومنها على مسألةٍ خلدتُ في الذهنِ ردحاً من الرّمن، خلاصتها أنّ هذه الألفاظَ ليس لها سبيلٌ إلى الاشتقاقِ، وأنها وُجِدتْ في الاستعمالِ كما وُجِدتِ المصادرُ والأفعالُ، ليس لأحدٍ منها فضلٌ سبقٍ على الآخر، وأنَّ العربيَّ الذي استعملَ هذه الألفاظَ قضى بها حاجةً في التّعبيرِ عن المعنى، لم يشغل نفسه، ولم يخطر له ببالٍ، هذا الاشتقاقِ وتأصيله الذي شغلَ العلماءَ به أنفسهم، ولم يدُر له في خلدِ معرفةِ أصولِ الاشتقاقِ وضوابطه التي سيطرت على الفكرِ الصرفيِّ.

المشتقاتِ التي لا أفعال لها في المُحكّم:

لا يحسبُ القارئُ أنّ ابن سيده انفراداً بهذا البابِ، بل نجد الخليلَ قبله ينصّ في (٥٠) خمسين موضعاً في (العين) على مشتقات لا أفعال لها، والقول نفسه ينطبق على ابن دريد الذي نصّ على هذه المسألة في عشرات المواضع من (جمهرة اللغة)، ومثله الجوهري في (الصّحاح)، وكذلك ابنُ فارس في (المقاييس)، أي أنّ ابن سيده هو فقط ميدانٌ للدراسة

(١) دراز، ظاهرة الاشتقاق في اللغة العربيّة، ١٩٨٦، ص ٢٦٧.

لسببين: أولهما لأنه أكثر من ذكر المشتقات التي لا أفعال لها، إذ بلغ تكرارها في المعجم مئة مرة تقريباً، وثانيهما رغبة الباحث في وجود ميدانٍ للدراسةٍ يحولُ دونَ الاستطرادِ في الموضوعِ وتشعّبه، ويرى الباحثُ في ابنِ سيده نموذجاً لأصحابِ المعاجمِ اللاحقة، في بحثِ هذا الموضوعِ.

ورأيتُ أن أجعلَ هذا الموضوعَ في مباحثٍ؛ طلباً لحسنِ السّبرِ والتّقسيمِ، وتسهيلاً للدراسةِ والتحليلِ، فجاء البحثُ في الموضوعاتِ التالية:

أولاً- المصادر التي لا أفعال لها.

ثانياً- أسماء الفاعلين ومبالغتها التي لا أفعال لها.

ثالثاً- الصّفات المشبّهة التي لا أفعال لها.

رابعاً- أسماء المفعولين التي لا أفعال لها.

خامساً- أفعال التّفصيلِ والتّعجبِ ممّا لا فعلَ لهما.

أولاً- المصادرُ التي لا أفعال لها.

لقد كانت هذه المسألةُ الشغلَ الشاغلَ للعلماء، ومنبعها ذلك الخلافُ المشهورُ بين البصريينَ والكوفيينَ في أصلِ الاشتقاقِ، عندما سردَ البصريونَ طائفةً من المصادرِ التي لا أفعالَ لها، وهم يحتجونَ لأصالةِ المصدرِ في الاشتقاقِ، نذكرُ منها ما أورده الأنباريُّ في (الإنصاف) وهي: ويّله، وويّحه، وويّهه، وويّبه، وويّسه، وأهلاً وسهلاً، ومزحجاً، وسقياً، ورعيّاً، وأفة، وثقة، وتغساً، ونكساً، وبُعداً، وسُحقاً، وجوعاً، وثوعاً، وجذعاً، وعُفراً، وخيّبةً، ودُفراً، وتّباً، وبهراً^(١).

(١) الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، ج ١، ص ٢٢١.

إنّ هذه المصادرَ طالعنا ببعضها سيبويه، وهو يتحدّثُ عن المصادرِ المنصوبةِ بالفعلِ المتروكِ إظهاره، وشاعت في كتب النحو من بعده، وزاد النحاة ألفاظاً فيها، يقول: "(هذا باب ما جرى من المصادرِ المضافةِ مجرى المصادرِ المفردةِ المدعوِّ بها)، وإنما أُضيفت ليكونَ المضافُ فيها بمنزلته في الكلامِ إذا قلت: سَقِيًّا لك؛ لتبيّن من تعني، وكذلك: وَيَلِكُ، وَيَوِيحُكَ، وَيَوِيسُكَ، وَيَوِيبُكَ، ولا يجوز سَقِيَّكَ، إنّما تُجرى ذا كما أُجرتِ العربُ، ومثّل ذلك: عَدَدْتُكَ، وَكَلْتُكَ، وَوزَنْتُكَ، ولا تقول: وَهَبْتُكَ؛ لأنّهم لم يُعدّوه، ولكنْ وهبْتُ لك، وهذا حرفٌ لا يُتكلّمُ به مفرداً إلاّ أن يكون على وَيَلِكُ" (١).

وعلى الرّغم من أنّ هذه المصادرَ شائعةٌ في معظمِ كتبِ النحوِ التي تحدّثت عن المفعولِ المطلقِ الذي لا فعلَ له؛ إلاّ أنّي لا أجدُ تفسيراً لتجاهلِ العلماءِ لوجودِ أفعالٍ مستعملةٍ لبعضِ هذه المصادرِ، مثل (سَقِيًّا) التي نجدُ لها فعلاً شائعاً في الاستعمالِ، يقول ابن منظور: "السَّقِيُّ معروف، والاسم السَّقِيّا بالضم، وسَقَاهُ اللهُ الغيثَ وأسَقَاهُ... ويقال: سَقَيْتَهُ لَشَقَيْتَهُ، وأسَقَيْتَهُ لِماشِيَتِهِ وأَرْضِيهِ، والاسمُ السَّقِيُّ" (٢). والقول نفسه في (رَعِيًّا) وهي من المصادرِ المتداولةِ عند النحاة على أنّها لا فعلَ لها، ومع ذلك لا نعدّمُ فعلها الشائع في الاستعمالِ، يقول ابن منظور: "الرَّعِيُّ: مصدر رَعَى الكَلأَ ونحوه، يَرَعِي رَعِيًّا، والرَّاعِي يَرَعِي الماشيةَ: أي يَحِوطُها ويحفظُها، والماشيةُ تَرَعِي أي ترتفع وتأكُل" (٣). وتتجلى هذه المسألةُ فيما نقله ابن سيده عن سيبويه، وهو يُدرج (بَهْرًا) فيما لا فعلَ له، علماً أنّ فعله مستعملٌ، يقول ابن سيده: "وَبَهْرَهُ يَبْهَرُهُ بَهْرًا: فَهْرَهُ وَعَلْبَهُ. وَبَهَرَ القَمَرَ النُّجُومَ بُهْرًا: غلبها بضوئه... وَبَهْرًا لَهُ، أي تعساً وَعَلْبَةً،... قال سيبويه: لا فعلَ لقولهم: بَهْرًا له في حدِّ الدعاء، وإنّما نُصبَ على توهمِ الفعلِ، وهو ممّا ينتصبُ على إضمار

(١) سيبويه، الكتاب، ج ١، ص ٣١٨.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج ١٤، ص ٣٩٠ (سقي).

(٣) المصدر نفسه، ج ١٤، ص ٣٢٥ (رعي).

الفعل غير المستعمل إظهاره. وبَهَرَهُم اللهُ بَهْرًا: كَرَيْهُمُ، عن ابن الأعرابي^(١). وعندما أدرك الأستراياذي فعله قال: إذا كان بمعنى (تعساً) فلا فعل له، وإذا كان بمعنى آخر فله فعل^(٢). فمثل هذا لا يجوز أن يدخل فيما لا فعل له؛ لأنّ الذي قصده سيبويه واضح لا لبس فيه من حيث إنّه منصوبٌ بفعلٍ مُضمرٍ، وقد استعمل هذا الفعل^(٣). والقولُ نفسه مع مصادرٍ أخرى استعملت أفعالها وشاعت، ونصّ العلماءُ على أفعالها نصّاً صريحاً، منها: (تُعساً) و(نكساً) و(بُعداً) و(جُوعاً) و(بَهراً) و(سحقاً) و(جدعاً) و(خبيّةً)^(٤). وهذا يدفعنا إلى القول بلا تردّد: هذه مصادرٌ لها أفعالٌ، فيسقط الاعتدادُ بها، ولا حاجةٌ للنّحاةِ فيها.

والذي يبدو لي أنّ البصريين وسعوا دائرة الاحتجاج لموقفهم من أصلِ الاشتقاق، فأدخلوا المصادرَ المتروكة إظهار أفعالها - في حالة نصبها لنيابتها عن الأفعال - في دائرة المصادر التي لا أفعال لها، وهي في الحقيقة لها أفعالٌ مستعملةٌ، فالفعلُ المتروكُ إظهاره كما عبّر عنه سيبويه وبقية العلماء يُقصدُ به الفعل المحذوفُ، وليس الفعل الذي لم يُستعمل البتّة. فشتان ما بين المتروكِ إظهاره، وما لا فعل له. فإدخالُ هذه المصادر التي وجدنا لها أفعالاً في دائرة المصادر التي لا أفعال لها لا وجه له في العربية، ولا يؤيّد الاستعمال اللغويّ.

وإذا ما انتقلنا إلى معجم (المحكم) لدراسة هذه المصادر ألفينا ابن سيده يسردُ طائفةً كبيرةً من المصادر التي لا أفعال لها، وذكرَ منها زهاء أربعين مصدرًا تقريباً، نذكر منها أمثلةً دالةً على سبيل الاستشهاد لا الحصر، ومنها قوله:

(١) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم والمحيط الأعظم، ج ٤، ص ٣١٢، (بهر).

(٢) الأستراياذي، رضي الدين محمّد بن الحسن المتوفى سنة ٦٨٦هـ، شرح الشافية، محمّد محيي الدين عبدالحميد، محمّد نور الحسن، محمّد الزفزاف، دار الكتب العلمية، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ج ١، ص ٢٧٥.

(٣) ابن يعيش، شرح المفصل، ج ١، ص ١٢٠.

(٤) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ٨، ص ٤١ (جدع). ص ٦١ (جوع)، ج ٣، ص ٩٠

(بعد)، ج ٤، ص ٨٢ (بهر)، ج ٦، ص ٣٣ (تعس) و(نكس). ج ١٠، ص ١٥٣

(سحق).

"والخَضِيعَةُ: الصوتُ يُسْمَعُ من بطنِ الدَّابَّةِ، ولا فَعَلَ لها"^(١). وفي الموضع نفسه يقول: "ونباتٌ خَضِيعٌ: مُتَنَّنٌ من النِّعْمَةِ، كأنَّه مُنْحَنٌ. وهو عندي على النَّسَبِ؛ لأنَّه لا فَعَلَ له يصلحُ أن يكونَ خَضِيعٌ محمولاً عليه"^(٢). فقد ذَكَرَ المصدرَ والصفةَ على أنَّهما لا فَعَلَ لهما، وفي اللفظِ نفسِه يذكَرُ: خَضِعَ يَخْضَعُ، وأخضَع، وخضعاء، وخاضع، وخواضع، وغيرها من التَّصْرِيفَاتِ. فالفَعْلُ مستعملٌ وكذلك تَصْرِيفَاتُهُ، وهذا ما ذَكَرَه العلماءُ أيضاً^(٣). وأمَّا قولُه في: الخَضِيعَةُ وَخَضِعَ أنَّهما لا فَعَلَ لهما، فيمكنُ تبريرُ ذلكَ بأنَّه لم يستعمل لهما فَعْلٌ في المعنى الخاصِّ بهذين اللفظين، أي بمعنى صوتِ جوفِ الدَّابَّةِ أو صوتِ قُنْبِهِ، والشَّجَرِ الممتثني. والدليلُ على ذلكَ أنَّ ابنَ منظورٍ ذَكَرَ تَصْرِيفَاتِ الفَعْلِ، ولكَّته ذَكَرَ رأيَ ابنِ سيده ووافقَه فيه^(٤). فإذا كان الفَعْلُ مستعملاً في معانٍ متعدِّدةٍ، وفي الوقتِ نفسِه نجد اشتقاقاً لهذا الفَعْلِ في معنَى مغايرٍ لمعنى الفَعْلِ الأصلي، وينصَّ العلماءُ على أنَّه لا فَعَلَ لهذا الاشتقاقِ، يؤكِّدُ لنا هذا أنَّ العربيَّ يشْتَقُّ، وليس نصبَ عينه ضوابطُ العلماءِ في الاشتقاقِ، ولا يَأْبَهُ لأصولهم فيه، بل يوظِّفُ الصَّيغَةَ اعتباطاً، وفقَّ المعنى الذي يحتاجُ إلى التَّعبيرِ عنه.

وفي موضعٍ آخر يقول ابن سيده: "الرُّعَاقُ: صوتٌ يُسْمَعُ من قُنْبِ الدَّابَّةِ. وقيل: هو صوتُ بطنِ المُقْرِفِ، رَعَقَ يَرَعَقُ رُعَاقاً، وقال اللحياني: ليس للرُّعَاقِ، ولا لأخواته كالضَّغِيبِ، والوَعِيقِ، والأرْمَلِ، فِعْلٌ"^(٥). وهذا النَّصُّ نقله حرفياً ابنُ

(١) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج ١، ص ١٣١، (خضع).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج ٨، ص ٧٢ (خضع).

(٤) المصدر نفسه، ج ٨، ص ٧٢ (خضع).

(٥) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج ١، ص ١٩٨ (رَعَق).

منظور^(١). فالفعلُ مستعملٌ نصّاً عليه الخليلُ، وابن سيده وغيرهما من العلماء، ومصدر الفعل: الرَّعْقُ والرُّعَاقُ، وبالتالي لا سبيلَ إلى تفسير قول اللحياني وغيره من العلماءِ بأنّه لا فعلَ للرُّعَاقِ، سوى أنّه لم يُستعمل منه فعلٌ في معنى صوتِ جوفِ الدّابةِ، أي لا نقولُ: رعت الدّابةُ. وهذا يعني إمكانيّة توظيف الصّيغة الاشتقاقية في معنى اعتباري تتواضع عليه العربُ، دون استعمالِ الفعلِ في المعنى الجديدِ، وهذا مظهرٌ من مظاهر التطوّر الذي يدلّ على سعة تصرّف العربيّة.

ومن المصادر التي نصّ عليها ابنُ سيده قوله: "والعَصْدُ والعَزْدُ: النكاحُ، لا فعلَ له، وقال كُرَاع: عَصَدَ المرأةَ يعصِدُها عَصِداً: نكحها، فجاء له بفعل"^(٢) والحقيقة أنّ بعض العلماء السابقين لابن سيده نصّوا على أنّ هذا المصدر لا فعلَ له، وفي الوقت نفسه يستعملون له فعلاً تتعاقب فيه السّين والرّاي والصاد على الفعلِ، يقول الأزهري: "عَسَدَ: قال ابن المظفر: العَسَدُ لغة في العَزْدِ، كالأسد والأزد. قلت: يقال: عَسَدَ فلان جاريتَه وعَزَدَها وَعَصَدَها إذا جامعها"^(٣) وذكر هذا الفعلُ بالرّاي والصاد بالمعنى نفسه، وذكّرت تصريفاته نفسها، نقلاً عن الخليل وابن دريد^(٤). غير أنّ الخليلَ ذكر للعَصْدِ معنى غيرِ الجماعِ، وذكّر معنى الجماعِ في (عَزَدَ وعَسَدَ)^(٥)، إنّ ذكّر ابن سيده لهذا اللفظِ على أنّه لا فعلَ له، لا تفسيرَ له

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج ١٠، ص ١١٨ (رعق).

(٢) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج ١، ص ٤٢١ (عصد).

(٣) الأزهري، تهذيب اللغة، ج ٢، ص ٤٢ (عسد).

(٤) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٧٨ (عصد).

(٥) الخليل، العين، ج ١، ص ٢٨٨ (عصد).

سوى أنه جرى العلماء السابقين له فيما ذهبوا إليه، أو أنه ذكر ذلك لحرصه على الاستقصاء في سرد ما يتعلق بالفعل.

وفي موضع آخر يذكر ابن سيده مصادر مشتقة من الأسماء، مثل: العبودية والعروبية، وهذه مسألة توسع فيها في كتابه (المختص) الذي أفرده فيه فصلاً لهذا النوع من المصادر ذكر فيه عشرات الألفاظ، مثل: الرجولة، والحريّة، وغرّ، وغرّة، وغيرها^(١)، يقول ابن سيده: "والاسم من كلّ ذلك العبودة والعبودية، ولا فعل له عند أبي عبيد، وحكى اللحياني: عبُد عبودةً وعبوديةً"^(٢). وفي موضع مشابه يقول: "وعربيّ بين العروبة والعروبية، وهما من المصادر التي لا أفعال لها"^(٣)، وعلى الرّغم من أنّ ابن سيده يذكر قول اللحياني في إيضاح فعل العبودية، إلّا أنّنا نجدّه ينقل قولاً غلط فيه أبو عبيد في عدّ (حصان) من المصادر التي لا أفعال لها؛ لأنّهم قالوا: حصّنت المرأة^(٤). وهذا يعني أنّ الأولى بنا أن نخرج من هذه المسألة كلّ مصدرٍ عدّ لا فعل له، إذا وجدنا له فعلاً مستعملاً، وإن كان ذلك الاستعمال من النّوادر.

ومن المصادر التي لا أفعال لها التي ذكرها ابن سيده قوله: "الواعية كالوعي، وقيل: الواعية الصراخ على الميت، ولا فعل له"^(٥)، والحقيقة أنّ ثمة فعلاً لهذا المصدر ذكره الخليل في (العين) وذكره ابن سيده نفسه، ولكنّ هذا الفعل لم يُستعمل في معنى الصراخ على الميت، دليلنا على ذلك قول الخليل: "الواعية:

(١) انظر: ابن سيده، المختص، ج ٤، سفر ١٤، ص ٢٢٢-٢٢٤.

(٢) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج ٢، ص ٢٥ (عبد).

(٣) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٢٦ (عرب).

(٤) ابن سيده، المختص، ج ٤، السفر ١٤، ص ١٤.

(٥) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج ٢، ص ٣٨٥ (وعي).

الصُّرَاخُ عَلَى الْمَيِّتِ، وَلَمْ أَسْمَعْ مِنْهُ فِعْلًا^(١)، فِي حِينَ أَتَاهُ ذَكَرَ الْفِعْلَ وَاسْتَعْمَالَاتِهِ فِي مَطْلَعِ حَدِيثِهِ عَنِ (وَعَى). وَالْوَاعِيَةُ مِنَ الْمَصَادِرِ الَّتِي جَاءَتْ عَلَى زِنَةِ اسْمِ الْفَاعِلِ، وَقَرِيبٌ مِنْهُ بَعْضُ الْمَصَادِرِ الَّتِي جَاءَتْ عَلَى زِنَةِ اسْمِ الْمَفْعُولِ، مِثْلَ قَوْلِ ابْنِ سَيِّدِهِ: "وَالسَّجِيحَةُ وَالسَّجْحَةُ وَالْمَسْجُوحُ: الْخَلْقُ، وَأَنْشُدُ:

(هُنَا وَهُنَا وَعَلَى الْمَسْجُوحِ)

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ: هُوَ كَالْمَيْسُورِ وَالْمَعْسُورِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِعْلٌ، أَيْ أَتَاهُ مِنَ الْمَصَادِرِ الَّتِي جَاءَتْ عَلَى مِثَالِ مَفْعُولٍ^(٢). وَالْقَوْلُ فِيهِ كَسَابِقُهُ مِنْ حَيْثُ اسْتَعْمَالَ (سَجَحَ) وَتَصْرِيفَاتِهِ الْفِعْلِيَّةِ، وَلَكِنَّهُ عِنْدَمَا اسْتُعْمِلَ فِي هَذَا الْمَعْنَى لَمْ يُسْتَعْمَلْ فِعْلُهُ؛ بَلِ اسْتَعْمَلُوا الصِّيْغَةَ الْمَشْتَقَّةَ فَقَطْ؛ وَلِهَذَا قِيلَ: لَا فِعْلَ لَهُ.

وَنُضِيفُ إِلَى مَا ذَكَرْنَاهُ طَائِفَةٌ مِنَ الْأَمْثَلَةِ الَّتِي عَدَّهَا الْعُلَمَاءُ لَا أَعْمَالَ لَهَا، وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ أَعْمَالَهَا مُسْتَعْمَلَةٌ، مِنْهَا: الشَّخَاصَةُ، لَا فِعْلَ لَهُ^(٣)، وَالْخَيْصُ لَا فِعْلَ لَهُ^(٤)، وَالْخَبِطَةُ لَا فِعْلَ لَهُ^(٥)، وَشَطَرَ لَا فِعْلَ لَهُ^(٦)، وَالْوَطَرَ، لَا فِعْلَ لَهُ^(٧)، وَالْوَلَادَةُ وَالْوَلَادَةُ مِنَ الْمَصَادِرِ الَّتِي لَا أَعْمَالَ لَهَا^(٨)، فَهَذِهِ الْأَمْثَلَةُ وَغَيْرُهَا لَا نَعْدَمُ أَعْمَالَهَا، وَلَكِنَّهَا أحياناً اسْتُعْمِلَتْ فِي مَعَانٍ جَدِيدَةٍ لَمْ يَطَّرِدْ مَعَهَا اسْتِعْمَالُ الْفِعْلِ بِالْمَعْنَى الْجَدِيدِ، كَمَا فِي قَوْلِ أَبِي عُبَيْدٍ: "وَأَنَّ أَيْنًا أَعْيَا، وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: لَا فِعْلَ لِلْأَيْنِ الَّذِي هُوَ الْإِعْيَاءُ"^(٩)، وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ يَذْكَرُ (أَنْ).

(١) الخليل، العين، ج ٢، ص ٢٧٢ (وعى).

(٢) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج ٣، ص ٥٩ (سجح).

(٣) المصدر نفسه، ج ٥، ص ١٧ (شخص).

(٤) المصدر نفسه، ج ٥، ص ٢٤٥ (خيص).

(٥) المصدر نفسه، ج ٥، ص ١٢٧ (خبط).

(٦) المصدر نفسه، ج ٨، ص ١٣ (شطر).

(٧) المصدر نفسه، ج ٩، ص ٢٣٢ (وטר).

(٨) المصدر نفسه، ج ٩، ص ٤٢٩ (ولد).

(٩) المصدر نفسه، ج ١٠، ص ٥٣٣ (أين).

إِنِّي أَخْلَصُ مِمَّا اجْتَرَأْتُ بِهِ عَنْ ذِكْرِ غَيْرِهِ مِنْ أَمْثَلَةٍ إِلَى أَنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ تَسْتَعْمَلُ الْفِعْلَ أحياناً، وَلَا وَجَهَ لِقَوْلِ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ أَنَّ هَذَا الْمَصْدَرَ لَا فِعْلَ لَهُ، وَأَنَّهُمْ كَانُوا يَسْتَعْمَلُونَ الْمَصَادِرَ، أَوْ يَبْنُونَهَا فِي مَعْنَى جَدِيدٍ لَيْسَ مِنْ مَعْنَى تَصْرِيفِ الْفِعْلِ الْأَصْلِيِّ، فَيَفَارِقُ الْمَصْدَرُ الْجَدِيدُ فِي مَعْنَاهِ الْمَصْدَرَ الْمَشْتَقَّ مِنَ الْفِعْلِ، فَيَقُولُونَ: لَا فِعْلَ لَهُ؛ أَيُّ لَا فِعْلَ لِلْمَصْدَرِ بِهَذَا الْمَعْنَى الْجَدِيدِ؛ فَيَدْخُلُ هَذَا فِي قَوْلِنَا إِنَّ الْعَرَبِيَّ يَبْنِي اسْتِثْقَاتِهِ، وَيُوْظَفُ الصِّيغَةَ بَعِيداً عَنْ ضَوَابِطِ الْقِيَاسِ الْاسْتِثْقَائِيِّ، وَلَا يَدْخُلُ فِي حُسْبَانِهِ أَنَّ هَذَا الْفِعْلَ مَشْتَقٌّ مِنْ هَذَا الْفِعْلِ، أَوْ مِنْ ذَلِكَ الْمَصْدَرِ، وَتَحْتَ هَذَا التَّفْسِيرِ نُدرِجُ كُلَّ الْمَصَادِرِ الَّتِي نَصَّ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّهَا لَا أفعالَ لَهَا، وَعِنْدَ بَحْثِنَا عَنْ أفعالِهَا لَا نَعْدَمُهَا مَسْتَعْمَلَةً شَائِعَةً فِي مَعْجَمِ اللُّغَةِ الَّتِي هِيَ مَرآةُ اسْتِعْمَالِ الْعَرَبِيِّ.

وقد يرجع إهمال الفعل إلى مسألة صوتية كالتعاقب بين الياء والواو في تصريف اللفظ، ومن ذلك قول ابن سيده نقلاً عن ابن جنّي: "فَاطَتْ نَفْسَهُ فَوْظًا كَفَاطَتْ فَيْظًا، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الْيَاءِ، قَالَ ابْنُ جَنِّي: وَمِمَّا يَجُوزُ فِي الْقِيَاسِ، وَإِنْ لَمْ يَرِدْ بِهِ اسْتِعْمَالُ الْأَفْعَالِ الَّتِي وَرَدَتْ مَصَادِرُهَا وَرُفِضَتْ هِيَ، كَقَوْلِهِمْ: فَاطَ الْمَيْتُ يَفَيْظُ فَيْظًا وَفَوْظًا، وَلَمْ يَسْتَعْمَلُوا مِنْ فَوْظٍ فِعْلاً، قَالَ: وَنَظِيرُهُ الْأَيْنُ الَّذِي هُوَ الْإِعْيَاءُ، لَمْ يَسْتَعْمَلُوا مِنْهُ فِعْلاً"^(١). فِكَلَامُ ابْنِ جَنِّي وَاضِحٌ فِي أَنَّهُمْ اسْتَعْمَلُوا (فَيْظَ) الْيَائِي، وَلَمْ يَسْتَعْمَلُوا (فَوْظَ) الْوَاوِي فِي التَّصْرِيفِ، وَهَذَا يُوْظَفُ اسْتِعْمَالُ الْيَائِي الَّذِي نَصَّ عَلَيْهِ ابْنُ سِيدِهِ فِي (فَيْظَ)^(٢). وَقَاسُوا عَلَى هَذَا لَفْظَةَ (الْحَيَوَانَ) الَّتِي عُدَّتْ بِلَا بِلَا فِعْلٍ، جَاءَ فِي الْمَحْكَمِ: "وَالْحَيَوَانَ جِنْسُ الْحَيِّ، وَأَصْلُهُ: حَيَّيَانٌ، فَقَلْبَتْ الْيَاءُ الَّتِي هِيَ لِأَمْ وَوَاوًا اسْتِكْرَاهًا لِتَوَالِي الْيَائِيِّينَ؛ لِيخْتَلَفَ الْحَرْفَانِ، هَذَا مَذْهَبُ الْخَلِيلِ وَسَيَبَوِيهِ، وَذَهَبَ أَبُو عَثْمَانَ إِلَى أَنَّ الْحَيَوَانَ غَيْرُ مَبْدَلِ الْوَاوِ، وَأَنَّ الْوَاوِ فِيهِ أَصْلٌ،

(١) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج ١٠، ص ٤٢ (فَوْظَ).

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٨-٣٩ (فَيْظَ).

وإن لم يكن منه فعلٌ، وشبّه هذا بقولهم: فإظ الميثُ يفيظُ فيظاً وفوظاً، وإن لم يستعملوا من (فوظ) فعلاً، كذلك الحيوان عنده مصدر لم يشتق منه فعلٌ، قال أبو علي: هذا غير مرضي من أبي عثمان؛ من قبل أنه لا يمتنع أن يكون في الكلام مصدرٌ عينه واوٌ، وفاؤه ولامه صحيحان، مثل: فوظ، وصوغ، وقول، وموت وأشباه ذلك، فأما أن يوجد في الكلام كلمةً عينها ياءٌ ولامها واو فلا، فحمله الحيوان على فوظ خطأ؛ لأنه شبه ما لا يوجد في الكلام بما هو موجود مطردٌ، قال أبو علي: وكأثم إنما استجازوا قلب الياءِ واواً لغير علّة، وإن كانت الواو أنقل من الياء ليكون ذلك عوضاً للواو من كثرة دخول الياءِ وغلبيتها عليها^(١).

وفي تبرير وجودِ مصادرٍ لا أفعالَ لها، لا نعدم أسباباً صوتيةً أخرى فسّر بها العلماء إهمالَ الفعلِ، يقول ابن سيده: "وقيل: وبِحَه كَوَيْلَه، وقيل: وَيْح: تقبيح. قال ابن جنّي: امتنعوا من استعمالِ فعلِ الوَيْح؛ لأنّ القياسَ نفاه ومنعَ منه، وذلك لأنّه لو صُرفَ الفعلُ من ذلك، لوجب اعتلالُ فائه كوعد، وعينه كباع، فتحاموا استعماله، لما كان يعقبُ من اجتماعِ إعلالين، ولا أدري أدخل الألف واللام على الوَيْح سماعاً أم تبسّطاً وإدلالاً؟^(٢). وهذا القولُ نفسه يطالعا به ابنُ سيده نقلاً عن ابن جنّي في تعليل استعمال (ويس) بالمعنى نفسه "وَيْسُ كِلْمَةٌ فِي مَوْضِعِ رَأْفَةٍ وَاسْتِمْلَاحٍ، وَوَيْسٌ لَهُ أَي وَيْلٌ، وَقِيلَ: وَوَيْسٌ تَصْغِيرٌ وَتَحْقِيرٌ، امْتَنَعُوا مِنْ اسْتِعْمَالِ الْفِعْلِ مِنَ الْوَيْسِ؛ لِأَنَّ الْقِيَاسَ نَفَاهُ وَمَنَعَهُ مِنْهُ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَوْ صُرِّفَ مِنْهُ فِعْلٌ لَوَجَبَ اعْتِلَالُ فَائِهِ وَعَيْنِهِ كَبَاعٍ، فَتَحَامَوْا اسْتِعْمَالَهُ لِمَا كَانَ يُعْقَبُ مِنْ اجْتِمَاعِ إِعْلَالَيْنِ. هَذَا قَوْلُ ابْنِ جَنِّي، وَأَدْخَلَ الْأَلْفَ وَاللَّامَ عَلَى الْوَيْسِ، فَلَا أُدْرِي أَسْمَعَ ذَلِكَ أَمْ هُوَ مِنْهُ تَبَسُّطٌ وَإِدْلَالٌ"^(٣)؟

(١) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج ٣، ص ٣٩٧ (حيي).

(٢) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٣٩ (ويح).

(٣) المصدر نفسه، ج ٨، ص ٦٤٣ (ويس).

والذي يبدو لي أنّ (ويحاً) وأخواتها ألفاظٌ تواضعتْ عليها العربُ في التعبير عن معانٍ إفصاحية، تفيد الدّعاء، أو الرحمة والاستملاح، وأنّ لا سبيلَ لها إلى القياسِ في الاشتقاقِ من فعلٍ، دليلنا على ذلك قول الفيروز أبادي بأنّ (ويحه) أصلُها (وي) وصلّت بحاءٍ مرّةً، وبسين مرّةً، وبباءٍ مرّةً، وبلاد مرّةً^(١)، والذي يؤكّد ذلك تعاقبُ دلالاتها على الدّعاء والرحمة، والاستملاح وما شابهها من معانٍ، ويؤكّده أيضاً قولُ العلماءِ في التّعريفِ بها إنّ (ويل) ك(ويح)، و(ويح) ك(ويس)، و(ويس) ك(ويل) وهكذا. وهذا كلّهُ يؤكّد أنّ العرب قد تواضعت على بعض الألفاظ في أداء معانيها، دون أن تأبّه لضوابط الاشتقاق من أفعالٍ.

إنّ بحثَ العلماءِ عن أفعالٍ لتفسير اشتقاقِ المصادرِ مسألةٌ لا تبرحُ تفكيرهم؛ لأنّ الاشتقاقَ ركنٌ من أركانِ النظريةِ الصّرفيّةِ، فأحياناً يحملون الاسمَ المشتقَّ على النّسب، أو على الشّدوذ، أو على التوهّم، أو على النّدر، لتبرير خروجه على القياسِ، يقول ابنُ سيده: "الحنّف: الموت، وجمعه حُنُوفٌ، ومات حنّفاً أنفه، إذا مات بلا ضربٍ ولا قتلٍ، وقيل إذا مات فجأةً، نُصب على المصدرِ، كأنهم توهّموا (حنّفاً) وإن لم يكن له فعلٌ^(٢)". إنّ توهّم الفعلِ لا يتجاوزُ دوره تبرير النّصبِ، والبحثِ عن عاملٍ، وارتقى ذلك إلى البحثِ عن فعلٍ يبرّر وجودَ المصدرِ المشتقِّ.

إنّ هذه أمثلةٌ من المصادرِ التي لا أفعالَ لها ممّا ورد في معجم (المحكم)، قصدتُ منها بيانَ المنهجِ والتفكيرِ في تفسيرِ الاشتقاقِ، وتبريرِ غيابِ الأفعالِ، ولم أنطعُ إلى الاستقصاءِ، فهذا موضعُ إيجازٍ وتمثيلٍ، لا إطنابٍ وتفصيلٍ.

(١) الفيروزأبادي، مجد الدّين (ت ٨١٧هـ)، القاموس المحيط، دار المعرفة، بيروت، ج ١، ص ٢١٧، (ويح).

(٢) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج ٣، ص ٢٧٥ (حنف).

ثانياً - أسماء الفاعلين ومبالغتها:

ليس ضالة الباحث أن يهتدي إلى أسماء الفاعلين وأبنية مبالغتها مما لا أفعال لها؛ فحديث العلماء عن اشتقاق أسماء الفاعلين من الأعيان، والأسماء الجامدة لا حصر له، مثل: فارس، ودارع، ولابن، وتامر، وليل لائل، وغيرها، وهذه مسألة كفانيها العلماء بحثاً^(١). أمّا أبنية المبالغة فتفاوت العلماء في حصر ضوابطها، وضبط قياسية أبنيتها، وتنوعت أوزانها تنوعاً يرى فيه الباحث دليلاً على أنّ العربيّ يوظف الصيغَ توظيفاً يحقق مراده من المعنى، دون أن يأبه لضوابط الاشتقاق وقياسيته؛ خير دليل على ذلك كثرة شذوذ أبنيتها مثل: جبار، وحساس، ودراك، وسار، ومطاء، ومهوان، وسميع، وبصير، وشصوص، وتوتج وغيرها^(٢)، وكذلك تمرّد أبنيتها وصيغها على القياس.

لقد ربط العلماء بين اشتقاق اسم الفاعلِ وفعله بنية وعملاً، ولم يربطوه بالمصدر الذي هو أصلُ الاشتقاق عند البصريين، ولهذا فسّروا خروجَه على القياس بأنّه لم يُحمل على الفعلِ، وتجلّى ذلك في ثلاث مسائل: الأولى تفسيرُ عدم

(١) انظر: عبدالله أمين، الاشتقاق، ص ١٥-١٤٤.

(٢) انظر: الأسترياذي، رضي الدين محمد بن الحسن (ت ٦٨٦هـ)، شرح الرضي على كافية ابن الحاجب، تحقيق عبدالعال سالم مكرم، عالم الكتب، ط ١، القاهرة، ٢٠٠٠م، ج ٤، ص ٣٩٨. والسيوطي، عبدالرحمن جمال الدين، (٩١١هـ) همع الهوامع، تحقيق عبدالعال سالم مكرم، دار البحوث العلميّة، الكويت، ج ٦، ص ٦٠، والرفايعة، حسين عباس، ظاهرة الشذوذ في الصرف العربي، دار جرير للنشر والتوزيع، ط ١، عمان، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٦م، ص ١٩٤. والفقراء، سيف الدين طه، وعمر أبو نواس، "الاستغناء بالفعل الثلاثي المزيد عن الفعل الثلاثي المجرد وأثره في تفسير شذوذ اسم الفاعل ومبالغته"، المجلة الأردنية للغة العربيّة وآدابها، المجلد (١٠) العدد (٢) لسنة ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م، ص ١٩٤-٢٠٠. والفقراء، سيف الدين طه، المشتقات الدالة على الفاعلية والمفعوليّة، عالم الكتاب الحديث، ط ١، إربد، ٢٠٠٥.

تَأْنِيثِ اسْمِ الْفَاعِلِ الْمُؤَنَّثِ بِغَيْرِ عِلْمَةٍ تَأْنِيثٍ مِمَّا هُوَ عَلَى زِنَةِ فَاعِلٍ، نَحْوُ: طَالِقٍ، وَحَامِلٍ، وَطَامِثٍ، وَمَرْضَعٍ، وَحَائِضٍ؛ وَذَهَبَ فِيهَا الْبَصْرِيُّونَ إِلَى أَنَّ هَذِهِ الْأَلْفَاظَ غَيْرُ جَارِيَةٍ عَلَى الْفِعْلِ فِي اسْتِقَاقِهَا، وَلِذَا خَالَفَتْ ضَوَابِطَ الْاسْتِقَاقِ، وَأَنَّهُمْ قَصَدُوا بِهَا مَعْنَى النَّسَبِ، وَهُوَ مَعْنَى تَوْدِيهِ الصَّيغَةُ الْمَشْتَقَّةُ دُونَ أَنْ يَخْضَعَ لِلْقِيَاسِ فِي الْمِطَابَقَةِ فِي الْجِنْسِ، وَقَاسُوا هَذِهِ الصَّيغَةَ عَلَى: لَابِنٍ، وَرَامِحٍ، وَنَابِلٍ، وَجَعَلُوا مِنْ نِظَائِرِهَا: مِعْطَارٌ، وَمِذْكَارٌ، وَمِثْنَاتٌ، وَمِعْطِيرٌ، وَصَبُورٌ، وَشُكُورٌ، وَحَصَانٌ، وَرَزَانٌ، لِأَنَّهَا لَيْسَتْ مَحْمُولَةً عَلَى الْفِعْلِ^(١)، وَمِمَّا حُمِلَ عَلَى النَّسَبِ مِنْ أَسْمَاءِ الْفَاعِلِينَ كَثِيرٌ جَدًّا نَحْوُ: طَاعِمٍ، وَكَاسٍ، وَنَاعِلٍ، وَمَكَانٍ أَهْلٍ، وَنَاشِبٍ^(٢)، وَالْقَوْلُ نَفْسُهُ فِي أُبْنِيَةِ الْمَبَالِغَةِ، قَالَ سَبْيُوِيَه: "أَمَّا مَا يَكُونُ صَاحِبَ شَيْءٍ يَعْالِجُهُ، فَإِنَّهُ مِمَّا يَكُونُ فِعَالًا، وَذَلِكَ قَوْلُكَ لِصَاحِبِ النَّيَّابِ: ثَوَّابٌ، وَلِصَاحِبِ الْعَاجِ: عَوَّاجٌ، وَلِصَاحِبِ الْجِمَالِ الَّتِي يُنْقَلُ عَلَيْهَا جَمَّالٌ، وَلِصَاحِبِ الْحُمْرِ الَّتِي يَعْمَلُ عَلَيْهَا حَمَّارٌ، وَالَّذِي يَعْالِجُ الصَّرْفَ: صَرَّافٌ، وَذَا أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْصَى. وَرَبِّمَا أَلْحَقُوا يَأْيِ الْإِضَافَةِ (النَّسَبِ)، كَمَا قَالُوا: الْبَنِّيُّ، أَضَافُوهُ إِلَى الْبَتَوْتِ، فَأَوْقَعُوا الْإِضَافَةَ عَلَى وَاحِدِهِ، وَقَالُوا: الْبَنَاتُ. وَأَمَّا مَا يَكُونُ ذَا شَيْءٍ وَلَيْسَ بِصَنْعَةٍ يَعْالِجُهَا، فَإِنَّهُ مِمَّا يَكُونُ (فَاعِلًا)، وَذَلِكَ قَوْلُكَ: لِذِي الدَّرْعِ: دَارِعٌ، وَلِذِي النَّبْلِ: نَابِلٌ، وَلِذِي النَّشَابِ: نَاشِبٌ، وَلِذِي النَّمْرِ: تَامِرٌ، وَلِذِي اللَّبَنِ: لَابِنٌ"^(٣). وَقَالُوا أَيْضًا: لَاحِمٌ، وَلِحَامٌ، وَلِحِيمٌ، وَحُمِلَ عَلَى النَّسَبِ^(٤)، وَالَّذِي يَعْنِينَا مِنْ هَذَا أَنَّهُمْ قَالُوا: بَأَنَّ الْاسْمَ الْمَشْتَقَّ

(١) انظر: سبوييه، الكتاب، ج٣، ص٣٨٣، والأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، ج٢، ص٧٥٨-٧٦٠.

(٢) انظر: سبوييه، الكتاب، ج٣، ص٣٨٣-٣٨٤. أبو نواس، عمر محمد، "الحمل على النسب في العربية"، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد ٨٦، لسنة ٢٠١٤، ص١٣٣-١٤٤.

(٣) سبوييه، الكتاب، ج٣، ص٣٨١.

(٤) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج٣، ٣٧٣ (لحم).

من أبنية اسمِ الفاعلِ ومبالغته، قد لا يجري على الفعلِ في اشتقاقه، وأتّه قد لا يكون له فعلٌ يجري عليه، بل يشتقّ من الأسماء^(١)، وهذا من أدلتنا على أنّ العربيّ يشتقّ وليس له عنايةٌ بما اشتقّ منه اللفظُ، ولا بضوابط قياس النحاة، وعندما أدرك العلماء مخالفتها للقياس عدّوها من السماعِ الذي لا يُقاسُ عليه، قال سيبويه: "وليسَ في كلِّ شيءٍ من هذا قيلَ هذا، ألا ترى أنّك لا تقولُ لصاحبِ البرِّ: برّارٌ، ولا لصاحبِ الفاكهة: فكّاهٌ، ولا لصاحبِ الشّعير: شعارٌ، ولا لصاحبِ الدقيق: دقاقٌ"^(٢).

أمّا المسألةُ الثانيةُ التي فسّر بها العلماءُ خروجَ اسمِ الفاعلِ على الفعلِ فهي حمّله على إفادةٍ معنى المبالغة، نحو: ليلٌ لائلٌ، وشُغلٌ شاغلٌ، وشِعْرٌ شاعرٌ، وسُعالٌ ساعلٌ^(٣)، فهذه أسماءُ فاعلين لا أفعالَ لها، ومعناها إفادةُ المبالغة، ولم تجرِ على فعلٍ في تصريفها، وهي مسألةٌ يرى فيها الباحثُ مُدخلاً إلى الاستدلالِ على أنّ العربيّ الذي يُنتج اللغةَ، يولّدُ الاشتقاقَ دونَ أن يبحثَ عن أصلٍ له، اعتماداً على الجذر الذي ليس هو فعلاً ولا اسماً، وهذا الجذر هو صوامت وصوائت، وقد اعتمده العلماءُ في ترتيبِ بعض المعاجم وتبناه ابنُ فارس في المقاييس، وكانوا يتعاملونَ مع (كتب) مثلاً على أنّها: ك ت ب، وقسّ عليها تقليباتها، ويضيفون إلى هذا الجذرِ من اللواحقِ والسوابقِ ويجرون عليه من التّغييرات ما يحتاجون إليه من مبنى يوظّف الصيغةَ في المعنى المراد، ويتركّ للعلماءِ البحثَ عن أصلٍ للاشتقاق لن يجدوه في مثل هذه الألفاظ. ومثّل هذه الجذور نجد نظيرها في اللغات السامية.

(١) الحلواني، المغني الجديد في الصّرف، ص ٢٣٩.

(٢) سيبويه، الكتاب، ج ٣، ص ٣٨٢.

(٣) انظر: الخليل، العين، ج ١، ص ٣٣٣ (سعل). وابن منظور، لسان العرب، ج ١١، ص ٣٣٥

(سعل).

أما المسألة الثالثة التي فسّر بها العلماء خروج اسم الفاعل على الفعل في قياسية اشتقاقه، فهي حملُه على الإبتاع والمزوجة؛ وهي مسألة ظاهرة في باب الإبتاع، إذ كثيراً ما تطالعنا مشتقات لا أفعال لها جاؤوا بها لتحقيق المزوجة اللفظية، نحو: الجوع والنوع، وجائع نائع^(١)، وكثير بثير وأثير وبذير، وقبيح شقيح، وأخرس أمرس، وعطشان نطشان، وسائغ لائغ، وحقير نقير، وشيطان ليطان، وغيرها^(٢)، والذي يعيننا من هذا الباب الواسع في العربية المتعدد الدلالات^(٣)، ما ذكره السيوطي في تقسيمه للإبتاع من أنه يأتي على وجهين: أحدهما: أن تكون الكلمة الثانية ذات معنى، والثاني: أن تكون الثانية غير واضحة المعنى ولا بيّنة الاشتقاق^(٤)، وهذا النوع دليلاً على أن العربي قد يوظف الصيغة المشتقة دون مراعاة لأصل اشتقاقها؛ فالذي يشغله تحقيق مراده من المعنى الذي قصده، ولهذا عندما سئل أبو حاتم عن معنى (بسن) في قولهم: حسن بسن، قال: لا أدري^(٥). وقال ثعلب في أماليه: قال ابن الأعرابي: سألت العرب أي شيء معنى: شيطان ليطان؟ فقالوا: شيء ندد به كلامنا: نشده^(٦). أفلا يدل هذا على قولنا: إن العربي

(١) انظر: الخليل، العين، ج ٢، ص ٢٥٧ (نوع).

(٢) انظر: الهمداني، عبدالرحمن بن عيسى (ت ٣٢٠هـ) الألفاظ الكتابية، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٠، ص ١٩٥-٢٩٦. وابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن (ت ٣٢١هـ) جمهرة اللغة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ج ٣، ص ٤٢٩.

(٣) للمزيد عن دلالاته انظر: المساعفة: خالد محمد، "ظاهرة الإبتاع في العربية"، المجلة الأردنية للغة العربية، المجلد (٩) العدد (١) لسنة ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، ص ١٣٦-١٦٧.

(٤) انظر: السيوطي، المزهري، ج ١، ص ٤١٤.

(٥) المصدر نفسه، ج ١، ص ٤١٤.

(٦) ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى (٢٩١هـ)، مجالس ثعلب، تحقيق عبدالسلام هارون، دار المعارف، ط ٦، القاهرة، ج ١، ص ٧، وانظر: السيوطي، المزهري، ج ١، ص ٤١٦.

يشتقّ، وليس له عينٌ على أصل اللفظ المشتقّ الذي شغَلَ العلماءُ به أنفسهم؟ وإنّ اللفظ المشتقّ قد لا يكون له فعلٌ؟.

وثمة مسألة في غاية الأهميّة في تفسير المشتقات التي لا أفعال لها؛ لا سيّما أسماء الفاعلين منها؛ وهي بناء أسماء الفاعلين على وزن غير قياسي، نحو: أبقلَ فهو باقلٌ، وأتمر فهو تامرٌ، وأحنطَ فهو حانطٌ، وأعشبت الأرضُ فهي عاشبةٌ، وأعقتَ الفرسُ فهي عقوقٌ، وأنتجتَ فهي نتوجٌ، وأمحلتَ الأرضُ فهي ماحلٌ، وأورقَ النباتُ فهو وارقٌ، وأيفعَ فهو يافعٌ، وأينعَ فهو يانعٌ، وغيرها كثيرٌ من الألفاظ^(١)، فعلى الرّغم من تفسير هذه المشتقات بنفي الشذوذ عنها^(٢)، أو ربطها بالمعنى^(٣)، أو تعليلها بالتطور اللغوي من خلال الاستغناء بالفعل المزيد عن الفعل الثلاثي المجرد، وبقاء هذه الصّيغ دلاليّاً على الفعل الممات^(٤)، إلّا أن الباحث يرى في هذه الصّيغ نمطاً من التمرّد اللغوي الاستعمالي الذي أسماه العلماء بالشاذّ قياساً المطرّد استعمالاً، الذي لم يراع فيه العربي ضابط الاشتقاق، ولم يأبه لقياسيته، وكان المعنى شغله الشاغل، فأنتجَ هذه الألفاظ بعيداً عن معايير الاشتقاق القياسي، فلو كان يُدرِك ضابط الاشتقاق ما قال: (وادق) من استودق؛ كما ذكر

(١) انظر: ابن خالويه، الحسين بن أحمد، ليس في كلام العرب، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، مكة المكرمة، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ص ٥٤. والسيوطي، المزهري، ج ٢، ص ٧٦. والرفايعة، ظاهرة الشذوذ في الصرف العربي، ص ١٩٨. والفقراء، المشتقات في العربية، ص ٦٦-٦٩.

(٢) انظر: الأثري، محدّد بهجة، تحرير المشتقات من مزامع الشذوذ، مجلة المجمع العلمي السوري، دمشق، ١٩٧٤، ص ٧٢٧-٧٣٤.

(٣) انظر: الرفايعة، ظاهرة الشذوذ في الصرف العربي، ص ١٩٠-٢٠٠.

(٤) انظر: الفقراء وأبو نواس، الاستغناء بالفعل الثلاثي المزيد عن الفعل الثلاثي، ص ١٨٠-١٩٤.

ابنُ خالويه عندما قال: "استودقت الأثانُ وأودقت، إذا اشتهدت الفحلَ، فهي وادقٌ، ولم يقولوا: مُودقٌ، ولا مستودقٌ"^(١).

إنَّ أسماءَ الفاعلين ومبالغتها ممَّا لا أفعالَ لها ظفرت بقدرٍ من اهتمام ابن سيده؛ ولم تبعد تفسيراته لها عن حملها على النَّسب، أو المبالغة، أو بنائها من فعلٍ مزيدٍ لا مجردَ له، أو الاكتفاء بالقولِ بآنها لا فعلَ لها، أو عدّها من توهم وجودِ فعلٍ، ومن أمثلة ذلك قوله: "الكُعَيْتُ البُلْبُلُ مبنيٌّ على التَّصْغِيرِ، والجمعُ كِعْتَانٌ، وأبو مُكْعِتٍ على مثالِ مُلْجِمٍ، شاعرٌ معروفٌ، ولا أعرفُ له فعلاً"^(٢)، ونقلَ ابنُ منظور ما ذكره ابنُ سيده في هذا اللفظ^(٣). والحقيقةُ أنَّ فعله لم يُستعمل، وجاء اسمُ العَلَمِ على مثالِ اسمِ الفاعلِ من (أفعلَ)؛ ولعلَّ في هذا دليلاً على قولنا: إنَّ العربيَّ يُوظفُ الاشتقاقَ في إفادةِ المعنى المُرادِ دونَ أن يدققَ في أصلِ الاشتقاقِ وضابطه.

وفي موضعٍ آخرَ يحملُ ابنُ سيده اللفظَ على النَّسب؛ لتبريرِ غيابِ الفعلِ الذي اشتقَّ منه، يقول: "الحَرْجُ والحَرْجُ: الإِثْمُ، والحارجُ: الآثِمُ، أراه على النَّسب؛ لأنَّه لا فعلَ له، والحَرْجُ والحَرْجُ، والمُتَحَرِّجُ الكافُ عن الإِثْمِ، والحَرْجُ: الضَّيْقُ، قال الزَّجَّاجُ: الحَرْجُ في اللُّغَةِ: الضَّيْقُ ومعناه في الدِّينِ الإِثْمُ، وحرج صدره حَرْجاً"^(٤). لقد نصَّ ابنُ سيده وغيره من العلماءِ على فعلِ (الحَرْجِ)، ونصَّوا على استعماله في معانٍ متناقضة (الأضداد)^(٥). فربَّما لم يُستعمل الفعلُ في معنى الآثِمِ، واستُعمل في

(١) انظر: ابن خالويه، ليس في كلام العرب، ص ٢٢٥.

(٢) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج ١، ص ٢٦٧ (كعت).

(٣) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ٢، ص ٧٨ (كعت).

(٤) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج ٣، ص ٧٠ (حرج).

(٥) ابن منظور، لسان العرب، ج ٢، ص ٢٣٢ (حرج).

غيره من المعاني، ولهذا حُمِلَ (حارج) على النَّسب، وقيل لا فعل له، وهذا قد يمتدّ إلى صيغة المبالغة: حرج.

ومما حُمِلَ على النَّسب والمبالغة في توجيه غيابِ فعله من أسماءِ الفاعلين عند ابن سيده، قوله: "والخَيْصُ: القليلُ من النَّيلِ، وكذلك الخائِص، وهو اسمٌ، وقد يكونُ على النَّسب كَموت مائت؛ وذلك لأنّه لا فعلَ له، فلذلك وجّهناه على هذا، قال الأصمعيُّ: سألت المُفضَّلَ عن قول الأَعشى:

لعمري لَمَن أَمسى من القومِ شاخصاً لقد نال خَيْصاً من عُفيرةِ خائِصاً

ما معنى (خَيْصاً)، فقال: العربُ تقول: فلان يَخُوصُ العطيّة في بَنِي فلان؛ أي: يُقَلِّلُها، قال: فقلت: فكان ينبغي أن يقولَ: خَوْصاً، فقال: هي مُعاقبة يَسْتعملها أهل الحجاز، يُسمُّون الصُّواغ: الصُّياغ، ويقولون: الصُّيام، للصُّوام، ومثله كثير^(١). لقد استعمل الفعل (يخوص) في قوله: فلانٌ يَخُوصُ العطيّة، فلا أعرفُ سببَ قولهم: لا فعلَ له، إلّا إذا كانَ ذلك لتفسيرِ قولهم: خيِص خائِص، فحملوه على: موت مائت. والقول نفسه في قول ابن سيده: "ولَيْلٌ داخٍ مُظلم، فإمّا أن يكونَ على النَّسب، وإمّا أن يكونَ على فعلٍ لم نَسْمعه"^(٢).

إنّ المسألة الظاهرة في قضية المشتقات التي لا أفعال لها؛ هي امتدادُ التفسير من صيغة اسم الفاعل الذي لا فعلَ له إلى مشتقاتٍ آخر في اللفظِ نفسه، فعندما قالوا: شَغَلٌ شاغلٌ، حُمِلَ على المبالغة أو على النَّسب لتبريرِ غيابِ الفعل، وامتدَّ ذلك إلى صيغة المبالغة (شَغَل) وزادوا عليه بغير وجهٍ (مُشْتَعَلٌ ومُشْتَعَلٌ) وقولهم: ما أشغَلَه. يقول ابن سيده: "وقد شَغَلَه يَشْغَلُه شَغْلاً وشَغْلاً، الأخيرة عن

(١) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج ٥، ص ٤٥ (خيِص).

(٢) المصدر نفسه، ج ٥، ص ٢٥٢ (دخي).

سيبويه. وأشغله، واشتغل بـ: شَغِلَ به. وقال ثعلب: (شَغِلَ) من الأفعال التي غلبت فيها صيغة ما لم يُسَمَّ فاعله. قال: وتعجبوا من هذه الصيغة، فقالوا: ما أشغله، قال: وهذا شاذٌّ، إنّما يُحفظ حفظاً، يعني أنّ التَّعَجَّبَ موضوعٌ على صيغة فَعَلَ الفاعلُ. ورجل شَغِلَ، عن ابن الأعرابي. وعندني أنّه على النَّسَبِ؛ لأنّه لا فِعْلَ له يجيء عليه فَعِلَ، وكذلك: رجل مُشْتَغِلٌ، ومُشْتَغِلٌ، الأخيرة على لفظِ المَفْعولِ، وهي نادرةٌ، حكاها ابنُ الأعرابي^(١)، والذي يبدو لي أنّ الفعلَ (شَغَلَ) استعملَ في مرحلةٍ من عُمرِ اللغةِ، وذكره العلماءُ، ثُمَّ استغني عنه بـ(شَغَلَ) و(اشتغل). وبقيت الاشتقاقَاتُ القياسية وهي: شاغَلَ وشَغِلَ، وما أشغله، دليلاً على المرحلة الأولى من استعمال (شَغَلَ) المبني للمعلوم، وغلب عليه لاحقاً (شَغَلَ)، فكان الشَّدوْدُ، أو الحملُ على النَّسَبِ، أو على المبالغةِ مدخلاً للعلماءِ في توجيه مخالفةِ القياسِ الاشتقائيِّ.

والذي يؤكِّد لنا ما مضى قوله ما يطالعنا به العلماءُ في تفسير (وارق) في قول ابن سيده: "وقد ورقت الشجرةُ، وأورقت. وشجرةٌ وارقةٌ، ووريقةٌ، وورقةٌ: خضراءُ الورقِ حَسَنَةٌ، الأخيرةُ على النَّسَبِ؛ لأنّه لا فَعَلَ له"^(٢) أي لا فعلَ ثلاثياً له، وهي مسألة نصّ عليها كثيرٌ من العلماء^(٣)، وقد دفع الأثريُّ الشَّدوْدَ عن هذا اللفظ؛ لأنّهم استعملوا الفعلَ الثلاثيَّ^(٤)، والذي يبدو لي أنّ (أورق) طغت في الاستعمال

(١) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج ٥، ص ٣٩٣ (شغل).

(٢) المصدر نفسه، ج ٦، ص ٥٥٥ (ورق).

(٣) ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ)، أدب الكاتب، تحقيق محمّد محيي الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة، ط ٤، القاهرة، ١٩٦٣، ص ٤٩٦، وابن خالويه، ليس في كلام العرب، ص ٥٤، والسيوطي، المزهر، ج ٢، ص ٨٢.

(٤) الأثري، تحرير المشتقات من مزاعم الشَّدوْدِ، ص ٧٣٣.

على الفعل الثلاثي الذي لم يُنكر العلماء وجوده؛ بدليل قول ابن منظور: إنَّ (أورق) أكثر استعمالاً من (ورق)^(١)، فحملوا اسم الفاعل (وارق) ومبالغته (وريقة وورقة) على معنى النسب، وقالوا: لا فعل لها، والأخلاق بهم لمح المنحى التطوري في استعمال الفعل المزيد استغناءً به عن الفعل الثلاثي، وبقاء اشتقاقات الثلاثي دليلاً على استعماله في مرحلة من نمو اللغة وتطورها.

وليس هنالك دليل على قولي هذا أظهر من تفسير ابن سيده نفسه لقولهم: رجلٌ بَكَرٌ. يقول: "وبكر على الشيء وإليه وفيه، يبكر بُكُوراً وبَكَر، وابتكر، وأبكر، وياكره: أتاه بُكْرَةً، ورجلٌ بَكْرٌ، وبَكَر: صاحبُ بكورٍ، قويٌّ على ذلك، كلاهما على النسب، إذ لا فعل له ثلاثياً بسيطاً"^(٢). فالفعل الذي استعمل: بَكَر وياكر وأبكر وابتكر، وقال ابن منظور: ولا يقال: بَكَر ولا بَكَرَ: إذا بَكَرَ^(٣)، فنصَّ ابن سيده وابن منظور على أنه لا فعل ثلاثياً له، يُدخل هذا اللفظ في دائرة الاستغناء بالمزيد عن الفعل الثلاثي المجرد، ففسر اسمُ الفاعل ومبالغته بالحمل على النسب لتبرير شذوذه عن القياس. وبهذا نفس قولهم: عامٌ قابلٌ، وليلةٌ قابلةٌ، بأنهما لا فعل لهما^(٤)، وكذلك قول ابن سيده: امرأةٌ مُومِسٌ ومُومِسةٌ: فاجرةٌ جِهاراً، بأنَّه لم يجد لها فعلاً البتَّةَ يجوز أن يكونَ هذا الفعلُ عليه، إلا أن يكونَ من قولهم: أماست جسمها، كما قالوا فيه: خريعٌ من التَّخَرِّعِ^(٥). والقولُ نفسُه في تفسير صيغة المبالغة (حنيك) التي استغني فيها بالفعل المزيد عن المجرد يقول ابن سيده: "والحنكة: السنُّ والتَّجربةُ والبَصْرُ بالأُمورِ، وحنكته التَّجاربُ والسنُّ حَنكاً وحنكاً، وأحنكته

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج ١٠، ص ٣٧٤ (ورق).

(٢) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج ٧، ص ١٧ (بكر).

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج ٤، ص ٧٤ (بكر).

(٤) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج ٦، ص ٤٢٦ (قبل).

(٥) المصدر نفسه، ج ٨، ص ٥٩١ (ميس).

وثمة أسماء فاعلين بُنيت من أفعالٍ مجردة أو مزيدة، وقيلَ فيها: لا فعلَ لها، لأنّها بُنيت من أسماء جامدة؛ ومنها: "ورجلٌ لَحِمٌ ولحيمٌ: ذو لَحْمٍ على التَّسْبِ، ولحَامٌ: بائعٌ للحم، ولحُمت النَّاقَةُ ولحِمت لَحَامَةً ولحوماً فيهما، فهي لَحِيمَةٌ: كَثُرَ لحمُها، ولحمةٌ جلدَةُ الرأسِ وغيرها ما بطن ممّا يلي اللحم، وشجّةٌ مُتلاحمة: أخذت في اللحم، ولم تبلغ السحاق، ولا فعلَ لها"^(١). وظاهرٌ لنا أنّهم قالوا: لَحْمٌ، ولحِمٌ، أي أنّهم استعملوا الفعل، دليلنا ما ذكره ابنُ منظور في قوله: "قد لَحِمَ لَحَامَةً ولَحِمَ، الأَخيرة عن اللحياني: كَثُرَ لحم بدنه، وقول عائشة رضي الله عنها: فلما عَلِفْتُ اللحمَ سَبَقَنِي: أي سَمِنْتُ فنُقِلت، ورجلٌ لَحِمٌ: أَكولٌ لِلحَمِّ وقرِمٌ إليه، وقيل: هو الذي أكل منه كثيراً فشكا منه، والفعلُ كالفعلِ، واللحَامُ الذي يبيع اللحم، ورجلٌ مُلحِمٌ إذا كَثُرَ عنده اللحمُ، وكذلك مُشحِمٌ"^(٢). ولستُ أستبعدُ هنا أن تكونَ العربُ قد بنت الفعلَ من الاسم، نحو قولهم: تمدرع، وتمدّن، واستأسد، وتآخى أخاً، وتعمّم عمّاً، واستأبَّ أباً، واستأمَّ أمّاً، وتحوّل خالاً^(٣)، فننخذُ من ذلك دليلاً على أنّه لا فضلَ سبقٍ للفعل في الاشتقاق، فبُنيت: لَحِمٌ، ولحيمٌ، ولحِمٌ، ولحومٌ، ولحَامٌ، من الاسم، وكذلك متلاحمٌ؛ فهذا قالوا: لا فعلَ لها.

وثمة دليلٌ أراه قاطعاً في عدم اشتقاق هذه الأسماء من أفعالٍ، ويتمثلُ ذلك في مسألة العمل التحوي، فعمل اسم الفاعل، وكذلك مبالغته مقرون في الدرس التحوي بمضارعة الفعل، وبخاصة المضارع، فماذا نقول في عمل أسماء الفاعلين ومبالغتها ممّا لا أفعالَ لها؟ وعن أية مضارعة نبحت ونحن نقول: لا أفعال لها. فهذا دليل على أنّ مسألة البحث عن أصل للاشتقاق لهذه الصيغ ضربٌ من الترفّ الفكري.

(١) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج٣، ص ٣٧٣ (لحم).

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص ٥٣٥ (لحم).

(٣) المؤدّب، دقائق التصريف، ص ٦٠.

ثالثاً- الصفات المشبّهة التي لا أفعال لها:

ثمة ضوابط بيّنة في اشتقاق الصفة المشبّهة، أظهرها: بناؤها من فعلٍ ثلاثيٍّ لازمٍ، ودالاتها على معنى الثبوت، وعلى الرغم من ذلك لا نعدّم من العلماء مَنْ أنكرَ شرطَ ثلاثيّةِ الفعلِ ولزومِهِ، ولا نعدّمُ التفاوتَ بينهم في تحديد معنى الثبوت^(١). وليس هذا من ضلالةِ الباحثِ في هذه الدّراسة. وأيضاً لا نستطيعُ أنْ نغفلَ تماثُلَ أوزانِ أبنيتها وتداخلها مع أبنيةِ اسمِ الفاعلِ ومبالغته، فهذا نجدُ كثيراً من توجيهاتِ العلماء لتفسيرِ بنائها ممّا لا فعلَ له تتقاطعُ مع ما سبقَ ذكره في اسمِ الفاعلِ ومبالغته من حيثُ حملها على معنى النَّسبِ، أو على الإتياع والمزاوجة، أو غير ذلك، لا سيّما أنّ اسمَ الفاعلِ ومبالغته، والصفة المشبّهة بابٌ واحدٌ في الدّرس اللغويّ.

إنّ شرط بنائها من فعلٍ ثلاثيٍّ لازمٍ ألقى بظلاله على تفسيرِ أبنيةِ الصفاتِ المشبّهة التي لا أفعال لها؛ لأنّ العلماء لم يقولوا بمسألة الاستغناء بالمزيد عن المجرّد في تفسيرها، ولا بموت فعلها الثلاثيِّ، فضابطها الاشتقائيُّ بناؤها من فعلٍ ثلاثيٍّ لازمٍ، ولهذا كان الحملُ على معنى النَّسبِ طاغياً على تفسيراتِ العلماء في توجيه ما لا فعلَ له من أبنيتها، على النّحو الذي يطالعنا به ابنُ سيده في قوله: "ونبات خَضِعٌ: مُنتنٌ من النّعمة، كأنه مُنحِنٌ. وهو عندي على النَّسبِ؛ لأنّه لا فعلَ له يصلحُ أن يكونَ (خَضِعٌ) محمولاً عليه. ومنه قول أبي فقّس في صفة الكلا: خَضِعٌ مَضِعٌ، صافٍ رَتِعٌ. كذا حكاه ابن جني بالعين، قال: أراد مَضِعٌ، فأبدل العين مكان الغين للسّجع، ألا ترى أنّ قبله (خَضِعٌ)، وبعده (رَتِعٌ)"^(٢).

(١) المتولي، محمود المتولي عوض حجاز، "الصفة المشبّهة بين القاعدة والاستعمال اللغوي-

دراسة صرفية دلالية-"، بحث منشور بمجلة علوم اللغة، المجلد (١١)، العدد الرابع (٤)

لعام ٢٠٠٨م.

(٢) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج ١، ص ١٣٠ (خضع).

والحقيقةُ أنّ الفعلَ الذي لم يجده ابنُ سيده ذكره هو نفسه، بقوله: "خَضَعَ يَخْضَعُ خَضْعاً وَخُضوعاً، واختَضَعَ: ذَلَّ، ورجلٌ خِضَعٌ وأخضَعُ... وَخَضِعَ الرَّجُلُ وَأخضَع: أَلَانَ كَلَامَهُ لِلرَّأْسِ... وَالْأُنْثَى خَضَعَاءُ، وكذلك البعيرُ والفرسُ"^(١). فإذا كان الرَّجُلُ خَضِعاً وَالرَّأْسُ، والفرسُ، والبعيرُ، فما المانعُ أن يكونَ النباتُ خَضِعاً، والفعلُ فيها كُلُّها (خَضَعَ)؟.

لقد كان الحملُ على معنى النَّسبِ واحداً من أبرزِ توجيهاتِ العلماءِ للصفاتِ المشبَّهَةِ التي لا أفعالَ لها، ولعلَّه المظهرُ الأبرزُ في تفسيراتِ ابنِ سيده، ولذلك مظاهرُ شتى منها: "وماءٌ عَذِبٌ: كثيرُ القذا والطُّحلبِ، أراه على النَّسبِ؛ لأنِّي لم أجد له فعلاً"^(٢). لقد استعملَ فعلَ هذه الصِّفةِ، ولكن في معنى كلِّ مُستساغٍ من الشُّرابِ والطعامِ، وربما توسَّعت دلالةُ اللفظِ لتدلَّ الصِّفةُ على معانٍ أخر لم يُستعملَ معها الفعلُ؛ فحُمِلَ على معنى النَّسبِ. والقولُ نفسه في قولهم: مكانٌ حَصِيبٌ، أي ذو حَصَباءِ، حُمِلَ على النَّسبِ؛ لأنَّه لا فعلَ له^(٣)، على الرَّغمِ من أنَّهم قالوا: حَصِيبٌ جِلْدُهُ بالكسرِ يَحْصِيبُ، وَحَصِيبٌ فهو مَحْصُوبٌ^(٤)، ولكن لم يستعملوا الفعلَ بمعنى ذاتِ حصباءِ. ومثل ذلك قولهم: أرضٌ فرقةٌ: في نبتها فرقةٌ، على النَّسبِ؛ لأنَّه لا فعلَ لها^(٥).

ومما حُمِلَ على النَّسبِ من الصفاتِ قول ابنِ سيده: "وضبُّ أحرشٍ: حَشِينُ الجِلْدِ، كأنَّه مُحَرَّرٌ، وقيل: كلُّ شيءٍ حَشِينٌ أحرشٍ وحَرِشٍ، الأخيرة عن أبي حنيفة، وأراها على النَّسبِ؛ لأنِّي لم أسمع له فعلاً"^(٦). أليسَ في ذلك دليلٌ على ما بدأنا به

(١) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج ١، ص ١٣٠ (خضع).

(٢) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٨٣ (عذب).

(٣) المصدر نفسه، ج ٣، ص ١٦٥ (حصب).

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ج ١، ص ٣١٨ (حصب).

(٥) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج ٦، ص ٣٨٤ (فرق).

(٦) المصدر نفسه، ج ٣، ص ١٠٦ (حرش).

بحثنا من حيث استعمال العربي للمشتقات وتوظيفها دون مراعاة لضوابط اشتقاقها، أو حتى دون أن يأبه لقياسية بنائها من أفعال؟ فإذا كانت هذه الصفات لا أفعال لها؛ فتلك بيّنة على أنها صيغٌ وجِدت كما وجِدَ الفعلُ، لا فضلَ سبقٍ لأحدهما على الأخرى.

لقد كان ضابط ثلاثية الفعل في بناء الصفة المشبهة سبباً في حمل بعضها على أنها لا فعل لها؛ لأنّ الفعل المستعمل مزيدٌ، وقد برز ذلك في قول ابن سيده: "والحليم: الشحم المُقبل، وأنشد:

فإن قضاء المحل أهون ضيعةً من المَحِّ في أنقاء كلِّ حليم

وقيل الحليم هنا: البعير المُقبل السمن، فهو على هذا صفةً، ولا أعرف له فعلاً إلا مزيداً^(١). ومثل هذا القول يطالعنا في تفسير "العَبِق، والنَّغْبِق، والاعتباق: شرب العشي. رجلٌ غَبقان، وامرأة غَبقي، كلاهما على غير الفعل؛ لأنّ (افتعل وتفعل) لا يُبنى منهما فعلاً^(٢). إذا كانت هذه الأفعال لم تُستعمل إلا مزيدة؛ ففي ذلك دليلٌ لمن لم يشترط ثلاثية الفعل في بناء الصفة المشبهة، والأولى بها حملها على التطور اللغوي الذي استغني فيه بالفعل المزيد عن الفعل المجرد، ولن نبتعد عن الحقيقة، إذا ما أخذنا هذه الأمثلة دليلاً على أنّ العربي يبنى اشتقاقته، وليس له عينٌ على ضوابط اشتقاقها وقياسيتها.

إنّ الذي يشجعنا على هذا تلك الصفات التي لم نجد لها فعلاً ثلاثياً، ولا مزيداً تُشتقُّ منه، ومن أمثلتها عند ابن سيده قوله: "وظبيّ عَبان: نشيط، قال:

(١) ابن سيده، المحكم، ج ٣، ص ٣٦٥ (حلم). وانظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ١٢، ص ١٤٥ (حلم).

(٢) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج ٥، ص ٣٨٨ (غبق).

كَمَا رَأَيْتَ الْعَنْبَانَ الْأَشْعَبَا يَوْمًا إِذَا رِيحٌ يُعْنِي الطَّلْبَا

الطَّلْبُ: اسمُ جمعِ طالبٍ، وقيل: العَنْبَانُ الثَّقِيلُ مِنَ الطَّبَاءِ، فهو ضِدٌّ، وقيل: هو المُسَنَّ من الطَّبَاءِ، ولا فعلَ لهما^(١). ومثل ذلك قولهم: "شَاءَ عَكْوَاءُ: بيضاء الذَّنْبِ وسائرُها أسودٌ، ولا فعلَ له، ولا يكونُ صفةً للذَّكَرِ"^(٢). ومثله: "الخَوْدُ: الفتاةُ الحَسَنَاءُ الخَلْقِ الشَّابَّةُ. وقيل: النَاعِمَةُ. والجمع: خَوْدَات، وخَوْدٌ. ولا فعلَ له"^(٣). وقوله: "والطُّفُلُ: الصَّغِيرُ من كُلِّ شَيْءٍ، بَيْنَ الطُّفْلِ، والطُّفَالَةِ، والطُّفُولَةِ، والطُّفُولِيَّةِ، ولا فعلَ له"^(٤). فهذه صفاتٌ غيابُ أفعالِها دليلٌ على أنَّ بعضَ المشتقاتِ لا سبقَ للفعلِ على وجودِها، فلو كان لها ضابطٌ في الاشتقاقِ لما وجدنا التبدلاتِ الصوتيةَ غيرَ المبررة في بعضها، نحو تبدلاتِ الصَّوْتِ الأوَّلِ في: كثير، وبثير، وأثير، وبذير^(٥). فلو كانت مشتقةً من فعلٍ لعرفنا الأصلَ، وأدركنا منحي التطوُّرِ اللغويِّ الذي حصلَ في هذه التبدلاتِ.

إنَّ الصِّفَةَ المشبَّهة التي لا فعلَ لها، قد نجدُ معها مشتقاتٍ أخرى من لفظها كاسمِ الفاعلِ ومبالغته، واسمِ المفعولِ، ومن أمثلة ذلك عند ابن سيده: "وامرأةٌ خَيْلاءٌ، ورجلٌ أخيلٌ، ومَخِيلٌ، ومَخِيولٌ، ولا فِعْلَ له"^(٦). وقد استعملت اشتقاقاتٍ أخرى من اللفظ، نحو: "والخالُ، والخَيْلُ، والخَيْلاءُ، والخَيْلاءُ، والأخَيْلُ، والخَيْلَةُ، والمَخِيلَةُ كُلُّهُ الكِبَرُ، وقد اختالَ، وهو ذو خَيْلاءَ، وذو خالٍ، وذو مَخِيلَةٍ: أي ذو كِبَرٍ"^(٧). وفي هذا دليلٌ على أنَّ اللفظَ المشتقَّ تتصرَّفُ به العربُ، وإن لم يكن له

(١) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج ٢، ١٨٩ (عنب).

(٢) المصدر نفسه، ج ٢، ٢٧٧ (عكو).

(٣) المصدر نفسه، ج ٥، ٢٨٧ (خود).

(٤) المصدر نفسه، ج ٩، ١٧٣ (طفل).

(٥) الهمداني، الألفاظ الكتابية، ص ٢٩٥.

(٦) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج ٥، ٢٦٠ (خيل).

(٧) ابن منظور، لسان العرب، ج ١١، ٢٢٥ (خيل).

فعلٌ يشتقُّ منه، وفي ذلك بيّنةٌ على أنّهم يبنون بعضَ اشتقاقاتهم، وليسَ لهم سندٌ في أصلِ الاشتقاقِ.

لقد كانَ الإِتباعُ والمزاوجةُ سبباً لوجودِ بعضِ الصفاتِ المشبّهةِ التي ليسَ لها أفعالٌ تشتقُّ منها، وجيءَ بها لتحقيقِ جرسِ موسيقيٍّ في اللفظِ يُضفي عليه قدرًا من التوكيدِ، نحو: عَطْشانَ نَطْشانَ، وجَوْعانَ نَوْعانَ، وشَيْطانَ لَيْطانَ، وحَسَنَ بَسَنَ، وكَثِيرَ بَثِيرَ، وكَزَرَ لَزَرَ، وخَبِيثَ نَبِيثَ، وثِقَةَ نِقَةَ، وغيرها^(١)، فهذه صفاتٌ لم يعرفِ العربُ بعضَ مصادرِ اشتقاقها، ولم يدركوا من معانيها غيرَ إفادةِ الإِتباعِ والتوكيدِ^(٢)، وفي بعضِ تصريفها مخالفةٌ للقياسِ، لأنّهم راعوا فيها المبنى. وفي لهجتنا الدارجة اليوم نجد نظائرَ لها، نحو: عَورانَ زَورانَ (للحائرِ)، وسودا لودا (للسمراءِ)، وحَقِيرَ نَقِيرَ، وخِثِّي مِثِّي أو سِثِّي بِثِّي (ذهاب وإياب)، وفي هذا كلّها ما نستدلُّ به على أنّ بعضَ أبنيةِ الصفاتِ المشبّهةِ بُنيت دونَ وعيٍ من مُنتجِ اللّغةِ بأصلِ اشتقاقها وضابطه، وكان حريصاً على إيصالِ المعنى المُرادِ فحسبَ، وقاده الوقُوعُ الموسيقيُّ إلى إيجادِ ألفاظٍ لا ضوابطَ لها في الاشتقاقِ.

رابعاً- أسماء المفعولين التي لا أفعال لها:

لا تبتعدُ أبنيةُ اسمِ المفعولِ عمّا سبقَ ذكرُه من المشتقاتِ من حيثُ بناءُ بعضها ممّا لا فعلَ له، فبعضُ أسماءِ المفعولين يدخلُ في دائرةِ الاستغناءِ باللفظِ

-
- (١) انظر: الهمداني، الألفاظ الكتائية، ص ١٩٥-٢٩٦. وابن دريد، الجمهرة، ج ٣، ص ١٢٥٣، والسيوطي، المزهرة، ج ١، ص ٤١٩، والمساعة، ظاهرة الإِتباع اللغوي، ص ١٤٤-١٥١.
- (٢) انظر: الخليل، العين، ج ٧، ص ٢٧٢ (بسَن) وابن دريد، الجمهرة، ج ٣، ص ١٢٥٣، والأقطش، عبد الحميد، "إِتباع الإيقاع في اللّغة العربيّة، مقارنةً ألسنيّةً في حركية اللّغة"، مجلة أبحاث اليرموك، المجلد (١٢)، العدد (٢)، سنة ١٩٩٤، ص ١٤١-١٧٧. والمصاروة، جزء، "ظاهرة الأزواج في العربيّة"، المجلة الأردنيّة للغة العربيّة وآدابها، المجلد (١)، العدد (١)، لسنة ٢٠٠٥، ص ١٨-٢٩.

عن اللفظ، ولهذا قيل: لا فعل له، أو أن فعله مستعمل ولكن في معنى غير المعنى الدالّ عليه اسمُ المفعولِ الذي لا فعل له، وهذا ظاهرٌ في قولِ ابنِ سيده: "وودّعه: رفقّه، والاسم المودوع، فأما قوله:

إذا ما استَحَمَّتْ أرضُهُ من سَمَائِهِ جَرَى وهو مَوْدُوعٌ ووَاعِدٌ مَصْدَقٌ

فكأنه مفعولٌ من الدّعة، أي أنه ينال مُدْعَاً من الجزِي ما يسبقُ به، فإن قُلْتَ: فإنّه لفظُ مفعولٍ ولا فعل له، إذ لم يقولوا: ودّعته في هذا المعنى، قيل: قد تجيء الصفةُ ولا فعل لها، كما حُكي من قولهم: رجل مَفْؤودٌ للجبان، ومُدْرَهَمٌ للكثير الدرهم، ولم يقولوا: فُنِدَ ولا دُرْهَمٌ^(١).

فالمسألةُ تتعلّقُ بالاستغناء في باب الفعل (ودّع) وبعض تصريفاته، وهي مسألة مشهورة في الدرس اللغوي^(٢)، وقد أظهرها ابن منظور بجلاء في قوله: "قد تجيء الصفةُ ولا فعل لها، كما حُكي من قولهم: رجلٌ مَفْؤودٌ للجبان، ومُدْرَهَمٌ للكثير الدرهم، ولم يقولوا فُنِدَ ولا دُرْهَمَ، وقالوا: أسعدّه الله فهو مَسْعُودٌ، ولا يقال سَعَدَ إلا في لغة شاذة، وإذا أَمَرْتَ الرجل بالسكينة والوقارِ قلت له: تَوَدَّعْ واتدّع، قال الأزهري: وعليك بالمودوع من غير أن تجعل له فعلاً ولا فاعلاً، مثل المَعْسُورِ والمَيْسُورِ، قال الجوهري: وقوله: عليك بالمودوع أي بالسكينة والوقار، قال: لا يُقالُ منه: ودّعه، كما لا يقال من المَعْسُورِ والمَيْسُورِ: عَسَرَهُ وَيَسَرَهُ، وودّع الشيء يدّعُ واتدّع كلاهما سَكَنٌ"^(٣).

(١) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج ٢، ٣٣٠ (ودع).

(٢) ابن جَبِّي، الخصائص، ج ١، ص ٢٦٧. الطويل، السيد رزق، ظاهرة الاستغناء في الدراسة اللغوية، مجلة كلية اللغة العربية، جامعة أمّ القرى، مكة المكرمة، السنة الثانية، العدد الثاني، ١٤٠٤هـ، ص ٢٦٢.

(٣) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج ٢، ٣٣٠ (ودع).

والقولُ نفسه في تفسير لفظِ (المسجوح) الذي حُمِلَ على نظيره (الميسور والمعسور)، يقول ابن سيده: "والسَّجِيحَةُ والسَّجْحَةُ والمسجوح: الخلق، وأنشد: (هُنَّا وَهُنَّا وعلى المسجُوحِ).

قال أبو الحسن: هو كالميسور والمعسور، وإن لم يكن له فعلٌ، أي أنه من المصادر التي جاءت على مثالِ مفعولٍ^(١). لقد نصَّ ابنُ سيده على الفعلِ (سَجَحَ) ومعانيه واستعمالاته، وذكر من تصريفاته: سَجِيحٌ، وأسْجَحٌ، ومَسْجُوحٌ، وسَجِحٌ، وهي تصريفاتٌ تدلُّ على وجودِ الفعلِ الثلاثيِّ، ولكن عندما وردت (مسجوح) بمعنى يخالفُ المعنى المألوفَ للفعلِ (سجج) حملها على تركِ الفعلِ، وعُدَّتْ من باب المصادر التي جاءت على زنة مفعول، فأدخلت بابَ تناوبِ الصيغِ.

إنَّ الاستغناءَ بالفعلِ المجرَّدِ عن المزيدِ أو العكس، له أثرٌ بيِّنٌ في تفسير بعض أسماء المفعولين التي لا أفعال لها، وجاءت على خلاف القياس، وهي مسألة أدركها النحاة مبكراً، يقول سيبويه: "جَنَّ وَسُلٌّ، ورُكْمٌ، ووُرْدٌ، وعلى ذا قالوا: مجنون ومسلول، ومزكوم، ومحموم، ومورودٌ. وإنما جاءت هذه الحروف على جننَّه وسللَّته، وإن لم يُستعمل في الكلام، كما أن يدع على ودعتُ ويذرُ على وذرت، وإن لم يُستعملا، استغني عنهما بتركت، واستغني عن قطع بقطع، وكذلك استغني عن جننت ونحوها بأفعلت"^(٢)، وفي موضع آخر قال: "وكذلك أحزنته وأحببته، فإذا قلتَ: محزونٌ ومحبوبٌ، جاء على غير أحببتُ، وقد قال بعضهم: حببتُ فجاء به على القياس"^(٣). وقولُ سيبويه هذا يؤكدُ سعةَ القاعدة اللغوية في اعتمادها على البنى الاستعمالية التداولية التي أعطت لمنتج اللغة فسحة في بناء الصيغ اللغوية وفق الطبيعة التواصلية، ولا تأبهُ بضوابط الاشتقاق وقياسيته.

(١) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج ٣، ٥٩ (سجج).

(٢) سيبويه، الكتاب، ج ٤، ص ٦٧.

(٣) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٦٧.

قد يكون اسمُ المفعولِ واحداً من مشتقاتٍ متعدّدةٍ لا فعلَ لها، وهي مسألةُ أُشرت إليها سابقاً، ومن مظاهرها عند ابن سيده: "وامرأةٌ خَيْلاءٌ، ورجلٌ أُخيلٌ، ومَخِيلٌ، ومَخْيولٌ، ولا فِعْلَ له"^(١). وهذه مسألةٌ تتعلّق بانزياح الفعلِ في دلالتهِ إلى معانٍ جديدةٍ، فقول: لا فعلَ لهذه الصّفة، فلو قيل: إنّ فعلها كذا لأصبح هنالك بونٌ بين معنى الفعلِ الأصلي، وهذه المشتقاتِ التي لها معنى مغايرٌ للفعلِ الأصلي، وفي هذا دليلٌ على تصرّف العربيّ بالمشتقاتِ دونَ مراعاةِ أصلِ اشتقاقها، وهو مظهرٌ من مظاهر اتّساعِ العربيّة، وتنوّعِ أفانين القولِ فيها.

وثمّة أسماءٌ مفعولين لا أفعالَ لها لأنّها بُنيت من أسماءٍ، ولا فعلَ لها تشتقُّ منه، وهذا يدخل في دائرة الاشتقاقِ من غير الفعلِ، كما قالوا: تمرجلٌ، وتمدرعٌ، واستأسدٌ، وأتمرّ وغيرها. ومن أمثلة ذلك عند ابن سيده: "قال ابنُ مُقْبِلٍ:

إِنِّي أَقْيِدُ بِالْمَأْتُورِ رَاحَتِي وَلَا أَبَالِي وَلَوْ كُنَّا عَلَى سَفَرٍ

وَعِنْدِي أَنَّ الْمَأْتُورَ مَفْعُولٌ لَا فِعْلَ لَهُ، كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ أَبُو عَلِيٍّ فِي الْمَفْعُودِ الَّذِي هُوَ الْجَبَانُ"^(٢). والقول نفسه في "رَجُلٌ مَفْعُودٌ: جبانٌ، ولا فِعْلَ لَهُ، هذا قولُ أَبِي عَلِيٍّ الْفَارِسِيِّ. قَالَ ابْنُ جَنِّي: لَمْ يُصَرَّفُوا مِنْهُ فِعْلاً، وَمَفْعُولِ الصِّفَةِ إِنَّمَا يَأْتِي عَلَى الْفِعْلِ، نَحْوُ مَضْرُوبٍ مِنْ ضَرْبٍ، وَمَفْعُولٍ مِنْ قَتْلٍ"^(٣). مثله قول ابن سيده: "والمَبْلُودُ: المُنْحَيَّرُ، لا فِعْلَ لَهُ، وَقَالَ الشَّيْبَانِيُّ: هُوَ الْمَعْنُوه. وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ: هُوَ الْمُنْقَطِعُ بِهِ، وَكُلُّ هَذَا رَاجِعٌ إِلَى الْحَيْرَةِ"^(٤). ولا أَسْتَبْعُدُ أَنَّ هَذَا يَدْخُلُ فِي بَابِ الْإِسْتِغْنَاءِ بِالْمَزِيدِ عَنِ الْمَجْرَدِ لِقَوْلِهِمْ: أَبْلَدٌ، وَتَبْلَدٌ: لِحِقَّتْهُ حَيْرَةٌ"^(٥).

(١) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج ٥، ص ٢٦٠ (خيل).

(٢) المصدر نفسه، ج ١٠، ص ١٧٦ (أثر).

(٣) المصدر نفسه، ج ٩، ص ٣٨١ (فأد).

(٤) المصدر نفسه، ج ٩، ص ٣٤٤ (بلد).

(٥) المصدر نفسه، ج ٩، ص ٣٤٤ (بلد).

وثمة أسماء مفعولين من أفعالٍ مزيدة، وقيل لا فعلَ لها، ومنها عند ابن سيده قوله: "الرَّهَقُ: جهلٌ في الإنسانِ وخَفَّةٌ في عقله، ورجلٌ مُرَهَّقٌ: موصوفٌ بذلك، ولا فعلَ له"^(١). وعلى الرَّغم من هذا لا نعدُّمُ فعلاً ثلاثياً ولا مزيداً لـ(رهق) نصَّ عليه ابنُ سيده نفسه، فقالوا (رهق وأرهق) واستعملَ في القرآن في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾^(٢). وهذا يدفعني إلى القول إنَّ اختلاف المعنى بين (رجل مرهق) بمعنى جاهل، وبين معنى الفعل (أرهق ورهق) الأصلي، هو تفسير قولهم: لا فعلَ له. أي لا فعلَ لـ(مرهق) عندما يكون بمعنى جاهلٍ.

خامساً - أفعال التفضيل والتعجب مما لا فعلَ لها:

لبناء التفضيل والتعجبِ ضوابطٌ خاصَّة، من أظهرها وجودُ فعلٍ ثلاثيٍّ تامٍّ مثبتٍ، وعندما رصدَ العلماءُ لغةَ العربِ طالعهم ألفاظٌ كثيرةٌ، جاءت على خلافِ الضوابطِ والمعاييرِ، فأودعوها دائرةَ الشذوذِ والسَّماعِ، وكان ذلك في مرحلةٍ مبكرةٍ من عُمرِ الدرسِ اللغويِّ، ولهذا أفردَ له سيبويه باباً في قوله: "هذا بابٌ ما تقولُ العربُ فيه: ما أفعله، وليس له فعلٌ، وإنما يُحفظُ هذا حفظاً ولا يُقاسُ، قالوا: أحنكُ الشاتين، وأحنكُ البعيرين، كما قالوا: أكلُ الشاتين، كأنهم قالوا: حنكُ ونحو ذلك، فإنما جاءوا بأفعل على نحو هذا، وإن لم يتكلموا به، وقالوا: أبلُ النَّاسِ كلَّهم، كما قالوا: أرعى النَّاسِ كلَّهم، وكأنَّهم قد قالوا: أبلُ يَأْبَلُ، وقالوا: رجلٌ أبلٌ، وإن لم يتكلموا بالفعل، وقولهم: أبلُ النَّاسِ بمنزلةِ أبلٍ منه؛ لأنَّ ما جاز فيه أفعلُ النَّاسِ، جاز فيه هذا، وما لم يجز فيه ذلك، لم يجز فيه هذا، وهذه الأسماءُ التي ليس فيها فعلٌ، ليس القياسُ فيها أن يقالَ: أفعلُ منه ونحو ذلك، وقد قالوا: فلانٌ أبلٌ منه، كما قالوا: أحنكُ الشاتين"^(٣).

(١) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج٤، ص ١٢٢ (رهق).

(٢) سورة الكهف، آية ٧٣.

(٣) سيبويه، الكتاب، ج٤، ص ١٠٠.

وظاهرٌ من قول سيبويه أنّ العربَ تصرّفت في بناء اشتقاقها، فبنت أفعالَ التّفضيل من اسمٍ: (الْحَنَكُ) وتصوروا منهما أفعالاً ليس لها وجودٌ. يقول ابن منظور: "وَحَنَكَ الدَّابَّةَ يَحْنِكُهَا وَيَحْنِكُهَا: جعل الرِّسْنَ في فيها من غير أن يُشْتَقَّ من الحَنَكِ، رواه أبو عُبيد، قال ابن سيده: والصحيح عندي أَنَّهُ مشتقٌّ منه، وكذلك اِحْتَنَكَهُ، ويقال: أَحْنَكُ الشَّاتِينَ، وَأَحْنَكُ البعيرين: أَي أَكَلَهُمَا بِالْحَنَكِ، قال سيبويه وهو من صيغِ التّعجب والمفاضلة، ولا فعلَ له عنده، واستَحْنَكُ الرجلُ قوياً أَكَلَهُ واشتد بعد ضعفٍ وقِلَّةٍ، وهو من ذلك، وقولهم: هذا البعيرُ أَحْنَكُ الإِبِلِ، مُشْتَقٌّ من الحَنَكِ، يريدون أَشَدَّهَا أَكْلاً وهو شادٌّ؛ لأنَّ الخفَّةَ لا يُقالُ فيها: ما أَفْعَلُهُ" (١). إنّ المسألة لا تتوقّف عند قولهم (أحنك الشاتين) حتى نقول: إنّ الشدودَ في بناء صيغة التّفضيل وحدها؛ لأنّها بُنيت من خفّة، بل تجاوزت ذلك إلى مشتقات أخرى نحو قولهم: "رجلٌ مُحْتَنِكٌ، وَحَنَكٌ، وَحَنِيكٌ: مجرّبٌ، كأنه على (حَنَكِ) وإن لم يُستعمل" (٢).

أمّا قولهم: أبِلُ النَّاسِ أَي أَحْدَقَهُم بِهَا، فقد ورد له فعلٌ عن العربِ، يقول ابنُ منظور: "وَأَبِلَ يَأْبِلُ أَبَالَةً، مثل شَكِسَ شَكاسَةً، وَأَبِلَ أَبِلاً فهو أَبِلٌ، وَأَبِلَ حَدَقَ مصلحة الإِبِلِ والشَّاءِ، وزاد ابنُ بري ذلك إيضاحاً فقال: حكى القالي عن ابن السكيت: أَنَّهُ قال: رَجُلٌ أَبِلٌ بَمَدِّ الهمزة، على مثال فاعلٍ، إذا كان حاذقاً برعيّة الإِبِلِ ومصلحتها، قال: وَحَكِي في فعله: أَبِلٌ أَبِلاً بكسرِ الباءِ في الفعلِ الماضي، وفتحِها في المستقبلِ، قال وحكى أبو نصر: أَبِلٌ يَأْبِلُ أَبَالَةً ... قال ومن قال: أَبِلٌ بفتحِ الباءِ فاسمُ الفاعلِ منه أَبِلٌ بالمدِّ، ومن قاله: أَبِلٌ بالكسر، قال في الفاعلِ: أَبِلٌ بالقصر ... وحكى سيبويه: هذا من أَبِلِ النَّاسِ، أَي أَشَدَّهُم تَأْتِقاً في رعيّة الإِبِلِ وأَعْلَمِهِم بِهَا، قال: ولا فعلَ له" (٣). فعلى هذا لا وجهَ لما قاله سيبويه من أَنَّهُ لا فعلَ له؛ لأنَّ الفعلَ موجودٌ، وشائعٌ في الاستعمالِ؛ لأنَّ اشتقاقاته التي عدّها العلماء شاذةً تجاوزت صيغة المفاضلة إلى مشتقات أخرى، نحو قولهم: وَأَبِلَ يَأْبِلُ أَبَالَةً وَأَبِلَ

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج ١٠، ص ٤١٦ (حنك).

(٢) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج ٣، ص ٤٥ (حنك).

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج ١٠، ص ٤١٦ (حنك).

أَبْلًا فَهُوَ آبِلٌ وَأَبِلٌ: حَدَقَ مَصْلَحَةَ الْإِبِلِ وَالشَّاءِ، وَحَكَى سَبِيؤِيَه: هُوَ مِنْ آبِلِ النَّاسِ، قَالَ: وَلَا فِعْلَ لَهُ^(١).

لقد جعلوا لـ(أحنك) نظائرَ حُمِلت عليها؛ منها قولهم: "وهذا المكان أهجر من هذا، أي أحسن، حكاه ثعلب، وأنشد: ((تبدلتُ داراً من ديارِكِ أهجراً)) ولم نسمع له بفعلٍ، فعسى أن يكونَ من بابِ (أحنك الشاتين، وأحنك البعيرين)"^(٢). ويقصدُ ابنُ سيده أنه لم يُستعمل فعلٌ لـ(هجر) بمعنى (حسن) كما في قولهم: وجمل هجر، وكبش هجر: حسنٌ كريمٌ^(٣)؛ لأنَّ الفعلَ (هجر) مستعملٌ في العربية، وله معانٍ أخر. ومن نظائره أيضاً: "والغنمُ أشرطُ المالِ، أي أرذلهُ مفاضلةً، وليس هناك فعلٌ، وهذا نادرٌ؛ لأنَّ المفاضلةَ إنما تكونُ من الفعلِ دونِ الاسمِ، وهو على نحو ما حكاه سيبويه من قولهم: أحنكُ الشاتين؛ لأنَّ ذلك لا فعلَ له أيضاً عنده، وكذلك آبلُ الناس لا فعلَ له عند سيبويه"^(٤). والقولُ فيه كسابقه من حيثُ وجود فعلٍ مُستعملٍ له، ولكنّه في معانٍ غير معنى (أرذل)، الذي بُنيت عليه المفاضلةُ.

ومن نظائره التي نصَّ ابن سيده عليها: "وقال ابنُ جنِّي - في شيءٍ دونِ، ذكَّره في كتابه الموسوم بالمُعرب: ((وذلك أقلُّ الأمرينِ وأدونها)) فاستعملَ منه أفعلَ، وهذا بعيدٌ؛ لأنَّه ليس له فعلٌ فتكونُ هذه الصيغةُ مبنيةً منه، وإنما تُصاغُ هذه الصيغةُ من الأفعالِ، كقولك: أوضعُ منه، وأرفعُ منه، غير أنَّه قد جاءَ من هذا شيءٌ ذكَّره سيبويه. وذلك قولهم: أحنكُ الشاتين، وأحنكُ البعيرين، كما قالوا أكلُ الشاتين، كأنَّهم قالوا: حنكٌ ونحو ذلك، فإتما جاؤوا بأفعلَ على نحوه هذا، وإن لم

(١) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج ١٠، ص ٤٠٩ (أبل).

(٢) المصدر نفسه، ج ٤، ص ١٥٧ (هجر).

(٣) المصدر نفسه، ج ٤، ص ١٥٧ (هجر).

(٤) المصدر نفسه، ج ٨، ص ١٥ (شرط).

يَتَكَلَّمُوا بِهِ. وَقَالُوا: آبِلُ النَّاسِ كُلِّهِمْ، كَمَا قَالُوا: أَرَعَى النَّاسَ كُلَّهُمْ، وَكَأَنَّهُمْ قَالُوا: آبِلٌ يَأْبِلُ، وَقَالُوا: رَجُلٌ آبِلٌ، وَإِنْ لَمْ يَتَكَلَّمُوا بِالْفِعْلِ. وَقَالُوا: آبِلُ النَّاسِ بِمَنْزِلَةِ آبِلِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا فِعْلٌ لَيْسَ الْقِيَاسُ أَنْ يُقَالَ فِيهَا: أَفَعَلَ مِنْهُ، وَنَحْوَ ذَلِكَ. وَقَدْ قَالُوا: فَلَانِ آبِلٌ مِنْهُ، كَمَا قَالُوا: أَحْنَكُ الشَّائِئِينَ^(١).

لقد بنت العربُ المفاضلةَ من الاسمِ وهو الظرفُ (دون)، وصيغةُ (أدون) استعملها ابنُ سيده نفسه في كتابه (المُحكّم) في قوله: ومن غالبِ عادةِ العربِ ألا تلتزمَ أمرًا إلا مع وجوبه، وإن كانت في بعضِ المواضع قد تتطوَّعُ بالتزام ما لا يجبُ عليها، وذلك أقلُّ الأمرين وأدوئُهُما^(٢)؛ ممَّا يدلُّ على شيوخِ اللفظِ، واتساعِ أفقِ استعماله في العربيةِ.

وممَّا عُدَّ من نظائرِ (أحنك) قولهم: "ما بالباديةِ أنوأ من فلانٍ، أي أعلمُ بأنواءِ النجومِ منه، ولا فِعْلَ له، وهذا أحدُ ما جاء من هذا الضربِ من غيرِ أن يكونَ له فِعْلٌ، وإتْمًا هو من باب: أَحْنَكِ الشَّائِئِينَ، وَأَحْنَكِ البعيرينِ فافهم"^(٣). وكذلك قوله: "وأذرعَ في الكلامِ وتذرعَ أكثرَ، والذراعُ والذراعُ: الخفيفةُ اليدينِ بالغزلِ، وقيلَ الكثيرةُ الغزْلِ القويَّةُ عليه، وما أذرعها، وهو من بابِ أحنكِ الشَّائِئِينَ، في أنَّ التَّعَجُّبِ من غيرِ فعلٍ"^(٤). والذي يظهرُ لي من هذا كلِّه أنَّ العربَ بنتت اشتقاقها من أسماءٍ، ولم تبحث لها عن فعلٍ، وأنَّ الشَّدوْدَ الذي نصَّ عليه العلماءُ في ألفاظِ المفاضلةِ والتَّعَجُّبِ، قد امتدَّ إلى مشتقاتِ أخرى في (حنك وأبل) وغيرهما، ولم يقتصر على فقدانِ شرطِ المفاضلةِ، وليس لَدِيّ دليلٌ على ذلك أظهرَ من حملهم المفاضلةَ على معنى النَّسَبِ لتبريرِ شذوذها، وليس لها في معنى النَّسَبِ نصيبٌ، كما في قولهم: "وقوله:

(١) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج ٩، ص ٤٣٥ (دون).

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٤٥.

(٣) المصدر نفسه، ج ١٠، ص ٥٣٥ (نوأ).

(٤) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٨٠ (ذرع).

مَا أَنْعَمَ الْعَيْشَ لَوْ أَنَّ الْفَتَى حَجَرَ تَنْبُو الْحَوَادِثُ عَنْهُ وَهُوَ مَلْمُومٌ

إِنَّمَا هُوَ عَلَى النَّسَبِ؛ لِأَنَّ لَمْ نَسْمَعَهُمْ قَالُوا: نَعِمَ الْعَيْشُ، وَنَظِيرُهُ مَا حَكَاهُ سَيَّبُوه مِنْ قَوْلِهِمْ: هُوَ أَحْنَكُ الشَّائِنِ، وَأَحْنَكُ الْبَعِيرِينَ، فِي أَنَّهُ اسْتَعْمَلَ مِنْهُ فِعْلُ التَّعَجُّبِ، وَإِنْ لَمْ يَكْ مِنْهُ فِعْلٌ فَتَفْهَمُ^(١).

إِنَّ الْاسْتِغْنَاءَ بِالْفِعْلِ الْمَزِيدِ عَنِ الْمَجْرَدِ مَظْهَرٌ بَارِزٌ فِي تَوْجِيهِ أُنْبِيَةِ الْمَفَاضِلَةِ وَالتَّعَجُّبِ مِمَّا لَا فِعْلَ لَهَا؛ وَوَرَدَ مِنْهُ شَيْءٌ عِنْدَ ابْنِ سَيِّدِهِ، يَقُولُ: "وَضَرَبَهُ ضَرْبًا مُبْرَحًا شَدِيدًا، وَهَذَا أَبْرَحُ عَلِيٍّ، أَيِ أَشَقَّ وَأَشَدَّ، قَالَ ذُو الرِّمَّةِ:

أَيْنَا وَشَكَوَى بِالنَّهَارِ كَثِيرَةً عَلِيٍّ وَمَا يَأْتِي بِهِ اللَّيْلُ أَبْرَحُ

وَهَذَا عَلَى طَرَحِ الزَّائِدِ، أَوْ يَكُونُ تَعَجُّبًا لَا فِعْلَ لَهُ، كَأَحْنَكِ الشَّائِنِ"^(٢). فَوَجَّهَ ابْنُ سَيِّدِهِ الْفِعْلَ عَلَى تَوْهَمِ طَرَحِ الزَّائِدِ، لِثَلَا ثُنْبِي الصَّيْغَةُ مِنْ فِعْلِ مَزِيدٍ، أَوْ أَنَّهَا لَا فِعْلَ لَهَا، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ وَجُودِ الْفِعْلِ الثَّلَاثِيِّ (بِرْحَ)، وَلَكِنْ اسْتَعْمَلَ فِي مَعْنَى غَيْرِ هَذَا الَّذِي قَالَهُ ذُو الرِّمَّةِ.

وَتَبَرَّزَ الْمَسْأَلَةَ بَجَلَاءٍ فِي تَوْجِيهِ قَوْلِهِمْ: مَا أَشْهَاهَا وَأَشْهَانِي لَهَا، وَهُوَ تَعَجُّبٌ مِنْ فِعْلِ مَزِيدٍ، عَلَى خِلَافِ الْقِيَاسِ، يَقُولُ ابْنُ سَيِّدِهِ: "وَمَا أَشْهَاهَا وَأَشْهَانِي لَهَا، قَالَ سَيَّبُوه: هُوَ عَلَى مَعْنِيَيْنِ؛ لِأَنَّكَ إِذَا قُلْتَ: مَا أَشْهَاهَا إِلَيَّ، فَإِنَّمَا تُخْبِرُ أَنَّهَا مُشْتَهَاءَةٌ، وَكَأَنَّهُ عَلَى شُهْيٍ وَإِنْ لَمْ يُنْكَمِ بِهِ، فَقُلْتَ: مَا أَشْهَاهَا كَقَوْلِكَ: مَا أَحْظَاهَا، وَإِذَا قُلْتَ: مَا أَشْهَانِي، فَإِنَّمَا تُخْبِرُ أَنَّكَ شَاهٍ"^(٣). لَقَدْ نَبَّهَ سَيَّبُوه عَلَى هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ فِي كِتَابِهِ بِقَوْلِهِ: "وَتَقُولُ: مَا أَشْهَاهَا، أَيِ هِيَ شَهِيَّةٌ عِنْدِي، كَمَا تَقُولُ: مَا أَحْظَاهَا أَيِ حَظِيَّتِ عِنْدِي، فَكَأَنَّ مَا أَمَقَّتَهُ وَمَا أَشْهَاهَا عَلَى فِعْلٍ، وَإِنْ لَمْ يُسْتَعْمَلْ، كَمَا تَقُولُ: مَا

(١) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج ٢، ص ١٩٥ (نعم).

(٢) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٣٢٤ (برح).

(٣) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٤٠١ (شهو).

أبغضه إلي وقد بَغُضَ فجيء على فَعُلَ وَقَعِلَ، وإن لم يُستعمل^(١). والحقيقة أنك لو طلبت فعلاً لذلك لم تعدمه في مصادر اللغة، فقد جاء عنهم: شَهِيَ الشَّيْءَ، وشَهِاهَ يَشْهَاهُ شَهْوَةً، واشْتَهَاهُ وَشَهَاهَاً: أَحَبَّهُ وَرَغِبَ فِيهِ^(٢)، ولعلَّ الفَعْلَ المَزِيدَ طغى في استعماله على المجرّد حتى استغني بالأول عن الثاني، ولهذا قيل: بُنيت الصيغَةُ على فَعَلٍ لم يُستعمل، وهذا ينطبق على قولهم: ما أبغضه، وما أمقته.

وهذا القول هو ما نفسّر به قولهم: هذا أهجر من هذا، يقول ابن سيده: "وهذا المكانُ أهجر من هذا، أي أحسن، حكاه ثعلب، وأنشد: (تبدلتُ داراً من دياركِ أهجراً) ولم نسمع له بفعلٍ، فعسى أن يكونَ من باب أحنك الشّاتين وأحنك البعيرين"^(٣). فالأفعال: هَجَرَ، وهاجرَ، وأهجرَ مستعملاتٌ، ومتعدّدة الدلالات، ونصّ عليها ابنُ سيده نفسه، ولكنّ قولهم: هذا أهجر من هذا: أي أطول منه وأعظم، أو أحسن، جاء من فعلٍ مزيدٍ بدليل قولهم: "وهذا أهجر من هذا: أي أطول منه وأعظم. ونخلة مُهَجِرٌ ومُهَجِرَةٌ: طويلةٌ عظيمة، وقال أبو حنيفة: هي المفرطُ الطولِ والعظم) وناقَةٌ مُهَجِرَةٌ: فائقةٌ في الشّحم والسير. والمُهَجِرُ: النَّجيبُ الحَسَنُ الجميلُ. وأهجرتَ الجاريةُ: شبتَ شاباً حسناً. والمُهَجِرُ: الجيدُ الجميلُ من كلّ شيء"^(٤). فعلى هذا يكونُ الاستغناءُ مُدخلاً يُمكنُ الاطمئنانُ إليه في تفسيرِ شذوذِ هذه الصّيغةِ.

عندما نعدّمُ فعلاً يمكنُ تقديره لصيغة التّفضيل أو التّعجب، فهذا يؤيّد أنّ العربيّ يبني اشتقاقه دون أن يُراعي ضوابط الاشتقاق، فيتوسّع في توظيف الصّيغة في التعبير عن معانيه، دون أن يأبه لمقاييس النّحاة، وهذه مسألة نجدُ من أدلتها قولهم: "وما أحجّاه بذلك، وأحجّ به، أي ما أخلفه بذلك، وأخلق به، وهو من

(١) سيبويه، الكتاب، ج٤، ص١٠٠.

(٢) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج٤، ص٤٠١ (شهو).

(٣) المصدر نفسه، ص١٥٧ (هجر).

(٤) المصدر نفسه، ج٤، ص١٥٧ (هجر).

التَّعَجِبُ الَّذِي لَا فِعْلَ لَهُ^(١). ومثله قولُ ابنِ سيده: "وهذا التَّمْرُ أَصْقَرُ من هذا: أي أكثرُ صقراً. حكاه أبو حنيفة، وإن لم يكن له فعلٌ، وهذا كقولهم: أحكُ الشَّاتين. وقد تقدّم مراراً"^(٢).

لا يحسبُ القارئُ أنّ تلكَ هي مظاهرُ المشتقاتِ التي لا أفعالَ لها فحسبُ، فثمةُ أسماءُ مكانٍ وزمانٍ لا أفعالَ لها، منها على سبيلِ المثال: "والمَحْشَفُ: الِيخْدانُ الَّذِي يَجْرِي فِيهِ البَابُ، وليس له فعل"^(٣). وكذلك: "والمَثْبِرُ المَوْضِعُ الَّذِي تَلْدُ فِيهِ المَرْأَةُ، وتَضَعُ النَّاقَةَ مِنَ الأَرْضِ، وليس له فِعْلٌ، أَرَى أَنَّمَا هُوَ مِنْ بَابِ المَخْدَعِ"^(٤). وثمةُ أسماءُ فِعْلٍ لا أفعالَ لها، مثل: "تقولُ العَرَبُ للغنمِ إذا استعصت عند الحلب: حِطْح، أي قري فتقرّ، بلا اشتقاق فعل، وقال كراع: حِطْحُ بِشد الطاء، وسكون الحاء بعدها: زجرٌ للجدي والحمل، وقال بعضهم: جِدْحُ فكَأَنَّ الدالَّ دخلت على الطاء، أو الطاء على الدال"^(٥). ويُقال للبعير: "إخ، إذا زُجرَ لِيَبْرَكَ، ولا فِعْلَ لَهُ"^(٦).

إنّ هذه وغيرها من المشتقاتِ التي لا أفعالَ لها، تحملنا على القول: إنّ العربيّ كان يوظّف هذه الصّيغ في أداء معانيه، دون أن يلتفت إلى مقابيسِ الاشتقاقِ وضوابطه أحياناً، وإنّه كان يتوسّع في أفانين القولِ ضمن مساحةٍ شاسعةٍ من التحرّر من معايير القياس في بناء المشتقات، فكانت هذه الاشتقاقاتُ مظاهرَ تداوليّةً، تتخذ من السّياق، والتّفاهم بين المتكلّم والمخاطب، والقرائن، أداوتٍ في

(١) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج ٣، ص ٤١٣ (حجي).

(٢) المصدر نفسه، ج ٦، ص ٢٠١ (صقر).

(٣) المصدر نفسه، ج ٥، ص ٣٠ (خشف).

(٤) المصدر نفسه، ج ٥، ص ١٤٣ (ثبر).

(٥) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٦١ (جدح).

(٦) المصدر نفسه، ج ٥، ص ٢٢٦ (أخ).

بلوغ المعنى المُراد، دون أن تُغفل جانباً مهماً من جوانب التطوّر اللغويّ، الذي يبرزُ في اتّساع دائرة المعنى والدلالة في بعض الألفاظ، أو من خلال الاستغناء بفعلٍ عن آخر في الاستعمال، فتبقى المشتقاتُ التي قيلَ فيها: لا فعلَ لها، راسبَ لغويّةً دالّةً على مرحلةٍ من عُمُر اللغة، استُعملت فيها الأفعالُ التي استُغني عنها بغيرها، فأُخذت منها هذه المشتقاتُ، ثمّ تلاشى الفعلُ الأصليُّ من الاستعمالِ أو كاد، وبقيت تصرّيفاته دليلاً على استعماله في مرحلةٍ ما.

الخاتمة:

اتسعت دائرة الخلاف بين النحاة في أصل الاشتقاق، وعند العودة إلى مصادر اللغة نجد العلماء يبحثون قاطبةً عن فعلٍ يكون أصلًا للفظ المشتق، وتناسى القائلون بالمصدر أصلًا للاشتقاق البحث عن مصدرٍ في تفسير المشتقات. وقد شاعت في مصادر اللغة ألفاظٌ مشتقةٌ نصّ العلماء على أنها لا أفعال لها، وثمة طائفة من الأفعال لا مصادر لها، وهنالك أسماءٌ مشتقةٌ من أسماء جامدة، وأخرى مشتقةٌ من أسماء الأعيان أو الجواهر، ومن أسماء المعاني؛ مثل العدد، وأسماء الأزمنة، والأمكنة، وأسماء الأصوات، والحروف، ومن الألفاظ المعربة. وقد لمح العلماء هذا الاضطراب في تفسير أصول الاشتقاق وبيان ماهيته؛ فاستحوذ ذلك على دراساتٍ أشرت إليها فيما سلف من البحث.

لقد حظي موضوع المشتقات التي لا أفعال لها بإشاراتٍ متناثرة في بطون مصنفات العلماء، لم تتجاوز في حدها الأعلى تلك الأبواب التي حددها العلماء للمصادر المنصوبة بالفعل المتروك إظهاره، أو المصادر التي لا أفعال لها، أو الاستغناء بأسلوبٍ عن آخر في بناء التعجب، أمّا بقية المشتقات فسارت في ركاب مصنفاتهم عارضةً دون تبويبٍ أو تفصيلٍ. وعلى الرغم من ذلك نجد المسألة موطن اهتمام في رصدها منذ الخليل -رحمه الله- الذي كان يشير إلى المشتقات التي لا أفعال لها كلما عرضت له في معجمه، وعلى نهجه سار التابعون له في مصنفاتهم، على تفاوتٍ بينهم في المقدار والاستقصاء، حتى إذا انتهينا إلى ابن سيده نجد المسألة عنده ترقى إلى مستوى الظاهرة؛ فكان معجمه ميداناً لهذه الدراسة.

وطلباً لحسن السبر والتقسيم سلكتُ مسائل هذه الظاهرة في أبواب ألفيتها مواطناً للمشتقات التي لا أفعال لها، وتمثلت في: المصادر التي لا أفعال لها، وأسماء الفاعلين ومبالغتها التي لا أفعال لها، والصفات المشبهة التي لا أفعال لها، وأسماء المفعولين التي لا أفعال لها، وثمّ أفعال التفضيل والتعجب مما لا فعل لهما،

وتبيّن للباحث أنّ طائفة من المصادرِ والمشتقاتِ التي لا أفعالَ لها قد استعملَ لها فعلٌ في العربيةِ منها: (سَفِيًّا) و(رَعِيًّا) و(بَهْرًا) وغيرها كثير، وقد اختلطَ على بعض العلماءِ قولُ سيبويه بأنّها من المصادرِ المنصوبةِ بالفعلِ المتروكِ إظهاره، فعَدَّوها من الفعلِ المتروكِ استعماله، وشتان ما بين الإظهار والاستعمال؛ فقليلٌ فيها تجوزاً: لا أفعالَ لها. وثمة مصادرٌ عُدَّت ممّا لا أفعالَ لها؛ لأنّ الفعلَ المستعملَ بمعنى يخالفُ المعنى الذي استعملَ فيه المصدرُ، فقليلٌ فيها لا فعلَ لها، وأحرى بهم لو حملوها على توسيع الدلالة، ومن أمثلة هذا النوع قولُ الخليل: "وموتٌ ذريعٌ، أي: فاشٌ، إذا لم يتدافنوا، ولم أسمع له فعلاً، ودَرَعَةُ القَيءِ، أي: غلبه"^(١).

لقد تنوعت الأسبابُ التي تفسّر المشتقاتِ التي لا أفعالَ لها، نذكرُ منها:

١ - الأسبابُ الصّوتيةُ مثل تعاقبِ الواو والياء في بعض الألفاظِ، فيستعملون الفعلَ بالياء -مثلاً- في حين أنّ المصدرِ واويٌّ، فيقولون: لا فعلَ له، نحو: الفيظ والفوظ، لم يستعملوا للفوظ فعلاً، ومن الأسبابِ الصوتيةُ تفسير موت فعل (ويح) وأخواتها، لعدم الاعتلال.

٢ - ومن الأسبابِ ما يتعلق بالتطوّر اللغويّ كالاستغناء بالفعلِ المزيد عن المجرّد نحو: أبقل وأينع وأخواتهما، وموتٌ بعض الألفاظِ وبقاء اشتقاقها دليلاً عليها، نحو: دراك التي أميت فعلها الثلاثي.

٣ - ومن الأسبابِ ما يتصلُّ بتحقيقِ معنى بعينه، مثل الحملِ على النسبِ في تفسيرِ المشتقاتِ التي لا أفعالَ لها نحو: دارعٍ ولابنٍ وأمثالهما، أو تحقيقِ معنى المبالغةِ نحو: ليلٍ لائلٍ، وشغلٍ شاغلٍ.

٤ - الحملُ على الإتياعِ والمزاوجةِ وهذه مسألةٌ صوتيةٌ ومعنويةٌ، تبرّر للعربيّ مخالفةَ القياسِ في بناءِ الاشتقاقِ نحو: جوعانٌ نوعانٌ، أو جائعٌ نائعٌ، وعطشانٌ نطشانٌ، وقبيحٌ شقيحٌ، وغيرها.

(١) الخليل، كتاب العين، ج ٢، ص ٩٦ (ذرع).

٥ - مسألة الشبوع والقلّة، فبعض المشتقاتِ حُمِلت على أنّها ممّا لا فعل لها؛ لأنّ فعلها الأصليّ قليلُ الشبوع، نحو قولهم: أورقت، فهي وارق، وقيل: ورقت الشجرة، وأورقت أكثر استعمالاً.

٦ - التّوهم كالذي يطالعنا به سيبويه في تفسير نصب (بَهراً)^(١)، وما ذكره ابنُ سيده في قوله: "الحنْفُ: الموتُ، وجمعه حُنُوفٌ، ومات حنْفَ أنفه، إذا مات بلا ضربٍ ولا قتلٍ، وقيل إذا مات فجأةً، نُصب على المصدر، كأنهم توهّموا (حنْفَ) وإن لم يكن له فعل"^(٢).

٧ - ولعلّ أظهرَ الأسباب التي حملتهم على القولِ بالمشتقاتِ التي لا أفعالَ لها أنّ هذه المشتقاتِ بُنيت من أسماء، ولا يوجد لها أفعالٌ، كأسماءِ الأعيانِ، وأسماءِ الجواهرِ والمعنى، وأسماءِ الأصواتِ، وكذلك بناؤها من الحروفِ.

٨ - الجهلُ بأصلِ الاشتقاقِ، أي أنّ العلماءَ لم يعرفوا لها أصلاً تُشتقّ منه، وهي مسألةٌ أشار إليها غيرُ عالمٍ، نحو قولهم: لم أكن مع آدم عندما علمه الأسماءَ، أو قولهم: غيرُ واضحة المعنى ولا بيّنة الاشتقاقِ، وقولهم: ولا نعرفُ الذي اشتقّ منه.

إنّ الذي يطمئن إليه الباحثُ من هذه الدّراسة أنّ العربيّ كان يتجوّز في الاشتقاقِ، ويتجاوز في المقاييس والضوابط؛ لأنّ شغله الشاغل المعنى وبلوغه، فلم يأبه بضوابطِ الاشتقاقِ وأصوله، وأنّ المشتقاتِ التي لا أفعالَ لها دليلٌ على أنّه ليسَ للفعلِ، ولا للمصدرِ فضلٌ سبقَ على المشتقاتِ؛ لتكون أصلاً لها، بل وجدت هذه المشتقاتُ في الاستعمالِ كما وجد غيرها من الكلم، لاعتمادهم على الجذر

(١) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج ٤، ص ٣١٢ (بهر).

(٢) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٢٧٥ (حنف).

النووي الذي هو الأصل في بناء الصيغ، ولعلّ في غيابِ أفعالِ بعضِ هذه المشتقاتِ ما يستدعي النظرَ في مسألةِ عملِ المشتقاتِ وربطه بأفعالها، واشتراطِ مضارعتها للفعلِ المضارعِ غيرِ الموجودِ أصلاً. والذي يطمئنُ إليه الباحثُ أيضاً أنّ هذه الطائفةَ من المشتقاتِ تصلحُ لتكونَ ميداناً لدراسةٍ أوسعِ تقفُ على أصولها وفصولها، طارفيها وتليديها.

المصادر والمراجع

- ١ - الأثري، محمد بهجة، تحرير المشتقات من مزاعم الشذوذ، مجلة المجمع العلمي السوري، دمشق، ١٩٧٤م.
- ٢ - الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد (ت ٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق: عبدالسلام هارون، راجعه محمد النجار، المؤسسة المصرية العامة للتأليف، ١٣٤٨هـ/١٩٦٤م.
- ٣ - الاسترابادي، رضي الدين محمد بن الحسن المتوفى سنة ٦٨٦هـ، شرح الشافية، محمد محيي الدين عبدالحميد، محمد نور الحسن، محمد الزفزاف، دار الكتب العلمية ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- ٤ - الاسترابادي، رضي الدين محمد (ت ٦٨٦هـ)، شرح الكافية، قدم له ووضع هوامشه، إميل يعقوب، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
- ٥ - الأصمعيّ، أبو سعيد عبدالملك بن قريب (ت ٢١٦هـ)، اشتقاق الأسماء، تحقيق رمضان عبدالنواب، وصلاح الدين الهادي، مكتبة الخانجي، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
- ٦ - الأقطش، عبدالحميد، إتباع الإيقاع في اللغة العربيّة، مقارنة ألسنيّة في حركية اللغة، مجلة أبحاث اليرموك، المجلد (١٢)، العدد (٢)، سنة ١٩٩٤.
- ٧ - الأنباري، أبو البركات عبدالرحمن بن محمد (ت ٥٧٧هـ)، أسرار العربيّة، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلميّة، ط ١، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

- ٨ - الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمّد (ت ٥٧٧هـ)، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تحقيق: محمّد محي الدين عبدالحميد، دار إحياء التراث، القاهرة.
- ٩ - الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف، التذييل والتكميل في شرح التسهيل، تحقيق حسن هنداوي، دار العلم للملايين، دمشق.
- ١٠ - ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى (٢٩١هـ) مجالس ثعلب، تحقيق عبدالسلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط٦.
- ١١ - ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت ٣٩٢هـ)، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٠.
- ١٢ - ابن الحاجب، جمال الدين أبو عمرو (ت ٦٤٦هـ)، الكافية في النحو، دار الكتب العلميّة، بيروت.
- ١٣ - الطلواني، محمد خير، المغني الجديد في الصّرف، دار الشرق العربيّ، بيروت.
- ١٤ - ابن خالويه، الحسين بن أحمد، ليس في كلام العرب، تحقيق أحمد عبدالغفور عطّار، مكة المكرمة، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
- ١٥ - خديجة الحديثي، أبنية الصرف في كتاب سيبويه، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.
- ١٦ - دراز، محمد طنطاوي، ظاهرة الاشتقاق في اللغة العربيّة، القاهرة، ١٩٨٦.
- ١٧ - ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن (ت ٣٢١هـ) الاشتقاق، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩١م.
- ١٨ - ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن (ت ٣٢١هـ) جمهرة اللغة، مكتبة الثقافة الدينيّة، القاهرة.

- ١٩ - الرفايعة، حسين عباس، ظاهرة الشذوذ في الصرف العربي، دار جريب للنشر والتوزيع، عمّان، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م.
- ٢٠ - الرّمخسريّ، أبو القاسم محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ)، المفصل في علم العربيّة، قدّم له وراجعته: محمد السعيدى، دار إحياء العلوم، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
- ٢١ - السّراج، أبو بكر محمد بن السري (ت٣١٦هـ)، الاشتقاق، تحقيق محمد صالح التكريتي، مطبعة المعارف، بغداد، ط١، ١٩٧٣.
- ٢٢ - سلامي، عبدالقادر، رأي أ. ولفنسون في أصالة الفعل في اللغات الساميّة، مداخلة ضمن ملتقى جامعة الأمير عبدالقادر للعلوم الإسلاميّة، الجزائر.
- ٢٣ - سيّويه، عثمان بن قنبر، (ت١٨٠هـ)، الكتاب، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ومطبعة دار الجيل، بيروت.
- ٢٤ - ابن سيّده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت٤٥٨هـ)، المخصّص، دار الكتب العلميّة، بيروت.
- ٢٥ - ابن سيّده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت٤٥٨هـ)، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق عبدالحميد هنداوّي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
- ٢٦ - السيوطي، عبدالرحمن جلال الدين (ت٩١١هـ)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمّد جاد المولى، وعلي البجاوي، ومحمّد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت.
- ٢٧ - السيوطي، عبدالرحمن جمال الدين، (٩١١هـ) همع الهوامع، تحقيق عبدالعال سالم مكرم، دار البحوث العلميّة، الكويت.

- ٢٨ - الطويل، السيد رزق، ظاهرة الاستغناء في الدراسة اللغوية، مجلة كلية اللغة العربية، جامعة أمّ القرى، مكّة المكرمة، السنة الثانية، العدد الثاني، ١٤٠٤هـ.
- ٢٩ - عبدالله أمين، الاشتقاق، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
- ٣٠ - الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد (ت ٢٠٧هـ)، معاني القرآن، بيروت، ط ٥، ١٩٨٠م.
- ٣١ - الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ)، العين، تحقيق مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨١.
- ٣٢ - الفقراء، سيف الدين طه، وعمر أبو نواس، الاستغناء بالفعل الثلاثي والمزيد عن الفعل الثلاثي المجرد وأثره في تفسير شذوذ اسم الفاعل ومبالغته، المجلة الأردنية للغة العربية وآدابها، المجلد (١٠)، العدد (٢) لسنة ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.
- ٣٣ - الفقراء، سيف الدين طه، المشتقات الدالة على الفاعلية والمفعولية، عالم الكتاب الحديث، إربد، ط١، ٢٠٠٥.
- ٣٤ - الفيروز آبادي، مجد الدين (ت ٨١٧هـ)، القاموس المحيط، دار المعرفة، بيروت.
- ٣٥ - ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ) أدب الكاتب، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة، القاهرة، ط٤، ١٩٦٤.
- ٣٦ - المؤدّب، القاسم بن محمد بن سعيد، (ت ٣٣٨هـ)، دقائق التصريف، تحقيق حاتم الضامن، وحسين تورال، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- ٣٧ - ابن مالك؛ جمال الدين محمد بن عبدالله (ت ٦٧٢) شرح التسهيل، تحقيق عبد الرحمن السيّد، ومحمد بدوي المختون، دار هجر، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

- ٣٨ - المبرّد، أبو العباس محمّد بن يزيد، (ت٢٨٥هـ)، المقتضب، تحقيق: عبدالخالق عزيمة، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٣٨٦هـ.
- ٣٩ - المتولي، محمود المتولي عوض حجاز، الصفة المشبهة بين القاعدة والاستعمال اللغوي - دراسة صرفية دلالية - بحث منشور بمجلة علوم اللغة، المجلد (١١)، العدد الرابع (٤٤) لعام ٢٠٠٨م.
- ٤٠ - المساعفة، خالد محمد، ظاهرة الإتياع في العربية، المجلة الأردنيّة للغة العربيّة، المجلد (٩) العدد (١) لسنة ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.
- ٤١ - المصاروة، جزاء، ظاهرة الازدواج في العربية، المجلة الأردنيّة للغة العربيّة وأدابها، المجلد (١)، العدد (١) لسنة ٢٠٠٥.
- ٤٢ - ابن منظور، جمال الدين بن مكرم (ت٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت.
- ٤٣ - أبو نواس، عمر محمد، الحمل على النسب في العربية، مجلة مجمع اللغة العربيّة الأردني، العدد ٨٦، لسنة ٢٠١٤.
- ٤٤ - الهمداني، عبد الرحمن بن عيسى، (ت٣٢٠هـ) الألفاظ الكتابيّة، الدار العربيّة للكتاب، ١٩٨٠.
- ٤٥ - ولفنسون، تاريخ اللغات الساميّة، دار القلم، بيروت.
- ٤٦ - ابن يعيش، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي (ت٦٤٣هـ)، شرح المفصل للزمخشري، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

References

- 1- Al'athari, muḥammad, Taḥreer Almuštqāt min Mazā'im Alšuzūz, Majallat Almajma' Al'ilmī Al'sūrī, Dimašiq, 1964.
- 2- Alazharī, Abū Man sūr, Tahzīb alluġat, Taḥqīq Abid Assālm Harūn, Almuasasatu Amašriyat Al'āmmat Lil'alīf, 1964.
- 3- Alastarābāzi. Ra dīaldīn, šariḥ ašāfiyat, Taḥqīq Muḥammad Muḥiyy Addīn Abid Alḥamīd, wākarūn, Dār alkuṭub Al'ilmīyat, 1982.
- 4- Alastarābāzi. Ra dīaldīn, šariḥ akāfiyat, Taḥqīq 'imīl ya'eqūb, dār alkuṭub Al'ilmīyat, 1998.
- 5- Alasma'ī, Abid Ebn Qarīb, ' štiqāq Alasmā', Taḥqīq Rmaḍān 'abid altawāb, maktabat al kānaji, 1980.
- 6- Alaqtash, 'abid alḥamīd, 'itbāe Aliqāe fī Aluġati Al'arabiyati, Majalat Abḥā th Alyarmūk, 1994, vol.12, issue 2.
- 7- Alanbārī, Abū Albarakāt; Asrār Al'arabiyat, Taḥqīq Muḥammad Shamsaldain, Dār alkuṭub Al'ilmīyat ,1997, 1sted.
- 8- Alanbārī, Abū Albarakāt; Alinšāf Fī Masā'il Alkhiḻāf, Taḥqīq Muḥammad Muḥiyy Addīn Abid Alḥamīd, Dār 'Iḥyā' Alturāth, Alqāhirat.
- 9- Alandalusī, Abū ḥayyān, Altadhyīl Waltakmyīl Fī SHariḥ Altashīl, Taḥqīq ḥasan Hindāwī, Dār Al'elim Lillmalayīn, Dimashiq.
- 10- Tha'lab, Abū Al'abbās, Aḥmad, Bin Yaḥyā, Dār Alma'ārif, Alqahirah, 6sted.
- 11- 'ibin Jinnī, Abū Alfatiḥ, Alkhašā's, Taḥqīq Muḥammad Alnajjār, Dār Alsh'wūn ALthaqafiyyat Al'āmmat, Baghdād, 1990.
- 12- 'ibin Al ḥājib, Jamāl Aldīn, Alkafiyat Fī Alnaḥw, Dār alkuṭub Al'ilmīyat, Beirut.
- 13- Alḥalawāni, Muḥammad Khyir, Almughnī Aljadīd Fī Al šarif, Dār Alshariq Al'arabī, Beirut.
- 14- 'ibin khalawayh, Alḥasan bin Aḥmad, Laysa Fī Kalām Al'arab, Taḥqīq Aḥmad 'aṭṭār, Makkat Almukarramah, 1979.
- 15- Khadijah, Alḥudaythī, Abniyat Al šarif Fī Kitāb Sibawayh. Maktabat libnān Nashirūn, Beirut, 2003. 1sted.

- 16- Darrāz, Muḥammad ṭanṭāwī, zāhirat Al'shtiḳāq Fī Al'arabiyat. Algahirah, 1986.
- 17- 'ibin durayd, Abū Bakir, Muḥammad 'ibin Alḥasan, Al'ishtiḳāq, Taḥqīq Abid Assālm Harūn, Beirut, 1991. 1sted.
- 18- 'ibin durayd, Abū Bakir, Muḥammad 'ibin Alḥasan, Jamharat Alughati, Maktabat Althaqfat Aldīniyah, Algahirah.
- 19- Alrafāyeh, ḥusīn eabbās, zāhirat Alshudhūdh fī Al ṣarif Al'arabī, Dār Jarīr, eammān, 2006. 1sted..
- 20- Alzamaxsharī, Abū Alqasim, maḥmūd, Almufaṣṣal Fī eilim Al'arabiyati, Murāja'eat Muḥammad Alsa'īdī, Dār 'Iḥyā' Al eilūm, Beirut, 1990. 1sted.
- 21- Aalsarā, Abū Bakir Muḥammad, Al'ishtiḳāq, Taḥqīq Muḥammad ṣaliḥ Altakrīfī, Maṭba'eat Almaeārif, Baghdād, 1973. 1sted.
- 22- Sallāmī, eabidalqādir, Ra'ī Wilfinsun Fī A ṣālat Alfieil Fī Allughāt, Jamieat Alamīr eabidalqādir Lileigūm alislāmiyat, Aljazā'ir.
- 23- Sībawīh, euthmān 'ibin qunbur, Alkitāb, Taḥqīq Abid Assālm Harūn, Maktabat Al khānajī, Algahirah, Dār Aljīl, Beirut.
- 24- 'ibin sīdah, Abū ALḥasan ealī, Almuḥṣaṣ, Dār alkuṭub Aleilmiyat, Beirut.
- 25- 'ibin sīdah, Abū ALḥasan ealī, Almuḥkam Walmuḥīṭ ALae zam, Taḥqīq Abid Alḥamīd hindāwī, Dār alkuṭub Aleilmiyat, Beirut. 2000, 1sted.
- 26- Alsiyū ṭī, Abid Alrahmān Jalāl Aldain, Almuzhir Fi eilūm Allughat Wanwāeihā, Taḥqīq Muḥammad Jād Almawga, Wākharūn, Dār Alfikir, Beirut.
- 27- Alsiyū ṭī, eabid Alrahmān Jalāl Aldain, Hamie Alhawāmie, Taḥqīq, eabidal eāl Sālim Mukram, Dār albuḥūth Aleilmiyat, Alkuwayt.

- 28- Al ṭawīl Alsayyid Riziq, zāhirat Alistighnā' Fī Aldirāsat Allughawīyyat, Majallat Kulyyat Allughat Alʿarabīyyat, Jamīʿat Um Alqurā, Makkat Almukarramah, 1984, vol. 2,.
- 29- Abdullah Amīn, Al'ṣtiqāq, Maktabat Al khānajī, Algahirah.2000, 2sted.
- 30- Alfarā', Abū Zakariyyā, Macānī Alqurān, Beirut.2000, 5sted.
- 31- Alfarāhīdī, Alkhalīl 'ibin Aḥmad, ALʿayn, Taḥqīq Mahdī Almahzūmī, 'ibrahīm Alsāmīrā'ī, Dār alrashīd Baghdād,1981.
- 32- Alfugarā', Saif Aldain,& Umar Abū Nawās, Alistighnā' Bilfiʿil Althulāthī Almazīd ʿan Ailfiʿil Althulāthī Almuḥarrad, Almajallat Alurdiniyyat Lallughat Alʿarabīyyat, 2014, vol.10, issue 2.
- 33- Alfugarā', Saif Aldain, Almushtaqqāt Aldallat ʿalā Alfacīliyyat Walmafʿūliyyat, ʿālam Alkitāb Alḥadīth, 'irbid,2005, 1sted.
- 34- Alfayrūzabādī, Majid Aldain, Alqamūs Aluhīṭ, Dār Almaʿrifat, Beirut.
- 35- 'ibin Qutaybat, ʿabid Allāh 'ibin muslim, 'adab Alkatib, Taḥqīq Muḥammad Muḥīyy Addīn Abid Alḥamīd, Maṭbaʿat Alsaʿadat, Algahirah.2000 , 3sted.
- 35- Almu'dib,Alqāsīm 'ibin Muḥammad,Daqā'q Altaṣrīf, Taḥqīq ḥātim Alḍmin, & ḥusīn Turāl, Almajma Aleilmī Aleirāqī, 1987, Baghdād.
- 36- 'ibin Mālik, jamāl Aldain Muḥammad 'ibin ʿabdullāh, shariḥ Altashīl, Taḥqīq ʿabdulruḥmān Alsayyd& Muḥammad badawī, Dār hajar,1990, 1sted.
- 37- Almubarrīd, Muḥammad 'ibin yazīd, Almuqtaḍab, Taḥqīq ʿabdulkhālīq euḍaymat, Beirut, 2sted.
- 38- Almutwallī, Maḥmūd Almutwallī, Alṣifat Almushabbahat bayn Alqaʿīdat Walistiemāl, Majalat eilūm Allughat, 2008, vol.11, issue 44.

- 39- Almasāʿfat, Khalid Muḥammad, zāhirat Alitbāʿ Fī Alʿarabyyat, Almuḥarrar, Almajallat Alurdiniyyat Lallughat Alʿarabyyat, 2013, vol.9, issue 1.
- 40- Almaṣārwah, Jazāʿ, zāhirat Alizdiwāj Fī Alʿarabyyat, Almajallat Alurdiniyyat Lallughat Alʿarabyyat, 2005, vol.1, issue 1.
- 41- 'ibin Manzūr, Jamāl Aldain 'ibin Mukrram, Lisān Alʿarab, Dār ṣādir, Beirut.
- 42- Abū Nawās, Umar, Alḥamil ʿalā Alnasab Fī Alʿarabyyat, Majallat Majmaʿ Allughat Alʿarabyyat. , 2004, issue 86.
- 43- Alhamadānī, ʿabid Alrḥumān 'ibin ʿīsā, Alalfāz Alkitābiyyati, Al dār Alʿarabyyat Lilkitāb. 1980.
- 44- Wlfunsun, Tārīkh Alughāt Alsāmyyat, Dār Alqalqm, Beirut .
- 45- 'ibin Yaʿīsh, Abū Albaqā', muwaffaq, Shariḥ Almufaṣṣal, Taḥqīq Amīl Yaʿqūb, Dār alkitub Alʿilmiyyat, Beirut.2001. 1sted.

الاتساق والانسجام في الخطاب الشعري (هيرما فروديتوس) لسميح القاسم
(دراسة في تحليل الخطاب)

د. طارق عبدالقادر المجالي (*)

تهدف هذه الدراسة إلى تطبيق أدوات نظريات تحليل الخطاب من خلال ثنائية الاتساق والانسجام في محاولة لرصد نصية الملفوظ في الخطاب الأسطوري الشعري (هيرما فروديتوس) للشاعر سميح القاسم، عن طريق الكشف عن عناصر الاتساق: الإحالات النصية والحذف والوصل والتكرار والاتساق المعجمي، وآليات الانسجام النصي المتمثلة في البنية الكلية أو موضوع الخطاب، والعنوان، والتكرار والمعرفة الكلية للعالم.

وخلصت الدراسة إلى أن القصيدة، وإن افتقرت لبعض عناصر الاتساق والربط، وصعوبة تلقي النص الأسطوري، غير أنها حققت قدراً من الترابط الدلالي من خلال عملية التأويل، وتفعيل دور القارئ اللذين يخدمان مستوى الانسجام. وختم البحث بخاتمة تلخص أهم نتائج البحث.

(*) أستاذ مشارك، جامعة مؤتة، الأردن، الكرك.

Consistency and Harmony in Poetic Discourse (Herrmafreditus)

for Sameeh Al-Qasim

(Study in discourse analysis)

ABSTRACT

This study aims to apply the theories of discourse analysis tools using the dualism of consistency and harmony in an attempt to monitor the spoken text in the legendary poetic discourse (Herrmafreditus) for the poet Samih Al-Qasim. This is carried out by detecting the elements of consistency: text referrals, deletion, connection, repetition, lexical consistency, the harmonic textual mechanisms of the overall structure or the discourse topic, the title, the repetition, and the overall knowledge of the world.

The study concludes that despite lacking some elements of consistency and connection and the difficulty to understand the legendary text, the poem has achieved a degree of a semantic connection throughout the interpretation process. Also, it activates the role of the reader which serve to improve the level of harmony. The research ends with a conclusion that summarizes the most important findings.

مدخل

تكمن إشكالية التلقي في هذه السريية أو المطولة الشعرية (هيرمافروديتوس) لسميح القاسم في أنها من النصوص المغلقة التي يقف القارئ أمامها عاجزاً عن تلمس بعض جوانبها المعتمة، إن لم يشحذ همته ويمتحن قدراته في القراءة والتأويل، وهذا الخطاب الشعري واحد من هذه النصوص الإشكالية لأسباب منها: توظيفه الأسطورة^(١) عنواناً وشكلاً ومضموناً ورؤية منبثقة عنها، ومما زاد في التعمية الدلالية كون هذه الأسطورة من الأساطير الإغريقية غير المتداولة في الشعر العربي الحديث على الأقل، ومما زاد في صعوبة التلقي أيضاً ازدحام النص بمجموعة من الرموز الأسطورية الإغريقية المرافقة التي أسهمت في إعاقة عملية القراءة المنتجة التي تحتاج إلى الرجوع لأصول هذه الأساطير، وربطها في السياق. ومنها كذلك طول النص؛ فهو أقرب إلى النصوص الملحمية التي اشتغل عليها القاسم في عدد من قصائده، إذ جاء هذا النص في أكثر من ثلاثين صفحة من القطع المتوسط، مع هيمنة السواد على كامل الصفحة، ثم أخيراً عدم التوصل إلى دراسة علمية سابقة تناولت هذه القصيدة، تمكنني من الاسترشاد ببعض مكوناتها الأساسية سوى بعض النتف في مقالات جاءت بمناسبة حفل توقيع الديوان في عمان، لهذه المعوقات القرائية ولغيرها من الأسباب التي تحول دون استمرار عملية التواصل بين النص والقارئ، لم أجد مناصاً من البحث عن أدوات وآليات قرائية جديدة تكون قادرة على التعامل مع هذا النص الحدائبي. ومن بين هذه المقاربات النقدية هذه القراءة التأويلية التي تُعنى بتحليل الخطاب من خلال

(١) الأسطورة: مجموعة من الحكايات الطريفة المتوارثة عن أقدم العهود الإنسانية الحافلة بضروب من الخوارق والمعجزات التي يختلط فيها الخيال بالواقع، ويمتزج عالم الظواهر بما فيه من إنسان وحيوان ونبات ومظاهر طبيعية بعالم ما فوق الطبيعة من قوى غيبية اعتقد الإنسان الأول بالوهيتها فتعددت في نظره الآلهة تبعاً لتعدد مظاهرها المختلفة. انظر: أنس داود، الأسطورة في الشعر العربي الحديث، مكتبة عين شمس، ط١، القاهرة، ص١٩.

ثنائية الاتساق والانسجام، في محاولة جادة لتلقي النص، ورصد نصية الملفوظ فيه والاستجابة له، وإنتاج دلالات جديدة. علّها تضع صُوىً أمام المتلقي يسترشد بها وعلاماتٍ يهتدي بهديها، وهو يشرع في هذا الطريق المعتم.

لقد اخترت لتحليل هذا الخطاب الأسطوري منهجاً علمياً أراه قوياً، يتمثل في امتحان أداتين بارزتين من أدوات تحليل الخطاب، وهما ثنائية الاتساق والانسجام دراسة وتطبيقاً على النص، من خلال الكشف عن آليات الاتساق: الإحالات النصية والحذف والوصل والاتساق المعجمي (التضام والتكرار)، وآليات الانسجام النصي: البنية الكلية للنص، والعنوان، والتكرار، الذي يعدّ أداة اتساق وآلية من آليات الانسجام كذلك، والمعرفة الكلية للعالم، وهي، في رأيي، ثنائية قادرة على معرفة مدى التماسك النصي من عدمه أولاً، وانسجام النص وتأويله وتفعيل دور المتلقي ثانياً، مطمئنين إلى شعرية النص وشاعرية سميح القاسم^(١) كونه أحد أهم شعراء المقاومة، ومن أبرز رواد الشعر العربي الحديث، ثم إلى ما يتضمنه شعره من رؤية، وتجربة شعرية ناضجة.

وترى هذه الدراسة أن قصيدة (هيرمافوديتوس) المبنية على الأسطورة تلبّي طموح القارئ خلال تفاعله مع النص، الذي ينهض به القارئ عبر مجموعة من الإجراءات المنظّمة في عملية القراءة، ومشاركة القارئ للمبدع في صنع المعنى، بمعنى أن يصبح القارئ عنصراً داخلياً في النص فلا تكون "مرجعية العمل الفني إلى الموضوع، ولا إلى ذاتية القارئ بل إلى الالتحام بينهما"^(٢).

(١) سميح القاسم: شاعر فلسطيني من مواليد مدينة الزرقاء الأردنية، عام (١٩٣٩)؛ توفي عام (٢٠١٤) في بلدة (الزامة - صفد)، بفلسطين.

(٢) انظر: روبرت سي هولب، نظرية الاستقبال، ترجمة رعد عبدالجليل، دار الحوار، اللاذقية، ١٩٩٢، ص ١٠٢-١٠٣؛ وانظر كذلك محمود عباس عبدالواحد، قراءة النص وجماليات التلقي، دار الفكر العربي، ط ١، مدينة نصر، ١٩٩٦، ص ٢٥.

إن توظيف الأسطورة في هذا النص "تجربة يندغمُ فيها صوتُ الحاضر في الماضي، والماضي في الحاضر للتعبير عن تجربة شعرية معاصرة، وإسقاطها بقدرة فنية عالية على الواقع"^(١) وتتبع منه لتعبّر عنه، وهي لا تحمل قيمةً شعريةً في ذاتها بل لما تحمله من رؤى وتشخيص للواقع. إنها ليست مجرد قصص وحكايات غابرة تتوارثها الأجيال، وإنما هي نظرة إلى الحياة وتقديم تفسير لها؛ لذا فالشاعر لا يقدمها مادة جاهزة، وإنما يتصرف بها على وفق رؤيته، وما تقتضيه تجربته الشعرية، ممّا يعني أن جمالياتها لا تكمن في توظيفها بل في طريقة توظيفها، ومدى انسجامها مع السياق والمعنى.

لذا، فقد وظّفت الدراسة خمس أدوات من نظرية الاتساق، هي: الإحالات، والاستبدال، والحذف، والوصل، والاتساق المعجمي (التكرار والتضام)، كما استثمرت أداتين من نظرية الانسجام هما: البنية الكلية، والمعرفة الخلفية، مع تأكيد افتقار هذا الخطاب الشعري لعناصر الاتساق، غير أنه حقق قدراً مناسباً من الترابط الدلالي، الذي تحصّل عن طريق التأويل الذي يخدم مستوى الانسجام، وهذا ما سيُبيّن في القول في المحورين الآتيين.

المحور الأول: الاتساق النصّي في قصيدة (هيرما فروديتوس)

لقد دارت دراسات عربية وغربية كثيرة حول مصطلح الجملة^(٢)، ولم يكن للنحاة استخدام موحد له بسبب تعدد مفاهيمه الدلالية والتركييبية، كما قدم الباحثون

(١) انظر: خليل الموسى، "بنية القناع في القصيدة العربية المعاصرة"، الموقف الأدبي، عدد ٣٣٦، نيسان، ١٩٩٩، ص ٥٦؛ وانظر: أحمد رحاحلة، توظيف الموروث الجاهلي في الشعر العربي المعاصر، دار البيروني للنشر والتوزيع، ط١، عمان، ٢٠٠٨، ص ٢٨-٢٩.

(٢) للاستزادة انظر: وداد ميهوبي: الجملة بين النحو العربي واللسانيات المعاصرة (مفهومها وبنيتها)، رسالة جامعية، إشراف عياش فرحات، جامعة الحاج لخضر - باتنة، الجزائر، ٢٠٠٩-٢٠١٠م، ص ٤-١٢.

من أفلاطون (ت ٣٤٧ ق.م) حتى عصرنا الحاضر، على اختلاف مناهجهم، عدداً ضخماً من التعريفات^(١) يُكتفى بإيراد تعريفين اثنين لما لهما من اتصال بعلم لغة النص على أساس أنه علم استطاع أن يجمع بين عناصر لغوية، وعناصر غير لغوية لتفسير الخطاب أو النص تفسيراً إبداعياً^(٢) والبحث في ما هو ملفوظ انطلاقاً من الجملة؛ الأول لـ(دي بوجراند De Beaugrande) الذي يرى أن الجملة "عبارة عن فكرة تامة"^(٣)، والثاني لـ(جاردنر Gardner) الذي ذكر أنها "تتابع من عناصر القول ينتهي بسكته"^(٤). الأمر الذي عزز فكرة عدّ الجملة لبنةً صغرى أساسية في بناء النص الكبير.

ثم بعد ذلك "ظهرت منذ النصف الثاني للستينات أولى المحاولات للانتقال من التحليل المقصور على الجملة إلى تحليل أزواج الجمل، وبذلك اتسعت القواعد التوليدية المستخدمة في النحو التوليدي لإنشاء الجمل، لتشمل قاعدة النص"^(٥) ثم اتسعت دائرة الدراسات النصية التي تتعالق مع دراسات تحليل الخطاب. وكان مفهوم النص لدى (هاليداي ورقية حسن Halliday and Ruqaiya Hasan)

(١) انظر: محمود أحمد نحلة، مدخل إلى دراسة الجملة العربية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، الإسكندرية، ص ١١.

(٢) انظر: سعيد بحيري، علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، الشركة المصرية، ط ١، ١٩٩٧، المقدمة.

(٣) روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب المصرية، ط ١، القاهرة، ١٩٩٨، ص ٨٨.

(٤) نفسه، ص ٨٨.

(٥) انظر: فولفجانج هانيه من، ديتير فيهفيجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، جامعة الملك سعود للنشر العلمي والمطابع، ط ١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩، ص ٢٣.

قريباً إلى مفهوم تحليل الخطاب، حين ذكرنا أنه "مجموعة من الجمل المترابطة ذات العلاقة التي يستطيع المتلقي أن يحكم عليها بالنصيّة من عدمها، مع اختلاف الأشكال التي يرد عليها النص سواء أكان منطوقاً، أم مكتوباً أم غير ذلك"^(١) وأن النص وحدة دلالية يُنجز في شكل جمل متعاقبة، فكل متتالية من الجمل تشكل نصاً، شريطة أن تكون بين هذه الجمل علاقات أو على الأصح بين عناصر هذه الجمل علاقات^(٢) ومعنى هذا أن النص يمثل مجموعة من الجمل المترابطة وذات العلاقة، وهو الأمر الذي تفنقر إليه الجملة^(٣) كما ذهب (برينكر) إلى أن النص تتابع مترابط من الجمل، وأن الجملة بوصفها جزءاً صغيراً ترمز إلى النص، ويمكن تحديد هذا الجزء بوضع نقطة أو علامة استفهام، أو علامة تعجب، ثم يمكن وصفها على أنها وحدة مستقلة نسبياً^(٤) ونرى أن هناك تداخلاً وثيقاً بين الجملة والنص على اعتبار أنّ نحو الجملة يشكل جزءاً غير قليل من نحو النص، وأن النص يرتكز في مستواه الأول على الجملة، لكنّه يتعدى أفقها إلى مستوى أعلى في الترابط والدلالة^(٥). ثم وضع (درسلر) و(بوجراند) سبعة معايير للروابط النصية

(1) Halliday and ruqaiya Hasan, Cohesion in English, Longman, London, 1976, p1.

نقلًا عن فتحي الخوالدة، تحليل الخطاب الشعري (ثنائية الاتساق والانسجام في ديوان "أحد عشر كوكباً"، أزمنة للنشر والتوزيع، ط١، عمان، ٢٠٠٦، ص١٩.

(٢) محمد خطابي: لسانيات النص مدخل إلى انسجام النص، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩١، ص١٣.

(٣) نفسه، ص١٩.

(٤) سعيد بحيري، السابق، ص١٠٣.

(٥) انظر: نفسه، ص١٥٨.

بها يتحقق النص، وهي: "الربط النحوي، والتماسك الدلالي، والقصدية، والمقبولية، والإخبارية، والموقفية، والتناص. ولا يشترط توفر كافة العناصر في كل نص"^(١).

أما الخطاب فقد أولته الدراسات النقدية عناية كبيرة، وبخاصة حين فرقت بينه وبين النص، فهو "نسق من الجمل لا بدّ أن يترابط لكي يصنع خطاباً"^(٢)، كما أنه لا يتكون من جمل غير مترابطة في بداية الأمر، وإنما "هناك علاقات اتصالية للبنيات الصغرى للنص (الجمل) وهذه العلاقات الاتصالية تؤدي إلى انسجام في ربط المتواليات الجمليّة للنص بعضها مع بعضها الآخر؛ للوصول إلى خطاب موحد من متلقٍ واعٍ عبر التفاعل الجادّ بين المبدع ومتلقيه، وهذا التفاعل جدير أن ينتج خطاباً"^(٣).

ويُعرّف محمد مفتاح الخطاب على أنه: "وحدات لغوية طبيعية منضّدة متسّقة ومنسجمة"^(٤) وهذا يشير إلى أن النص جزء لا يتجزأ من الخطاب، "فهو المادة الأولية التي تتحول خطاباً حين تصادف متلقياً، وعندئذٍ يصبح النص ثابتاً، والخطاب متحركاً"^(٥).

وتبرز أهميته عند معالجة أمر توجيه النصوص وإنتاجها؛ لدراسة مدى تحقق النصيّة في كثير من الإنتاج الأدبي، حيث الانطلاقة الفعلية في إغناء النصوص، ودخول نظريات تحليل الخطاب إلى عالمها، بالإضافة إلى تقديمها كخطاب

(١) سعيد بحيري، ص ١٤٦.

(٢) ديان مكدونيل، مقدمة في نظريات الخطاب، ترجمة عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية، ط١، ص ٣٠.

(٣) فتحي الخوالدة، السابق، ص ٢٢.

(٤) محمد مفتاح: التشابه والاختلاف، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٦، ص ٣٥.

(٥) سامح الرواشدة: "ثنائية الاتساق والانسجام في قصيدة الوقت"، مجلة دراسات، الجامعة الأردنية، ع ٣، مجلد ٣٠، ٢٠٠٣، ص ٥١٦.

يستشرف آفاق وجوده، ويلتحم مع واقعه^(١)، وبعد هذا يمكن الوقوف ملياً عند عناصر الاتساق وآليات الانسجام في القصيدة.

عناصر الاتساق في القصيدة:

الاتساق لغةً، بمعنى الضّم والجمع. ففي اللسان، اتساق القمر: امتلاؤه واجتماعه واستواؤه ليلة ثلاث عشرة وأربع عشرة^(٢). وفي القاموس المحيط، اتّسق: انتظم^(٣).

ومفهوم الاتساق "من المفاهيم الجديدة التي دخلت مجال النقد الأدبي، فهو يستند إلى المبادئ التي اجترحها علم اللغة، منذ أن بدأت المدارس اللغوية الحديثة بالظهور، وتبلورت على يد العالم السويسري (دي سوسير)، ثم تبلورت نظريات تحليل الخطاب بعد أفول مجد المدرسة اللغوية الإنجليزية، وتسلم المدرسة اللغوية الأمريكية ريادة علم اللغة في العالم"^(٤). ويقصد به ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة للنص و"الكيفية التي يحدث بها التماسك النصي بترباط عناصره، وهو مفهوم دلالي يُحيل إلى العلاقات المعنوية القائمة داخل النص، وهي عناصر تحدده وتمنحه صفة النّصانيّة. ويشمل الاتساق عدداً من المنسقات كالإحالات إلى الضمائر، والإشارة والحذف والاستبدال والوصل والاتساق المعجمي"^(٥)، وتأسيساً

(١) فتحي الخوالدة، السابق، ص ٢٥.

(٢) ابن منظور، (٧١١هـ)، لسان العرب، اعتى بتصحيحه أمين محمد عبدالوهاب ومحمد الصادق، دار إحياء التراث العربي، ط ١، بيروت، ١٩٩٦م، مادة (وسق).

(٣) الفيروزآبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب)، القاموس المحيط، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، مادة (وسق).

(٤) انظر يحيى عابنة - آمنة صالح الزعبي، "عناصر الاتساق والانسجام في قصيدة أغنية لشهر أيار"، مجلة جامعة دمشق - المجلد ٢٩ - العدد (٢٠١٣)، ٢٠١٣، ص ٥١١.

(٥) محمد خطابي: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص ١٥.

على قول محمد خطابي يمكن القول إنّ الترابط النصي بين هذه العناصر هو الذي يخلق النصيّة ويسهم في وحدة النص الشاملة، ويؤوله لكي يُعدّ نصاً، وهو الفيصل في الحكم على نصيّة النص أو لا نصانيته، وأن يُحكم عليه بأنه نصٌّ مترابط دلاليّاً ونحويّاً ومعجمياً أو تنتفي عنه هذه الصفة، ومن ثم يفتقر إلى الاتساق، وتلك العناصر هي التي ستعرضها الدراسة، ثم ستعتمد إلى رصد حضورها في قصيدة (هيرمافروديتوس).

أولاً: الإحالة (Reference):

الإحالة علاقة من العلاقات الموجودة في النص تقع بين العبارات والأحداث والمواقف، فاللفظة لا تقوم مستقلة بذاتها عن سائر المكونات المورفيمية المشكّلة للنص، وإتّما تتمثّل في عودة بعض عناصر الملفوظ على عناصر لفظية أخرى^(١) نقدرها داخل النص أو في المقام أي (خارجه).

ويعرفها (جون ليونز) بأنها "العلاقة بين الأسماء والمسميات"^(٢) وهذه العلاقة ذات طبيعة دلالية تشترط تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه^(٣)؛ لأن العناصر المحيلة غير مكثفة بذاتها من حيث التأويل، بل تكتسب دلالتها بالعودة إلى ما تشير إليه.

وتُقسّم الإحالة إلى نوعين رئيسيين هما: الإحالة المقاميّة التي تسهم في خلق النص؛ لأنها تربط اللغة بسياق المقام، و"تعود فيه الكنائيات لغير مذكور"^(٤)،

(١) انظر محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص ١٥؛ براون ويول، تحليل الخطاب، ترجمة محمد لطفي الزليطني ومنير التريكي، جامعة الملك سعود، ١٩٩٧، ص ٢٨٨.

(٢) أحمد عفيفي، نحو النص (اتجاه جديد في الدرس النحوي)، مكتبة زهراء الشرف، ط ١، القاهرة، ٢٠٠٤، ص ١١٦.

(٣) انظر محمد خطابي، السابق، ص ١٧.

(٤) انظر، دي بوجراند: السابق، ص ٣٣٢.

والإحالة النصية التي تقوم بدور فعال في اتساق النص بشكل مباشر. وتتفرع الإحالة النصية إلى إحالة قبلية، وإحالة بعدية، وتتوفر كل لغة طبيعية على عناصر تملك خاصية الإحالة، وهي -حسب (هاليداي ورقية حسن)- الضمائر وأسماء الإشارة وأدوات المقارنة^(١).

- إحالات الضمائر:

إن لسانيات النص تعنى بالضمائر من زاوية الاتساق، ويمكن التمييز بين أدوات الكلام التي تندرج تحتها جميع الضمائر الدالة على المتكلم والمخاطب، وهي إحالة لخارج النص بشكل نمطي، ولا تصبح إحالة داخل النص. أما الضمائر التي تؤدي دوراً مهماً في اتساق النص فهي تلك التي يسميها "هاليداي" ورقية حسن (أدواراً أخرى) وتندرج تحتها ضمائر الغيبة إفراداً وتثنية وجمعاً^(٢) لا تشكل إحالات الضمائر في هذا النص إشكالية قرائية؛ نظراً لطبيعته البنيوية المستندة في عمودها الفقري على نوع واحد وهو الإحالات النصية بفرعيها القبلية والبعديّة، إذ تتجاوز ما نسبته في هذه الملحمة الشعرية التسعين في المائة، بعد أن قامت الدراسة بالوقوف على كامل الضمائر في النص، ورصد الإحالات جميعها، استناداً إلى اعتماد النص على التشكيل البصري في الفصل بين مقاطع القصيدة بوضع فراغات بصرية بين المقطع والآخر، وإغلاقه بثلاث نجومات. وعلى هذا الأساس جاءت القصيدة في ستة وعشرين مقطعاً، ونحو ثلاثين صفحة من صفحات الديوان، الأمر الذي يجعل عرض جداول التوزيع لهذه الضمائر في صورة تفصيلية أمراً متعزراً خشية الإطالة.

ويمكن أن أجمل من خلال هذه الجداول الخلاصات وبعض الأمثلة:

(١) محمد خطابي، السابق، ص ١٧.

(٢) نفسه، ص ١٧.

١- للرمز الأسطوري (هيرمافروديتوس)^(*)، عنوان القصيدة، دورٌ بارزٌ في إحالة معظم الضمائر إليه؛ وفي جميع المقاطع الستة والعشرين سواء أكانت للمتكلم أم للمخاطب أم للغائب، متدرجة في تنويع استخدام الضمائر؛ إذ سيطر ضمير الغائب على المقطع الأول معلناً عن الولادة الجديدة (ميلاد هيرمافروديتوس) الذي له "ضجيج الحياة الجديدة"^(١) وسيطر ضمير المتكلم على المقطع الثاني معلناً عن (ولادة البطل) في قوله: "تراني هيرمافروديتوس"^(٢) كونه مصدر الفاعلية في النص، وقضيته المحورية، ثم بعدئذٍ لجأ الشاعر إلى استخدام ضمائر المخاطب للتعبير عما سيحلّ به من محنٍ ومصائبٍ وتخاذلٍ فيما بعد، كما في قوله:

"لأنك كنت/ لأنك أنت/ يحاصرك الحزن والقحط هيرمافروديتوس/ يحاصرك اللص والوبش والقاتل المحترف/ ولا تستهين. ولا تستكين. ولا ترتجف/ ولا تعترف"^(٣)

(*) (هيرمافروديتوس Hermaphroditus) وتعني الخنثى في العربية (اتحاد الذكر والأنثى في جسد واحد). وتقول الأسطورة إنه "كان ابناً جميلاً لـ(هرميس) و(أفروديتي). أحبته الحورية (سالماكيس) ولكنه استهزأ بها. ومع ذلك فقد سمح لنفسه أن يستحم في المجرى الذي كانت تشرف عليه، حيث طوقته بذراعيها وطلبت من الآلهة أن يجمعوا بينهما إلى الأبد دون ما انفصال. فقبلت الصلاة وصارا جسداً واحداً يجمع صفات الجنسين. انظر:

A Handbook of classical Mythology, Howe&Hareer

نقلاً عن: معجم الأعلام في الأساطير اليونانية والرومانية، ترجمة أمين سلامة، مؤسسة العروبة للطباعة والنشر، ط٢، مصر، ١٩٨٨، ص٣٢٨.

(١) سميح القاسم، هيرمافروديتوس وقصائد أخرى، منشورات وزارة الثقافة، ط١، عمان، ص٥٠. وسيشار إلى هذا المصدر لاحقاً، باسم الشاعر ورقم الصفحة فقط.

(٢) نفسه، ص٦.

(٣) سميح القاسم، ص٣٠. استخدمت الشرطة المائلة (/) للفصل بين الأسطر كما هو في الديوان تماماً.

"أنت تماديت في الحلم، والوهم. في الشوق للقمح/ والتوق للسلم. أنت تماديت.
هذا عقابك/ وهذا ثوابك" (١).

ولقد وُظِّفت الإحالة النصية بفرعيها: القبلية والبعدية من خلال ضمائر المتكلم المتصلة والمنفصلة (تاء المتكلم، والضمير المنفصل (أنا))، وضمائر الغيبة المستترة والمتصلة؛ للتعبير عن أدوار الرمز الأسطوري في إحداث الفاعلية. فنجد في مقطع يقول: (٢)

"ثُراني هيرمافروديتوس؟. لعلِّي سليل الهواجس والنار/ طفل كهوف الجبال. تشكلت في نزوة المعجزات. وهبت/ بي الريح من دهشة لتحط على دهشة. ثم أنمو وأنمو بما/ يشتهي الطين والنار. تشهق باسمي وجسمي إناث/ الطبيعة. يُغشى على "سالماكيس" (٣) حين تبصر بي في مياه/ البحيرة. تحملني موجة السحر بين يديها/ وتصحو قليلاً.. ويغشى عليها"

يمدنا العنوان بإضاءة ساطعة لتفكيك النص، ويقدم، حسب محمد مفتاح، "معونة كبرى لضبط انسجام النص وفهم ما غمض منه، إذ هو المحور الذي يتوالد ويتنامى ويعيد إنتاج نفسه، ويحدد هوية القصيدة" (٤).

(١) سميح القاسم، ص ٣٠.

(٢) سميح القاسم، ص ٦.

(٣) (سالماكيس) حورية أحببت (هيرمافروديتوس) وطلبت من الآلهة أن يجمعوا بينهما إلى الأبد وصارا جسداً واحداً. انظر معجم الأعلام، السابق، ص ٣٢٨.

(٤) محمد مفتاح: دينامية النص (تنظير وإنجاز)، المركز الثقافي العربي، ط ١، بيروت،

١٩٠٠، ص ٧٢.

يتكون المقطع السابق من تسع إحالات نصية كلها بإحالة (بإاء المتكلم) ما عدا واحدة بالضمير المستتر في الفعل (أنمو)، إلى محال إليه واحد، هو العنوان والكلمة المحور التي بني النص عليها (هيرمافروديتوس) وكلها إحالات نصية قبلية موجهة إليه مباشرة، ولا عجب أن تتوجه إلى هذا المخلوق العجيب، بجسمه وباسمه، كل الإحالات النصية، بما أنه وُلِدَ ولادة غير طبيعية فهو: (مخلوق من نزوة المعجزات) كما أنه يحمل صفات القوة والصلابة (سليل هواجس النار، وطفل كهوف الجبال)، وله صفات خاصة مدهشة ناتجة عن اجتماع عنصرَي الذكورة والأنوثة، واتحاد عنصرَي (الطين والنار) وما نلمحه في كلمة نار من بعد غير بشري في تكوينه، وهو فتى جميل مُعجَب كان مصدر إعجاب "سالماكيس" الحورية الجميلة به.

ولقد أسهم (ضمير المتكلم) الذي يعود إلى الرمز بالتماسك النصي، وقُلَّ من فرص التأويل؛ لأن هذا الرمز كان يتحدث عن نفسه مباشرة، بوصفه ولادة جديدة، والولادة الجديدة تستدعي وقفة واضحة لإبراز أثرها ودورها الحضاري الآتي.

كما نجده في المقاطع الأخيرة يستخدم ضمير الغائب، ويقوم الراوي العليم، حسب المفهوم الروائي، بعرض جزء من سيرة البطل هيرمافروديتوس وتضحياته العظيمة، فيقول عنه: (١)

"تكبّد أرباح وهم شديد الخسائر. كابد أوجاع إسبارطة/ استنزفته أثينا الحكيمة في سخط طروادة الصابرة/ وراود روما وقرطاج/ مالت له أصفهان وبغداد/ لم يترك الشام في شأنها/ استلهم الهند والسند والصين/ مرّت على باله القاهرة/ وغازل إبلياء من باب صيدون/ صلّى لرامّة أشواقه/ ارتاح/ في حضن عكا.

(١) سميح القاسم، ص ٣٣.

وغنى لغرناطة في المساء. وأغنى على/ ساعد الناصرة/ له المجد والرغد
هيرمافروديتوس"

إن البطل الأسطوري، كما صورّه لنا (الراوي/الشاعر) عنصرٌ مؤثر في العالم، ومتفاعل مع أحداثه، ومرتبطٌ أيّما ارتباط بالإنسان والمكان في هذا الكون. وكما يظهر كان رمزاً إنسانياً وحضارياً، محباً للخير ونشر السلام. إنّه الصورة المثلى التي يكون عليها البطل مؤثراً ومتأثراً بما يجري من حوله.

ولقد شكّل عودُ ضمائر الغيبة المستترة في الأفعال: (تكبّد، كابد، راود، استلهم، مرّت، غازل، صلّى، ارتاح، غنى، أغنى، ساعد) والضمير في (له) أساساً متيناً في ضبط التماسك النصي، والمساهمة الفعلية في صنع الاتساق النصي في المقطع، من خلال الإحالات النصية البعدية التي تحيل إلى ملفوظ واحد متأخر داخل النص هو (هيرمافروديتوس) مما أسهم في إضعاف سطوة التثنت، وزيادة فاعلية العلاقات الدلالية من خلال مساهمتها الفعالة في اتساق النص وترابطه الشكلي والدلالي.

٢- كان للإحالة المقامية حضورٌ لكنّه محدود في النص، إذ وردت في مقطعين اثنين، وتعرّف على أنها: "الألفاظ التي بمقتضاها تحيل اللفظة المستعملة إلى الشيء الموجود في الخارج"^(١). ومن الأمثلة عليها قول الشاعر:^(٢)

"متى يقرأون نقوش الصخور القديمة؟/ متى يقرأون بشكل صحيح نقوش
الصخور القديمة/ متى يعلنون نبوءاتهم؟/ متى يرفعون خطاهم إلى الطرق

(١) انظر محمد الشاوش: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، تونس، جامعة

منوبة، المؤسسة العربية للتوزيع، ط١، بيروت، ج١، ٢٠٠١، ص١٢٥.

(٢) سميح القاسم، ص١٨.

المستقيمة/ متى يتقنون الصلاة على الحي والميت. كي ينعموا بالحياة/
وبالموت. كي يوصلوا بعض أصواتهم للأعالي. ويا طالما/ رسفت في قيود
الحضيض دهورا. وضاعت بلا أثر للجريمة/ متى يبدأون؟/ متى يبدأون؟"

نلاحظُ في المقطع السابق أن العنصر الإشاري المركزي تكوّن خارج النص، وتعود عليه عناصر الإحالات المتعاقبة المتمثلة في ضمير الجمع (واو الجماعة)، فالمقطع لم يقدّم لنا شيئاً عن المتحدث؛ الذي استحضره الشاعر متخلياً عن مهمته الشعرية، مما يوقع القارئ في حيرة من أمره، فهل المتكلم هو الشاعر نفسه؟ أم هل هو الراوي العليم؟ هل هو الفلسطيني الذي يعاني من استلاب هويته وتاريخه وتراثه؟ أم هل هو الإنسان الذي من الممكن أن نحمله أبعاداً إنسانية أكثر شمولاً من الأبعاد الوطنية والقومية والذاتية، الإنسان الذي يشاهد آثار الدمار، ومظاهر القمع والتعذيب لشعب مضطهد ووطن سليب؟ ثم تتكرر أسئلة تحريضية مشروعة أخرى باسم الاستفهام (متى) من مثل: على من يعود ضمير الجماعة في: يقرأون، يعلنون، يرفعون، يتقنون، ينعموا، يوصلوا، يبدأون؟ من هم هؤلاء الذين لم يقرأوا النقوش القديمة، ولم يعلنوا عن نبوءاتهم، ولم يتلمسوا الطريق المستقيم الواضح بعد؟ أم هم أبناء الوطن العربي الذين تخاذلوا عن نصره شعب محتل؟ أم هل هم فئة مخصصة معنية بالانضمام إلى صفوف المظلومين؟ أم هل هم الأعداء الذين تمادوا في الظلم والعدوان؟ وكل هذه الأفعال من أجل غاية واحدة، هي "متى تبدأ العاصفة/ لتكنس ساعاتنا الواقفة؟"^(١) وقد التفت الشاعر أسلوبياً إلى ضمير المتكلمين (نا) بدلاً من ضمير المتكلم؛ ليبين أن ذات المتكلم هي ضمن الذات الجمعية (ساعاتنا) التي تحيل إلى جماعة معينة إحالة مقامية تُفهم من السياق، بعد توقف الزمن في حالة الاستسلام والركون إلى الضعف وعدم المواجهة. وعلى

(١) سميح القاسم، ص ١٥.

الرغم من أنّ هذا النوع قليل في النص، إلا أنّه أسهم إلى حدّ بعيد في اتّسام النص بشيءٍ من الغموض، حيث إنّ الخروج برؤية حول هذا النص، يتوقف بصورة أساسية على فهم كُنهِ المُحال إليهم خارج النص. وإنّ أسئلةً كهذه تفتح فضاء التّأويل على نطاق واسع؛ لأنّ هذه الإحالات المقامية وإنّ كانت قد أسهمت في إبداع النص غير أنّها لم تسهم في اتساقه بشكل مباشر.

٣- يتبين أخيراً فيما يتعلق بإحالات الضمائر، أنّ الإحالات النصية حازت على النصيب الأكبر، وأنّ الإحالات القبلية قد طغت على النص، بسبب تقدم الرمز الأسطوري في بعض المقاطع كالأول والثاني والسابع والرابع والعشرين^(١) مما جعل النص متماسكاً من حيث إحالات الضمير، وعملت على تقوية الاتساق النصي، حتى في المقاطع التي لم يذكر فيها الرمز، لعلمنا المسبق أنّها تحيل إليه ضمناً. أما الإحالة المقامية فلم تردّ في النص إلا في معرض التحريض والنقد، وتحيل ضمائر المتكلمين إلى مجموع الأمة على اختلاف جنسياتهم وأديانهم وبلدانهم؛ لحثهم وترغيبهم في المقاومة، ومقارعة الأعداء، ونصرة المظلومين، عندها تكون خطاهم على الطرق المستقيمة" حسب قوله.

- الإحالة عن طريق أسماء الإشارة:

أسماء الإشارة هي الوسيلة الثانية من وسائل الاتساق الإحالية، ويذهب "هاليداي" و"رقية حسن" إلى أنّ هناك عدّة إمكانيات لتصنيفها، إما وفق الظرفية الزمانية (الآن غداً..) أو المكان (هنا، هناك) أو وفق البعد (ذاك، تلك..) والقرب (هذا، هذه..)^(٢).

(١) انظر على التوالي الصفحات: ٥، ٦، ١١، ٣٢.

(٢) محمد خطابي، السابق، ص ١٩.

وتقوم أسماء الإشارة، بوصفها أداة اتساق، بالربط القبلي والبعدي وهي بذلك تسهم في اتساق النص وتماسكه^(١). وتعتمد على الجانب السياقي من معنى الوحدة الكلامية، فهي العلاقة القائمة بين المتحدث أو القائمين بعملية التحدث، وبين ما يتحدثون عنه في مناسبات معينة^(٢).

ويلاحظ أن النص، موضع دراستنا، قد اشتمل على عشرين موضعاً وردت فيه أسماء الإشارة، هي: هذا، هذه، هنا، هناك، هنالك^(٣) كما اشتمل على عناصر ظرفية محدودة: وراء، أمام، يوم، بعيد، قريب. وكان من المفترض أن تعمل أسماء الإشارة الموجودة على عملية الترابط النصي، غير أنها تخبّ ظنّ المتلقي لما بها من تعمية وغموض من الناحية الدلالية، مما يدفع إلى بذل الجهد بُغية التأويل. ومن مواضع أسماء الإشارة، قوله: ^(٤)

أنا هو هيرمافروديتوس. لعلّي هيرمافروديتوس.. وتعشقتني/ سالماكيس". فليكن ما يريد لي العشق. تفاحتان هنا. وهنالك تفاحة. والجنان هنا وهناك الجنان. وآلهة الحبّ/ والنور غافرة النار والخصب. قائمة في الزمان. وشاهدة في المكان. إذن فليكن ما يشاء لنا العشق في الدورة الدموية/ في كوكب الأرض. نعطي ونأخذ. عهد الرجال وعهد/ النساء/ على سنة الدورة الدموية. في ما تؤول إليه الدماء.

(١) محمد خطابي، السابق، ص ١٩.

(٢) جون لاينز: اللغة والمعنى والسياق، ترجمة عباس صادق الوهاب، مراجعة يوثيل عزيز، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، بغداد، ١٩٨٧، ص ٢٤٣.

(٣) انظر: سميح القاسم، الصفحات: ٥، ٦، ٧، ٩، ١٠، ١٢، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٦، ٣١، ٣٥، ٣٦.

(٤) سميح القاسم، ص ٧.

يبدو ضمير المتكلم في مستهل المقطع (أنا) متحققاً من ذاته عبر الإحالة النصية البعدية المحالة إلى (البطل الأسطوري)، ثم بدأ في التشكك من حقيقة ذاته (العَلِّي)؛ لأنه واقع بين حقيقة كونه جسداً واحداً، أو كونه جسدين ملتحمين في جسد واحد، يجمع صفات الذكورة والأنوثة معاً. فكان أن انصاع للعشق أولاً (فليكن ما يشاء لي العشق) ثم اتحدَ الجنسان بالزواج في الضمير (لنا) لاحقاً في إحالة قبلية إليهما الاثنتين في قوله: "ما يشاء لنا العشق" في الدورة الدموية المستمرة في الجريان، وديمومة الحياة لكل الكائنات الحيّة. لذلك صار سهلاً أن نحدد ما يشير إليه اسم الإشارة (هناك) بعد أن تأكدنا من مقابله الدلالي (هنا) المحال إلى كوكب الأرض؛ لذلك فهما تفاحتان (جسدان) على الأرض بمقتضى أحكام العشق، وانصياعهما لأوامره، لكنهما تفاحة واحدة (هناك) أي في السماء، بشهادة آلهة الحب القائمة في الزمان والشاهدة على المكان.

وعلى الرغم من هذا التشكك وعدم الوثوقية، فإنه رضخ لمتطلب العشق الذي يجمع بينه وبين عاشقته "سالماكيس"؛ لذا جاء اسم الإشارة (هنا) إحالة نصية بعدية إلى (كوكب الأرض) كما جاء اسم الإشارة (هناك) إحالة مقامية تدرك من السياق وبدعم مما يقابلها دلاليّاً.

كما استخدم الشاعر اسمي الإشارة (هذا) و(هذه) في مواضع متفرقة، كما في قوله: (١)

"هنا نقطة البدء. أصل الحدود. وأولى المسافات. من سرّ/ هيرمافروديتوس يكون
النشوء العظيم".

(١) سميح القاسم، ص ٩.

إن الاسم الإشاري المكاني (هنا) قد يبدو مُضللاً أو مجهولاً وقد لعبت علامة الترقيم (النقطة) علامة الوقف الكامل دوراً في هذه الجملة والجملتين اللاحقتين اللتين حذف منهما اسما الإشارة وبقياً مقدرين في السياق. غير أن المدقق لا يلقى عنناً في إيجاد ما تحيل إليه أسماء الإشارة، إذا ما عرفنا أن نقطة البداية والنشوء العظيم هو في وجود هيرمافروديتوس الذي يعدّ نقطة بارزة، وانطلاقة كونية جديدة، وعليه يكون اسم الإشارة قد أُحيل إلى متأخر بعده، وهو من الإحالات النصية البعيدة التي ساعدت في اتساق النص وتماسكه.

- الإحالة بالمقارنة:

وهي النوع الثالث من أنواع الإحالة "وتعدّ بناء لغوياً معبراً عن قيمة عالية لدى المبدع؛ لتقديم رؤياه، وتشكيلها اعتماداً على عالمين يصنعهما بذاته، ويقدمهما لمتلقيه بعيداً عن لغة المعنى المكشوف"^(١)، "ويقصدُ بها وجود عنصرين يقارن النصّ بينهما، وتنقسم إلى المطابقة والتشابه، وتنكئ على ألفاظٍ مثل وصف الشيء بأنه يشبه شيئاً آخر أو يماثله أو يوازيه، بعضها يقوم على المخالفة؛ كأن تقول يُضادّ أو يعاكس، أو أفضل أو أكبر أو أجمل. "أمّا من منظور الاتساق، فهي لا تختلف عن الضمائر وأسماء الإشارة في كونها نصيةً وبناءً عليه فهي تقوم مثل الأنواع المتقدمة، لا محالة، بوظيفة اتساقية كونها تخدم النصية"^(٢).

وأبرز الأمثلة على المقارنة في هذا النص اعتماده على تقنية التناص الأسطوري التي استدعى من خلالها رموزاً متشابهة قاربها وأسقطها بقدرة فنية عالية على أبعاد التجربة المعاصرة، والقضية الفلسطينية على وجه الخصوص، لذا

(١) فتحي الخوالدة، السابق، ص ٦٦.

(٢) انظر: Halliday andruqaiya Hasan, Cohesion in English, Longman, London, 1976, p1.

نقلاً عن فتحي الخوالدة، السابق، ص ٦٧. وانظر محمد خطابي، السابق، ص ١٩.

كان من السهولة أن نَعقد كثيراً من المقارنات المتشابهة بين هيرمافروديتوس والإنسان الفلسطيني المقاوم والمسالمة، ويظهر هذا في قوله: "ويبلغ حكمته الآن هيرمافروديتوس. يضرب في الأرض طولاً وعرضاً"^(١) ف(الآن) ظرف زمان حدّد اكتمال حكمة الرمز الأسطوري في لحظة حاضرة مما يؤكد أنه يتحدث عن (هيرمافروديتوس /الفلسطيني). وإن مثل هذا التشابه كان عنصراً نصياً اتساقياً، وسوف يكون له دوره التأويلي وأثره الواضح في عملية انسجام النص لاحقاً.

وإذا كانت هذه هي أولى إشارات المقارنة، فإن النص قدّم لنا مجموعة من المقارنات اللطيفة، ومنها هذه المقارنة المبنية على الاختلاف، في قوله:^(٢)

"وليس الطغاة لديّ سوى حاشية/ وكهفي قصري/ وقصري قبري/ وقبري ممر/ إلى نخلي الحرّة الحيّة الباقية"

يحيل ضمير الملكية (ياء المتكلم) إحالة نصية قبلية إلى هيرمافروديتوس، وفي الوقت نفسه يحيل إلى الرمز المعاصر إحالة مقامية نستنتجها من السياق الذي يظهر مقارنة اختلاف عميقة بين مكانين، وهما على الرغم من اختلافهما، إلا أنهما مكانان أليفان عند الشاعر: (الكهف) وما يتصف به من ضيق، وانعدام التهوية، واحتجاب الشمس والإضاءة، وعدم توفر سبل الراحة، إضافة إلى أنه المكان الذي يأوي إليه أبناء الطبقة الشعبية الفقيرة، وعامة الناس من المعوزين، ويقابله (القصر) الذي يرمز إلى كل مظاهر العزّ ورغد العيش والثراء والسلطة والمنعة، ويوفر سبل الأمن والراحة لساكنه. ولكننا من خلال السياق نتبيّن أمراً آخر حين آثر الشاعر أن يجعل من كهفه قصراً؟! وهنا تكمن شعرية هذا السطر

(١) سميح القاسم، نفسه، ص ١٢.

(٢) نفسه، ص ٨.

الشعري، عندما يعيش المواطن الشريف، كما يعيش أبناء شعبه، ويتبنى أفكارهم وأحلامهم وقضاياهم، لذلك فلا غرابة في أن يكون الكهف قصراً بما يحمله من دلالات إنسانية عميقة، وتضحياتٍ وقيم سامية، ثم يغدو هذا (القصر/الكهف) قبراً شاهداً على البطولة والاستشهاد دفاعاً عن المبادئ الوطنية؛ لأن القبر (الاستشهاد في سبيل المبادئ) غاية المؤمن الحقيقي المتشوق والمتلهف إلى (نخلة حرّة حيّة باقية) وأين هي تلك النخلة إن لم تكن في الجنة؟! عندها يصبح (القبر) ممراً المناضلين الأحرار إلى جنة الخلود والنعيم المقيم.

والوقفه الأخيرة في هذه الإحالة النصية المبنية على المقارنة، هي في قوله: (١)

"ستخرج عن سمّ من يشبهونك عظما ولحما/ ووجهاً وصوتاً. ولا يشبهونك روحاً وحلماً. سيغضبك السابقون. ويغبطك اللاحقون. سيُعجب من يلدون ومن/يولدون".

في المقطع عدد من الضمائر التي شكلت إحالات نصية بعدية لذكر المُحال إليه في نهاية المقطع، كما يمكن عدّها إحالة مقامية تفهم من السياق وحال المقام، لو وجّهناها إلى البطل الأسطوري المعاصر المقصود من الخطاب برمّته، ولكن من هم الذين يشبهونه شكلاً، ويختلفون عنه فكراً ورؤيةً؟ وللإجابة عن هذه الأسئلة نجد أن هنالك مؤشراتٍ دلالية واضحةً تفشي سرّ الغموض، بما أنهم يُشبهونه جسداً وشكلاً ونسباً ولغةً، ومختلفون عنه روحاً، وهي رؤية صائبة، في نظري؛ لأن انتساب جماعات الناس إلى أرومة واحدة لا يعني شيئاً، طالما أن رؤى وأهداف وأحلام بعضهم مختلفةً، وهذا، هو الأهم والأفضل والدائم. وبسبب اختلاف

(١) سميح القاسم، ص ٢٥.

الرؤية والهدف بين الفريقين: المتخاذلين (السابقين) أفراداً ودولاً، والمناضلين (اللاحقين) مِمَّن هم على نهجه، وستكون سيرته مثار إعجاب الأجيال القادمة التي ستترسّم خطاه، وستقتفي أثره.

ولقد عملتُ مثل هذه المقارنات على اتساق النص، مثلما تفعلُ الضمائر وأسماء الإشارة، ووجدنا أن بعضاً منها قد أحال على كلام سابق في النص، أو كلام لاحق، كما أن جزءاً منها أحال إلى السياق المحيط بالنص على صورة إحالة مقامية.

ثانياً: الاستبدال والحذف:

الاستبدال والحذف عنصران من عناصر الاتساق النصي، وجعلتهما تحت عنوان واحد؛ لأن الحذف لا يختلف عن الاستبدال، بوصفه علاقة اتساق من جهة، ثم بكونه يتحقق بوجود عنصرين: سابق ولاحق، إلا أنهما يفتقران بأن عنصر الاستبدال يُشكّل، بوجود عنصره، علاقة حضور، في حين أن الحذف يشكّل، بإلغاء أحد عنصره، علاقة حضور وغياب في آن واحد؛ حضور المبدل منه وغياب المبدل، ولذلك سمي "استبدالاً صفيّاً" أي أن "علاقة الاستبدال تترك أثراً، وأثرها هو وجود أحد عناصر الاستبدال"^(١)، بينما علاقة الحذف لا تخلف أثراً، ولهذا فإن المستبدل يبقى مؤشراً يهدي القارئ لاكتشاف العنصر المقدر أو المؤول، مما يساعده على سد الفجوات التي يحدثها الاستبدال، والأمر على خلاف هذا في الحذف، فلا يجلّ محل المحذوف أي شيء"^(٢). ومن الأمثلة على الاستبدال، وهي قليلة مقارنة بأنواع الحذف، قوله:^(٣)

(١) انظر: براون، يول، تحليل الخطاب، ص ٢٤٠.

(٢) انظر: Halliday and ruqaiya Hasan, Cohesion in English, Longman, London, 1976, p144.

نقلاً عن: صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء، ط١، القاهرة، ٢٠٠٠، ج ٢، ص ٢٠٢. وانظر محمود بو ستة: الاتساق والانسجام في سورة الكهف، رسالة جامعية، إشراف السعيد هادف، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، ٢٠٠٨/٢٠٠٩، ص ٩٢.

(٣) سميح القاسم، ص ٥.

"حورية الكهف تحمل طفل المآسي/ التي ستكون، إلى جبل الحزن، تكسوه وردا
وعشبا/ وتغسله بحليب الغزاة/ وطير الجبال تصلي لنسل إلهين".

لقد تكفّلت حورية الكهف، وهذه من مهامها الأساسية الأسطورية، مساعدة
الناس، لذلك نجدها تُشفق على هذا الطفل وتبناه لتحفظ له حق الحياة. ولكن ما
استوقفني في هذا السياق هو الاستبدال الاسمي بين كلمتي (طفل المآسي)
و(التي) وهو استبدال مقصود يعمق الرؤية في النص أولاً، والتماسك ثانياً؛ لأن
كلمة (الطفل) في العربية قد يستوي فيها المذكر والمؤنث والجمع. ففي التنزيل
العزیز: "... ثم يخرجكم طفلاً"^(١). وفيه "أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات
النساء"^(٢) فاستخدم المستبدل منه (الطفل) ليشير إلى النصف الذكوري ومرحلة ما
قبل الزواج والخصب، وقبل الالتقاء بـ"سالماكيس" ثم استبدل به الاسم الموصول
(التي) ليشير إلى النصف الأنثوي، كنوع من المساواة بين الجنسين اللذين اتحدا
لاحقاً وشكلا جسداً واحداً في (هيرمافروديتوس) أو النقاء (هيرميس بأفروديت)
سيان. وتأسيساً عليه، تأتي وظيفة الاستبدال في عملية التماسك النصي، ورتق
الفجوات المحتملة.

ومن ذلك، قوله:^(٣)

"وماذا يراد له في الغيوب الكثيفة. في/ غابة الخلق. ماذا يراد لهيرمافروديتوس؟"

فالمتلقي لا يلقى عنناً في إحالة ضمير الغائب (الهاء) في (له) إحالة نصية
بعديّة إلى هيرمافروديتوس، ويعزّزُ هذا تكرار الجملة ثانية أيضاً. ولكن لمَ قدّم

(١) سورة غافر: آية ٦٧.

(٢) سورة النور: آية ٣١.

(٣) سميح القاسم، ص ٥.

الضمير الذي هو أقلّ تعريفاً من الاسم الظاهر؟ ولمّ استبدله ب(له) المتقدم عليه؟ في رأبي، أن الضمير (له) كشف أجزاءً من معاناة الرمز، الذي لا يعرف ما يخبئ له الغيب أو القدر مستقبلاً من أحداث وتحوّل جسدي؛ لأنه (في الغيوب الكثيفة) وفي (غابة الخلق) كما أن الغيوب والغابة يشيران إلى الغموض والحجب، وبما أن هذا لما يحصل بعد، كان من الأجدى تقديم ضمير الغائب الذي يناسب ما كُتب له في الغيب، ثم استبدل به الاسم الظاهر بعد تحوّلِه وتشكّلِه وتحقّق ما أريد له في عالم المجهول. كما ظهر الاستبدال في أشكال متعددة؛ كأن يستدرك الشاعر شيئاً يمكن أن يُفهمّ منه شيء، وهو يقصد شيئاً آخر، كقوله، مثلاً: "تُقال القصور. قصور الطغاة توشّحها الشرفات الأنيقة"^(١) فخصّص العام وقيده في حدود المقصود. أو أن يستبدل رمزاً أسطورياً بما هو في معناه، وإن اختلفت بعض دلالاته الأسطورية أحياناً، كقوله: "مباركة أفروديت (مباركة فينوس)"^(٢)، أو قوله: "له المجد هيرميس (له المجد ميركوريوس)"^(*) والرمزان الأسطوريان ذاتهما تقريباً في النصوص الأسطورية^(٣).

أما الحذف اصطلاحاً، فهو أن يُحذف جزءٌ من الجملة الثانية، ويدلُّ عليه دليل في الجملة الأولى^(٤) وهو من العلاقات الداخلية المهمّة التي تسهم في تسخير

(١) سميح القاسم، ص ٧.

(٢) نفسه، ص ١١.

(*) ميركوريوس هو إله التجارة عند الإغريق، انظر: معجم أعلام الأساطير الإغريقية والرومانية، السابق.

(٣) نفسه، ص ١١.

(٤) Crystal, the Cambridge Encyclopedia, p: 119. نقلاً عن: صبحي إبراهيم الفقي،

السابق، ص ٨٨.

الطاقات التعبيرية للغة، إذ يُعدّ إحالة قبلية، وهو من العلاقات التي لا تترك أثراً في نصّانية النصّ؛ لأن عملية الاستدلال عليه إنما تعتمد على جملة سابقة عليه، ولذا فهو لا يعمل على اتساق النص وترابطه، ممّا يعني أنه لا يترك مثل الأثر الذي يتركه الاستبدال^(١) وله أنماط مختلفة؛ قد تبدأ من حذف الاسم والفعل والحرف وكذلك الجملة وما فوقها^(٢) أما في اللسانيات المعاصرة، فقد ذكر "هاليداي" و"رقية حسن" ثلاثة أنواع للحذف، هي: الحذف الاسمي، والحذف الفعلي، والحذف داخل شبه جملة^(٣). ولذا، فإن الحذف يقوم بدور اتساق، يختلف عن دور الإحالة؛ لأن فيه غياباً لأثر المحذوف إلا ما قام عليه دليل من السياق. وهو ذو "طبيعة مرجعية سابقة، لشرط العلم بالمحذوف، وإلا كان ضرباً من الرّجم بالغيب"^(٤) وأحياناً تكون مرجعيته خارجية، وهذه تعتمد على سياق الحال الذي يزودنا بمعارف ومعلومات تسهم في التفسير والتأويل، لكنه في هذه الحالة لا يمكن عدّه من عناصر التماسك النصي، كونه لا يربط بين وحدات النص المختلفة. بل يوجد على مستوى الجملة الواحدة، لا على مستوى الجمل المترابطة.

وقد ظهر الحذف في عدد من المواضع في النص، منها:

(١) انظر: محمد خطابي، السابق، ص ٢١-٢٢. وانظر، يحيى عباينة، أمانة الزعبي، السابق، ص ٥٢٦.

(٢) لمزيد من التوسع في النحو العربي: انظر، مثلاً، ابن جني (أبو الفتح، عثمان ت ٣٩٢هـ)، الخصائص، تحقيق، عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، ط ٢، بيروت، ٢٠٠٢، ج ٢، ص ١٤٠.

(٣) انظر: محمد خطابي، السابق، ص ٢٢.

(٤) انظر: محمد الشاوش، السابق، ج ٢، ص ١٤٨.

حذف الاسم: انتشر مثل هذا النوع في النص، نحو قوله: (١) "قل لي خطاك الأخيرة تفتتح اليابسة/ وتقل... مرهقة بأئسة" ومن السهولة أن نقدر المحذوف، بدليل نصي سابق هو (خطاك)، وقوله في مقطع مماثل: (٢) "ويسأل هيرما فروديتوس. يسأل خالقه عن مصير/ ويسأل. يسأل" وقد حذف الاسم/ الفاعل، بدليل سابق يسوغ الحذف، تعبيراً عن الإلحاح في السؤال. وقوله أيضاً: (٣) "شيء سيحدث، شيء غريب سيحدث" وقد حذف النعت في الجملة الأولى، بدليل لاحق.

حذف الفعل: مما هو ملاحظ فإن الحذف لم يقتصر على الفعل وحده، بل قد يتعداه إلى حذف الفاعل لصعوبة الفصل بينهما أحياناً، وعلى هذا قد يشترك هذا النوع مع ما قبله. ومن ذلك، قوله، مع اعتذاري عن بعض مفرداته: (٤) "ظلامٌ يجب الظلام، ويحثو الظلام، وينكح أخت الظلام، وأمّ الظلام" فحذف الاسم (الظلام) والفعل (ينكح) بدليل سابق سوّغه (٥).

حذف جملة أو أكثر: لقد كان لهذا الحذف الأثر الكبير في الاتساق الداخلي، نحو قوله: (٦)

"يا أجمل الكائنات، ويا أجمل الكائنات. أقم قدوة الروح في/ الحمأة السافلة/ وفي رعب أدغالها القاتلة". فكما نلاحظ أن الحذف وقع على جملة لاحقة، تقديرها كل

(١) سميح القاسم، ص ٢٥.

(٢) نفسه، ص ١٧.

(٣) نفسه، ص ١٤. ولمزيد من الأمثلة الأخرى، انظر الصفحات: ٥، ٧، ٨، ٢٠، ٢٢، ١١.

(٤) سميح القاسم، ص ٢٠.

(٥) انظر أيضاً: نفسه، ص ١٣، ص ١٤.

(٦) نفسه، ص ١٩.

ما سبقها، بدليل سابق وضّح المطلوب فعله، وهو بثّ الروح في الجسد، لمنعه من ارتكاب الشرور والآثام.

ومن هنا تتضح أهمية الحذف بأنواعه في اتساق النص، ومدى مساهمته مع وسائل الاتساق الأخرى في التماسك النصي، ولا يقل أثره وأهميته عن غيره من الوسائل، وذلك لأن المحذوف كالمذكور إذا دل عليه دليل^(١).

ثالثاً: الوصل:

يعدّ الوصل من أهم العلاقات التي يتحقق بها الاتساق أو هو علاقة اتساقية أساسية في النص، الذي يتشكل من مجموعة من الجمل أو التراكيب الكلامية المتطابقة خطياً، مما يجعله في حاجة إلى عناصر ربط متنوعة تصل بين الجمل، من أهمها حروف العطف، التي تعمل على تقوية الأسباب بين متواليات الجمل المشكلة للنص، وجعلها متماسكةً، فهو إذن يحدّد الطريقة التي تترابط بها الجملة السابقة مع الجملة اللاحقة بشكلٍ منظمٍ داخل النص، وذلك من خلال أدوات الربط المتعددة، التي تدخل على الجملة أو عدد من الجمل، على اعتبار أن "الجملة وحدة تركيبية تؤدي معنى دلاليّاً واحداً، تحكمها علاقات الارتباط والربط والانفصال في السياق"^(٢) ويوصف "اللغة نظام يخضع لعلاقات نحوية ودلالية وسياقية، ممثلة في أبنية لغوية من أهمها الجملة"^(٣)؛ فتسهم في إفادة معنى جديدٍ فيها^(٤). كما

(١) للمزيد، انظر: ص ١٤، ص ١٣، ١٢، ١١، وغيرها.

(٢) انظر: مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة، الشركة المصرية العالمية، لونجمان، ط ١، القاهرة، ١٩٩٧، ص ١٤٨.

(٣) انظر: جون كوين: بناء لغة الشعر، ترجمة وتقديم وتعليق: أحمد درويش، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، أكتوبر، ١٩٩٠، ص ١٦٥.

(٤) انظر: الزمخشري (أبو القاسم، محمود بن عمر)، المفصل في الإعراب، دار الهلال، بيروت، ٢٠٠٣، ص ٤٠٣.

يمكننا الحصول على "هذه العلاقات المطروحة في غياب أدوات ربط نحوية، ويعترف "هالداي" و"حسن" أنّ التي تملك قوة الترابط في الواقع هي العلاقة المعنوية الضمنية"^(١).

ولو تتبعنا طبيعة الربط في قصيدة (هيرمافروديتوس) لوجدنا مسألة على غاية من الأهمية، وهي أن النص في جملته قد افتقر إلى أدوات الربط باستثناء حرف العطف (الواو) الذي أدى ربطاً بين جملتين متتاليتين، أو ربطاً داخلياً في نطاق الجملة الواحدة.

جدول إحصائي يوضح أدوات الربط في قصيدة (هيرمافروديتوس) وعدد مرات التكرار

نوع الرابط	الواو	التعليل	الفاء	لكن	إذن	لام الأمر	سوى	لعل	ثم	أو
عدد المرات	٣٢٥	٤٢	٢٣	١٢	٨	٤	٣	٣	٣	١
المجموع: (٤٢٤) حالة ربط في القصيدة										

من خلال الجدول يتبين ما يلي:

- ١- تنوع حروف العطف، والتفاوت في استخدام آليات الوصل، مع هيمنة واضحة لحرف العطف (الواو) على سائر حروف الوصل الإضافي ك(الفاء) في القصيدة التي جاءت في المرتبة الثالثة بعد أدوات التعليل لتفيد الترتيب والتعقيب، ما يعني أن استخدام (الواو) كان لربط مطلق الجمع؛ أي لربط شيين أو صورتين أو أكثر بالجمع بينهما، ولهما المكانة نفسها في النص. وهذه هي الوظيفة الأساسية والشائعة في الربط.
- ٢- انتشر في النص ما يُسمى بالربط السببي أو التعليلي الظاهر أو المقدر في السياق من خلال أدوات متنوعة في الجمل السببية ك: لام التعليل، كي، إذن

(١) انظر: براون ويول، السابق، ص ٢٢٩.

(التي استخدمت ثماني مرات على غير المعتاد في الشعر)، لعلّ و(علّ) بحذف (اللام) التوكيدية، كما يقول أكثر النحاة.

٣- ورد ربط الاستدراك بـ(لكن) اثنتي عشرة مرة، الذي يربط بين شيئين لهما نفس المكانة، ولكنهما يبدوان غير متسقين داخل النص.

٤- احتلت الروابط الأربعة على التوالي في الجدول المرتبة الأولى في النص، أما ما عداها فلم يشكل ظاهرة لافتة في النص.

٥- أما بخصوص الربط المعنوي والضمني فإن علامة الترقيم (النقطة) كانت علامة ربط أساسية وحيدة في النص بأكمله؛ ولم أعرّث إلا على موضعين للفاصلة في القصيدة، ومن هذين الموضعين، المقطع التالي الذي قد يُؤلد حالة من اللبس لدى القارئ، في مثل قوله: (١)

"لأنك في النهر. في الريح. في القمح. في شغف النملة العاملة/ وفي لثغة الطفل. في حكمة الشيخ، في وردة الحبّ. في لبدة الأسد الهائلة/ وفي الصخر. في الرمل."

يلحظ أن الشاعر قد فصل بين الجمل بعلامة الترقيم (النقطة) بدلاً من استخدام (الفاصلة) أو استخدام (الواو)، ثم فصل بين شبيهي الجملة (في حكمة الشيخ) و(في وردة الحب) بالفاصلة. ولا أدري ما سبب هذا الاختيار البصري في هذا الموضع بالذات. أو في مثل هذه (النقطة) المحيرة في قوله الذي كاد أن يخلو من أدوات الربط اللفظية: (٢)

"وتقبل كينونة إثر كينونة. تتمشى اللغات على قشرة/ الأرض. بين ديبب النّمال وبين هزيم الرعود. تضجّ المدائن./ يثلغُ توقُّ القرى للحياة ويذوي

(١) سميح القاسم، ص ٢٩.

(٢) نفسه، ص ١٣.

صغيراً فقيراً. يؤمل/ هيرما فروديتوس أن يستطيع سبيلاً إلى كشف سرّ الوجود/ ومعنى الخلود. ويحبط. ما من سبيل/ إلى ما يخبئ سرّ الوجود"

لقد حلت (النقطة) محل الفاصلة فيما سبق، ولكن ما السبب الذي سوّغ الفصل بها بين كلمة (الأرض) و(بين ديبب النّمال)؟ هل هذه العلامة تزيينية أم أن لها ما يسوغها في السياق؟ وإذا ما تركنا هذه العلامة النحوية والدلالية، وعُدنا إلى السبب في قلة الروابط، لوجدنا أن المقطع حاول أن يلتقط لنا مجموعة من الصور الأسطورية، التي نجمت عن كينونة جديدة، وعصر جديد يقف القارئ أمامه مندهشاً منبهرأً، وهو يشاهد هذا الحدث العظيم (ولادة البطل) الذي سيكون له أثره فيما بعد، من خلال الأفعال المضارعة الدّالة على الحركة: تقبل، تتمشى، تضحّ، يلثغ، يؤمل، يستطيع، يحبط، يخبئ، التي تقتضي التركيز في كل صورة من هذه الصور، ووقفه أطول للتأمل مع (هيرما فروديتوس) للوصول إلى سرّ الوجود ومعناه، ولكن ما من سبيل.

٦- وأخيراً، لم يكن حضور أدوات الربط كافياً، ويظهر أن النص قد افتقد إلى كثير من أدوات الوصل، إذا ما قارنًا بين مجموع الروابط اللغوية، وعدد السطور الشعرية التي بلغت أربعمائة وخمسة وسبعين سطرأً شعريأً، ما يعني أن النص اشتمل على روابط ضمنية أدت إلى إضعاف التماسك النصي، وافتقاده جزءاً من اتساقه؛ لذلك لا بدّ أن تنهض آلية أخرى بمهام التّأويل ألا وهي آليات الانسجام.

رابعاً: الاتساق المعجمي: التكرار والتضام

الاتساق المعجمي مظهر من مظاهر اتساق النص يربط بين جملة بدون وصل أو إحالة، وإنما من خلال العلاقات المعجمية القائمة بين مفردات النص

وحدات من جملة، وبحققها التكرار والتضام، كما يرى "هاليداي" و"رقية حسن"^(١) وعلى هذا فإن المفردة المعجمية معزولة عن السياق لا تمثل بعداً نصياً، إلا إذا اختارها منتج النص بوصفها كلمة منسجمة مع المعنى المقصود في الجملة، ومتناسبة مع الدلالة الجامعة في النص التي يرغب المبدع في إيصالها للقارئ. فعماد الاتساق المعجمي "هو المعجم وما يقوم بين وحداته من العلاقات"^(٢). وإن الوحدة المعجمية لا تحمل في ذاتها ما يدل على قيامها بهذا الدور، وإنما يكون ذلك بحسب موقعها في النص"^(٣) وهو نوع من الاتساق العام للنص يربط بين كلماته بوساطة روابط معجمية كالترادف، والاشتراط والتضاد وهذه مظاهر واضحة في تحقيق الاتساق المعجمي بين عناصر النص.

أ- التكرار:

يتمثل التكرار في إعادة عنصر أو عدد من العناصر اللغوية في جملة من جمل النص بعينه، أو بمرادفه، أو عنصر مطلق أو عام لغرض التأكيد. ويرى محمد خطابي أن التكرير يقوم بالربط أو الجمع بين كلامين، كما يقوم بوظيفة تداولية معبر عنها في الخطاب أيضاً "اللفت أسمع المتلقين إلى أن لهذا الكلام أهمية لا ينبغي إغفالها"^(٤) ويشتترط به "أن يكون وثيق الارتباط بالمعنى العام"^(٥) حسب نازك الملائكة.

ويكون التكرار للحرف، والكلمة، والجملة، والمقطع الشعري. والتكرار شكل من أشكال الاتساق المعجمي يتطلب إعادة عنصر معجمي، أو ورود مرادف له، أو ما يشبه مرادفه، أو عنصراً مطلقاً، أو اسماً عاماً في النص الأدبي.

(١) انظر محمد خطابي، السابق، ص ٢٥.

(٢) الشاوش، السابق، مج ١، ص ١٣٨.

(٣) فيهيفجر: السابق، ص ٥٠.

(٤) انظر: خطابي، السابق، ص ١٧٩.

(٥) انظر: نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، دار العلم للملايين، ط ٧، بيروت، ١٩٨٣،

ويقوم التكرار بتقوية المعنى، وتأكيد، مما يساعد على تأدية المعنى، وهذا يعني وضوحاً أكثر للدلالة، وإبعاداً للتشتت والتفكك النصي، والخلص من عناء التأويل، والبحث عن عناصر انسجام في النص. ولو بحثنا عن عنصر التكرار في القصيدة، لوجدنا أن سميح القاسم قد اتكأ عليه كثيراً، ويمكن عدّه ظاهرة أسلوبية لافتة في النص. ومن أشكال التكرار الواردة: تكرار الاسم، وتكرار الفعل، وتكرار الجملة.

تكرار الاسم:

يمثل تكرار الاسم ملمحاً أساسياً في هذا النص، على الرغم من تعدد صورته وأشكاله، ولقد بنيت جميع المقاطع على تكرار العنصر الإشاري المركزي والمحوري (هيرمافروديتوس) بوصفه رمزاً أسطورياً استوحى منه الشاعر رؤيته الشعرية ليتعالق معه (هيرمافروديتوس) المعاصر. ولقد تكرر هذا الاسم بلفظه في أكثر من ثلاثين مرة، ما يدل على أهميته في تشكيل النص، وإبراز الأدوار المتنوعة التي نهض بها.

إن تكرار هذا الاسم عنصر مهم عزز من ترابط الجمل في المقطع الواحد، كما عمل على تقوية عناصر الاتساق بين المقاطع الستة والعشرين. فلو حاولنا أن نستوضح أثر التكرار في إنتاجية الاتساق داخل النص في المقاطع، لوجدنا أن النص أعلن عن نفسه بالعنوان الذي سأتناوله لاحقاً، وهو أول إشارة تسترعي انتباه المتلقي؛ لذا كان من المتوقع أن يتوجه ذهن القارئ إلى الرمز، علاوة على ما يزخر به النص من الإحالات النصية والمقامية التي تقوي من هذا التوجه نحو هذا الاسم؛ فالمقطع الأول كان للحديث عن البطل، والتمهيد لمجيئه (افتراض التزاوج والخصب) وولادته، والخروج إلى الحياة، وعناية حوريات الكهف به وإرضاعه، وفي الثاني إعلان البطل عن نفسه، بضمير المتكلم بدلاً من الغائب في المقطع الأول، وحصوله على المعرفة التي عرف بها نفسه، وما يتصف به من قوة وصلابة فهو (طفل كهوف الجبال) و(تشكله كان من نزوة المعجزات) ثم الحديث عن علاقته

بمحبوبته (سالماكيس) واستدعاء هذه الأسطورة الإغريقية، كما سنوضح لاحقاً. كما استخدم الشاعر الفقرة الزمنية، واختصار الأحداث (ويوماً فيوماً) ليظهر لنا البطل بعدها قوياً فتياً جميلاً رشيق الخطوات... لينتقل إلى علاقة الرمز بالطغاة، والبون الشاسع بين ما يقوم به الرمز من بطولات ومآثر حميدة وما يقومون به من أعمال شريرة. وعلى الرغم من أعمال البطل المشرفة وبطولاته وتضحياته النادرة، فإنه ذاق الأمرين، كما يقال، من قومه ومن الأعداء، فكادوا له، وحاصروه إلى أن انتهت القصيدة عند مقطع مؤثر لنهاية هذا الرجل الشجاع بأن **تعود إلى كهفك الجبلي وحيداً... وحيداً تعيش. وحيداً تموت. وحيداً تموت وحيداً تموت. وداعاً وداعاً وداعاً**^(١) ومما عمق مأساة البطل هذا التكرار الموجه لمجموعة من الأحوال المفردة، وألفاظ الوحدة والموت.

تكرار الأفعال:

يؤدي تكرار الأفعال إلى تجميع العناصر ضمن وحدات دلالية، كما أنه يصبح رافداً أساسياً من روافد النص أفقاً وثراءً وعطاءً. وعند معاينة الأفعال في القصيدة، نجد أن الفعل المضارع قد هيمن على النوعين الآخرين بسبب ارتباط الرؤية بالدلالة التي تنبثق من النص؛ ومن الأمثلة على ذلك، مجيء الفعل المضارع للتعبير عن التدرج "ثم أنمو وأنمو بما يشتهي الطين والنار"^(٢) أو نحو قوله: "ويتعب يتعب"^(٣) دلالة عن المبالغة في المشقة و"يسأل يسأل"^(٤) للدلالة على مواصلة البحث عن المعرفة الوجودية، وقوله: "يحاصرك الحزن... يحاصرك

(١) سميح القاسم، نفسه، ص ٣٦.

(٢) نفسه، ص ٦.

(٣) نفسه، ص ٣٤. وتكررت مرة أخرى ما يعمق من دلالة الفعل، ويقوي أثره.

(٤) نفسه، ص ١٧.

اللس" (١) لتبيان مدى الضيق النفسي الداخلي والخارجي، و"تضيق بك الأرض طفلاً وشيخاً عجوزاً. تضيق بك الأرض هيرمافروديتوس" (٢) فحذف كل متعلقات الفعل في الجملة الثانية ليؤكد أن الضيق كان عاماً، وفي جميع الأحوال، وتوكيد المعنى وإثباته كما في: "وحيدا تعيش. وحيدا تموت. وحيدا تموت وحيدا تموت" (٣) فحذف الفعل (تعيش)، وأثبت من خلال التكرار وحذف النقطة التي تفصل بين الفعلين بوصفها علامة توقف، نهاية البطل، وخاتمة المفجعة، بموته المحقق في نهاية السطر الأخير من القصيدة.

تكرار الجملة أو أجزاء منها:

ما يلحظ على هذا النمط التكراري أنه اتكأ على صيغ معينة، كالاستفهام، والتعليل، والنهي، ونفي الجنس، وكلها صيغ ترتبط بالرؤية الشعرية المنفصلة المتوترة التي تعبر عن حالة الشك والحيرة والاضطراب والقلق، ومحاولة تثبيت الذات وإزاحة الآخر المخالف. يقول الشاعر: " (٤) من القادمون من الليل والريح والثلج في عربات الغيوم؟/ من القادمون على سهوات الرجوم؟/ من القادمون لتقويض نسلي/ وصلبي على باب أهلي/ من القادمون بطفل كطفلي/ من القادمون".

إن تكرار الأسئلة التي عرضها البطل هي أسئلة مربكة حقاً؛ لأنها تتعلق بطمس الهوية؛ فهؤلاء القادمون يريدون احتلال الوطن، وقتل الأبناء، وتدمير

(١) سميح القاسم، نفسه، ص ٣٠.

(٢) نفسه، ص ٢٦.

(٣) نفسه، ص ٣٦.

(٤) نفسه، ص ٣٢.

الأرض، وتجفيف الأنهار، وتجريف الحقول، ما يعني السيطرة على الإنسان والمكان والحياة، كما تضامت مفردات من حقل التدمير (تجريف، تجفيف، تقويض) تكررت مع (بإاء الملكية: حقلي، طفلي، نهري، نسلي، أهلي) كي تحيل إلى البطل المعاصر، ويقابلها ألفاظ تشعر بالخوف والمجهول، مثل: (الليل، الريح، الثلج، صهوات الرجوم).

كما تكررت بعض الجمل الاستفهامية بـ(متى) في المقطع العاشر، فيقول: (١)
متى يعلنون نبوءاتهم/ متى يرفعون خطاهم إلى الطرق المستقيمة/ متى يتقنون الصلاة على الحي والميت. كي ينعموا بالحياة وبالموت. كي يوصلوا بعض أصواتهم للأعالي... متى يبدأون متى يبدأون؟

ففي المقطع السابق حثّ وتقريعٌ ولومٌ غير مخصّص لجهة أو جماعة بذاتها، لكن السياق يحيله إلى العرب الذين تخلّوا عن هذا البطل، تاركيه وحيداً أمام العدو الغاصب، يجابه الموت والدمار، كما تكررت مفردات معجمية تذكر هؤلاء بأنهم أصحاب عقيدة ومبادئ تنبذ الظلم والعدوان، وتحث على المقاومة والجهاد، نحو: (الصلاة، الدعاء، الاستقامة، النعيم في الدنيا والآخرة)، وتحقق النصر الموعود إن بدعوا حقاً.

ومن الأمثلة على هذا النوع مشهد ختامي تسدل بعده ستارة القصيدة، بتكرار (لا النافية للجنس واسمها، مع الإبقاء على خبرها طي الكتمان، ليقدره المتلقي، يقول فيه (٢) "تعود إلى كهفك الجبلي وحيداً. فلا سالماكيس"/ ولا نار. لا نور. لا

(١) سميح القاسم، ص ١٨.

(٢) نفسه، ص ٣٦.

نسل. لا أرض. لا غرس. لا/حي. لا عرس. لا شمس. لا قدس. لا فيء. لا ضوء. لا شيء. لا شيء هيرمافروديتوس. وداعاً".

يُظهر المقطع السابق عمق المحنة التي انتهت إليها البطل عن طريق انتفاء الجنس عن الأسماء المذكورة، التي شكلت من خلال التضام مجموعة من عناصر الحياة: الحب، النسل، الأرض، الزراعة، الشمس، النور، النار. الفرح، المكان المقدس، كما تضامت مفردات متضادة كالضوء والفيء دلالة على انتفاء ما يجعل الحياة ممكنة، التي لخصها جميعاً بمفردة شاملة للعموم (شيء)، لذا أدى التكرار دوره الاتساق في ربط هذه المفردات المتناثرة شكلياً، لا دلاليّاً، ثم إيقاعياً في بعضها، التي أسهمت في تماسك النص على وفق رؤية الشاعر.

تكرار التشكيل البصري:

- علامة الترقيم النقطة (.) وهي علامة أساسية تكررت في النص كلّها، في موضعها المناسب للتزود بالنفس الضروري لمواصلة عملية القراءة، وجاءت في غير مكانها حيناً آخر، وكذلك عوضاً عن الفاصلة في ربط أجزاء الجملة، مما وُلد إشكالية قرائية أضعفت التماسك النصي في هذه المواضع. وفي تقديري، أن هذه (النقطة) ما هي إلا تعبير عن حدة التوتر والانفعال المتصاعد الذي لا علاقة له بوظيفة النقطة الأساسية.

- تكرار مقاطع تشتمل على الأعداد من صفر إلى ثلاثة وكتابتها رقماً باللغة الإنجليزية، على الصفحة بشكل عمودي، مرة بترتيب تصاعدي، ومرة أخرى بترتيب تنازلي، هكذا: (١)

"متى يبدأ العد / 3 / 2 / 1 / 0 / متى يبدأ العد / 3 / 2 / 1 / 0"

(١) سميح القاسم، ص ١٥. كتابة المقطع في الديوان تختلف عما أثبتته في المتن لغايات فنية.

ولقد ولد هذا التكرار عدداً من الأسئلة، لِمَ هذا التكرار وما وظيفته الدلالية؟ ولمَ انفرد كلُّ رقم بسطر كامل، علماً أن السواد قد غطى مساحة كبيرة من الورق في معظم المقاطع؟

إن جملة (متى يبدأ العدّ) جملة تحمل في طياتها معنى مضمراً يتمثل في مطالبة الشاعر من المخاطبين في مقاطع سابقة، أن يباشروا بالعمل الحقيقي في المؤازرة والنصرة والدفاع عن الوطن المحتل؛ لذا كانت البداية مع العدد (٣) للانطلاقة الجديدة، وبيدنا هذا ببعض بدايات الألعاب الرياضية لانطلاق إشارة البدء، ثم لتحقيق هذه الأمنية عكس الأرقام، وكأنه يقول: المهم أن تبدءوا، ولو كان من مرحلة الصفر انطلاقاً إلى النهاية. لكن التكرار الثالث في نهاية القصيدة، وبعد مدة زمنية من التكرار الأول، بدأ هكذا: "(١) وداعا / 3 / 2 / 1 / 0 وداعا.. وداعا.. وداعا.. وداعا.."

هكذا ينتهي الصراع بأن يبقى البطل وحيداً دون مناصر، وبلا قرار محدد، وينتهي مع الرقم (صفر) الذي هو في هذا الموضع علامة انتهاء لا علامة انطلاق كالسابق، وعلامة استسلام وإحباط دلاليّاً وبصريّاً؛ مما عزّز من أواصر الاتساق وعُرى التماسك النصي. ثم تكرر علامة الترقيم (..) وما تحمله من توتر طاغ يتطلب وقفة حزينة أطول، ونحن نودع هذا البطل، رغبة في البقاء معه لحظة التوديع أكبر مدة ممكنة.

ب- التّضام: (ثنائيات التّألف، والتّعارض)

التّضام يعني "توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظراً إلى ارتباطهما بحكم علاقة من العلاقات، والعلاقة التي تحكم هذا التزاوج في خطاب ما، هي

(١) سميح القاسم، ص ٣٦.

علاقة التعارض، أو التضاد أو الكل والجزء، أو الجزء- الجزء، وغالباً ما يحدد ذلك حدس المتلقي الذي يخلق سياقاً تترابط فيه العناصر المعجمية اعتماداً على ثقافته ومعرفته بالمعاني^(١) كما تقوم علاقة التضام على استغلال الطاقات الإيحائية للكلمات والظلال التي تلقىها على المعاني المعجمية، خدمة لاتساق النص، وبناء هذه العلاقات لتشكيل البنية الكلية للنص. أما في هذا النص المطول فقد ظهرت مجموعة كبيرة من المفردات المعجمية المتألّفة والمتنافرة، يكتفى بذكر عرض منها كما وردت بعد نزعها من سياقها:

ثنائيات التآلف: (التزواج/الخصب)، (وردا/عشبا)، (الغيوب/الغاية)، (باسمي/ جسمي)، (الطرقات/ الردهات)، (الريح/الهبوب)، (الكرم/القوت)، (الحقل/القمح)، (الزرع/الضرع)، (الخير/الطهر)، (الكؤوس/الدوارق)، (الحفلة/الوليمة)، (إكليل/باقة)، (نبح/نهر)، (الدخان/الغبار)، (غازل/راود)

ثنائيات التعارض: (قليلًا/كثيرًا)، (تصلي/تغني)، (الدموع/الدماء)، (القصر/الكهف)، (القديم/الجديد)، (النور/الظلام)، (الجنون/الهدى)، (قليل/كثير)، (تبتهج/تكتئب)، (الجياع/التخمة)، (الحرب/السلام) (الروح/الجسد)، (سرا/ جهرا)، (الحياة/ الموت)، (الحضور/ الغياب)، (تعيش/ تموت)...

وإذا كان البحث في التضام هو بحث في علاقة لغوية تنتج تفسيراً ورؤياً^(٢) كان لزاماً أن نتوقف عند علاقة التضام في مقطع واحد، من قوله:^(٣)

"تظل منزهة حفنة الماء عن سطوة القرش في ما يتيح المحيط/ منزهة عن أفاعي البحار ومستنقعات السباخ الرهيبة. لا/ حفنة الماء تدري ولا حفنة الماء

(١) انظر: خطابي، السابق، ص ٢٥.

(٢) جان كوهن: بنية اللغة الشعرية، السابق، ص ٤٠.

(٣) سميح القاسم، نفسه، ص ٢٤.

ترضى. كفتها ملوحة/ محنتها القاسية/ لماذا إذن تزدريها الضفاف، ويستنكف الموج عنها. وتنبذها اللجة العاتية/ وتنكرها الغيمة الآتية/ وما شأنها حفنة الماء بالفيضان المدمر، ليست هناك. ولم تنخرط في انهيار السدود. ولا في اجتياح الحدود. ولم تستبح لقمة الأدميين. لم تكتسح علف الماشية"

ينبني المقطع السابق على توظيف الرمز الخاص الذي ابتكره الشاعر من معجمه الخاص، ويتمثل بـ(حفنة الماء) في صورتين متقابلتين ومتعارضتين؛ ففي الصورة الأولى تبدو حفنة الماء مسالمة يتبدى هذا من خلال ما يبثه إحياء مجموعة من المفردات المعجمية المصاحبة لهذه الصورة: النقاء والبعد عما يلوثها، الضعف والقلّة، الابتعاد عن مكامن الخطر (القرش وأفاعي البحار، والوقوع في المستنقع، البراءة وعدم العلم بما يخطط لها من مكائد، رفضها الدخول في صراعات لا تتعلق بها، والاكتفاء بمآسيها وأحزانها القاسية).

وفي الصورة الثانية، تبدو حفنة الماء مضطهدة، ومظلومة، ومحنتة، لذلك جاء سؤالها الاستتاري المتكرر الذي يثير مشاعر الحزن والمرارة لما تقابل به من ازدراء واستهانة وعزلة حاضراً ومستقبلاً، على الرغم من إعلان استنكارها وبراعتها من كل ما حصل للعالم من دمار، وقتل وتجويع، ولم تكن في يوم خصماً لأحد في هذا العالم. إنها صورة فلسطين (حفنة الماء) وما تواجهه في هذا العالم المتوحش من ظلم وعدوان وتهجير واحتلال واستيطان.

وبعد، فإن هذه الدراسة وقفت على بعض عناصر الاتساق النصي، واختارت نماذج دالة، قد تعطي فكرة عن هذه العناصر، وقد تبين أن النص يفتقر إلى كثير من آليات الاتساق، على الرغم من حضور كثير منها كالأحالات النصية، والوصل، والتكرار والتضام وغيرها، مما يعني أن تنهض آليات أخرى لرتق بعض الفجوات في النص، على افتراض عدم تحقق اتساق النص، وافتراض عدم وجود

نص منسجم بذاته؛ لذا يأتي دور المستوى الآخر، وهو المستوى الانسجامي، ودور القارئ لتحقيق النص على المستوى الدلالي.

المحور الثاني: انسجام الخطاب الشعري (هيرما فروديتوس):

الانسجام لغة هو ضم الشيء إلى الشيء^(١). وفي الاصطلاح هو مجموع الآليات أو العمليات الظاهرة والخفية التي تجعل قارئ خطاب ما قادراً على فهمه وتأويله، وهناك مجموعة من المبادئ والعمليات التي تسهم في تحقيق الانسجام.

ومن هذه المبادئ: مبدأ السياق الذي يتشكل من علاقة النص بالقارئ، وهذه تمكنه من تحديد ظروف القضية وزمانها ومكانها، ومبدأ التأويل المحلي الذي يرتبط بقرائن النص التي يؤول بعضها بعضاً، فنعرف موضوع النص، والقرائن والعلاقات التي تربط بين عناصره، ومبدأ التشابه ويتم عن طريق تشابه النص مع نصوص أخرى في القضية التي يقارنها، ومبدأ التغيريض؛ أي الموضوع الرئيس أو (النواة) التي يتمحور حولها الخطاب المدروس^(٢).

وفي الانسجام يبرز دور القارئ، وجهده التأويلي الذي يبذله لربط أجزاء النص دلاليًا، "وذلك بالتدرج في بنية معرفية كلية تكون بدايتها رصد العلامات الخفية التي تجعل من النص نصاً متماسك الوحدات، فالمتلقي المبدع له دور كبير في الحكم على انسجام النص من عدمه"^(٣).

وبناء على ذلك، فإن عناصر الاتساق السابقة في النص الذي أمامنا، قد نجحت وأدت دورها نسبياً، في تماسك النص، ولا نعني، هنا، الحكم على النص

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة (سجم).

(٢) خطابي، السابق، ص ٦٠.

(٣) فتحي الخوالدة، السابق، ص ٣٢.

بالجودة أو الرداءة، إلا أنها قصّرت في تحقيق التماسك النصي والترابط أحياناً، ونقصتها بعض العناصر؛ بسبب طول النص الذي غطى مساحة ثلاثين صفحة في الديوان، ما جعل الإمساك بعناصر الاتساق عملية صعبة، والأمر الآخر، أن هذا النص زاخرٌ بمرجعيات ورموزٍ أسطورية، تحتاج من القارئ إلى ثقافة ودرية ومهارة في تلقي مثل هذا النوع من النصوص.

أما في النص -موضوع الدراسة- فقد أسهمت المبادئ السابقة في تحقيق عمليات أساسية ساعدت في بناء الانسجام، ومن أدوات تحديده: البنية الكلية/ موضوع الخطاب، والعنوان والتكرير، والمعرفة الخلفية.

البنية الكلية/ موضوع الخطاب:

يقصد بالبنية الكلية أن يكون للخطاب جامعٌ دلالي وقضيةٌ موضوعية يتمحور النص حولها، ويحاول تقديمها بأدوات متعددة، إنها مفهوم حدسي مفترض يسعى المتلقي إلى تقديمه وتجسيده بأدواته الخاصة^(١). كما أنها "الأساس في فهم النص وانسجامه انطلاقاً من الوظيفة التي يقوم على تأديتها، فهو إذن أداة إجرائية وبنية دلالية تختزل الإخبار الدلالي وتنظمه وتصنّفه"^(٢). ويرى (فان دايك) "أن لكل خطاب بنية كلية ترتبط بها أجزاء الخطاب"^(٣) وعليه فإن نص سميح القاسم هذا يثير جملة من الأسئلة التي تشكل بنيته الأساسية؛ ما دلالة العنوان؟ وإلى أي حد استطاع أن يحمل رؤيا الشاعر؟ وماذا يريد أن يقول؟ لماذا استدعى الأسطورة

(١) انظر: خطابي، السابق، ص ٤٦. وانظر: سامح الرواشدة، "قصيدة الوقت لأبونيس، ثنائية الاتساق والانسجام"، مجلة دراسات، الجامعة الأردنية، العدد ٣، تشرين الأول، ٢٠٠٣، ص ٥٢٢.

(٢) انظر: خطابي، السابق، ص ٤٢.

(٣) خطابي، السابق، ص ٤٦.

وبعض رموزها الأسطورية؟ ما العلاقة بين الرمز الأسطوري القديم؟ والرمز الذي أسطره القاسم في الخطاب، وأسقط حملته الثقافية والتاريخية عليه؟ وهل وفق الشاعر في توظيفه للتناص والرمز لحمل رؤيته المعاصرة. كل هذه الأسئلة وغيرها تبدو مشروعة للقارئ.

اشتغل الشاعر على قضية أساسية، نستطيع تلمس معالمها عن طريق معرفتنا الخلفية بالشاعر، فهو شاعر من شمال فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨، وهو أحد أهم شعراء المقاومة الفلسطينية، والمتصفح لمجمل إنتاجه الشعري، ومتابعة تجربته الشعرية الطويلة، واقتترانه بصديقه الشاعر محمود درويش يتوصل إلى أن فكرة الشاعر في هذه القصيدة ستدور حول القضية الفلسطينية، على الرغم أنه لم يذكرها في النص، وهذا أمر مألوف في الشعر الحدائي الذي أخذ ينطلق إلى عوالم حدائية، تتأى عن المباشرة التعبيرية والخطابية كما في الشعر القديم؛ لذا وظف الشاعر الأسطورة والكلمات الموحية وكثيراً من سمات شعر الحدائية لتحقيق شعرية النص.

وبعد بناء هذه الفرضية، يمكن الاطمئنان إلى القول إن القضية الأساسية في القصيدة تكمن في العنوان/ هيرما فروديتوس، هذا الكائن المتشكل من كائنين وكيانين في جسد واحد^(١) ومن هذه الفكرة يمكن العثور على ضوء خافت في عتمة نفق التأويل للبحث عن دلالة ما.

من هذه الفكرة (صراع الهوية) يمكن أن ننطلق، لأن القصيدة مبنية على ثنائية الأنا والآخر المحتل والمختلف ثقافياً ودينياً وفكرياً، وينبغي أن يتنبه القارئ

(١) انظر: عمر شبانة، هوية سميح القاسم في صراع الكيانيين، الحياة، الجمعة، ٤ كانون

الثاني، ٢٠١٣.

إلى أن الشاعر لا يناقش مسألة الوطن البديل أو مسألة التجنيس البتة، فالرؤية في النص لا تتعلق بهذا الجانب إطلاقاً، بل تحملهما أكبر، إذن إنها مسألة صراع ووجود، إثبات ونفي، محتل (باسم الفاعل) ومحتل (باسم المفعول) وقضية الفلسطيني العربي وهو يواجه الطغاة والمحتلين، ويتعرض إلى مؤامرة التهويد والتهجير يومياً. وتتمحور الفكرة الرئيسية التي يمكن إسقاطها على القصيدة حول ذلك التصور لمشروع عدميّ فاشل يظنُّ إمكانية اتحاد الشعب الفلسطيني، وبخاصة أبناء شمال فلسطين، مع دولة الاحتلال الصهيوني في دولة ممسوخة تحمل صفات الذكر والأنثى على هيئة (خنثى) هذا المخلوق الذي يعادل (العقم).

ولكن كيف عالج القاسم هذه الفكرة شعرياً؟ عالجهامند أن استدعى رمزاً أسطورياً (هجيناً) وجنساً ثالثاً لا هو بالذكر ولا هو بالأنثى (هيرمافروديتوس الخنثى) نتيجة حالة التزاوج الأسطوري بين (هيروميس) و(أفروديت) ولقد تنبأ الشاعر/ العزاف لهذا المولود المزدوج (المتوج بالخصب)، ومنذ اللحظة الأولى من أنه سيكون (طفل المآسي). فالى أي حدّ يمكن لهذا الكائن أن يقيم علاقة طبيعية مع الآخر. إن موضوع الخطاب إذن يتمحور حول ثيمة الهوية الفلسطينية، والصراع القائم بين كيانين وهويتين: الكيان الفلسطيني وهويته العربية، وكيان صهيوني احتلالي، يحاول طمس هوية الأول، وطرده من أرضه. بل يسعى لفضها عليه بالقوة.

لذا، انبثقت رؤيا الشاعر الواضحة لحلّ هذا الإشكال القومي الكبير بتكوين كيان واحد يضم الكيانين في جسد واحد، بعد أن توزع بين (حب الغناء القديم) وعدم سماعه (لضجيج الأغاني الجديدة)، لكن الشاعر نجده أخيراً ينهي مأساة البطل الأسطوري وودعه وحيداً، في صورة رافضة للآخر إلا في السياق الذي رآه،

وهو سياق التعايش لهويتين وعرقين وجنسين في وطن واحد، يحتضن الجميع، وتمثل فيه قيم المحبة والعدالة والسلام.

العنوان والتكرار:

يورد (جينيت) تعريف (ليو هوك) أحد مؤسسي علم العنوان المعاصر، للعنوان والذي يولي فيه القارئ أهمية قصوى، فيقول: "إن العنوان مبنى وشيء مصنوع لغرض التلقي والتأويل"⁽¹⁾، وبما أنه كذلك فقد ظهر العنوان بارزاً في أعلى النص متفرداً بسطر وبخط أسود عريض، وفي كلمة واحدة، لما يشكله هذا الرمز المحوري من دلالة شكلية وموضوعية، كانت كل العناصر والعلاقات والإحالات النصية والمقامية تتوجه إليه؛ لأنه يعبر عن القضية الجوهرية في الخطاب.

وإذا توجهنا إلى مقاطع النص، سوف نجد أن العنوان قد تكرر أكثر من ثلاثين مرة بذكره صراحة، ثم توجهت إليه معظم الإحالات والضمائر وأدوات الربط والوحدات المعجمية، الذي ساعد في عمليات الربط والاتساق؛ فبدأت القصيدة بالبطل، والإعلان عن ولادته المدهشة (ضجيج الحياة الجديدة) وتشكله من (نزوة المعجزات) ثم تسميته، مع التنبؤ له بمصير مأساوي، والتوقع لهذا الكائن أن تصلي له الجبال، وأن ترعاه حوريات الكهف التي تحب عمل الخير، كما ترتبط به رموز أسطورية أخرى، ليبدأ رحلته في هذه الحياة (بلا وضوح ولا وجهة) ليغامر ويسافر ويحارب ويسالم ويقاوم وأن يخوض مصاعب الحياة، فهو (سليل الهواجس

(1) Genett,G.1988.: Structure and Functions of the Title to The Title in Literature". Critical Inquiry 14.pp.692-693.

نقلاً عن: نريمان الماضي، العنوان في شعر عبدالقادر الجنابي، إيلاف، ع ٥٢٢١، الاثني، ٧ سبتمبر، ٢٠١٥.

والنار)، وينمو (كما يشتهي الطين والنار) وما اتحاد هذين العنصرين إلا على كينونة عجيبة، تجمع بين عالم الإنس والجن، ثم لتقلنا مقاطع لاحقة إلى علاقته بـ(سالماكيس) تلك الحورية الجميلة التي تفتن به، وتجمع بين الإثارة والشهوة، ويغشى عليها عندما رآته يستحم في البحيرة، حسب الأسطورة، فتدعو الآلهة أن يتحدا في جسد واحد لتتم مباركة الآلهة بالزواج والاتحاد أيضاً، والانتصار الأثوي على الذكورة بغير إرادة منه، بل بإرادة الآلهة. ثم تتكشف القصيدة لتعبر عما لقيته (سالماكيس) من مصاعب، فظهرت اللغة أكثر انكشافاً ووضوحاً وتماسكاً، حين سلبتها الحروب ذراعيها الناعمين، وعضها مجلس الأمن عنهما بذراعين من معدن لا يصدأ.

وتكتمل قصة (البطل) بظهور (النشوء العظيم) قيام الدولة و(مهرجان التعدد) و(الطقوس المباركة) والارتقاء (على الدهر جيلاً فجيلاً)، وهذا يمثل عنفوان الاكتمال، لتنتقل فاعلية الخصب بين هويتين متعايشتين، ومتصارعتين معاً، لكن المأساة تكمن في بقاء البطل منبوذاً من آلهة الغيب نتيجة أوهامه البشرية، كما نبذه الآدميون بسبب ألوهيته: "ويحبط، تنبذ آلهة الغيب أوهامه البشرية، ينبذه الآدميون: لا. لست منا. وما كنت منا. وما أنت منا... ليذبل ياسا. وخوفا. وحرزنا"^(١)، وأدارت الأيام له ظهرها، كما يتبدى الصراع بين ثنائية (حارب وسالم) ونداء (قاتل وقاوم)، وليس لديه خيار. فهو مشتت الذهن بين غضب السابقين، وحب سماع الأغاني القديمة (العرب، التاريخ، الحضارة، التراث..). كما نراه موزعاً بين (لثغة الطفل) الأفكار الجديدة، و(حكمة الشيوخ) وما تعبر عنه من رؤية وسبل

(١) سميح القاسم، ص ١٤.

خلاص، لينتهي أخيراً وحيداً دون قرار ثابت، ورافضاً لكل صور العدوان إلا على أساس من تعايش الهويتين في وطن للجميع^(١).

الخلفية المعرفية:

الخلفية المعرفية أداة من أدوات انسجام الخطاب، تتلخص بأن القارئ حينما يواجه خطاباً، كهذا الخطاب، لا بدّ من مواجهته مستعيناً بمعرفته الخلفية، ويقصد بها ثقافة القارئ، ومكوناته المعرفية التي يستدعيها للنهوض بتأويل هذا النوع من الخطابات الشعرية، وبقدر معين من تصوراته الذهنية حول الموضوع، يضاف إليها مجموع خبرات المتلقي التي اكتسبها في الحياة. وكذلك الشاعر فإنه لا يقدم نصه إلا بناءً على ما يستحضره من خلفيته المعرفية والثقافية، وتجربته الشعرية. ونتيجة هذا فإن المشترك الثقافي بين المنتج والمتلقي هو الأساس الذي تبنى عليه آليات الانسجام والتأويل، ناتج عن هذه المعرفة المشتركة.

وإن القارئ لهذا النص لا بد من أن تتجمع لديه معلومات عن الأساطير اليونانية، والرجوع إلى معاجم الأساطير للتعرف إلى المرجعيات التي استقى منها الشاعر نصه، ومدى اتفاق الشاعر أو اختلافه معها، لتبين العلاقات ومدى الاستفادة من المرجعيات السابقة، واستخلاص الدلالات المتوقعة منها. ولا سيما أن النص يزخر بعدد وافر من الرموز الأسطورية التي لا يمكن للمتلقي فك شفراتها التأويلية إلا بالاطلاع عليها.

إن القارئ حين يتناول هذا النص فإنه سيستدعي من الذاكرة ما سمّاه (منسكي Minsky) بـ(الأطر المعرفية) التي يتناول منها ما هو نافع للتأويل، ويستبعد منها ما هو غير ضروري، ويمكن الإطار من تمثيل المعرفة وإدراجها

(١) انظر، عمر شبانة، السابق.

ضمن نسق من العلاقات بين الموضوعات والأحداث. ويمكن من التذكر والاسترجاع والتوقع؛ نتوقع سقوط المطر بمجرد سماع صوت الرعد، لأننا نتوقع المطر والرعد والظلمة واللباس الكثيف ضمن إطار واحد^(١)، ما يحفز على القراءة الواعية، فيكون عندها مشاركاً المبدع في النص، بما يضيفه عليه من تصورات معرفية.

ويتبع هذا معرفتنا بالشاعر، سميح القاسم، وما اتصف به شعره من سمات فنية، وما يحمله من رؤى، والموضوعات المحورية في شعره؛ إذ من المعروف عن سميح القاسم أنه شاعر ذو ثقافة واسعة، وله تجربة شعرية حدائثة ثرية، وظّف من خلال ثقافته الرموز والأسطورة بما يخدم تجربته، والانزياح بأنواعه، ويرع في رسم الصورة الشعرية، واستخدم تقنية التناص واستدعاء قصة نبي الله يوسف، عليه السلام، والمفردات الموحية في مهارة وبراعة، وهذا ما نجده مستثماً في هذا النص، وهو ما ليس بمقدورنا في هذه الدراسة أن نبسط القول فيه.

(١) انظر، عبد الإله سليم، التوليد الاستعاري، rhetoricreception.wifeo.com

الخاتمة:

خلصت هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج، نجملها فيما يأتي:

- ١- تبيّن من النص أن الشاعر قد استدعى أسطورة (هيرما فروديتوس) ووظّفها توظيفاً حسناً؛ لتحمل رؤيته للواقع العربي والفلسطيني على وجه الخصوص، وما يتعلق به من مسألة صراع الهوية.
- ٢- كان للعنوان دورٌ واضح في رسم خريطة النص القرائية، عن طريق الإحالات النصية والمقامية.
- ٣- كانت الضمائر أكثر الروابط الإحاليّة التي اعتمدها الشاعر، بأنواعها: ضمائر المتكلم، والمخاطب، والغائب، وتنوع استخدامها في المقاطع بحسب رؤيا الشاعر.
- ٤- تبيّن أن النص متماسك عن طريق الإحالات المتعددة، والعناصر المحيلة.
- ٥- كانت علامة الترقيم (النقطة) علامة متكررة، ليس في نهايات الجمل، بل في كثير من المواضع داخل الجملة الواحدة، مما يوقع القارئ في التعمية الدلالية.
- ٦- يعد الحذف والاستبدال من الروابط الإحالية التي أسهمت في تماسك النص واتساقه، مع الاختلاف الطفيف بينهما.
- ٧- أدى التكرار، الذي هو عنصر من عناصر الاتساق، وآلية من آليات الانسجام دوراً في تماسك النص، موضع الدراسة؛ إذ كان حاضراً بأشكاله المتنوعة، ما أسهم في ترابط الوحدات المعجمية فيما بينها سواء أكانت متجاورة أم متباعدة.
- ٨- كان لآليات الانسجام دور واضح في تعويض النقص الذي لم تحققه أدوات الاتساق.

٩- انطلق النص من فكرة محورية، ورؤية الشاعر للعالم عن طريق توظيف الأسطورة التي حملت مضامين هذه الرؤية التي تتعلق بمسألة إثبات الهوية الوطنية، وتقديم تصور إنساني للتعايش السلمي، بين هويتين متصارعتين على وطن واحد. ويتبين من النص أن هذا التصور مشروع فاشل غير قابل للحياة، وهو على هذا الأساس (خنثى) يعادل العقم تماماً.

قائمة المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. أحمد رحاحلة، توظيف الموروث الجاهلي في الشعر العربي المعاصر، ط١، دار البيروني للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٨.
٣. أحمد عفيفي، نحو النص (اتجاه جديد في الدرس النحوي)، ط١، مكتبة زهراء الشرف، القاهرة، ٢٠٠٤.
٤. أنس داود، الأسطورة في الشعر العربي الحديث، ط١، مكتبة عين شمس، القاهرة.
٥. براون، يول، تحليل الخطاب، ترجمة محمد لطفي الزليطني، منير التريكي، جامعة الملك سعود، ١٩٩٧.
٦. ابن جني (أبو الفتح، عثمان ت٣٩٢هـ)، الخصائص، ج٢، تحقيق عبدالحميد هنداوي، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢.
٧. جون كوين، بناء لغة الشعر، ترجمة وتقديم وتعليق: أحمد درويش، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، أكتوبر، ١٩٩٠.
٨. جون لاينز، اللغة والمعنى والسياق، ترجمة عباس صادق الوهاب، مراجعة يونيل عزيز، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.
٩. خليل الموسى، بنية القناع في القصيدة العربية المعاصرة، الموقف الأدبي، عدد ٣٣٦، نيسان، ١٩٩٩.
١٠. ديان مكدونيل، مقدمة في نظريات الخطاب، ط١، ترجمة عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية.
١١. روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، ط١، عالم الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٨.

١٢. روبرت سي هولب، نظرية الاستقبال، ترجمة رعد عبدالجليل، دار الحوار، اللاذقية، ١٩٩٢.
١٣. الزمخشري (أبو القاسم، محمود بن عمر)، المفصل في الإعراب، دار الهلال، بيروت، ٢٠٠٣.
١٤. سامح الرواشدة، ثنائية الاتساق والانسجام في قصيدة الوقت، مجلة دراسات، الجامعة الأردنية، ع٣، مجلد ٣٠، ٢٠٠٣.
١٥. سامح الرواشدة، قصيدة الوقت لأدونيس، ثنائية الاتساق والانسجام، مجلة دراسات، الجامعة الأردنية، العدد ٣، تشرين الأول، ٢٠٠٣.
١٦. سعيد بحيري، علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، ط١، الشركة المصرية.
١٧. سميح القاسم، هيرمافروديتوس وقصائد أخرى، ط١، منشورات وزارة الثقافة، عمان، ٢٠١٢.
١٨. صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ط١، ج٢، دار قباء، القاهرة، ٢٠٠٠.
١٩. فتحي الخوالدة، تحليل الخطاب الشعري (ثنائية الاتساق والانسجام في ديوان "أحد عشر كوكباً" ط١، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٦.
٢٠. عمر شبانة، هوية سميح القاسم في صراع الكيانين، الحياة، الجمعة، ٤ كانون الثاني، ٢٠١٣.
٢١. فولفجانج هانيه من، ديتير فيهفيجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، ط١، جامعة الملك سعود للنشر العلمي والمطابع، ١٩٩٩/هـ١٤١٩.
٢٢. الفيروزآبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب)، القاموس المحيط، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، مادة (وسق).

٢٣. محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام النص، ط١، المركز الثقافي العربي، ١٩٩١.
٢٤. محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، (د.ط)، ج١، المؤسسة العربية للتوزيع، ٢٠٠١.
٢٥. محمد مفتاح، دينامية النص (تنظير وإنجاز)، ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٠٠.
٢٦. محمد مفتاح، التشابه والاختلاف، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٦.
٢٧. معجم الأعلام في الأساطير اليونانية والرومانية، ط٢، ترجمة أمين سلامة، مؤسسة العروبة للطباعة والنشر، مصر، ١٩٨٨.
٢٨. محمود أحمد نحلة، مدخل إلى دراسة الجملة العربية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، الإسكندرية.
٢٩. محمود بو ستة، الاتساق والانسجام في سورة الكهف، رسالة جامعية، إشراف السعيد هادف، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، ٢٠٠٨/٢٠٠٩.
٣٠. محمود عباس عبدالواحد، قراءة النص وجماليات التلقي، ط١، دار الفكر العربي، مدينة نصر، ١٩٩٦.
٣١. مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة، ط١، الشركة المصرية العالمية، لونجمان، القاهرة، ١٩٩٧.
٣٢. ابن منظور، (٧١١هـ)، لسان العرب، اعتنى بتصحيحه أمين محمد عبدالوهاب ومحمد الصادق، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٦م.
٣٣. نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، ط٧، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٣.

٣٤. نريمان الماضي، العنوان في شعر عبدالقادر الجنابي، إيلاف،

ع ٥٢٢١، الإثتين، ٧ سبتمبر، ٢٠١٥.

٣٥. وداد ميهوبي: الجملة بين النحو العربي واللسانيات المعاصرة

(مفهومها وبنيتها)، رسالة جامعية، إشراف عياش فرحات، جامعة

الحاج لخضر - باتنة، الجزائر، ٢٠٠٩-٢٠١٠.

٣٦. يحيى عابنة- آمنة صالح الزعبي، عناصر الاتساق والانسجام في

قصيدة "أغنية لشهر أيار" مجلة جامعة دمشق - المجلد ٢٩ - العدد (٢+١)

٢٠١٣.

الكتب بالإنجليزية:

1. Howe&Hareer, A Handbook of classical Mythbology Crystal, the Cambridge Encyclopedia.
2. Genett,G.1988. "Structure and Functions of the Title to The Title in Literature". Critical Inquiry 14.
3. Halliday and ruqaiya Hasan, Cohesion in English, Longman, London, 1976.

List of sources and references:

1. alquran alkarimu.
2. 'ahmad ruhahilat, tawzif almawruth aljahiliu fi alshier alearabii almaeasiri, t 1, dar albiruni lilnashr waltawziei, eamaan, 2008.
3. 'ahmad eafifi, nahw alnas (atijah jadid fi aldars alnahway), t 1, maktabat zuhara' alshurf, alqahirat, 2004.
4. 'anas dawid, al'usturat fi alshier alearabii alhadithi, t 1, maktabat eayan shamsa, alqahirat.
5. birawun, yawili, tahlil alkhitabi, tarjamat muhamad ltfy alzlytny, munir altarikii, jamieat almalik suewad, 1997.
6. abn janiy (abu alfath, euthman t 392 h), alkhasayis, j 2, tahqiq eibdialhamid hindawi, t 2, dar alkutub aleilmiati, biarut, 2002.
, jun kuayn, bina' lughat alshueri, tarjamatan wataqdim wataeliqua: 'ahmad drwysh, alhayyat aleamat liqusur althaqafati, misr, 'uktubar 1990.
8. jun laynza, allughat walmaenaa walsiyaqu, tarjamat eabbas sadiq alwahab, murajaeatan yawyiyl eaziz, t 1, dar alshuwuwn althaqafiat aleamati, baghdad.
9. khalil almusaa, binyat alqunae fi alqasidat alearabiat almueasirt, almawqif al'adbay, eadad 336, naysan, 1999.
10. dian makdunil, muqadimatan fi nazriat alkhitabi, t 1, tarjamat eizi aldiyn 'iismaeil, almuktabat al'ukadimiat.
11. rubirt di bujranid, alnasa walkhitab wal'ijra'i, tarjamat tamam husaan, t 1, ealam alkutub almasriati, alqahirat, 1998.
12. rubirt sy hulib, nazariat alaistiqbali, tarjamat red eibdaljilil, dar alhawar, allaadhiqiat, 1992.
13. alzamkhashariu (abu alqasim, mahmud bin eumr), almufsil fi al'iierab, dar alhalal, bayruut, 2003.

14. samih alruwashdt, thunayiyat alaitisaq walainsijam fi qasidat alwaqt, majalat darasat, aljamieat al'urduniyat, e 3, mujalad 30, 2003.
15. samih alruwashdt, qasidat alwaqt li'adunisi, thunayiyat alaitisaq walainsijami, majalat dirasati, aljamieat al'urduniati, aleadad 3, tishrin al'awl, 2003.
16. saeid bihayri, eilm lughat alns: almufahim, t 1, alsharikat almisriat.
17. samih alqasim, hirmafrwdytws waqasayid 'ukhrra, t 1, manshurat wizarat althaqafati, eamaan, 2012.
18. sabhi 'iibrahim alfaqi, eilm allughat alnasiu bayn alnazariat waltatbiqi, t 1, j 2, dar qabaa', alqahirat, 2000.
19. fathi alkhualidatu, tahlil alkhitaab alshaerii (thnayiyat alaitisaq walainsijam fi diwan "ahd eshr kawkba" t 1, 'azmanatan llnashr waltawziei, eamaan, 2006.
20. eumar shabaanat, huiat samih alqasim fi sirae alkianini, alhayati, aljumeati, 4 kanun althaani, 2013.
21. fawlfjanj hanih min, ditr fihfijr, madkhal 'iilaa eilm allughat alnasi, t 1, jamieat almalik sueud llnashr aleilmii walmatabiee, 1419 h / 1999.
22. alfyruzabady (mjid aldiyn muhamad bin yequb), alqamus almuhitu, almuasasat alearabiat liltabaeat walnushri, bayrut, madatan (wsq).
23. markaz althaqafat alearabi, 1991.
24. muhamad alshaawish, 'usul tahlil alkhitaab fi alnazariat alnahwiat alearabiati, (d.t), j 1, almuasasat alearabiat liltawziei, 2001.
- (1) muhamad mufataahi, dinamiat alnas (tnazir wa'iinjaza), t 1, almarkaz althaqafiu alearabii, bayruut, 1900.
26. miftah mufataahin, altashabuh walaikhtilafu, almarkaz althaqafiu alearabiu, bayrut, 1996.

27. maejim al'aelam fi al'asatir alyunaniyat walruwmaniat, t 2, tarjamat 'amin salamati, muasasat aleurubat liltabaeat walnashri, misr, 1988.
28. 'ahmad 'ahmad nihlat, madkhal 'iilaa dirasat aljumlat alearabiati, dar alnahdat alearabiati liltabaeat walnashri, al'iiskandariyat.
29. bu bu satata, alaitisaq walainsijam fi surat alkihfi, risalat jamieiat, 'iishraf alsaeid hadif, jamieat alhaj lakhadir, biatnat, aljazayir, 2008/2009.
- mahmud eabbas eabdalwahid, qara'at alnas wajimaliaat altalqi, t 1, dar alfikr alearabii, madinat nasur, 1996.
31. mustafaa hamidat, nizam alairtibat walrabt fi tarkib aljamilat, t 1, alsharikat almisriyat alealamiati, lawanajaman, alqahirat, 1997.
32. abn manzuru, (711 h), lisan alearab, aietanaa bitashihih 'amin muhamad eabdalwhab wamuhamad alssadiq, t 1, dar 'iihya' alturath alearabii, bayrut, 1996 m.
33. nazik almalayikati, qadaya alshier almaeasiru, t 7, dar aleilm lilmalayini, bayruut, 1983.
34. nuriman almadi, aleunwan fi shaeer eabdalqadir aljanabi, 'iilaf, e 5221, alaithnayni, 7 sibtambur, 2015.
35. wadad mihuby: aljumlat bayn alnahw alearabii wallisaniaat almueasira (mfahumiha wabanyatiha), risalat jamieiat, 'iishraf eiash farahat, jamieat alhaji likhudr– biatnat, aljazayir, 2009–2010.
36. yahyaa eababt – aminat salih alzaebi, eanasir alaitisaq walainsijam fi qasida "aghaniyat lishahr 'ayaar" majalat jamieat damshq– almajalid 29 – aleadad (1 + 2) 2013.

(مع التراث اللغوي المحقق)

تعليقات واستدراكات لغوية

د. منصور عبد الكريم الكفاوين(*)

الملخص

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله الكريم، وعلى آله، وصحبه ومن والاه.

فهذه خواطر، وتعليقات، وتنبهاتٌ بدت لي وأنا أقرأ في مصادر التراث اللغوي المحقق، قرأتُ فيها غيرَ مرة قراءةً مستفيد -على تباعدٍ في الزمن بينها- وكنت أدون ما جرى به القلم من ملاحظاتٍ واستدراكات، أو تعليقات في أوراقٍ مستقلة. ولما تجمّع لديّ عددٌ منها رأيتُ أن ألمّ شعنها، وأن أنشرها مجتمعةً؛ إتماماً للفائدة من جانب، وخدمةً للتراث اللغوي المحقق من جانب آخر. استدراكاً وتصويباً، وضبطاً لهذه النصوص، لكي يفيد منها القارئُ بله المحقق.

وتتوزّع هذه التنبهات، والاستدراكات بين أخطاء الضبط، والتصحيح، والتحريف، وكذا أخطاء قراءة الشعر، وعزوه، وأخطاء الطباعة وغيرها، واللّه أسأل أن يوفّقنا لخدمة هذه اللّغة عالمين ومتعلّمين.

(*) الأستاذ المشارك/ قسم اللغة العربيّة وآدابها/ جامعة الحسين بن طلال.

(With the incontestable linguistic heritage)
Comments and linguistic rectifications

ABSTRACT

Praise be to God, and blessings and peace upon the messenger, and his family and companions.

These are reflections, comments and alerts that came to my mind while I was reading the sources of incontestable linguistic heritage, which I used to read and benefit – in distant periods of time- where I used to write notes, rectifications, or comments on separate sheets of paper. As I collected sufficient rectifications, and comments, I decided to publish them so that others would benefit from them and that would also serve the incontestable linguistic heritage in terms of rectifications and correction for these contexts that would be beneficial for those who are concerned.

These alerts and rectifications are distributed between the mistakes of adjustment, change and distortion as well as the mistakes of reading poetry and attributing it, in addition to mistakes in printing and others. I hope that God would help us to serve our language either as scholars or learners.

من ذلك ما جاء في نشرة "تصحیح الفصحیح" لابن دُرستويه^(١): فإن نُبِحَتْ مُهراً كريماً...، والصواب نُتِجَتْ^(٢).

ومن ذلك ما جاء في نشرة الاقتضاب للبطلْيوسِيّ^(٣): ((ويذكر الشّفة، وما فيها من عَلمٍ، أو فَلَاحٍ، أو تَقْلَص)) والصواب: أو فَلَاحٍ بالحاء، والفَلَاحُ: "الشَّقُّ في الشّفة السُّفلى فإذا كان في العُليا فهو عَلمٌ"^(٤).

وفي موضع آخر من الاقتضاب جاء فيه^(٥): "ويقوي هذا الجواب ويدلّ على صحته، أنك تجد الواو التي يلزم إمامها إذا وقعت بعدها ألف، لم يعلّوها في نحو النَّزْوان والكروان؛ لئلا يلزم حذف أحد الألفين، فيلتبس فَعْلان بفعال، ولم يأت في الكلام إعلال العين وتصحيح اللام، إذ كانا جميعاً حرفي علة، إلا في مواضع يسيرة شدّت عمّا عليه الجمهور نحو: آية، وغاية، وطاية، وغاية".

إمامها: قلتُ لعلّها: إبقاؤها، أو إقرارها، وقد بحثتُ في المظانّ المختلفة فلم أجد "إمامها" بهذا المعنى، وما عليه المعاجم: إمامُ الرجل بامرأته: إعراسه بها^(٦).

(١) ابن درستويه، أبو محمد عبدالله بن جعفر (ت ٣٣٧هـ)، تصحیح الفصحیح، تحقيق محمد بدوي المختون، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ط ١، القاهرة، ١٩٩٨، ص ٧٩.

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر، ط ١، بيروت، ١٩٥٥: رجأ، كفاً، نتج.

(٣) البطلْيوسِيّ، أبو محمد عبدالله بن محمد بن السّيد (ت ٥٢١هـ)، الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، تحقيق مصطفى السقا ود. حامد عبدالمجيد، مطبعة دار الكتب المصريّة، القاهرة، ١٩٩٦، ١٥٠/١.

(٤) اللسان، فَلَاحٍ.

(٥) البطلْيوسِيّ، الاقتضاب ١/١٦٣.

(٦) اللسان، لمم، وفي الصحاح، لمم: "الإمام: النزول، وقد أَلَمَّ به أي نزل به". الجوهري، إسماعيل بن حماد، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، ط ٤، بيروت، ١٩٨٧.

وجاء في الاقتضاب أيضاً^(١): "حششتُ البعير، وخزمته وأبريته..... بألف"،
والصواب: حششتُ البعير^(٢).

وفيه أيضاً^(٣): "ولا يُستكر أن يقال من هذا ماءً مالِحٌ، على معنى التّسب،
كما قالوا.. أدرس المكان فهو دارس، وأبقل المكان فهو باقل". أدرس: تحريف،
والصواب: "أورس المكان فهو وارس.. جاء في اللسان^(٤) "أورس المكانُ وأورس
الرّمثُ أي: اصفرَّ ورَقُّه بعد الإدراك فصار عليه مثل الملاء الصّفر فهو وارس".

قال الزّجاج^(٥): "ورس الرّمث، وأورس إذا اصفرَّ، والرّمث ضربٌ من الشجر".

ومما جاء في الجزء الأول من الاقتضاب^(٦): "فإذا رأوا متأدّباً محروباً قالوا:
أدركتُهُ حُرْفَةَ الأدب...".

محروباً: الصواب: محروفاً. رجلٌ مُحارَفٌ: محدود، وحورِفٌ فلانٌ، وأدركتُهُ حُرْفَةُ
الأدب^(٧).

وفيه كذلك: وكذلك قال الشاعر:

(١) الاقتضاب ١١٦/٢.
(٢) اللسان، حشش. جاء في نوادر أبي مسحل: "أبريتُ الناقَةَ، وحششتُها"، أبو مسحل الأعرابي، النوادر،
تحقيق عزة حسن، مجمع دمشق، ط١، ١٩٦٥، ٤٩٥/٢.

(٣) الاقتضاب ٢٢٥/٢.
(٤) اللسان، ورس.

(٥) الزّجاج، فعلت وأفعلت، ضمن الفصح لثعلب، ص٨٨، وقال الجوهري: "وأورس المكان فهو وارس
وهو من النوادر"، ابن السكيت، إصلاح المنطق، ص٣٦٣ الجوهري، الصّحاح، ورس، والصنقي، ابن
القطّاع (ت ٥١٥هـ)، كتاب أبنية الأسماء والأفعال والمصادر، تحقيق د. أحمد محمّد عبدالدايم،
مطبعة دار الكتب المصرية، ط١، القاهرة، ١٩٩٩، ص٣٤٤، وابن قتيبة، أدب الكاتب، ص٤٩٦،
واللسان ٤١٥/٨ يفع. وانظر: ارتشاف الضرب، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق مصطفى النّحاس،
١٥٠/١.

(٦) الاقتضاب ٤٠/١.
(٧) الزمخشري، جار الله محمود بن عمر، أساس البلاغة، تحقيق باسل عيون السود، دار الكتب
العلمية، ط١، بيروت، ١٩٩٨، حرف، والفرايدي، الخليل بن أحمد، معجم العين، تحقيق مهدي
المخزومي وإبراهيم السامرائي، ط١، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨١، حدد و"الحُرْف": الاسم من قولك،
رجل محارِف، أي منقوص الحظ لا ينمو له مال". الصحاح، حرف.

ما ازددت من أدبي حَرْفاً أُسْرُ به إلا تزيّدت حُرْقاً تحته شومٌ
كذلك من يدعي حِذْفاً بصنعته أتى توجّه منها فهو محرومٌ
حُرْقاً: الصواب: حُرْفاً، حِذْفاً: صوابها: حِذْقاً.

وفيه كذلك^(١): "كما لا يقال مائدة حتى لا يكون عليها طعام، وإلا فهي
خوان".

لعلّ الوجه: حتى يكون عليها طعام، قال الثعالبي^(٢): "ولا يقال مائدة: إلا إذا
كان عليها طعام، وإلا فهي حِوان".

كتاب الجرائيم لابن قتيبة^(٣): "والفَلَجُ: الشقُّ في وسطها دون العَلَمِ..".
الصواب: الفَلَجُ، بالحاء المعجمة، كما مرَّ آنفاً.

وجاء فيه أيضاً^(٤) "والضَفْرُ والأَفْرُ: العدْوُ، ضَفْرٌ، يَضْفِرُ، وأَفْرٌ يَأْفِرُ".
تصحيف، والصواب:

الضَفْرُ والأَفْرُ، بالزاي في الكلمتين، جاء في اللسان^(٥): "أبو زيد: الضَفْرُ والأَفْرُ:
العدْوُ، يقال: ضَفْرٌ يَضْفِرُ، وأَفْرٌ يَأْفِرُ".

(١) الاقتضاب ١/٥٠.

(٢) الثعالبي، أبو منصور عبدالملك بن إسماعيل (ت ٤٢٩هـ)، فقه اللغة وسرّ العربية،
تحقيق: مصطفى السقا وزميليه، دار الفكر، ط ٣، دت، ص ٥٠.

(٣) الدينوري، ابن قتيبة، الجرائيم، تحقيق محمد جاسم الحميدي، وزارة الثقافة، ط ١، دمشق، ١٩٩٧،
ص ١٩٣.

(٤) الجرائيم، ص ٢٤٨.

(٥) اللسان، ضفر.

وجاء في **تصحیح التصحيف للصفدي**^(١): "قرأت على شيخنا أبي منصور قال: لم تجتمع الراء، واللام في شيء من لغة العرب إلا في أحرف يسيرة، هذا أحدهما "وَزَلَّ" و "أول" وهو جبل معروف". الصواب: "وَأَزَلَّ"^(٢).
 وجاء فيه أيضاً^(٣) "العامّة تقول: رَبَّ مالٍ كثيرٍ أنفقتَه وهو تناقُضٌ، لأنَّ رَبَّ.. للتعليل". والصواب: لأنَّ رَبَّ للتقليل^(٤).

التكملة لأبي علي الفارسي بتحقيق كاظم بحر المرجان:

جاءت هذه النشرة مشحونة بالأخطاء، والتصحيفات، والتحريفات، وهذه نماذج منها:

ومما جاء فيه "وقالوا في غير العَلَم: الفُكاهة مَقوَدَةٌ إلى الأذى". الصواب: **الفُكاهة مَقوَدَةٌ**^(٥).

"والصدى: الصوت الذي يرده الحَبْل"^(٦).. الصواب: **الجَبَل**.

(١) الصفدي، خليل بن أبيك، (ت ٧٦٤هـ)، **تصحیح التصحيف وتحريف**، تحقيق السيد أحمد الشرقاوي، مراجعة رمضان عبدالنواب، مكتبة الخانجي، ط ١، القاهرة، ١٩٨٧، ص ٤٥٢.

(٢) أزل: جبل معروف، جمهرة اللغة، أزل، والفيروز أبادي، محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ١٩٩٥، أزل، وهو جبل بأرض غطفان. والزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، **تاج العروس من جواهر القاموس**، حققه مجموعة من المحققين، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٦٥ - ٢٠٠١، أزل.

(٣) تصحیح التصحيف، ص ٢٧٨.

(٤) جاء في **درة الغواص**: "ويشاكل هذا التناقض قولهم: رَبَّ مالٍ كثيرٍ أنفقتَه، فينقضون أولَ كلامهم بأخره، ويجمعون بين المعنى وضده؛ لأنَّ رَبَّ للتقليل فكيف يُخبر بها عن المال الكثير" الحريري، القاسم بن علي (ت ٥١٦هـ)، **درة الغواص في أوام الخواص**، تحقيق عرفات مطرحي، مؤسسة الكتب الثقافية، ط ١، بيروت، ١٩٩٨، ص ٧٤، ابن فارس، **الصاحبي**، ص ٣٧، والأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد (ت ٣٧٠ هـ)، **تهذيب اللغة**، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، ط ١، بيروت، ٢٠٠١، رب.

(٥) التكملة لأبي علي الفارسي، تحقيق كاظم بحر المرجان، ص ٢٩٢.

(٦) نفسه، ص ٥٩٢.

وفيه كذلك^(١): "تَأْنِيثٌ حَقِيقِيٌّ وَتَأْنِيثٌ غَيْرُ حَقِيقِيٍّ، فَالْحَقِيقِيُّ مَا كَانَ بِإِزَائِهِ ذَكَرٌ نَحْوُ: امْرَأَةٌ، وَرَجُلٌ وَنَاقَةٌ، وَجَمَلٌ، وَعَيْرٌ وَأَتَانٌ وَحَمَلٌ وَرَعْلٌ، وَجَدْيٌ وَعِنَاقٌ...". وَرَعْلٌ: الصَوَابُ: وَرِخْلٌ^(٢).

وفيه كذلك^(٣): "فَلَا مُزْنَةٌ وَدَقَّتْ وَدَقَّهَا" وَالصَوَابُ: فَلَا مُزْنَةٌ^(٤) بَرَفَعٍ "مَزْنَةٌ".

وفيه^(٥): "وَقَالُوا: وَعِْلٌ، وَأُرْوِيَّةٌ، وَقَالُوا: فَرَسٌ، وَحَجَّرَ لِلْأُنْثَى". الصَوَابُ: وَحَجَّرَ، بِكَسْرِ الْحَاءِ وَتَسْكِينِ الْجِيمِ^(٦).

وفيه أيضاً^(٧): "وَلَيْسَتْ الْيَاءُ فِي جُمَيْرٍ وَلُغَيْزِيٍّ بِيَاءٍ تَصْغِيرٌ، لِأَنَّهَا لَحِقَتْ رَابِعَةً..". الصَوَابُ: وَلُغَيْزِيٍّ.. بِالْيَاءِ.

وفيه^(٨): "أَبُو زَيْدٍ: غَارَهُمُ اللَّهُ بِحَيَا: إِذَا أَمَطَرُوا فَأَخْصَبُوا"، الصَوَابُ: أَمَطَرُوا، بِالْبِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ.

وفيه^(٩) "الدَّمَاءُ: بَقِيَّةُ النَّفْسِ، يُقَالُ لِلضَّبِّ: مَا أَبْطَأَ ذِمَاؤُهُ، أَيُّ مَا أَبْطَأَ خُرُوجَ نَفْسِهِ". الْوَجْهُ: مَا أَبْطَأَ ذِمَاؤَهُ.

وفيه^(١٠) "وَالصَّدَى: الصَّوْتُ الَّذِي يَرُدُّهُ الْحَبْلُ"، تَصْحِيفُ صَوَابِهِ: الْجَبَلُ.

(١) التكملة لأبي علي الفارسي، تحقيق كاظم بحر المرجان، ص ٣٠٧.

(٢) الرَّخْلُ لُغَةٌ فِي الرَّخْلِ: وَهُوَ الْأُنْثَى مِنْ أَوْلَادِ الضَّانِّ، الْعَيْنُ، رَخْلٌ، وَهُوَ الْأُنْثَى مِنْ سَخَالِ الضَّانِّ، الْمَحِيطُ لِلصَّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ، رَخْلٌ.

(٣) التكملة، ص ٣٠٩.

(٤) سيبويه، الكتاب ١/٢٤٠، الصَّاحِ، وَدَقٌّ، وَالْمَحْكَمُ، خَضْبٌ، وَالشَّاهِدُ لِعَامِرِ بْنِ جُوَيْنِ الطَّائِيِّ، وَلَا: نَافِيَةٌ، تَعْمَلُ عَمَلَ لَيْسَ، وَمَزْنَةٌ اسْمُهَا مَرْفُوعٌ، شَرَحَ ابْنُ عَقِيلٍ ١/٤٨٠.

(٥) التكملة، ص ٣٨٠.

(٦) "وَقَالُوا: فَرَسٌ، وَحَجَّرَ لِلْأُنْثَى، وَلَمْ يَقُولُوا فَرَسَةً"، ابْنُ سَيِّدِهِ، الْمَخْصَصُ، تَحْقِيقُ عَبْدِالْحَمِيدِ هِنْدَاوِيِّ، دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ، ط ١، بِيْرُوتَ، ٢٠٠٥، ٤/١٤٩.

(٧) التكملة، ص ٤٩٦.

(٨) نفسه، ص ٣٠٤.

(٩) نفسه، ص ٢٩٨.

(١٠) نفسه، ص ٢٩٢.

وفيه^(١) "الخلا: الرُّطْبُ، فإذا يبس فهو حشيش"، والصواب: الرُّطْبُ بفتح الراء وتسكين الطاء كما في النهاية لابن الأثير، خلا.

وفيه^(٢) "ومن الأسماء ما لا يُعَلَّم قَصْرُهُ ولا مَدُّهُ من جهة القياس كالسَّماء والمنا الذي يُراد به القَدْرُ"، الوجه: القَدْرُ، بتسكين الدال.

وفيه^(٣) "كما اكتسبى منه معنى الجزاء"، الصواب: اكتسب.

وفيه^(٤) "لأنَّ مثلاً مجيئاً قد ينفصلان"، الصواب: لأنَّ مثلاً ومجيئاً.

وفيه^(٥) "فإنَّ الساكِنين يَلتَقِيان في الكلمة على قول بني تميم، وغيرهم من العرب إلا أهلَ الحجاز، وذلك في الجزم نحو قولهم: لم يَرُدَّ، ولم يَفِرَّ ولم يَعِضْ". الصواب: ولم يَعِضْ، بالتشديد.

وفي التكملة^(٦): "ويدلُّ على ذلك أنَّهم قد سمَّوا مرفأ السُّنن المُكَلَّأ، والمعنى أنَّ الموضوع يدفع الرِّيحَ عن المقربةِ إليه". الصواب: المُكَلَّأ . يدفع الرِّيحَ.

وفيه^(٧): "ومما يجوز أن يكون مكبَّره فعلاء المُرِيطاء". الصواب: مكبَّره.

وفيه^(٨): "قال أبو زيد: هو الظَّريان وجمعه الظَّرابي كما ترى...". الصواب: الظَّرِيانُ، وهو حيوانٌ مُنتنٌ الرائحة.

(١) التكملة، ص ٢٩٨.

(٢) نفسه، ص ٢٨٨.

(٣) نفسه، ص ٢٧٦.

(٤) نفسه، ص ٢١٧.

(٥) نفسه، ص ١٨٦.

(٦) نفسه، ص ٣٣٥.

(٧) نفسه، ص ٣٣٧.

(٨) نفسه، ص ٣٣٢.

وفيه^(١) "قال الأصمعيّ: الحَفَّان: إناث النَّعام، ويقال: الصَّغار"، الصواب: الحَفَّان، كما في اللسان^(٢).

وفيه^(٣) "فالاسم غير المصدر: البُهْمِي، وخرُوي وحمي"، الصواب: البُهْمِي، وخرُوي، وحمي. بالألف المقصورة.

وفيه^(٤) "وألف تحلقُ قبلها ألف"، الصواب: تلحق.

وفيه^(٥): "فلا مُزْنَةٌ ودقت ودقها ولا أرض أبقل إبقالها"

الصواب: مُزْنَةٌ بالرفع، والشاهد لعامر بن جُوبين الطائيّ، كما في الكتاب لسيبويه ١/٢٤٠، ومجاز القرآن الكريم ٦٧/٢. وقد مرّ هذا الشاهد آنفاً.

وفيه^(٦) "والفطأ: دخول وسط الظهر"، الوجه: القطا.

وفيه^(٧) "والعرء: القضاء"، الصواب: القضاء. بالفاء.

"لم يردّ ولم يفرّ ولم يعضّ...."، الصواب: ولم يعضّ.

وفيه^(٨) "وذلك نحو حَمَلٍ وِرْخَلٍ"، الصواب: رِخْلٌ بكسر الراء وسكون الخاء.

(١) التكملة، ص ٣٢٣.

(٢) اللسان، حفن، وعدّه السيوطيّ مما صُحِّف فيه قال: الحَفَّانة: النعامُ السريعة، والمعروف الحَفَّان: صفّ النعام بالحاء غير المعجمة، السيوطيّ، جلال الدين (ت ٩١١ هـ)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وزملائه، دار الفكر، د.ت، ٣١٩/١.

(٣) التكملة، ص ٣٢٢.

(٤) نفسه، ص ٣١٧.

(٥) نفسه، ص ٣٠٩.

(٦) نفسه، ص ٣٠٥.

(٧) نفسه، ص ٣٠٦.

(٨) نفسه، ص ٣٩٧.

وفيه^(١) "وقالوا: فَرَسٌ وَحَجَرٌ لِلأُنثَى"، والصواب: حَجْرٌ بكسر... وسكون الحاء. وقد مرّت بنا آنفاً.

وفيه أيضاً^(٢) "وتقول في تحقير قُوبَاءَ وعرواء، قُوبِئَاءَ وعُرِيَاءَ"، الصواب: قُوبِئَاءَ.

وفيه أيضاً^(٣) "والمُكَاء وهو حُجْرُ الضبِّ"، الصواب: حُجْرُ الضبِّ، وهذا يدلُّ على تسرّع المحقق، وعدم مراجعة تجارب الطباعة.

- التكملة وهي الجزء الثاني من الإيضاح العُضديّ لأبي عليّ الفارسيّ، تحقيق د. حسن شاذلي فرهود:

وفيه^(٤) "والضّحاء وهو للإبل بمنزلة الغداء للإنسان..."، الصواب: الغداء، بديل مهملة، جاء في غريب الحديث^(٥) "واسم ذلك الغداء الضّحاء..."، وجاء في المخصص^(٦) "والضّحاء: رَعِيّ الإبل في متون النهار".

ذكر الفرق بين الأحرف الخمسة للبطلَيوسيّ وقد صدر هذا الكتاب في نشرتين: الأولى بتحقيق د. حمزة النشرتي، والثانية بتحقيق د. عليّ زوين، وسأذكر بعض التنبيهات على نشرة د. حمزة النشرتي. ثم سأذكر لاحقاً بعض التنبيهات على نشرة د. عليّ زوين.

(١) التكملة، ص ٣٨٠.

(٢) نفسه، ص ٥٠٣.

(٣) نفسه، ص ٥٣٨.

(٤) الفارسيّ، أبو عليّ (ت ٣٧٧هـ)، التكملة، تحقيق حسن شاذلي فرهود، عمادة شؤون المكتبات، ط ١، الرياض، ١٩٨١، ص ٨١.

(٥) الهرويّ، أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ)، غريب الحديث، تحقيق محمد عبدالمعين خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، ط ١، حيدر آباد الدكن، ١٩٦٤، ٤/٢٩٣.

(٦) ابن سيده، المخصص، وانظر: اللسان.

ومما جاء فيه: "وصوفٌ مُودَّجٌ لآتِه مُشتقٌّ من الوُدَّج: وهو ما تعلَّق بأصوافِ الغنم من البَعَر والبول"، الصواب: وصوفٌ مُودَّحٌ لأنه مشتقٌّ من الوُدَّح جاء في اللسان^(١): "الودَّحُ: ما تعلَّق بأصوافِ الغنم من البَعَر والبول.."، وهذه الكلمة متداولة في اللهجة الأردنية، وبخاصة في البوادي، والأرياف باللفظ نفسه. يقولون ودَّح، بالحاء المهملة، وتعني: ما تعلَّق بصوف الغنم من بَعَر وبولٍ.

وفيه^(٢) "والبدَّحُ: الخروف.."، الصواب: البدَّج، جاء في اللسان^(٣): "البدَّحُ: الحَمْلُ، ... الفراء: البدَّجُ من أولاد الضأن بمنزلة العتود من أولاد المعز".

شرح الفصيح لابن هشام اللخمي^(٤):

وفيه: "وتَرَّتْ يدهُ تَيْرٌ وتَيْرٌ: عَلَّظت"، الصواب: تَتَّرٌ، بالتاء لا بالياء^(٥). وجاء في شرح الفصيح أيضاً^(٦): "زَرِدْتُهُ: بَلَّغْتُهُ بغير مضغ". بلغته تصحيف صوابه: بَلَّغْتُهُ، بالعين المهملة. وفيه أيضاً^(٧) "وضَيَّبَ البلد: كَثُرَ ضَيَابُهُ.."، الصواب: ضَيَابُهُ، بكسر الضاد^(٨).

(١) اللسان، ودَّح.

(٢) البطليوسي، ابن السيد، ذُكر الفرق بين الأحرف الخمسة، تحقيق حمزة النشرتي، دار المريخ للنشر، د.ت، ص ١٥٠.

(٣) اللسان، بدَّج.

(٤) اللخمي، ابن هشام، شرح الفصيح، تحقيق مهدي عبيد جاسم، ط١، بغداد، ١٩٨٩.

(٥) تَرَّتْ يدهُ تَيْرٌ وتَيْرٌ تُروراً، تَرَّ الرَّجُلُ: امتلأ جسمه، وتروى عظمه، يَتَرُّ ويَتَرُّ تَرّاً وتُروراً وتُرارة، تاج العروس، ت.ر.

(٦) شرح الفصيح، ص ٥٨.

(٧) نفسه، ص ٦٠.

(٨) ابن السكيت: ضَيَّبَ التَلْدُ، كَثُرَتْ ضَيَابُهُ، اللسان، ضيب.

وفيه أيضاً^(١) "ويقال للشيء الرديء المنفي نقاؤه ولضدّه، وهو الخيار، نقاوة ونُقاية"، الصواب: نُقاية، بالفاء. نُقاية الشيء، كسحابة، وتُضمُّ، وهي اللغة المشهورة، ونُقاوته ونُفوته ونُفاته بالضمّ: رديئه وبقيته، وخصّ به ابن الأعرابي رديء الطّعام^(٢).

وفيه كذلك^(٣) "وتُلج فؤاد الرّجل: برّد عن الفهم والمعرفة، فصار بليداً، وهو مشتقٌّ من التلج...". والصواب بلُد، جاء في التهذيب^(٤): "تعلب عن ابن الأعرابي: تُلج قلبه أي بلُد".

وفيه كذلك^(٥) "لَبَسْتُ العَسَلَ: لَعِقْتُهُ..."، الصواب: لَسَبْتُ.

جاء في الصحاح^(٦): "لَسَبْتُ العسلَ، بالكسر، أَسَبُهُ لَسَباً: إذا لَعِقْتُهُ".

وفيه كذلك^(٧): "قال الشاعر:

فإِنَّكَ وَالكِتَابُ إِلَى عَلِيٍّ كدَابِغَةٍ وَقَدْ حَلِمَ الأَدِيمُ"

الوجه: وَالكِتَابُ. وهو شاهد مشهور برواية النَّصَب!!

وفيه كذلك^(٨): "قال الفرزدق:

فَمَا سُبِقَ القَيْنِيُّ مِنْ سَوْءِ سِيرَةٍ وَلَكِنْ طَفَّتْ عَلمَاءُ غُرْلَةَ خَالِدٍ"

(١) شرح الفصيح، ص ٦٨.

(٢) الثعالبي، فقه اللغة، ص ٧٧، ٧٩، تاج العروس، نفي، غريب الحديث ٦٨/٤.

(٣) شرح الفصيح، ص ٧٣.

(٤) الأزهرى، تهذيب اللغة، تلج.

(٥) شرح الفصيح، ص ٧٦.

(٦) الجوهري، الصحاح، لسب، وأساس البلاغة، لسب.

(٧) شرح الفصيح، ص ١٠٧.

(٨) نفسه، ص ١٥٥.

الصواب: القيسيُّ، كما في ديوان الفرزدق^(١).

وفيه أيضاً^(٢): "والمعزابة: الذي يُطيل المغيب عن أهله في الرّعي، وغيره، وقد عَزَبَ عَزُوباً، وهو المتباعد أيضاً عن الترويح، واللهو...".

قلت: لعلّها: الترويح^(٣).

وفيه كذلك^(٤) "والمُحمِقة: التي تلد الحمقاء"، الوجه: الحمقى.

أحمقت المرأة: إذا كانت تلدُ الحمقى، وهي مُحِمَّقٌ، ومُحمِقة^(٥).

وفيه كذلك^(٦) "الصّقر: وفيه ثلاث لغاتٍ، يقال بالصّاد، وبالزّاي، والسّين وهي الأصل، وإنّما قلبوها صاداً لأنّ السين حرف مهموس، والقاف حرفٌ مستعلٍ، فقلبوا من السين صاداً لأنّ الصاد لإطباقها قريبةً من القاف فهي تُراخي السين في الهمس وتراخي القاف في الاستعلاء".

تراخي: تحريف، الصواب: توأخي، من المؤاخاة، لأنّ السّين أختُ الصّاد، من ذلك ما ذكره ابن جني: والهمزة أخت العين.

وفيه كذلك^(٧) "وأما السّويق فمعروفٌ وهو نحو الحشيش..."، الحشيش:

تصحيح، والصواب: الجشيش، بالجيم، جاء في أساس البلاغة^(٨): "واسقني

(١) الفرزدق، ديوانه، ص ٢١٦.

(٢) شرح الفصيح، ص ٢٠٦.

(٣) في المخصص ٥/٤٧٣، "وقيل المعزابة: المتعود للعزوبة التي هي ترك النكاح"، وقال الليث: المعزابة: الذي طالعت عزوبته حتى ما له في الأهل من حاجة. التهذيب، عزب.

(٤) شرح الفصيح، ص ٢٤١.

(٥) تاج العروس، حمق، والتبريزي، أبو زكريا يحيى بن علي الخطيب (ت ٥٠٢هـ)، تهذيب إصلاح المنطق، تحقيق فوزي مسعود، ط ١، بغداد، ١٩٩١، ١/٤١٤ "المُحمِقة: التي تلد الحمقى".

(٦) شرح الفصيح، ص ٢٨٦.

(٧) نفسه، ص ٢٩٠.

(٨) أساس البلاغة، جشش.

جشيشةً، وهي السويق... وفي المحيط^(١) "الجش: طَحْنُ السَّوِيقِ وَالْبُرِّ إِذَا لَمْ يُجْعَلْ دَقِيقًا".

تهذيب إصلاح المنطق لأبي زكريا يحيى بن علي التبريزي (ت ٥٠٢هـ)

وفيه^(٢) "وأمر: قُتِلَ"، الصواب: قُتِلَ. بالفاء.

وفيه كذلك^(٣) "والفَرَطُ: الذي يتقدّم الواردة فيهيئ لهم الأرسان والولاء، ويمدُرُ

الحوض، ويستقي لها..".

الأرسان: تحريف، صوابه: الأرشاء، الولاء: تحريف صوابه: الدلاء.

جاء في الجمهرة^(٤): "ويقال: تقدّم الفُراط قبل الوُراد: أي الذين يتقدّمون

فيصلحون الأرشية والدلاء، وكلُّ مُتقدّم فارط".

وفي غريب الحديث^(٥): "والفارط إلى الماء، هو المُتقدّم إلى الماء لتهيئة

الدلاء وإصلاح الأرشية".

(١) المحيط، صاحب بن عبّاد، جشش.

(٢) التبريزي، أبو زكريا يحيى بن علي الخطيب (ت ٥٠٢هـ) تهذيب إصلاح المنطق، تحقيق فوزي مسعود، ط١، بغداد، ١٩٩١، ١/١٦٩. جاء في إصلاح المنطق، ص ١٢٠ "وكذلك المغرل إنما هو أدير وقُتِلَ".

(٣) تهذيب إصلاح المنطق، ١/١٧١.

(٤) ابن دريد، محمد بن الحسن (ت ٣٢١هـ)، جمهرة اللغة، تحقيق رمزي بعلبكي، ط١، بيروت، ١٩٨٧، فرط.

(٥) الدينوري، ابن قتيبة، غريب الحديث، تحقيق عبدالله الجبوري، مطبعة العاني، ط١، بغداد،

١٩٧٦، ١٨٤/٢.

وفي التهذيب للأزهري^(١): "وقال ابن السكيت: الفَرَط: الذي يتقدّم الواردة فيهيئ الدلاء، والرشاء ويمدّر الحوض ويسقي منه"، وفي المصباح المنير^(٢) "يهيئ الدلاء والأرشاء".

وفيه كذلك^(٣) "وأبيضُ يَقْفُ وَيَقْفُ ولهقٌ ولهقٌ شديد البياض.."، يَقْفُ وَيَقْفُ: تصحيف، صوابه: يَقْفُ، وَيَقْفُ بالقاف: أبيضُ يَقْفُ: شديد البياض^(٤).

وفيه^(٥) "والسَرَبُ: الماءُ يُجعل في القرية الجديدة، أو المزادة، أو الإداوة، ليبتلّ السير؛ فينتفخ، فتستدّ مواضع الخرز". فتستدّ: تحريف، صوابه: فتستدّ، بالنون^(٦).

وفيه^(٧) "مَثَلٌ من الأمثال: مأرَبَةٌ لا حفاوة؛ يُضرب للرجل إذا كان يتملّكك، أي: إنّما بك حاجتك إليّ لا حفاوة بي".

قلت: في النصّ الأخير قلقٌ، وقد صوّبته من "إصلاح المنطق"^(٨) وفي اللسان: "أي إنّما بك حاجة لا تحقياً بي"^(٩).

وفيه^(١٠) "وكذلك المغزل: إنّما هو أدير وقُتل"، الصواب قُتل.

(١) التهذيب، فرط.

(٢) الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت، فرط.

(٣) تهذيب إصلاح المنطق ٢٩٢/١.

(٤) المحيط للصاحب، يقق، والصحاح، لهق. وفي إصلاح المنطق، ص ١٠٠: "ويقال: أبيضُ يَقْقُ وَيَقْقُ حكاهما الكسائي".

(٥) تهذيب إصلاح المنطق، ٢٩٤/١.

(٦) أساس البلاغة، سرب. وفي إصلاح المنطق، ص ١٠١ "فيسدّ".

(٧) تهذيب إصلاح المنطق، ٣٢٤/١.

(٨) انظر: إصلاح المنطق، ص ١١٨ والنصّ فيه: "قال الأموي: ومَثَلٌ من الأمثال يقال: "مأرَبَةٌ لا حفاوة" للرجل إذا كان يتملّكك، أي: إنّما حاجتك إليّ لا حفاوة".

(٩) اللسان، أرب.

(١٠) تهذيب إصلاح المنطق ٣٢٥/١.

وفيه^(١) "وإذا أردت المصدر فهو المَفْعَل مفتوح نحو: المِغْر والمِغْر.."،
الصواب: والمِغْر، بالفاء، لا بالغين.

وفيه^(٢) "والمَطَّلِع والمَشْرِق والمَسْقِط والمَغْرِق.."، المغرِق: تصحيف، صوابه:
المغْرِق، بالفاء لا بالغين.

وفيه^(٣) "وما كان من ذوات الواو والياء من دعوت وقضيتُ فالفعل منه مفتوح
اسماً كان أو مصدرًا إلا مَأْيِي العين فإنَّ العرب كسروا هذا الحرف.."، فالفِعْل:
تحريف، صوابه: فالْمَفْعَل، أي اسم المكان والمصدر.

وفيه^(٤) "وليس الكلام: أَمَن يَأْمَن.."، الوجه وليس في الكلام.

وفيه^(٥) "لأنه لم يجد في الكلام فَعْلَى فشبهه في اللفظ بمفعل إذا كان موجوداً
في الكلام"، الوجه: إذ كان موجوداً.

وفيه^(٦) "ومنه قيل: رجلٌ كافرٌ إذ ليس فوق درعه ثوباً.."، قلت: الصواب: إذا
لِيس فوق درعه ثوباً؛ إذ لو كانت (ليس) لكان الوجه أن يقول: ليس فوق درعه
ثوبٌ!!..

(١) تهذيب إصلاح المنطق، ٣٢٥/١.

(٢) نفسه، ٣٢٥/١. جاء في إصلاح المنطق في باب مَفْعِل ومَفْعَل، ص ١٢١: "والمَسْجِد،
والمَطَّلِع، والمَغْرِب، والمَشْرِق، والمَسْقِط، والمَغْرِق، والمَجْزِر". وقد نصَّ ابنُ السَّكَيْتِ أَنَّهُمْ
ألزموا أحرفاً من الأسماء كسَرَ العين، منها الأسماء السابقة.

(٣) تهذيب إصلاح المنطق، ٣٢٧/١.

(٤) نفسه، ٣٢٧/١.

(٥) نفسه، ٣٢٧/١.

(٦) نفسه، ٣٣٦/١. وفي إصلاح المنطق، ص ١٢٧: "ومنه قيل رجلٌ كافرٌ، إذا لِس فوق درعه
ثوباً".

وفيه^(١) "الحُصْنُ أَدْنَىٰ لَوْ تَأَيَّبْتَهُ - مِنْ حَنْتِكَ التَّرَبُّ عَلَى الرَّاكَبِ".
 الصواب: تَأَيَّبْتَهُ وَتَأَيَّبًا: معناه تَعَمَّدَ، وَكَذَلِكَ تَأَيَّبَ عَلَى تَفَعَّلَ وَتَفَاعَلَ، وَتَأَيَّبْتَهُ:
 قَصَدْتَهُ، يُضْرَبُ فِي الْعَفَّةِ وَمَا يَحْمَدُ فِيهَا"^(٢).
 وفيه^(٣) قَالَ خَالِدُ بْنُ زَهِيرِ الْهَذَلِيِّ:
 يَشْتَمُّ عِطْفِي وَيَبْرُؤُ ثَوْبِي كَأَنَّمَا أُرْبَبْتُ بِهِ بَرِيْبُ"
 الصواب: أُرْبَبْتُ^(٤) .

وفيه^(٥) "وَهُمْ ذُؤْبَانُ الْعَرَبِ لِلْجُبْنَاءِ، وَالْخُبْنَاءِ، وَالَّذِينَ يَتَلَصَّصُونَ.."، قُلْتُ:
 الْجُبْنَاءُ: لَعَلَّهَا مَقْحَمَةٌ، إِذْ كَيْفَ يَكُونُ الصَّعَالِيكُ: جُبْنَاءً؟ وَفِي إِصْلَاحِ الْمَنْطِقِ^(٦)
 "وَهُمْ ذُؤْبَانُ الْعَرَبِ، لِلْخُبْنَاءِ الَّذِينَ يَتَلَصَّصُونَ". وَلَمْ تَرِدْ فِيهِ "الْجُبْنَاءُ"؛ فَلَعَلَّهَا
 تَحْرِيفٌ عَنِ "خُبْنَاءِ"، أَوْ وَهْمٌ مِنَ النَّاسِخِ، أَوْ الْمَحَقِّقِ.

وفيه^(٧) "وَقَدْ أَدْرَأْتُ لِلصَّيْدِ: اتَّخَذْتُ لَهُ دَرِيئَةً وَهُوَ أَنْ تَسْتَقِرَّ بِبَعِيرٍ، أَوْ غَيْرِهِ
 إِذَا أَمَكَكَ الرَّمْيُ وَرَمَيْتَهُ". تَسْتَقِرُّ: تَحْرِيفٌ، صَوَابُهُ: تَسْتَتِرُ بِالتَّاءِ لَا بِالْقَافِ، كَمَا
 جَاءَ فِي إِصْلَاحِ الْمَنْطِقِ^(٨) "وَهُوَ أَنْ تَسْتَتَرَ بِبَعِيرٍ، أَوْ غَيْرِهِ". وَكَذَا فِي الْعَيْنِ^(٩).

(١) تهذيب إصلاح المنطق، ١/٣٥٩. وروايته في إصلاح المنطق، ص ١٣٩ "لو تريدينه".
 وورد في إصلاح المنطق مرة أخرى، ص ٣٧٤ برواية "لو تأيبتة".

(٢) انظر: الميداني، أبا الفضل أحمد بن محمد، مجمع الأمثال، وثق أصوله وعلق عليه سعيد
 اللحام، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٢، ١/٩٢، والزمخشري، جار الله محمود
 ابن عمر، المستقصى في أمثال العرب، ١/٦٠.

(٣) الخطيب التبريزي، تهذيب إصلاح المنطق، ١/٣٦٣.

(٤) الهذليون، ديوان الهذليين، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥،
 ١/١٦٥، وجمهرة اللغة، ١/١٧٠، وانظر: أبا الطيب علي بن عبدالواحد اللغوي،
 الإبدال، تحقيق عز الدين التتوخي، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق،
 ١٩٦٠، ٢/٤٩٧ وفيه "يمس" بدل "يشم". وإصلاح المنطق، ص ١٤٢.

(٥) تهذيب إصلاح المنطق، ١/٣٧٤.

(٦) إصلاح المنطق، ص ١٤٧.

(٧) تهذيب إصلاح المنطق، ١/٣٩٠.

(٨) إصلاح المنطق، ص ١٥٥، ص ٣٤٧.

(٩) العين، درأ.

وفيه^(١) "والغَبُّ: الشُّربُ بسرعة..."، الغَبُّ: تصحيف، صوابه: العَبُّ، بعين مهملة^(٢).

وفيه^(٣) "ما كان على يفعل أو مفعلة مَّا يُعْتَلُّ به فهو مكسور الميم نحو: مخرر ومقطع..."، الصواب: مَّا يُعْتَمَلُّ به^(٤)، لأنَّه يتحدَّث عن اسم الآلة.

وفيه^(٥) "قال الفرءاء: وليس الكلام فَعَلال مفتوح الفاء إذا لم يكن من ذوات التضعيف إلا حرفٌ واحد". الوجه: وليس في الكلام.

وفيه^(٦): "وربَّما أنَّثَ الجَبَلُ يذُهبُ به إلى التثنية".

تحريف صوابه: التثنية^(٧).

وفيه^(٨): "كما قال: يَكُنُّ ما أساء النار في رأس ككببا، وككبب: جبل، لم يصرفه ذهب به إلى التثنية". الصواب: التثنية.

إسفار الفصيح لأبي سهل الهروي^(٩)

"امرأة بكرٌ: وهي العذراء التي لم تُقْتَضَّ، وجمعها أبار.."، الصواب: تفتَضُّ.

(١) تهذيب إصلاح المنطق، ٤٣٧/١.

(٢) اللسان، عب.

(٣) تهذيب إصلاح المنطق، ٥٠٣/١.

(٤) ابن سيده، المحكم، فتح، خرز.

(٥) تهذيب إصلاح المنطق ٢٩٦/١.

(٦) نفسه، ٢٦٢/١، جاء في المخصص "وإنَّما أنَّث على إرادة التثنية".

(٧) العين ٢٥٤/٣، والتثنية: طريقُ العَقبة، "ومنه قولهم: فلانٌ طَلَّاع الثنايا: إذا كان سامياً

لمعالى الأمور"، لسان العرب، ثئي.

(٨) تهذيب إصلاح المنطق، ٢٦٢/١.

(٩) الهروي، أبو سهل محمد بن علي (ت ٤٣٣هـ)، إسفار الفصيح، تحقيق د. أحمد بن سعيد

قشاش، الجامعة الإسلامية، ط ١، ١٤٢٠هـ، ٦٦٣/٢.

وفيه كذلك "جارية ضاوية كذلك، قال الراجز:

ذالك عُبيدٌ قد أصاب ميا

يا ليته ألقها صبيا

فحملت فولدت ضاويًا"

عُبيد: صوابها عبيد. وهو الشاعر الجاهلي، أحد أصحاب المعلقات، عبيد ابن الأبرص الأسدي، قال المحقق في الهامش: الرجز بلا نسبة في الصحاح، واللسان، والتاج.

التخريج: الرجز يروي قصة الشاعر عبيد بن الأبرص الأسدي وأخته ماوية، وهي قصة أقرب للأسطورة، رواها صاحب الأغاني، وقد ذكرها محقق ديوان عبيد ابن الأبرص في المقدمة ص ١٣.

كتاب المثلث.. لابن السيد البطليوسي: (١)

"والجَلُّ: نَقَطُ البحر.."، البحر: تصحيف، صوابه: البَعْر، جاء في العين (٢)
"والجَلَّة: البَعْرُ يُجَلُّ، أي يُنْقَطُ..".

وفيه أيضاً (٣) "والجَلُّ، بالكسر: نقيضُ الرِّقِّ..". الرِّقُّ: تصحيف، صوابه: الدَّقُّ، جاء في العين (٤) "الدَّقُّ: ضدُّ الجِلِّ". وفيه (٥) "والحَبْسُ أيضاً: الموضع الذي يُحبَسُ فيه ذو الرِّيب.."، والصواب: ذو الرِّيب.

(١) البطليوسي، ابن السيد (ت ٥٢١هـ)، المثلث، تحقيق صلاح مهدي الفرطوسي، دار الرشيد، ط ١، بغداد، ١٩٨١، ٤٠٠/١.

(٢) العين، جمل، وفي الصحاح، جمل: ويقال ما أجلي وما أدقني، أي ما أعطاني كثيراً ولا قليلاً، ويقال: ما له جليلة ولا دقيقة، أي ما له ناقة ولا شاة.

(٣) المثلث، ٤٠١/١.

(٤) العين، دقق، والمحيط، دقق.

(٥) المثلث، ٤٣٩/١.

وفيه^(١) "والْحَضُنُّ، بِالضَّمِّ: جَمْعُ الْحَضُونِ مِنَ الْمَعْرَى وَهِيَ الَّتِي يَطُولُ أَحَدُ ضُبُوبِهَا وَيَقْصُرُ الْآخَرُ..".

ضُبُوبِهَا، تَصْحِيفٌ، صَوَابُهُ: ضُبُوبِهَا، قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: الْحَضُونُ مِنَ الْإِبِلِ وَالْمَعْرَى الَّتِي قَدْ ذَهَبَ أَحَدُ ضُبُوبِهَا^(٢).

وفيه^(٣) "وَالشَّكْلُ: مَا يُوَافِقُ الْإِنْسَانَ وَيُصَلِّحُ لَهُ، قَالَ الشَّاعِرُ:

ثَلَاثَةَ أَبْيَاتٍ فَبِيَّتٌ أَحْبُّهُ وَبَيْتَانِ لَيْسَا مِنْ هَوَايَ وَلَا شَكْلِي"
قَالَ الْمُحَقِّقُ: لَمْ أَعَثْرَ عَلَيْهِمَا فِيمَا رَجَعْتُ إِلَيْهِ مِنْ مَصَادِرِ.

التَّخْرِيجُ: الشَّعْرُ فِي الْأَغَانِي ٣٥٧/٢ لَجْمِيلِ بَثِينَةَ، وَبَعْدَهُ:

كَلَانَا بَكَى أَوْ كَادَ يَبْكِي صَبَابَةً إِلَى الْإِفْهِ وَاسْتَعَجَلْتُ عِبْرَةً قَبْلِي
وَهِيَ فِي الْأَمَالِيِّ لِلْقَالِيِّ، وَبَلَاغَاتِ النِّسَاءِ ص (٦٨)، وَمَجَالِسِ ثَعْلَبِ ص (٦) بَلَا
عَزُو.

وفيه^(٤) "وَالشَّكْلُ بِالْكَسْرِ: الْغُنْجُ وَالذَّلُّ، قَالَ الشَّاعِرُ:

وَمَسْتَخْفِيَاتٍ لَيْسَ يَخْفَيْنَ زُرْنَانَا يُسَحِّبَنَّ أذْيَالَ الْمَلَاخَةِ وَالشَّكْلُ
الرِّوَايَةُ فِي أَمَالِيِّ الْقَالِيِّ: يُسَحِّبَنَّ أذْيَالَ الصَّبَابَةِ وَالشَّكْلُ".

قَالَ الْمُحَقِّقُ: لَمْ أَعَثْرَ عَلَيْهِ فِيمَا رَجَعْتُ إِلَيْهِ مِنْ مَصَادِرِ.

التَّخْرِيجُ: الْأَبْيَاتُ لِعَجُوزِ فَصِيحَةٍ فِي أَمَالِيِّ الْقَالِيِّ^(٥).

(١) المثلث، ٤٤٥/١.

(٢) ابن منظور، اللسان، حزن، شطر.

(٣) المثلث، ٤٤٤/٢.

(٤) نفسه، ٤٤٢/٢.

(٥) القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم (ت ٣٥٦هـ)، الأمالي، ٢٦٦/٢ وفيه (أذْيَالَ الصَّبَابَةِ).

وفيه^(١): "قال الشاعر:

لمرتجة الأكفال هيفٌ خُصورها عذان ثناياها عجاف قيودها

عذان: صوابها عذاب، والرواية في أمالي القالي:

لمرتجة الأطراف هيف خصوصها عذاب ثناياها عجاف قيودها

وفي أمالي الزجاجي ص (٤١): بمرتجة الأرداف، وكذا هذه الرواية في

طبقات الشعراء، وخزانة الأدب، وسمط اللآلي، وزهر الآداب، وأخبار النساء".

المحقق: لم أعثر عليه فيما رجعتُ إليه من مصادر.

التخريج: الشعر للحسين بن مطير الأسيدي^(٢).

وفيه^(٣) "الثناء بالفتح: المدح، ولا يُستعمل في غيره، وقد ذكر بعضهم أنه

يُستعمل في الذم، واحتج بقول الشاعر:

أنتي عليّ بما علمتِ فإنني أنتي عليكِ بمثلِ ريحِ الجورب"

قال المحقق في الهامش: بلا نسبة في شرح البطليوسي للسقط ٢٧٠/١، وبلا

نسبه في المداخل ٦٤٠، وتنقيف اللسان ١٠٢.

التخريج: جاء الشعرُ في محاورَةٍ بين حميدة بنتِ النعمان بن بشير زوجِ رُوح

ابن زنباع الجذامي، قاله لها زوجها رُوح بن زنباع^(٤).

(١) المثلث، ٤٥٩/٢.

(٢) القالي، الأمالي ٧٨/١.

(٣) المثلث، ٣٨٧.

(٤) الشعر لروح بن زنباع الجذامي (ت ٨٤هـ) يخاطب زوجته حميدة بنت النعمان بن بشير في محاورَةٍ بينهما، انظر: ابن الأثيري، محمد بن القاسم، المذكر والمؤنث، تحقيق طارق الجناي، دار الرائد العربي، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٨٦ بلا عزو، وهو من شواهد سيبويه ٢٥/٢، وفي الأغاني ٢٦/٣ لروح بن زنباع، وفي معجم الأدباء ٤٥٢/١ لروح، وفي بلاغات النساء ص ٤٦ لروح، وفي الاقتضاب للبطلوسي ٣٤/١، والكامل للمبرد ٢٥٦/١، والصفدي تصحيح التصحيف، ص ٤٥.

وفيه (١) "وحمى ضربته: موضع، تحريف، صوابه: حمى ضربة، بالياء (٢).
 وفيه (٣) "دخل على عرسه". الوجه: عرسه، بكسر العين أي زوجه.
 وفيه (٤) "والخل: مصدر خل أنف الفيصل إذا جعل فيه الخلال لئلا
 يرضع..". الصواب: الفصيل (٥).
 وفيه (٦) "والخرص: مصدر خرص النخل والزرع إذا خرصته..". الصواب:
 خرصته، جاء في اللسان (٧): "وقد خرصت النخل والكرم أخرصه خرصاً إذا خرصت
 ما عليها من الرطب تمراً ومن العنب زبيباً، وهو من الظن؛ لأن الحزر إنما هو
 بتقدير يظن..".

وفيه (٨) "والخطر أيضاً: نبات يختضب به، قال الشاعر:
 عليك الخطر علك أن تُدنى إلى بيض ترائبهن حور"

قال المحقق في الهامش: لم أعثر عليه فيما رجعت إليه من مصادر.

التخريج: الشعر للعتبي (٩):

(١) تهذيب اللغة، شرف، اللسان، ضرا، وما اتفق لفظه واختلف مسماه ٨٣/١.

(٢) المثلث، ٤٧٧/١.

(٣) اللسان، لهج، والتاج، لهج.

(٤) المثلث، ٤٩٥/١.

(٥) اللسان، خلل.

(٦) المثلث، ٤٩٥/١.

(٧) اللسان، خرص.

(٨) المثلث، ٥٠٠/١.

(٩) البيت للعتبي، وهو محمد بن عبدالله بن عمر بن معاوية بن عمر بن عتبة بن أبي
 سفيان بن صخر بن حرب (ت ٢٨هـ)، نور القبس ٧٢/١، ونُسبت في الكامل
 للعتبي، المبرد، الكامل، ١٢٨/٢، ويُنسب الشعر، كذلك، لعبدالمطلب بن هاشم لما
 وقد على سيف بن ذي يزن، ورأى لحيته بيضاء، بعث إليه جارية، ومعها خطر؛
 ليخضب لحيته، فأنشأ عبدالمطلب. . . الأبيات، محاضرات الأدباء ٤٧٠/١،
 والشاهد بلا عزو في العقد الفريد ٥/٣.

وفيه^(١) "الخُبْرَة بِالضَّم: شاةٌ يشتريها القومُ، ويقتسمون لحمَها، قال عروة بن

الورد:

إذ ما جعلت الشاةَ للقوم خُبْرَةً فشاأنك إني ذاهبٌ لشؤوني"

قال المحقق في الهامش: ليس في ديوانه، ولم أعثر عليه فيما رجعتُ إليه

من مصادر.

التخرِيج: الشاهد لعروة بن الورد في المعاني الكبير، ١٦١، وفي غريب

الحديث، لابن قتيبة ص (٣٠) معزواً لعروة بن الورد.

وفيه^(٢) "والرَّمُّ بالكسر: ما على وجه الأرض من فُتْكِ الأشياء.."، فُتْكُ، لعلَّها:

فُتَات.

وفيه^(٣) "والطابون: الموضع الذي تُنْفَنُ فيه النار"، تُنْفِنُ، تحريف، صوابه:

تُدْفِنُ^(٤).

وفيه^(٥) "الصَّمَمُ: مصدر صَمَمْتُ الحُجْرَ إذا سَدَدْتَهُ بحجر"، الصواب:

الجُحْر.

وفيه^(٦) "صَدَأَ المرأةَ بالفتح صَدَأً... المرأة: الصواب: المرآة.

وفيه^(٧) "وعَبِلَ الشيء بكسر الباء عَبَلًا: ابيضَّ وغلَّضَ"، غلَّضَ: تصحيف،

الصواب: غلَّظَ، جاء في المحكم^(٨) "وقد عبُلَ عبالةً فهو أعبِلُ إذا غلَّظَ وابيضَّ".

(١) المثلث، ٥٠٥/١.

(٢) نفسه، ٣٦/٢.

(٣) نفسه، ٨٣/٢.

(٤) الصَّاح، طَبَن.

(٥) المثلث، ٢٢٤/٢.

(٦) نفسه، ٢٣٢/٢.

(٧) نفسه، ٣٠٣/٢.

(٨) ابن سيده، المحكم، عبِل.

وفيه^(١) "ويقال للحَجَر الذي يُدْقُ به: فِهْر، بالكسر، ويُذَكَّر ويؤنَّث، قال:

يُسَحِّحُ رَأْسَهُ بِالْفَهْرِ وَاجِي".

قال المحقق في الهامش: بلا نسبة في شرح الشافية، وصدرة:

وَكُنْتُ أَدْلُّ مِنْ وَتِدٍ بِقَاعٍ

- يُسَحِّحُ: تصحيفٌ، وصوابُها: يُشَجِّجُ.

- التخرِيجُ: الشعر لعبدالرحمن بن حسان^(٢).

وفيه^(٣) "السيرة: بالكسر: طريقة الإنسان التي يسلكها حسنة كانت أو قبيحة،

قال الفرزدق:

فَمَا سُبِقَ الْقَيْسِيُّ مِنْ سَوْءِ سِيرَةٍ وَلَكِنْ طَفَتِ عِلْمَاءُ غُرْلَةِ قَنْبَرٍ"

- قال المحقق في الهامش: ليس في ديوانه، وليس في النقائض، ولم أعثر

عليه فيما رجعتُ إليه من مصادر.

التخرِيجُ: الشعر ثابتُ النسبة للفرزدق في مصادر كثيرة، جاء في الخُلل

للبطليوسي^(٤): "ووقع في نسخة كتاب سيبويه التي رواها أبو بكر مبرمان هذا

البيت، على رواية أخرى وهي:

(١) المتأثت، ٣٢٥/٢.

(٢) عبدالرحمن بن حسان، ديوانه، ص ١٨، سيبويه، الكتاب ٥٥٥/٣ منسويًا لعبدالرحمن بن حسان، المبرد، المقتضب ١/١٦٦، الكامل ١/٢٦٣، ابن جنّي، الخصائص ٣/١٥٢، المحتسب ١/٨١، ابن جنّي، أبو الفتح، سرّ صناعة الإعراب، تحقيق حسن هنداوي، دار القلم، ط ٢، دمشق، ١٩٩٣، ٧٩٣/٢، ابن درستويه، تصحيح الفصيح، ص ٩٠ منسويًا لعبدالرحمن بن حسان، اللسان، وجأ.

(٣) المتأثت، ٤٢٥/٢.

(٤) البطليوسي، أبو محمّد عبدالله بن محمّد بن السيّد (ت ٥٢١هـ)، الخُلل في شرح أبيات الجمل، تحقيق يحيى مراد، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ٢٠٠٣، ٧٩/١. ومن المعلوم بين الباحثين أنّ نشرات ديوان الفرزدق قد أخلّت ببعض شعره المبتوث في تضاعيف المصادر اللغوية، والأدبية المختلفة.

وما غلب القيسي من ضعف قوّة ولكن علّت علماء غرلة قنبر" ((ولم يذكّر أنّه للفرزدق، ولم أجد هذا البيت فيما طالعته من شعر الفرزدق، فأقف على حقيقته)). ويضيف البطلوسي^(١): "وذكر بعض المنادين أنّ العرب كانوا يمتحنون ذكورة المولود وأنوئته إذا خُتِن، بأن تُلقَى غرلته في الماء، فإذا رسبت قالوا: إنّه يكون مؤنثاً لا خير فيه. قال المازني: هذا البيت للفرزدق، قاله في رجلين استبقا، أحدهما من قيس، والآخر من عنزة، فسبق العنزي، وكان اسمه خالداً".

وفيه^(٢) "والشوم، بالضمّ، النحس، ويكون جمع الأشام وأصلهما الهمز، قال الشاعر:

ما ازددت من أدبي حرفاً أسرُّ به إلاّ تزايدت حرفاً تحته شومٌ
حرفاً: الوجه: حرفاً، بضمّ الحاء، وهو الحرمان والفقر. قال المحقق في الهامش: بلا نسبة في عيون الأخبار.

التخريج: الشاهد في الاقتصاب للبطلوسي ٤٠/١، وبعده:

كذلك من يدعي حذقاً بصنعتِهِ أتى توجّه منها فهو محرومٌ
وقد صحّف فيه المحقّق، وصوّبته في هذه التعليقات أنفاً.

التبصرة للصيمري:

وفيه^(٣) "واعلم أن الهمزة إذا وقعت أوّل الكلمة ولم يكن قبلها كلامٌ فهي مُخَفَّفَةٌ لا غير، مفتوحةٌ كانت، أو مضمومة أو مكسورة، همزة وصل كانت أو

(١) البطلوسي، الخُلل في شرح أبيات الجُمَل، بيروت، ٢٠٠٣، ٧٩/١.

(٢) المتلث، ٤٤٣/٢.

(٣) الصيمري، التبصرة والتذكرة، تحقيق د. فتحي أحمد مصطفى عليّ الدين، دار الفكر، ط١، دمشق، ١٩٨٢، ٧٣٢/٢.

همزة قطع في فعلٍ كانت أو اسم وذلك نحو قولك: أخ، وأب، وأم، وإبل، كذلك الفعل تقول: أكرمت، أكرم.. فأما همزة الوصل إذا كان قبلها كلام فإنها تسقط في اللفظ...".

الصواب: **محققة**، والدليل قول الصيمري بعد ذلك^(١): "وإذا كانت الهمزة غير أول كان فيها ثلاثة أشياء: **التحقيق**، و**التخفيف**، و**البدل** على قياس".

المذكر والمؤنث لابن الأنباري:

وفيه^(٢) "العزوزُ من الإبل والغنم: الدَّقِيقَةُ الشَّخْبُ، الضَّيْقَةُ الإحليل، والإحليل: مَخْرَجُ اللبن، وكذلك الحَصُور، يقال في العزوز: قد أعزَّتْ، وتعزَّزَتْ، ومن الحَصُور: قد حضرتْ، وأحضرتْ".

الحصُور، وحضرت، وأحضرت: كُأها مُصْحَفَةٌ، والصواب: الحَصُور، وحصرت، وأحصرت.

جاء في اللسان^(٣) "والحصور من الإبل والغنم: الضيقة الأحليل وقد حصرت بالفتح، وأحصرت، ويقال للناقة: إنها لحصرة الشَّخْب".

شرح أدب الكتاب لأبي سليمان داود بن يزيد السعدي^(٤):

جاء فيه: "وأنشد: تيمَّمتُ العَيْنَ"، والصواب: العَيْنَ. وفي الهامش رقم (٦) من الصفحة نفسها: وتمام البيت: تيمَّمت العَيْنَ التي عند ضارخ.

(١) التبصرة والتذكرة، ٧٣٢/٢.

(٢) ابن الأنباري، المذكر والمؤنث، تحقيق طارق عبد عون الجنابي، ٩١/٢.

(٣) اللسان، والتاج، حصر.

(٤) السعدي، أبو سليمان داود بن يزيد (ت ٥٧٣هـ)، شرح أدب الكتاب ويليهِ تعليقات أبي علي القالي على أدب الكتاب لابن قتيبة، جمع وتوثيق وتقديم د. محمد مرزاق، دار ابن حزم، ط ١، بيروت، ٢٠٠٩، ص ١٩٦.

الصواب: ضارج، كما في ديوان امرئ القيس^(١).

وفيه كذلك^(٢) "فإذا كان في الفائلة وشدة الحرّ.."، الصواب: القائلة.

وفيه^(٣) "والجاعرتان: ما اكتنف الذئب عن يمين وشمال، والحمير تُرْفَعُ عندنا في ذلك الموضع". النصُّ لا يخلو من قلق، ولعلَّ الصواب: والحمير تُرْفَمُ أو تكوى؛ جاء في العين^(٤) ((تُكْوَى)) وفي اللسان^(٥) "وهما الموضعان اللذان يرقمهما البيطار...".

وفيه كذلك^(٦) "وَرَكْنَهُ يَأْبَى لِي الْحَوْلُ كَامِلاً"

صواب البيت كما في اللسان: "ولكنما يأتي لي الحول كاملاً".

وفي إصلاح المنطق:

ولكنه يأتي لي الحول كاملاً وما لي إلا الأبيضين شرابُ

التخريح: البيت لهذيل الأشجعي كما في اللسان^(٧).

وفيه^(٨) "والرم: ما يحمله الماء من ناش وغشاء"، لعلها: من خشاش وغشاء^(٩).

(١) ديوان امرئ القيس، ٤٠٣/١.

(٢) شرح أدب الكتاب، ص ٢٠.

(٣) نفسه، ص ٢١.

(٤) العين، رقم، كوى.

(٥) اللسان، جعر.

(٦) شرح أدب الكتاب، ص ٢٣.

(٧) اللسان، بيض، وإصلاح المنطق، ص ٣٩٥.

(٨) شرح أدب الكتاب، ص ٢٤.

(٩) الغشاء: القمش، وهو أيضاً الرَبْدُ، وما جاء به السَّيْلُ يسمَّى الغشاء، أساس البلاغة، قمش.

وفيه^(١) "سمي أكل المرار". الوجه: أكل.

وفيه "لأنه ابنة كانت له سبها ملك من ملوك سليح"، لعلها: لأن ابنة له.

وفيه^(٢) "وأما امرأة ومراة فعلى القياس كمغرة ومغار".

الصواب: معزة ومعاز كما في المحكم^(٣).

وفيه^(٤) "ومتنتان خطاتان.."، الصواب: متنتان خطاتا.

وفيه^(٥) "في الحارك: مخشوش بحبب مجفر رخب". الصواب: محشوش بجنب جرشع، كما في اللسان^(٦).

وفيه^(٧) "ليس للحافر الأظبيان"، الصواب: إلا طبيان^(٨).

وفيه^(٩) "والمغابن: أصول الفهدين عن أبي علي".

الصواب: الفخذين كما في الصحاح^(١٠).

ذكر الفرق بين الحروف الخمسة للبطلوسي: تحقيق د. علي زوين

وفيه^(١١) "الضحاء مفتوح ممدود للإبل مثل الغداة للناس من الغداة". تحريف، والصواب: الغداء، وقد أشار المحقق في الهامش رقم (٢) أنها في النسخة (ب) الغداء، لكنه قرأها الغداة.

(١) شرح أدب الكتاب، ص ٢٥.

(٢) نفسه، ص ٣٤.

(٣) المحكم، معز.

(٤) شرح أدب الكتاب، ص ٣٧.

(٥) نفسه، ص ٣٨.

(٦) اللسان، حشش، والبيت لأبي دواد الإيادي.

(٧) شرح أدب الكتاب، ص ٤١.

(٨) اللسان، طبي.

(٩) الصحاح، رفخ، والتهديب، رفخ.

(١٠) نفسه، غبن، فخذ.

(١١) البطلوسي، أبو محمد عبدالله بن محمد بن السيد (ت ٥٢١هـ)، ذكر الفرق بين الحروف الخمسة، تحقيق علي زوين، مطبعة العاني، بغداد، (د. ت)، ص ٣٠٧.

وقد مرّت بنا آنفاً، في نشرتيّ " التكملة" لأبي علي الفارسيّ، وصوّبناها في هذه التعليقات.

وفيه^(١) "والعَصَا فَرَسٌ، والعُصَيَّةُ أُمُّهَا، وفيها جرى المثل فقيل: العَصَا من العُصَيَّة، أي أنها عَفِيفَةٌ سابقةٌ مثل أمّها"، والصواب: عَتِيفَةٌ^(٢).

وفيه^(٣) "تَفَحَّصُ.. بالصاد: مصدر فَحَصَتِ الدجاجةُ القِطَاةُ إذا اتَّخَذت أُنحوصاً وهو العُشُّ". قلت: لعلّ الصواب: فَحَصَتِ الدجاجةُ والقِطَاةُ.

وفيه^(٤) "ومسحتُ الأرض مسحاً ومساحةً بالسّين - إذا زرعتهَا"، الصواب: نزعتهَا بالذال.

وفيه^(٥) "والحَايِصُ بالصاد: مصدر حاص عن الشيء إذا راغ عنه"، الصواب: زاغ، جاء في المحكم^(٦): زاغ عن الطريق - زوغاً وزوغاً: عدل.

المنهاج في شرح جمل الزجّاجي:

وفيه^(٧) "فيصير ذوات الواو والباء بلفظ واحد". الوجه: والياء.

وفيه^(٨) "وكسر ما قبل آخره أن كان ماضياً، وفتح ما قبل آخره أن كان مضارعاً"، الوجه: إن.

(١) البطليوسيّ، أبو محمد عبدالله بن محمد بن السيّد (ت ٥٢١هـ)، ذكر الفرق بين الحروف الخمسة، تحقيق علي زوين، مطبعة العاني، بغداد، (د. ت)، ص ٤١٣.

(٢) اللسان، عتق.

(٣) ذكر الفرق بين الحروف الخمسة، ص ٤٤١.

(٤) نفسه، ص ٤٥١.

(٥) نفسه، ص ٤٥٢.

(٦) المحكم، زوغ، واللسان، زوغ.

(٧) العلوي، يحيى بن حمزة (ت ٧٤٩هـ)، المنهاج في شرح جمل الزجّاجي، تحقيق د. هادي عبدالله ناجي، إشراف حاتم الضامن، مكتبة الرشد، ط١، الرياض ٢٠٠٩، ٢٦٣/١.

(٨) نفسه، ٢٦٣/١.

وفيه^(١) "قيل وسُبق بالكسر الخالص"، الوجه: وسبق.

وفيه^(٢) "وإنما تجزُ إقامته لأن في الحقيقة مُسند به، لأنه هو خبر المبتدأ، فلو جعلناه فاعلاً لكان مسنداً إليه فيكون متناقضاً..". الصواب: وإنما لم تجزُ إقامته.. فيكون متناقضاً.

وفيه^(٣) "المفعول معه فإنما امتنع ذلك فلأنه وضع الدلالة على المصاحبة"، الوجه: لأنه وُضع للدلالة.

وفيه^(٤) "وأما الكوفيين فإنهم يختارونه ولا يوجبونه"، الوجه: الكوفيون.

وفيه^(٥) "وإنما لم يجز ذلك لأن اسم الفاعل إنما يصلُّ عمل الفعل الذي ضارعه". الوجه: يعملُّ عمل الفعل.

وفيه^(٦) "وكلُّ واحد منهما محمولاً على صاحبه"، الوجه: محمولٌ.

وفيه^(٧) "أعمال أحكام اسم الفاعل.."، الوجه: إعمال، بكسر الهمزة، وهذا الكتاب مشحونٌ بالأخطاء المختلفة، كما أنّ المحقق لا يميّز بين الهاء ضميراً، أو تاءً مربوطةً.

وفيه^(٨) "وقد ذكرنا تقرير نصرّفه في شرح كتاب المفصل"، الوجه: تصرّفه.

(١) العلوي، يحيى بن حمزة (ت ٧٤٩هـ)، المنهاج في شرح جُمَل الزجّاجي، تحقيق د. هادي

عبدالله ناجي، إشراف حاتم الضامن، مكتبة الرشد، ط١، الرياض ٢٠٠٩، ١/٣٦٥.

(٢) نفسه، ١/٣٦٧.

(٣) نفسه، ١/٣٦٨.

(٤) نفسه، ١/٣٦٨ هامش.

(٥) نفسه، ١/٣٧٤.

(٦) نفسه، ١/٣٧٤.

(٧) نفسه، ١/٣٧٥.

(٨) نفسه، ١/٣٧٧.

وفيه^(١) "فلا تقول: هذا ضاربٌ زيداً أمس، ولا شائمٌ أخاك أمس"، الصواب: شاتم.

وفيه^(٢) "وقد نصرنا هذه المسألة في غير هذا الموضع، الوجه: نظرنا!!"

وفيه^(٣) "وهؤلاء ضاربوا.."، الوجه: ضاريو.

وفيه^(٤) "هل أنت باعث دينار بحاجتنا"، الصواب: لحاجتنا.

وفيه^(٥) "وأما موضوع الشاهد"، الوجه: موضع.

وفيه^(٦) "فهو للقطاجي"، الصواب: للقطامي!!

وفيه "أخا لحرب لبأساً إليها جلالها وليس بولاج الخوالف ألمقلا" الصواب: جلالها - وأعقلا.

وفيه^(٧) "فأما البيت الذي أنشده وهو قوله: حذرُه أموراً لا تضرير"، الوجه: حذرٌ. وهو شاهد مشهور ذكره سيبويه شاهداً على إعمال صيغة المبالغة "فَعِل".

وفيه^(٨) "جحاش الكرملين لها فديدٌ، والفديدُ هو الصباح"، تصحيف صوابه: الصيَّاح.

(١) العلوي، يحيى بن حمزة (ت ٧٤٩هـ)، المنهاج في شرح جمل الزجّاجي، تحقيق د. هادي

عبدالله ناجي، إشراف حاتم الضامن، مكتبة الرشد، ط١، الرياض ٢٠٠٩، ٣٧٧/١.

(٢) نفسه، ٣٧٨/١.

(٣) نفسه، ٣٧٨/١.

(٤) نفسه، ٣٨١/١.

(٥) نفسه، ٣٨١/١.

(٦) نفسه، ٣٨٢/١.

(٧) نفسه، ٣٨٨/١.

(٨) نفسه، ٣٨٧/١.

وفيه^(١) "يصف حمار وحشيّ"، الوجه: حمار وحش.

وفيه^(٢) "جارية في درعها الفضفاضي"، الوجه: الفضفاض.

كتاب أبنية الأسماء والأفعال والمصادر: لابن القطّاع

الصقّلي (ت ٥١٥هـ)

وفيه^(٣) "فإذا كان أحد الساكنين حرف مدّ ولين صلّح أن يُجمع بينهما في

الدرج، نحو دابة وشابة واشهُوبَ الفرس لأنّ المدّة كأنّها عوض عن الحركة".

واشهُوبَ: الصواب اشهُوبَ، وقد التقى فيها ساكنان (هُوبَ) وفق تعبير

القدامي، أو تشكّل فيها مقطع صوتيّ مرفوض وفق تعبير اللسانيّين المحدثين (ص

ح ح ص)^(٤).

وفيه^(٥) "وناقة عُليّطة... قال المحقق في الهامش رقم (٥) العُليّط: اللّبن

الخائر".

(١) المنهاج في شرح جُمَل الرّجّاجيّ، ٣٩٨/١.

(٢) نفسه، ٤٠٥/١.

(٣) الصقّلي، ابن القطّاع (ت ٥١٥هـ)، كتاب أبنية الأسماء والأفعال والمصادر،

تحقيق د. أحمد محمّد عبدالدايم، مطبعة دار الكتب المصرية، ط١، القاهرة،

١٩٩٩، ص ٩٦.

(٤) حول النقاء الساكنين، يُنظر: ابن يعيش، موفّق الدين يعيش بن علي (ت ٦٤٣هـ)، شرح

المفصل، تحقيق أحمد السيّد سيّد أحمد، مراجعة إسماعيل عبدالجواد، دار العلوم، القاهرة،

المكتبة التوفيقية، القاهرة، د.ت، ١٢٣/٩، ابن جنّي، سرّ صناعة الإعراب ٨٢/١،

والخصائص ١٤٧/٣، وحول المقطع الصوّتيّ المرفوض يُنظر: عبدالنّواب، رمضان، فصول

في فقه اللغة، ص ١٩٥، والشايب، فوزي، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، عالم

الكتب الحديث، ط١، إربد، الأردنّ، ٢٠٠٤، ص ١٠٦.

(٥) أبنية الأسماء والأفعال، ص ٩٦.

قلت: لكن تأتي "عُلبِطَة" كذلك وصفاً للناقاة، وناقاة عُلبِطَة، مشددة الباء، ضَخمة عظيمة^(١).

وفيه^(٢) "والجيم تبدل من الياء المشددة في عليّ وعوفيّ."

قال الراجز:

عمي عُويْفٌ وأبو عَلِجَّ المطعمان اللحمَ بالعشج

قلت: الرواية الأخرى: خالي عُويْفٌ وأبو عَلِجَّ^(٣).

وقول المحقق: وعوفيّ.. لعلها: عشيّ^(٤)؛ إذ أبدلت ياءها جيماً على هذه

اللغة؛ فصارت "عشج".

وفيه^(٥) "وعِلْعَل: لرأس الرهابة من الفرس..."، الصواب: عُلْعُل، بالضم،

"والعُلْعُل: طرف الضلع الذي يشرف على الرهابة، وهي طرف المعدة"^(٦).

وفيه^(٧) "وعلى (فُعِفَل) نحو (زُلْزِل) لأسفل القميص". الصواب: نُذْلِذِل،

بالذال^(٨).

(١) الصاحب بن عباد، المحيط، علبط.

(٢) أبنية الأسماء والأفعال، ص ١٠٧.

(٣) سيبويه، الكتاب، ٣٦١/١.

(٤) اللسان، عجاج، شجر، والإبدال لأبي الطيب ٢٥٩/١. وتهذيب اللغة ٦٨/١، وشرح

المفصل، لابن يعيش ٥٠/١٠.

(٥) أبنية الأسماء والأفعال، ص ١١٠.

(٦) اللسان، علل.

(٧) أبنية الأسماء والأفعال، ص ١١٣.

(٨) اللسان، والتاج نذل.

وفيه^(١) "والصَّرَصَرَانِيَّات، لِلنَّجَاتِي، وَالإِبِلِ الْعَرَاب". الصواب: لِلبَخَاتِي، جَاء فِي اللِّسَان^(٢): "الصَّرَصَرَانِيَّاتِ وَاحِدَهَا الصَّرَصَرَانِي وَهِيَ الإِبِلُ الْبَخَاتِي وَالْعَرَاب".
وفيه^(٣) "وَعَلَى (فَعْيُول) نَحْو: عَدِّيُوط، وَعَضْبِيُوطُ لِلَّذِي يُحَدِّثُ عِنْدَ غَشْيَانِ النِّسَاءِ"، عَضْبِيُوطُ، تَصْحِيفُ صَوَابِهِ: عَضْبِيُوطُ.

وفيه^(٤) "وَأَبُو جَابِرٍ كُنِيَّةُ الْخَيْرِ"، تَحْرِيفُ وَالصَّوَابُ: الْخَبْرُ.

ارْتِشَافُ الضَّرْبِ لِأَبِي حَيَّانٍ، تَحْقِيقُ مِصْطَفَى النَّمَّاسِ:

وهذه النشرة مشحونة بالتصحيفات والتحريفات، فمن ذلك^(٥): "وَأَنْبَتَهُ بَعْضُهُمْ بِغَيْرِ هَاءٍ نَحْوَ مَكْرُومٍ وَمَعُونٍ"، تَحْرِيفُ صَوَابِهِ: وَأَنْبَتَهُ.

وفيه^(٦) "وَالْمَنْقَشُ: الشَّيْنُ. الْوَجْهُ: وَالْمَنْقَشِيُّ". وَيَقْصِدُ الشَّيْنُ لِأَنَّهُ يُوصَفُ بِأَنَّهُ صَوْتٌ مَنْقَشٌ.

وفيه^(٧) "الْمِصْنَفُ مَا اتَّحَدَّثَ فَاؤُهُ وَعَيْنُهُ أَوْ فَاؤُهُ وَلامُهُ أَوْ عَيْنُهُ وَلامُهُ.."، الْمِصْنَفُ، تَحْرِيفُ، صَوَابُهُ: الْمِضْعَفُ.

وفيه^(٨) "وَعَلَى فَعَلٍ اسْمًا نَحْو: خَزَّرَ"، الْوَجْهُ: خُزَّرَ، لِأَنَّهُ يَتَحَدَّثُ عَنِ الْمِضْعَفِ، وَمِنْهُ الشَّاعِرُ خُزَّرُ بْنُ لُؤْذَانَ السُّدُوسِيِّ.

(١) أبنية الأسماء والأفعال، ص ١١٦.

(٢) اللسان، والتاج صرصر، بخت.

(٣) أبنية الأسماء والأفعال، ص ٢١٢.

(٤) نفسه، ص ٢٧٣، هامش رقم (٦).

(٥) أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق مصطفى النَّمَّاس، الطبعة الأولى، ١٩٨٩، ٢٨/١. ثم نشرته المكتبة الأزهرية للتراث، بتحقيق مصطفى النَّمَّاس، ٢٠٠٤، وهناك نشرة قيِّمة لارتشاف الضرب، تحقيق رجب عثمان، ومراجعة رمضان عبدالنَّوَّاب.

(٦) ارتشاف الضرب، ١٢/١.

(٧) نفسه، ١٧/١.

(٨) نفسه، ١٧/١.

مختصر العين لأبي بكر الزبيدي، تحقيق د. صلاح مهدي الفرطوسي:

وفيه^(١) "وَالْعَثْتُ: ظهر الكثيب الذي لا ثبات فيه"، الصواب: لا نبات؛ جاء في الصحاح^(٢): "العُثْتُ: ظهر الكثيب الذي لا نبات فيه.. وفي اللسان^(٣) "وقيل: هو الذي لا يُنبت...".

وفيه^(٤) "والطريدة: لعبة يقال لها المبنية، لم يعرفها أبو سعيد ولا الأعراب...".

المبنية: تحريف، والصواب: المسة، جاء في التهذيب^(٥) "ثعلب عن ابن الأعرابي، قال: لعبة للأعراب، تُسمى الضبطة، والمسة وهي الطريدة...".

وفيه^(٦) "والطريدة: السفن وهي قصبية تُجوف ثم يُفقر فيها مواضع، فيُتبع بها حدب السهم".

يُفقر: تحريف، دليل ذلك ما جاء في اللسان^(٧): "أبو الهيثم: الطريدة، السفن، وهي قصبية تُجوف ثم يُفقر فيها مواضع؛ فيُتبع بها جذب السهم".

وفي التاج^(٨) "ثم يُفقر فيها مواضع فيُتبع بها جذب السهم".

وفيه^(٩) "والبائر: الكاسد، يقال: السوقُ بائرة، وفيه حديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، .. أعوذ بالله من بوار الأتم.."، الأتم، تحريف، صوابه: الأيم، دليل

(١) الزبيدي، أبو بكر محمد بن حسن بن مُدجج (ت ٣٧٩هـ)، مختصر العين، تحقيق د. صلاح مهدي الفرطوسي، دار الشؤون الثقافية، ط ١، بغداد، ١٩٩١، ٦٨/١.

(٢) الجوهري، الصحاح، عثت.

(٣) اللسان، عثت.

(٤) مختصر العين، ١١٨/١.

(٥) الأزهرى، التهذيب، ضبط.

(٦) مختصر العين، ١١٨/١.

(٧) اللسان، طرد.

(٨) التاج، طرد.

(٩) ارتشاف الصرب، ١٣١/١.

ذلك ما جاء في النهاية لابن الأثير من أنه صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم كان يتعوَّذ من الأيِّمة والعيِّمة، أي طول التعزُّب...^(١).

وفي تهذيب اللغة^(٢): "تعوذُ بالله من بوار الأيِّم، وهو أن تبقى المرأة في بيتها لا يخطبها خاطب".

شرح المفصل لابن يعيش تحقيق أحمد السيِّد، ومراجعة إسماعيل عبدالغني:

وهذه النشرة لشرح المفصل مشحونة بالأخطاء والتحريفات، وقد اخترت للقارئ نماذج منها، إذ لو ذكرناها كلّها لطال بنا المقام.

من ذلك^(٣): "قال: وعامة أهل نجد من تميم وأسرو قيس يسرّون إلى الكسر من ذوات الياء في هذه الأشياء....". يسرّون تحريف، صوابه: يفرّون!!

وفيه^(٤) "فيميلون الفتحة قبل الألف إلى الكسرة، فيميلون الألف نحو الياء"، لعلّ الوجه: ويميلون.

وفيه^(٥) "وذلك أنّ الصاد مقاربة الدال في المخرج وبينهما مع ذلك تنافٍ وتباين في الأول والكيفيّة..."، لعلّ الوجه: في الأصل.

وفيه^(٦) "وثلاثة مستعلية من غير إطباق وهي العين والحاء والقاف.."، تصحيف، والصواب: والغين.

(١) ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمّد (ت ٦٠٦هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية، ط ١، بيروت، ١٩٧٩، ٨٦/١، واللسان، ٤٠/١٢، أيم، وأساس البلاغة، أيم.

(٢) الأزهرى، تهذيب اللغة، ٤٩/٥، بور.

(٣) ابن يعيش، شرح المفصل، ١٦٤/٤.

(٤) نفسه، ١٦٤/٤.

(٥) نفسه، ١٦٥/٤.

(٦) نفسه، ١٧٣/٤.

وفيه^(١) "والمكا، بالفتح والقصر حُجْر الثعلب والأرنب فهو من الواو...".

حجر: تحريف، صوابه: جُحْر، وهذا يدلُّ على التسرّع، وعدم مراجعة تجارب

الطباعة!

المخصّص لابن سيده: تحقيق عبدالحميد الهنداوي:

وفيه^(٢) "ويقال انْهَمَلَ السَّنامُ واتَمَّالٌ: إذا انتصب". انمهَل، تحريف والصواب:

اتمهل.

وفيه^(٣) "اللَّيحانِيّ: ارمعلّ دُمُعه"، الصواب: اللّحيانِيّ.

وفيه^(٤) "ويقال: كدحه وكدهه، ووقع من السّطح فتكدّج وتكدّه"، الصواب:

وتكدّح، بالحاء، جاء في اللسان^(٥): "ووقع من السّطح وتكدّح".

وفيه^(٦) "أبو عبيد: فأما قولهم مَهَمَّ وَمَحَمَّ فإبدال قياسي لا حاجة بنا إلى ذكره

هنا..."، مَهَمَّ وَمَحَمَّ، تحريف، والصواب: مَعَهُمَّ وَمَحَمَّ: وهي لغة سعدٍ حيث تغلب

الحاء على العين في لغة سعد فيقولون: كنت مَحُمَّ في معنى مَعَهُم، وقد نُسبت

كذلك لتميم، قال المبرّد (ت ٢٨٦هـ): "مَحُمَّ: تريد: مَعَهُم.. وهي كثيرة في كلام

بني تميم..."^(٧).

(١) ابن يعيش، شرح المفصل، ١٨١/٤.

(٢) ابن سيده، المخصّص، تحقيق عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت،

٢٠٠٥، ج٣، ص٣٨٣.

(٣) نفسه، ٣٨٤/٣.

(٤) المخصّص، ٣٨٤/٣.

(٥) اللسان، كدح.

(٦) المخصّص، ٣٨٦/٣.

(٧) المبرّد، المقتضب، ٣٤٣/١؛ وانظر اللسان، شنت، ٤٥/٢.

وقد نُسبت هذه اللّغة، كذلك، لهذيل^(١)، وقد فسّر المبرِّدُ هذا القلبَ لقرب العين من الحاء؛ لذلك جاز الإدغام في قولهم: مَحْم، تريد: مَعْم^(٢).

وقد تسرّب هذا المظهرُ اللهجيُّ إلى القراءات القرآنية، ففي قوله تعالى^(٣): ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ قرأها يحيى بن وثّاب "أحد" وقد عزاها غيرُ واحد لتمييم^(٤). وما تزال هذه الظاهرة -أي إبدال العين حاء-، ماثلةً في اللهجة الأردنيّة، فنسمعهم يقولون: "رُحّت مَحْم"، في معنى: مَعْم.

وفيه^(٥) "قال الشاعر: تخون السّيرُ فيها تامكاً فرداً". تصحيف، الصواب: قَرْداً، بالقاف، لا بالفاء. والشاهد لابن مقبل، كما في اللسان^(٦).

وفيه^(٧) "أتانا بسُدفة وسُدفة، وهو السُدْف والسُدْقُ.."، تصحيف، صوابه: والشُدْف، بالشين والفاء .

جاء في اللسان^(٨) "والشُدفة والشُدفة من الليل كالسُدفة بالسّين المهملة، وهي الظلّمة، والشُدْف كالشُدفة التي هي الظلّمة".

وفيه^(٩) "يقال: انقاضت الركيّة وانقاضت السّنُّ إذا تشققت طولاً.."، الصواب: انقاضت السّنُّ بالصاد، جاء في اللسان^(١٠) "يقال: انقاضت الركيّة، وانقاضت السّنُّ أي تشققت طولاً".

(١) السمين الحلبيّ، الدّر المصون، ١٢/١٧٨.

(٢) المقتضب، ١/٣٤٢.

(٣) سورة يس، الآية ٦٠.

(٤) أبو حيّان، البحر المحيط ٧/٣٤٣، والسمين الحلبيّ، الدّر المصون، ٥/٤٩١.

(٥) المخصّص ٣/٣٨٧.

(٦) اللسان، خوف.

(٧) المخصّص ٣/٣٨٨.

(٨) اللسان، شدف. وفي إصلاح المنطق، ص ١١٤: "الفرّاء: وخرجنا بسُدفةٍ من الليل وسُدفة، وشُدفة وشُدفة".

(٩) المخصّص ٣/٣٩٠.

(١٠) اللسان، قيص.

وفيه^(١) "السدى والسدى، وأما السدى من الندى في الدلالة لا غير.."، الوجه:
فبالدال لا غير.

وفيه^(٢) "وقال حميد بن نور"، الوجه: ثور.

وفيه^(٣) "والغزبل والغرين: ما يبقى من الماء في الحوض أو الغدير".

الغرين، تصحيف، صوابه: الغرين، بالباء، جاء في اللسان^(٤): "قال ثعلب:
الغزبل والغرين: ما يبقى من الماء في الحوض والغدير.. لا يُقدر على شربه".

وفيه^(٥) "وقال الفراء: هو شأن الأصابع وششلها.."، الصواب: شثن، رجل
شثن الأصابع: غليظها، وزعم يعقوب وأبو عبيد أن لامها بدل نون شثن^(٦).

وفيه^(٧) "اللحياني: أبانا وما عليه طحربة..."، تحريف، صوابه: أانا.

كتاب الحُلل في شرح أبيات الجمل للبطلْيوسِيّ:

وفيه^(٨) "وأما هقان فاسم مرتجل غير منقول، وهو مشتق من الهفيف، وهو:
السرة والخفة.."، السرة: لعل الوجه: السرعة.

وفيه^(٩) "الوجه الثاني: أنها لما دعت لهم ببناء الذكر بعد موتهم"، ببناء،
تحريف، صوابه: ببقاء.

(١) المخصّص، ٣/٣٩٢.

(٢) نفسه، ٣/٣٩٤.

(٣) نفسه، ٣/٣٩٤.

(٤) اللسان، غزل، غزن.

(٥) المخصّص، ٣/٣٩٤.

(٦) اللسان، ششل.

(٧) المخصّص، ٣/٣٩٧.

(٨) البطلْيوسِيّ، الحُلل في شرح أبيات الجمل، ص ٧.

(٩) نفسه، ص ١٠.

وفيه^(١) "وقد يجوز أن تكون دعت بقولها: لا يَبْعَدَن.. لمن بقي من فوقها"، تحريف، وصوابه: من قومها.

وفيه^(٢) "وإذا وصفوه بطهارة الكُمّ أو الرذن وهو الكُمّ بعينه—أرادوا أنه لا يخون ولا يشرق"، تصحيف، صوابه: ولا يسرق.

وفيه^(٣) "والكثير في كلام يُستعمل على معنيين: الجليل: يقال كَثُرْتُ بك، أي: اعتزرت بك"، تصحيف، والصواب: اعتزرت.

دقائق التصريف لابن المؤدّب^(٤).

ولا تخلو نشرة هذا الكتاب القيم من أخطاء تنوّعت بين: التصحيفات، والتحريفات، وأخطاء الطباعة، إضافة إلى ترك كثير من الشواهد الشعرية غفلاً من العزو، والتّخريج، والضبط.

وسأذكر بعض النماذج من هذه الأخطاء، والملاحظات، أمّا الكتاب كاملاً، وبخاصة تخريج الشعر، وضبطه، وعزوه، فسأرجئه إلى قابل الأيام لأخصّه بحديث مستقلّ مفصلّ بمشيئة الله.

ومن ذلك^(٥) "والماضي يكون بمعنى المستقبل في باب الجزء..."، الوجه:

الجزء.

(١) الحلل في شرح أبيات الجُمْل، ص ١٠.

(٢) نفسه، ص ١٢.

(٣) نفسه، ص ١٤.

(٤) ابن المؤدّب، القاسم بن محمّد بن سعید (من علماء القرن الرابع الهجري)، دقائق التصريف، تحقيق د. حاتم الضامن، أحمد ناجي القيسي، حسين تورال، المجمع العلمي العراقي، ط ١، ١٩٨٧م.

(٥) دقائق التصريف، ص ٢٠.

وفيه^(١) "الأفعال نحو: رُزام: وهو إذا ينبعث البعير من الهراك..." .

الصواب: إذا تعب البعيرُ من الهُزال^(٢)، ينبعث: صوابها تعب. الهراك: صوابها: الهزال.

وفيه^(٣) "ومنه قيل: عاقر الخمرة وأرقعها، أي دام على شربها..."، أرقعها: تحريف، والصواب: أعقرها^(٤).

وفيه^(٥) "فإذا كان الفعل على: فَعَلَ يَفْعُلُ، خرج مصدره على (فَعَلٍ) نحو: القَطْعُ، والتَّعْبُ".

التعب تصحيف، صوابه: النَّقْبُ.

وفيه^(٦) "قال الفرّاء: أمّا قولهم: نَعَجَةٌ رَعُوْثٌ..."، رعوث: تصحيف، والصواب: نَعَجَةٌ رَعُوْثٌ، وهي النعجة المرضعة، جاء في العين^(٧) "كلُّ مرضعة رعوث ترغث ولدها أي ترضعه".

وهذه الكلمة مستعملة في البوادي، والأرياف في الأردنّ، يقولون للشاة المرضعة: رَعُوْثٌ ورَغْثٌ، وللتّي لا أولادَ، ولا لبنَ لها: جَلْدُ.

وفيه^(٨) "ومَقْلَاتٍ ومَقَالِيَتٍ، وهي التي لا يعيش لها ولد، قال ابن السكّيت: هو مأخوذٌ من (القَلَّتِ) وهو الهلال"، الهلال: تصحيف، صوابه: الهلاك^(٩).

(١) دقائق التصريف، ص ٥٤.

(٢) في الفائق للزمخشري، ص ١٦٧، "رزم البعير رُزاماً إذا لم يقدر أن ينهض هُزالاً".

(٣) دقائق التصريف، ص ٧١.

(٤) اللسان، عقر.

(٥) دقائق التصريف، ص ٤٧.

(٦) نفسه، ص ٧٦.

(٧) العين، رغث، والتّهذيب، رغث، اللسان، رغث.

(٨) دقائق التصريف، ص ٧٨.

(٩) في إصلاح المنطق، ص ٧٦، "وامرأة مقلات: لا يعيش لها ولد، وأصله من القلّت، أي الهلاك. وفي غريب الحديث لابن قتيبة، ص ٣٣٧، المقلّنة: المهلكة".

وفيه^(١) "وَيُصْرَفُ إِلَى فِعْلٍ: نحو: شَرِيبٌ وَشَكِيرٌ".

شَكِيرٌ تصحيف، صوابه: سَكِيرٌ^(٢).

وفيه^(٣) "قد يُعَبَّرُ عن الجميع والاثنتين بلفظ الواحد من غير أن يكون مبنياً بالمصدر.."، مبنياً: لعلها: "مبنيّاً".

وفيه^(٤) "فشبَّهها بالحائض والطاقق والعارك"، العارك: تصحيف، صوابه: الفارك، لأنها أوصاف خاصة بالمرأة.

وفيه^(٥) "وإذا أمرت الرجلين أو نهيتهما قلت: اضربان ولا تضربان، بمدّة بين ألف التنثية والنون الثقيلة كراهية النقاء الساكنين لأنّ أوّل اللفظ من النون الثقيلة ساكن..".

قلت: ثمة قلقٌ في عبارة: بمدّة بين ألف التنثية والنون الثقيلة: فلعلها بمدّ أو بعد، وقد يكون ابن المؤدب قصد: بمدّ الفتحة قبل ألف التنثية لتصير ألفاً، إذ ليس بين ألف التنثية والنون مدّة؛ فالمدّة هي الألف الفاصلة بينهما لكيلا يلتقي ساكنان وفق تعبير القدامى، أو لكيلا يتشكّل المقطع الصوتي المرفوض (ص ح ح ص) وفق تعبير اللسانيين المحدثين^(٦).

وفيه^(٧) "نحو قولك: كذب عليك الحجّ، كذب عليك الغزوّ، كذب عليك العمرة، ثلاثة أسقاب كذبنّ عليك، أي عليك بهنّ".

(١) دقائق التصريف، ص ٧٨.

(٢) إصلاح المنطق، ص ٧٩.

(٣) دقائق التصريف، ص ٨١.

(٤) نفسه، ص ٩٢.

(٥) نفسه، ص ١١٥.

(٦) حول المقطع الصوتي وكراهية المقطع المرفوض، انظر: الشايب، فوزي، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، ص ٣١٩.

(٧) الصاحب بن عباد، المحيط، كذب، الجوهرى، الصحاح، كذب، ابن منظور، اللسان، كذب.

أسقاب: تحريف، صوابها، أسفار^(١)

وفيه^(٢) "وقد يكون (فُعال) مصدرًا أيضاً فيما يُرمى به ويُرفض، نحو: الحُتَّان، والرُّفات..."، به لعلها: منه.

وفيه^(٣) "وسمّي مفكوكاً لأنه فُكَّ بين الحرفين المتجانسين بحرف يخالفهما، نحو: سدّس، وثلث، وحرّج"، حرج: تصحيف صوابه: وحرّج بالحاء.

وفيه^(٤) "كالحوقلة والحيقال: وهو كبر الشيخ وتفاتييه وقعوده عن الجماع..."، تفاتييه: تصحيف صوابه: تفانييه.

وفيه^(٥) "قول الشاعر جرير: ويا حبّذا برداً أنيابه"، الوجه: بردٌ.

وفيه^(٦) "وقلّ ما تنبت لهم لكثرة الأمطار".

تنبت: تصحيف: صوابه: تثبت، لأنّ الحديث قبلها عن قراميد بيوت أهل

الشام من الأجر، ثم كيف يستقيم عدم الإنبات مع كثرة الأمطار!!؟

وفيه^(٧): "لأنّهم لو أدغموا مسكن الحرف الأول ولم يجدوا إلى تحريك الآخر

سبيلاً فكرهوا الجمع بين الساكنين".

مسكن: الصواب: لسكن، أو لسكّن.

(١) ابن خالويه، شرح مقصورة ابن دريد، تحقيق محمود جاسم، دار الرشد، ط١، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٨٦، ص ٢٦٥.

(٢) دقائق التصريف، ص ١٣٤.

(٣) نفسه، ص ١٥١.

(٤) نفسه، ص ١٧٩.

(٥) نفسه، ص ١٨١.

(٦) نفسه، ص ١٨٦.

(٧) نفسه، ص ١٩٤.

وفيه^(١) "وقال الآخر:

شَرَيْتُ جِيَادَ الْخَيْلِ وَابْتَعْتُ مُفْرِقاً كُمُشْتَرِيٍّ بِالْخَيْلِ أَحْمَرَةً بُتْرًا".

مُفْرِقٌ: تحريف، صوابه: **مُقْرِفٌ**، و"المُقْرِفُ من الخيل: الهجين، وهو الذي أمُّه بردونة، وأبوه عربي، وقيل: العكس"^(٢).

وفيه^(٣) "قال ابن السكيت: يقال للرجل إذا كان ضابطاً للأمر **عالياً أهلها:** إنّه لطلاع أنجد وطلاع الثنايا".

عالياً أهلها: تحريف: والصواب: "**غالباً لها**" كما في إصلاح المنطق، ص ٤٧.

وفي اللسان^(٤) "ومنه قولهم: طلاعُ أنجدٍ، ضابطٌ للأمر **غالبٌ لها**".

وفيه^(٥) "والإحباب أيضاً: سقوط البعير من الكلاً وبروكه"، **الكلاً:** تحريف، والصواب: **الكلال**، جاء في العين^(٦) والإعياء: **الكلالُ**.

وفيه^(٧) "وتقول في الفعل الماضي منه: تفاعل، **بناءً** في أوله..."، الوجه: **بتاء، وهو من أخطاء الطباعة**.

وفيه^(٨) "وقالت: على سهل **الخليفة مَضْرَحِيٌّ**"، **الخليفة** تصحيف، والصواب: **الخليقة**.

(١) دقائق التصريف، ص ١٩٦.

(٢) اللسان، قرف.

(٣) دقائق التصريف، ص ٢٠٢.

(٤) اللسان، نجد.

(٥) دقائق التصريف، ص ٢١٠.

(٦) العين، عيي.

(٧) دقائق التصريف، ص ٢١٠.

(٨) نفسه، ص ٢١٣.

وفيه^(١) "والْبَرَزُ: وهو الصَّلَابَةُ..."، الْبَرَزُ: تصحيف، صوابه: الْيَزْرُ، وَالتَّرْرُ، وكلاهما بمعنى الصُّلْبِ، ((قال: الليث: الْيَزْرُ، مصدر الْأَيَّرَ، ويقال: صخرَةٌ يَزْرَاءُ، وَحَجَرٌ أَيَّرٌ))^(٢).

وفيه^(٣) "وكرهوا أَنْ يَجْتَمِعُوا على ((يَوْدُ)) سقوط الواو مع علة الإدغام"، يجتمعوا: صوابها: يجمعوا.

وفيه^(٤) "قيل له: فَلِمَ أَسْقَطْتَهَا في (يَوَجَلُ) وفيها حاءٌ، وهي من حروف الحلق أيضاً".

يوجل: تصحيف، صوابها: يُوَجِّلُ.

وفيه^(٥) "لأنَّ الحاءَ عينُ الفعل ليست لامها"، الوجه: لامها.

(١) دقائق التصريف، ص ٢١٧.

(٢) التهذيب، لفّ، ترر، وكذا التَّرْرُ بمعنى الصلابة، تَرَّتْ يَدُهُ تَتَرُّ: صَلَبَتْ.

(٣) دقائق التصريف، ص ٢٢٣.

(٤) نفسه، ص ٢٢٣.

(٥) نفسه، ص ٢٢٤.

المصادر والمراجع

- ١- ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، ط١، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، ١٩٦٣.
- ٢- ابن الأنباري، محمد بن القاسم، المذكر والمؤنث، تحقيق طارق عبد الجنابي، ط١، دار الزائد العربي، بيروت، ١٩٨٦.
- ٣- الأزهرّي، أبو منصور محمد بن أحمد (ت ٣٧٠ هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق محمد عوض مرعب، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١.
- ٤- الأعرابي، أبو مسحل، النوادر، تحقيق عزّة حسن، ط١، مجمع دمشق، ١٩٦٥.
- ٥- البطلبوسيّ، أبو محمد عبدالله بن محمد بن السّيد (ت ٥٢١ هـ):
- ٦- الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، تحقيق مصطفى السقا ود. حامد عبدالمجيد، مطبعة دار الكتب المصريّة، القاهرة، ١٩٩٦.
- ٧- الحلل في شرح أبيات الجمل، تحقيق يحيى مراد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣.
- ٨- ذكر الفرق بين الأحرف الخمسة، تحقيق حمزة النشرتي، دار المريخ للنشر، د.ت.
- ٩- ذكر الفرق بين الحروف الخمسة، تحقيق علي زوين، مطبعة العاني، بغداد، (د.ت).
- ١٠- المثالث، تحقيق صلاح مهدي الفرطوسي، دار الرشيد، ط١، بغداد، ١٩٨١.
- ١١- التبريزيّ، أبو زكريا يحيى بن علي الخطيب (ت ٥٠٢ هـ) تهذيب إصلاح المنطق، تحقيق فوزي مسعود، ط١، بغداد، ١٩٩١.
- ١٢- الثعالبي، أبو منصور عبدالملك بن إسماعيل (ت ٤٣٠ هـ)، فقه اللغة وسرّ العربية، تحقيق: مصطفى السقا وزميليه، دار الفكر، ط٣، د.ت.
- ١٣- الجوهريّ، إسماعيل بن حمّاد، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧.
- ١٤- ابن جنّي، أبو الفتح:
- الخصائص، تحقيق محمد علي النجّار، ط٢، دار الهدى، بيروت، د.ت.

- سرّ صناعة الإعراب، تحقيق حسن هنداوي، ط٢، دار القلم، دمشق، ١٩٩٣.
- ١٥- الحريري، القاسم بن علي (ت٥١٦هـ)، **درّة الغوّاص في أوّهام الخواصّ**، تحقيق عرفات مطرحي، مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، بيروت، ١٩٩٨.
- ١٦- الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف، ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق مصطفى النماس، ط١، ١٩٨٩.
- ١٧- ابن درستويه، أبو محمد عبدالله بن جعفر (ت٣٣٧هـ)، **تصحیح الفصح**، تحقيق محمد بدوي المختون، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ط١، القاهرة، ١٩٩٨.
- ١٨- ابن دريد، محمد بن الحسن (ت٣٢١هـ)، **جمهرة اللغة**، تحقيق رمزي بعلبكي، ط١، بيروت، ١٩٨٧.
- ١٩- الدينوري، ابن قتيبة:
- الجرائم، تحقيق محمد جاسم الحميدي، ط١، وزارة الثقافة، دمشق.
- غريب الحديث، تحقيق عبدالله الجبوري، ط١، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٦.
- ٢٠- الزاهد، أبو عمر محمد بن عبدالواحد، **العشرات في غريب اللغة**، تحقيق يحيى جبر، ط١، عمّان، ١٩٨٤.
- ٢١- الزبيدي، أبو بكر محمد بن حسن بن مُنذج (ت٣٧٩هـ)، **مختصر العين**، تحقيق د. صلاح الفرطوسي، دار الشؤون الثقافية، ط١، بغداد، ١٩٩١.
- ٢٢- الزبيدي، أبو بكر محمد بن حسن، **لحن العوامّ**، تحقيق رمضان عبدالنوّاب، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠٠.
- ٢٣- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، **تاج العروس من جواهر القاموس**، مجموعة من المحققين، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٦٥ - ٢٠٠١.
- ٢٤- الزمخشري، جار الله محمود بن عمر، **أساس البلاغة**، تحقيق باسل عيون السود، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨.

- ٢٥- السعدي، أبو سليمان داود بن يزيد (ت ٥٧٣هـ)، شرح أدب الكتاب ويليّه تعليقات أبي علي القالي على أدب الكتاب لابن قتيبة، جمع وتوثيق وتقديم د. محمد مرزاق، دار ابن حزم، ط١، بيروت، ٢٠٠٩.
- ٢٦- ابن السكيت، يعقوب، إصلاح المنطق، تحقيق أحمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون، ط٣، دار المعارف، القاهرة.
- ٢٧- سيبويه، عمرو بن عثمان (ت ١٨٠هـ)، الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٣.
- ٢٨- ابن سيده، المخصص، تحقيق عبدالحميد هنداوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥.
- ٢٩- السيوطي، جلال الدين (ت ٩١١ هـ)، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وزملائه، دار الفكر، د.ت.
- ٣٠- الصفي، خليل بن أبيك، (ت ٧٦٤هـ)، تصحيح التصحيف وتحريّر التحريف، تحقيق السيد أحمد الشرقاوي، مراجعة رمضان عبدالنواب، مكتبة الخانجي، ط١، القاهرة، ١٩٨٧.
- ٣١- الصقّلي، ابن القطّاع (ت ٥١٥هـ)، كتاب أبنية الأسماء والأفعال والمصادر، تحقيق أ. د. أحمد محمد عبدالدايم، مطبعة دار الكتب المصرية، ط١، القاهرة، ١٩٩٩.
- ٣٢- الصيمري، أبو محمد عبدالمؤمن بن علي، التبصرة والتذكرة، تحقيق د. فتحي أحمد مصطفى عليّ الدين، دار الفكر، ط١، دمشق، ١٩٨٢.
- ٣٣- الشايب، فوزي، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، ط١، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ٢٠٠٤.
- ٣٤- ابن عبّاد، صاحب، المحيط في اللغة، تحقيق محمد حسن آل ياسين، ط١، عالم الكتب، بيروت، ٢٠١١.
- ٣٥- عبدالنواب، رمضان، التطور اللغويّ مظهره وعلله وقوانينه، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٧.

- ٣٦- العلوي، يحيى بن حمزة (ت ٧٤٩هـ)، المنهاج في شرح جمل الزجّاجي، تحقيق د. هادي عبدالله ناجي، إشراف حاتم الضامن، مكتبة الرشد، ط١، الرياض ٢٠٠٩.
- ٣٧- الفارسي، أبو علي (ت ٣٧٧هـ):
- التكملة، تحقيق حسن شاذلي فرهود، عمادة شؤون المكتبات، ط١، الرياض، ١٩٨١.
- التكملة، تحقيق كاظم بحر المرجان، عالم الكتب للطباعة والنشر، ط١، بيروت، ١٩٩٩.
- ٣٨- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، معجم العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ط١، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨١.
- ٣٩- الفيروز أبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٥.
- ٤٠- الفيومي، أحمد بن محمد بن علي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت. د.ت.
- ٤١- اللحي، ابن هشام، شرح الفصيح، تحقيق مهدي عبيد جاسم، ط١، بغداد، ١٩٨٩.
- ٤٢- اللغوي، أبو الطيب علي بن عبدالواحد، الإبدال، تحقيق عزّ الدين التتوخي، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٦٠.
- ٤٣- ابن المؤدب، القاسم بن محمد بن سعيد (من علماء القرن الرابع الهجري)، دقائق التصريف، تحقيق د. حاتم الضامن وزميليه، ط١، المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٧م.
- ٤٤- الميرد، محمد بن يزيد (ت ٢٨٦هـ)، المقتضب، تحقيق محمد عبدالخالق عضية، عالم الكتب، بيروت، د. ت.
- ٤٥- ابن منظور، محمد بن مكرم، (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٥٥.

- ٤٦- الميدانيّ، أبو الفضل أحمد بن محمد، مجمع الأمثال، وثق أصوله وعلّق عليه سعيد اللّحام، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٢.
- ٤٧- الهدليّون، ديوان الهدليّين، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥.
- ٤٨- الهرويّ، أبو عبيد القاسم بن سلّام، غريب الحديث، تحقيق محمد عبدالمعين خان، ط١، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، ١٩٦٤.
- ٤٩- الهرويّ، أبو سهل محمد بن علي (ت٤٣٣هـ)، إسفار الفصيح، تحقيق د. أحمد ابن سعيد قشاش، ط١، الجامعة الإسلامية، ١٤٢٠هـ.

References

- 1- Ibn al-'Athīr, Abu al-Sa'adāt al-Mubāarak bin Muhammad. *al-Nihāyah fi Gharīb al-Ḥadīth wa al-'Athar*. Collated by Ṭāhir al-zāwi & Mahmoud al-Ṭnāḥi, Edition 1. 'Īsa al-Bābi al-Ḥalabi Press, 1963.
- 2- Ibn al-'Anbāri, Muhammad bin al-Qāsim. *al-Mudhakkar wa al-Mu'annath*. Collated by Ṭāriq Abd al-Janābi. Edition 1. Dār al-Rā'id al-'Arabi, Beirut, 1986.
- 3- al-'Azhari, Abu Manṣūr Muhammad bin Ahmad (d. 370 H). *Tahdhīb al-Lughah*. Collated by Muhammad 'Awaḍ. Edition 1. Dar Iḥyā' al-Turāth al-'Arabiyy. Beirut, 2001.
- 4- 'al-A'rābi, Abu Miṣhal. *al-Nwādir*. Collated by 'Azzah Ḥasan, Edition 1. Majma' of Damascus. 1965.
- 5- al-Baṭalayausi, Abu Muhammad Abdullah bin Muhammad bin al-Siyyad. *al-'Iḡtiḍāb fi Sharḥ 'Adab al-Kitāb*. Collated by Muṣṭafa al-Saqqā & Dr. Ḥāmid Abdulmajid. Dār al-Kutub al-Miṣriyyah Press. Cairo, 1996.
- 6- *al-Ḥulal fi Sharḥ Abyāt al-Jumal*. Collated by Yaḥya Murād. Edition 1. Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah, Beirut, 2003.
- 7- *Dhikr Afarq bayn al-'Ḥruf al-Khamsah*. Collated by Ḥamzah al-Nasharty. Dār al-Marīkh, n.d.
- 8- *Dhikr Afarq bayn al-'Ḥruf al-Khamsah*. Collated by Ali Zwīn. al-'Āni Press, n.d.

- 9- *al-muthallath*. Collated by Ṣalāh Maḥdi al-Farṭūsi. Dār al-Rashīd. Edition 1. Baghdad, 1981.
- 10- al-Tabrīzi, Abu Zakariyya Yaḥya bin Ali al-Khatīb. *Tahdhīb Iṣlāḥ Amanṭiq*. Collated by Fawzi Mas‘ūd. Edition 1. Baghdad, 1991.
- 11- al-Tha‘ālibi, Abu Maṣṣūr ‘Abdulmalik bin Isma‘īl. *Fiḥ al-Lughah wa Sirru al-‘Arabiyyah*. Collated by Muṭafa al-Saqqā and two others. Dār al-Fikr. Edition 3. n.d.
- 12- al-Jawhariyy, ‘Ismā‘īl bin Ḥammad. *Tāj al-Lughah wa Ṣiḥāḥ al-‘Arabiyyah*. Collated by Ahmad Abdulghafūr Aṭṭar. Edition 4. Dār al-‘Ilm Lilmalāyīn, Beirut, 1987.
- 13- Ibn Jinni, Abu al-Faḥ. *al-Khaṣā’iṣ*. Collated by Muhammad Ali al-Najjar. Edition 2. Dār al-Huda, Beirut, n.d.
- a. *Sirr Ṣinā‘at al-‘li‘rāb*. Collated by Ḥasan Hindāwi. Edition 2. Dār al-Qalam, Damascus, 1993.
- 14- al-Ḥarīri, al-Qāsim bin Ali (d. 516 H). *Durrat al-Ghawwāṣ fi Awhām al-Khawāṣ*. Collated by Arafāt Maṭraḥi. Mu’assasat al-Kutub al-Thaqāfiyyah. Edition 1. Beirut, 1998.
- 15- al-‘Andalusi, Abu Ḥayyān Muhammad bin Yousef. *Irtishāf al-Ḍarab min Lisān al-‘Arab*. Collated by Muṭafa al-Nammās. Edition 1. 1989.
- 16- Ibn Durastawayh, Abu Muhammad Abdullah bin Ja‘far. *Taṣḥīḥ al-Faṣīḥ*. Collated by Muhammad Badawi al-Makhtūn. Wazārat al’Awqāf (Ministry of Waqfs), al-Majlis ‘al-‘la li al-Shu’ūn al-‘Islāmiyyah (Supreme Council for Islamic Affairs). Edition 1. Cairo, 1998.

- 17- Ibn Durayid, Muhammad bin al-Ḥasan (d. 321 H). *Jamharat al-Lughah*. Collated by Ramzi al-Ba‘labki. Edition 1. Beirut, 1987.
- 18- al-Dīnawariyy, Ibn Qutaybah. *al-Jarathīm*. Collated by Muhammad Jāsīm al-Ḥmidi. Edition 1. Ministry of Culture, Damascus. n.d.
- a. Gharīb al-Ḥadīth. Collated by Abdullah al-Jbūrī. Edition 1. al-‘Āni Press, Baghdad, 1976.
- 19- al-zāhid, Abu ‘Umar Muhammad bin ‘Abdilwāḥid. *al-Asharāt fi Gharīb al-Lughah*. Collated by Yaḥya Jabr. Edition 1, Amman, 1984.
- 20- al-zubaydi, Abu Bakr Muhammad bin Ḥasan bin Mudhḥij (d. 379 H). *Mukhtaṣar al-‘Ayn*. Collated by Ṣalāh al-Farṭūsi. Dār al-Shu‘ūn al-Thaqāfiyyah. Edition 1, Baghdad, 1991, 1/68.
- 21- al-zubaydi, Abu Bakr Muhammad bin Ḥasan. *Laḥn al-‘Awām*. Collated by Ramaḍān ‘Abdultawwāb. Edition 2. Maktabt al-Khānji, Cairo, 2000.
- 22- al-zabīdi, Muhammad Murtaḍa al-Ḥusayni. *Tāj al-‘Arūs min Jawāhir al-Qāmūs*. A group of collators. Kuwait Government Press. 165-2001.
- 23- al-zamakhshari, Jar Allah Muḥamūd bin ‘Umar. *Asās al-Balāghah*. Collated by Basil ‘Uyūn al-Sūd. Edition 1. Dār al-Kutub al-‘Ilmiyyah, Beirut, 1998.
- 24- al-Sa‘dī, ‘Abu Sulaymān Dawūd bin Yazīd. *Sharḥ ‘Adab al-kuttāb wa yalīh Ta‘līqāt Abi Ali al-Qāli on ‘Adab al-kuttāb by*

- Ibn Qutaybah*. Collected, documented and introduced by Muhammad Mirzāq. Dār Ibn Ḥazm. Edition 1. Beirut, 2009.
- 25- Ibn al-Sikīt, Yacoub. *Iṣlāḥ al-Mantiq*. Collated by Ahmad Muhammad Shākir and ‘Abdusalām Harūn. Edition 3. Dār al-Ma‘ārif, Cairo. n.d.
- 26- Sībawayh, ‘Amr bin ‘Othmān (d. 180 H). *al-Kitāb*. Collated by ‘Abdusalām Harūn. ‘Ālam al-kutub. Beirut, 1983.
- 27- Ibn Sīdah. *al-Mukhaṣṣaṣ*. Collated by Abdulaḥamīd Hindāwi. Edition 1. Dār al-Kutub al-‘Ilmiyyah, Beirut, 2005.
- 28- al-Suyūṭī, Jalāl al-Dīn (d. 911H). *al-Muzhir fi ‘Ulūm al-Lughah wa Anwā‘uha*. Collated by Muhammad Ahmad Jād al-Mawla and his colleagues. Dār al-Fikr. n.d.
- 29- al-Ṣafadi, Khalīl bin ‘Ayybak (d. 764). *Taṣḥīḥ al-Taṣḥīf wa Taḥrīr al-Taḥrīf*. Collated by Mr. Ahmad al-Sharqāwi. Revised by Ramaḍan ‘Abdultawwāb. Maktabat al-Khānji. Edition 1. Cairo, 1987.
- 30- al-Ṣiqilli Ibn al-Qaṭṭā‘ (d. 515 H). *Kitāb ‘Abniyat al-‘Asmā’ wa al-Af‘āl wa al-Maṣādir*. Collated by Professor Ahmad Muhammad ‘Abdualdāyim. Dār al-Kutub al-Miṣriyyah Press. Edition 1. Cairo, 1999, P. 96.
- 31- al-Ṣaymariyy, Abu Muammad Abdulmu’min bin Ali. *al-Tabṣīrah wa al-Tadhkirah*. Collated by Dr. Faṭḥi Ahmad Muṣṭafa ‘Aliyy al-Ddīn. Dār al-Fikr, edition 1. Damascus, 1982.

- 32- al-Shāyib, Fawzi. *'Athar al-Qawārīn al-Şawtiyyah fi Binā' al-Kalimah*. Edition 1. 'Ālam al-Kutub al-Ḥadīth, Irbid, Jordan, 2004.
- 33- Ibn 'Abbad, al-Şāḥib. *al-Muḥīṭ fi al-Lughah*. Collated by Mohammad Ḥasan 'Āl Yasīn. Edition 1. 'Ālam al-Kutub, Beirut, 2011.
- 34- 'Abdultawwāb, Ramaḍān. *al-Taṭwwur al-Lughawī: Maḏāhiruhu wa 'Ilaluhu wa Qawārīnuhu*. Edition 2. Maktabt al-Khānji, Cairo, 1987.
- 35- al-'Alawī, Yaḥya bin Ḥamzah (d. 749 H). *al-Minhāj fi Sharḥ Jumal al-zajjajī*. Collated by Hādī Abdullah Nāji. Supervised by Ḥatim al-Ḍāmin. Maktabt al-Rushd, Edition 1, Riyadh, 2009.
- 36- al-Fārisī, Abu Ali (d. 377 H). *al-Takmilah*. Collated by Ḥasan Shādhli Farhūd. 'Amādat Shu'ūn al-Maktabāt (Deanship of Library Affairs). Edition 1. Riyadh, 1981, P. 81.
- 37- *al-Takmilah*. Collated by Kaẓim Bahr al-Marjān. 'Ālam al-kutub li al-Tibā'ah wa al-Nashr. Edition 1. Beirut, 1991.
- 38- al-Farāhidī, al-Khalīl bin Ahmad. *Mu'jam al-'Ayn*. Collated by Mahdi al-Makhzūmi and Ibrahīm al-Sāmīrrā'i. Edition 1. Dār al-Rashīd, Baghdad, 1981.
- 39- al-Fayrūz 'Abādi, Muhammad bin Yacoub. *al-Qāmūs al-Muḥīṭ*. Edition 1. Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah, Beirut, 1995.
- 40- al-Fayyūmi, Ahmad bin Muhammad bin Ali. *al-Miṣabāh al-Munīr fi Gharīb al-Sharḥ al-Kabīr*. al-Maktabah al-'Ilmiyyah, Beirut, n.d.

- 41- al-Lakhmi, Ibn Hishām. Sharḥ al-Faṣīḥ. Collated by Mahdi ‘Ubayd Jāsīm. Edition 1. Baghdad, 1989.
- 42- al-Lughawiy, Abu al-Ṭṭayyib Ali bin ‘Abdilwāḥid. *al-’Ibdāl*. Collated by ‘Izz al-Ddīn al-Tanūkhi. Maṭbū‘āt al-Majma‘ al-‘Ilmi al-‘Arabi (Arab Academy), Damascus, 1960.
- 43- Ibn al-Mu’addib, al-Qāsīm bin Muhammad bin Sa‘īd. (one of the scholars of the fourth century of Hijrah). *Daqā’iq al-Taṣṣīf*. Collated by Ḥatim al-Dāmin and his two colleagues. Edition 1. al-Majma‘ al-‘Ilmi al-‘Iraqi’, 1987.
- 44- al-Mubarrid, Muhammad bin Yazīd (d. 286 H). *al-Muqtaḍab*. Collated by Muhammad Abdalkhāliq ‘Uḍaymah. ‘Ālam al-Kutub, Beirut, n.d.
- 45- Ibn Mazūr, Muhammad bin Mukarram (d. 711 H). *Lisān al-‘Arab*. Edition 1. Dār Ṣādir, Beirut, 1995.
- 46- al-Maydāniy, ‘Abu al-faḍl Ahmad bin Muhammad. *Majma‘ al-’Amthāl*. Verified and commented on by Sa‘īd al-Laḥḥām. Dār al-Fikr Liṭibā‘ah wa al-nashr, Beirut, 1992.
- 47- al-Hudhaliyyūn. *Diwān al-Hudhaliyyūn*. al-Dār al-Qawmiyyah Liṭibā‘ah wa al-Nashr, Cairo, 1965.
- 48- al-Harawiyy, Abu ‘Ubayd al-Qāsīm bin Sallām. *Gharīb al-Ḥadīth*. Collated by Muhammad Abdulmu‘īn Khan. Edition 1. Maktabat Da’iratul Ma’arif Osmania. Hyder Abad Deccan, 1964.
- 49- al-Harawiyy, Abu Sahl Muhammad Bin Ali (d. 433 H). *Isfār al-Faṣīḥ*. Collated by Ahmad bin Sa‘īd Qashshāsh. Edition 1. Islamic University, 1420 H.

ثالثاً: أخبار جمعية

مجمع اللغة العربية الأردني يفتح مشروع "مكتبة المجمع للأطفال"

افتتح الأستاذ الدكتور خالد الكركي رئيس المجمع صباح يوم السبت الموافق ٢٠١٧/٧/٢٩م مشروع "مكتبة المجمع للأطفال"، وبين خلال افتتاحه المشروع بمقر مجمع اللغة العربية الأردني أن العناية باللغة العربية وتمكين الأطفال من إتقانها يقع في صلب أولويات المجمع، مؤكداً أن أبواب المجمع ستكون مفتوحة أمام الأطفال كل يوم سبت من الساعة العاشرة صباحاً حتى الساعة الثالثة عصراً. وقال الدكتور الكركي إن المجمع يفكر بإطلاق مجلة تعنى بالأطفال ومسابقة للخطابة خاصة بهم.

واشتمل حفل الافتتاح على قراءة قصصية للأطفال قدمتها القاصة روضة الهدهد، وعرض مرئي تفاعلي للمحتوى الإبداعي للغة العربية "مشروع الهدهد، للأخوين بشتاوي".

وتضمنّ الحفل مسابقة ثقافية وجهت للأطفال، وزاوية خاصة برواد "مكتبة عابر سبيل" للقراءة بإشراف الدكتورة رائدة أخو زهية وطاقم مرافق لها، وانتهى حفل الافتتاح بعروض مرئية للأطفال من القصص المصورة وغيرها من النشاطات التفاعلية المشجعة على القراءة.

المجمع يستضيف جمعية المحافظة على القرآن الكريم لإشهار "تفسير القرآن المجيد" للعلامة الدكتور فضل عباس

أقامت جمعية المحافظة على القرآن الكريم في المجمع ملتقى العلامة الدكتور فضل حسن عباس الذي تم فيه إشهار كتابه "تفسير القرآن المجيد"، تحت رعاية الحاج سعد الدين الزميلي، وبحضور ثلة من العلماء.

وقد احتوى الملتقى على جلسات عدة تناولت الجانب الشخصي والتربوي في شخصية الدكتور فضل عباس، كما تناولت الجانب الدلالي والبلاغي والتفسيري في مؤلفاته، كما تحدثت عن دوره في تأسيس وتطوير مناهج التفسير وعلوم القرآن في الجامعات.

يذكر أن هذا التفسير تميز بأمر عدة أهمها: عناية المؤلف بموضوعات السور القرآنية، والعناية بقضايا اللغة والنحو وبلاغة القرآن الكريم والفروق اللغوية فيه، وبيان اللطائف والدقائق البيانية التي تتصل بمعنى الآية وتوضيح دلالتها في المعنى التفسيري، إضافة إلى النصائح الدعوية والتربوية، وتنزيل أثر القرآن في حياة المسلمين وواقعهم.

مجلس المجمع يعقد جلسة تأبينية للمرحوم الأستاذ الدكتور إسماعيل عمايرة

عقد مجلس مجمع اللغة العربية الأردني جلسة تأبينية صباح الاثنين الموافق العاشر من تموز لعام ٢٠١٧م، لعضو المجمع الراحل المرحوم الأستاذ الدكتور العلامة إسماعيل عمايرة، أستاذ اللسانيات العربية الذي أثرى المكتبة العربية بدراساته اللغوية ومؤلفاته وترجماته وبحوثه.

وقد بدأت الجلسة بقراءة الفاتحة على روح الفقيد، تلتها كلمة لرئيس المجمع الأستاذ الدكتور خالد الكركي جاء فيها: "أحييكم وأنا أستعيد زمانه في الجامعة والمجمع، وحضوره بين أهل الوسط الأكاديمي، والبحث العلمي العميق.

أبعث له، غائباً وحاضراً، بصادق التحية والموودة، كما هو حالنا كلّمًا ترجل عالم من أهل المجمع... يُلَفِّنا الصمت ثم نغرق في الأسى، وكلّ منا ينتثي على كبده: من خشية أن تصدّعا".

إسماعيل،

أيها المرفه مثل قصيدة،

الشاهق مثل راية،

الرائع الوجد كما المتنبّي ذات ليلة في مصر... أمس خرجت الكتب حاسرات الرأس حين ظنّنت أنك وصلت إلى ساحة المجمع، وأمس.. وقد مرّ على هذا الأمس زمان طويل... كنا نفاد - الوطن، نخبة من الزملاء إلى جامعات العالم.. وقد عدنا جميعاً وفي حقيقة كل منا صور العذاب الذي قطرته الأمة وهي تخضع للاستعمار، ثم تنهض للقتال من جديد...

أراد الغزاة أن يشهدوا غروبنا الأخير، ولكننا، كما وقف صلاح الدين أمام القدس فاتحاً، قد نشهد زماناً نقف فيها عند أبوابها من جديد.

أيها الفتى الهادئ العذب على مقاعد الجامعة، وأيها العالم الذي عرفته منايرها، كنا جميعاً نريد استعادة زمان قومي بهيٍّ وعتيق، كنّا نرى شمساً تطلع من مؤتة، وضحى يطلّ على اليرموك، وصباحاً يتنفس في القدس، وضباباً يغطي ساحل فلسطين، وفقراء يجدون خبزهم على عتبات بغداد ودمشق والقاهرة وصنعاء، يوم تنهض بها عنقاء العرب من جديد، كما قال المعري:

أرى العنقاء تكبر أن تصادا فعاند من تطيق له عنادا

يا صاحبي ويا أخي،،

وتساءلت حين رحل، هل كان يقرأ قول مالك بن الربيب:

فيا صاحبي رحلي دنا الموت فانزلا برابيبة إنني مقم ليااليا

فكن "عزافاً لهذا الغبار ونحاتاً لهذي النجوم"

هل اكتملت في الرحيل، لماذا ذكرني رحيلك فقرأت لشاعر:

ما حيلتي وخطاي أقصر من خطاك

وقد صبرت لأنك لا تريد أن تشكو إلى شخص فيشمت، فتكون "شكوى

الجريح إلى الغريان والرّخم".

ها نحن حول اسمك: الأقربون والأبعدون، فسلام عليك، من طلابك الذين

هزّهم غيابك وفاضوا بالحنين.

سلام منا جميعاً،

سلام كلّما هبّت الريح صباً وجنوب، وسلام على شيوخنا الذين علمونا "أن

الخنجر الراقد في غمده يصدأ"

وأن الذين يريدون مجد عمورية يكتملون: "قبل نضج التين والعنب" كما قال أبو تمام.

أمس، وأنا أحاول الكتابة عنك أجهشت عند أبيات قيس:

فأجهشت للتوباد حين رأيته وكبّر للرحمن حين رأني
فأذريت دمع العين لما عرفته فنادى بأعلى صوته ودعاني
وأني لأبكي اليوم من حذري غداً فراقك والحيان ملتقيان!

إسماعيل: أختم بما قاله بدوي الجبل في إبراهيم هنانو:

جراح في سريرتك اطمأنت لقد أكرمت بالصبر الجراحا
كأنّ الهَمّ ضيفك فهو يلقى على القسامات بشراً وارتياحا
وقبلك ما رأت عيني هموماً مدألّة وأحزاناً ملاحا
وقد ترد الهموم على كريم فترجع من صباحته صباحا

وسنظل كما كنت تعلّم الطلبة في أروقة الجامعة من كتاب الله الكريم:

"سنقرئك فلا تنسى"

ولك علينا وعد أن لا ننساك ولا ننسى الأمة: رسالتها، وحضورها، ودمها المسفوح، وأرضها المحتلة، حتى يطلع عليها صباح جديد.

كما استنكر زملاؤه وأصدقاؤه في المجلس مناقبه الجمّة، وخصاله الطيبة، وحرصه على متابعة أعمال المجمع وإنجازاته، وجهوده الكبيرة في خدمة اللغة العربية دارساً فذاً ومؤلفاً غزير الإنتاج، وأشاروا إلى مساهمته الفاعلة في دراسة

مشكلات اللغة ومعالجتها معالجة علمية، وأمله بأن الدراسات اللغوية المعاصرة تتبئ بمستقبل زاهر للغة العربية، وطموحه الكبير بقدر علمه وإخلاصه ويقينه بأهمية هذه اللغة وقدسيتها.

رحم الله الأستاذ الدكتور إسماعيل عمارة عالماً فذاً، وأكاديمياً مخلصاً للعلم، نذر نفسه وجهده خدمة للغة العربية وأهلها.

المجمع يناقش آليات تطبيق قانون حماية اللغة العربية

خلصت ورشة عقدها مجمع اللغة العربية الأردني حول قانون حماية اللغة العربية إلى ضرورة إجراء تعديلات على القانون من أجل تمكين المجمع من أداء مهام حماية اللغة على المستوى الوطني بمزيد من الفعالية.

وبين رئيس المجمع الأستاذ الدكتور خالد الكركي في مداخلة خلال الورشة التي ترأسها صباح الأحد الموافق ٢٤ / ٩ / ٢٠١٧م أن المجمع الذي يقوم بمهمة كبيرة في الحفاظ على اللغة العربية وإزالة التشوهات التي علق بها تمكن خلال العامين الماضيين من تاريخ إقرار القانون من إنجاز سلسلة من الدراسات والأبحاث المهمة على المستوى الوطني، إضافة إلى إنجاز قانون امتحان الكفاية في اللغة العربية.

وبين الدكتور الكركي أن المجمع يعكف اليوم على دراسة إحالة عشرات المحال المخالفة لقانون حماية اللغة العربية إلى الادعاء العام لعدم التزامها بالكتب الموجهة إليها من المجمع وفق أحكام قانون حماية اللغة العربية بتصويب الأخطاء والتشوهات اللغوية التي تنتشر على واجهاتها.

وكان المجمع قد عقد الورشة حول قانون حماية اللغة العربية رقم (٣٥) لعام ٢٠١٥م، ليطلع المؤسسات والدوائر الرسمية والخاصة على بنود القانون، ويتوجه إلى هذه الجهات للامتثال لمواده انسجاماً مع هوية الأمة ودستورها.

وحضر مندوبون عن ووزارة تطوير القطاع العام وغرف الصناعة والتجارة والمكتبة الوطنية وأمانة عمان الكبرى وشركات الملكية الفكرية، للمشاركة في تفعيل القانون والمساهمة في تنفيذ بنوده الملزمة باستخدام اللغة العربية السليمة وإبراز الدور الثقافي لهذه الجهات في رفع السوية اللغوية لدى المجتمع، والوصول إلى الطرق السليمة لتفعيل القانون، والمبادرة في الالتزام لعكس ثقافة مجتمعية متحضرة تحول دون تشويه وجه العربية المشرق.

وخلصت الورشة وورش أخرى عقدها المجمع فيما بعد إلى تصميم منشور يتضمن التعريف بالقانون والإشارة إلى أهم بنوده، وتحديد المدة الزمنية التي يمكن للمؤسسات المخالفة تصويب أوضاعها فيها، وتوزيع (٨٥) خمسة وثمانين ألف نسخة من خلال مجموعة من المؤسسات المعنية التي يتقدم المجمع منها بالشكر الجزيل وهي: وزارة الصناعة والتجارة، ووزارة الشؤون البلدية، وأمانة عمان الكبرى، وغرفة تجارة عمان، وغرفة صناعة عمان، في الفترة من شهر كانون الثاني حتى نهاية شهر نيسان.

ضيف العام ٢٠١٧...الأستاذ الدكتور خالد الكركي مثقفاً وسياسياً

نظمت مؤسسة عبدالحميد شومان يوم السبت ٧/١٠/٢٠١٧م، حفل تكريم للمثقف والسياسي الدكتور خالد الكركي، باعتباره ضيفاً عاماً بمشاركة نخبة من الأكاديميين والكتاب والمثقفين الأردنيين والعرب.

وافتحت الحفل الذي تضمن مجموعة من الجلسات، الرئيسة التنفيذية لمؤسسة عبدالحميد شومان فالنتينا قسيسية، لافتة إلى أن الدكتور خالد الكركي قامة إبداعية وثقافية وسياسية مديدة، كان شعاره البذل والعطاء منذ درج في الوظيفة وحتى اليوم، ولم يبخل بأي جهد في أي موقع تسلمه.

وفي جلسة (الكركي في الأدب واللغة) التي أدارها الدكتور أمين محمود، تحدث الدكتور نهاد الموسى عن خالد الكركي المسكون بهاجس الإبداع وجهوده في خدمة اللغة العربية، متتبِعاً ما قدمه الكركي في تطوير مجمع اللغة العربية وإصداره مجلة المجمع وعقد المؤتمرات التي تتناول شؤون اللغة العربية فضلاً عن وقوفه وراء إصدار قانون حماية اللغة العربية. وعابن الدكتور عبدالرحيم مراشدة إبداعات الكركي الشعرية.

وضمنت الجلسة الثانية المعنونة (الكركي: دراسات ومواقف نقدية)، التي أدارها المؤرخ الدكتور علي محافظة، قراءة للدكتور زياد الزعبي في إسهامات الكركي بدراسة الشعر العربي الحديث التي جاءت تمثل رؤية فكرية ومنهجية مطردة، متوقفاً على كتابين من إصدارات الكركي هما: الرموز التراثية العربية في الشعر العربي الحديث، والصائح المحكي .. صورة المتنبي في الشعر العربي الحديث، وفيهما يرى الزمن أمام المبدع واحداً ويرى الموقف الإنساني هو المعيار.

وتناول الدكتور حكمت النوايسة صورة الكرك في نتاجات الكركي الثقافية والسياسية، مبيناً دور الكركي في إنجاز كتابة حرة تستنفر وتجول في الفضاء الرحب الذي يجعله مفتاحاً لكل القراءات السردية التي تناولت الأدب الروائي

ويحفر في النصوص ليستكنه أعماقها، باحثاً عن لحظة الوعي بالكتابة وفي الكتابة.

وقدم الدكتور صلاح جرار شهادة في خالد الكركي الذي وصفه زميل دراسة وصديقاً، إذ هو أكثر ما يمثّل اهتماماً راسخاً ومشاركاً والذي كان يلفت النظر بخلقه الرفيع وروحه الوطنية والقومية وفكره المستنير وجمال عبارته.

واشتملت جلسة أدارها وزير الثقافة الأسبق الشاعر جريس سماوي، على شهادات لكتاب ومنقّفين أردنيين وعرب حول شخصية الكركي، عرض فيها وزير الثقافة الأسبق سمير الحباشنة، محطات ومواقف جمعت مع الكركي في العمل السياسي والثقافي، ورأى في شخصيته ذلك النموذج لشخصية الإنسان العربي المملوءة سماحة ورضا وتفاؤل بالمستقبل.

وأشار الشاعر اللبناني شوقي بزيع إلى جملة من المقاربات التي تفصح عن شخصية خالد الكركي وما تنطوي عليه من أسئلة الجذور والهوية والصدقة وهموم الوطن والأمة والإبداع .

وعرض الدكتور محمد ناجي عمايرة لتجربة الكركي في العمل الوزاري مع بدايات التحول الديمقراطي ودوره في التنمية الثقافية من خلال موقعه وزيراً للثقافة في مرحلة التحول الديمقراطي وأبعاده ومدياته.

وأوضح الدكتور ضياء الدين عرفة في شهادة له بالجلسة التي أدارها المؤرخ الدكتور محمد عدنان البخيت، أن الدكتور خالد الكركي أردنيّ عروبي، تعارفا في رحاب الجامعة الأردنية على مدى عشرين عاماً وهو شخصية استثنائية ملكت الإدارة والعبارة، لها حضور علمي جاذب أسر بين الطلبة.

وقدم الدكتور محمد عصفور شهادة حول حضور الكركي في العمل الأكاديمي، بين فيها أن الحياة الجامعية ظلت على الدوام تحتاج إليه بإلحاح على

الرغم أنه اتجه إلى العمل السياسي في بعض الأوقات، إلا أن عودته إلى رئاسة الجامعة الأردنية أعادت إليها ألقها الذي تميّزت به في عقديّ الستينيات والسبعينات.

واستعرض الكاتب والإعلامي علي الفزاع في الجلسة التي أدارها المفكر الدكتور إبراهيم بدران، جوانب من عمل الكركي في الديوان الملكي وسعيه إلى اختيار العديد من الشباب من ذوي الكفاءة والانتماء الصادق من أبناء البسطاء والناس العاديين، وذلك تحقيقاً للعدالة والمساواة وتقديراً للكفاءة ووضع الرجل المناسب في المكان المناسب.

وأشار الدكتور عبدالكريم القضاة في شهادته حول تجربة الكركي في العمل الطلابي إلى مشاعر الكركي الفطنة في تجنب الطلبة جلد الذات والتقاعس مبيناً لهم أن شرعية النبل تأتي من تعبهم وعطائهم ومن احتكامهم للعقل والتسامح واحترام الآخر، وعمله على دعم الطلبة الفقراء بكل الوسائل.

وقدم الأمين العام لمجمع اللغة العربية الأردني الدكتور محمد السعودي شهادة مجمعية ضمن جملة من القراءات والشهادات التي قدّمها سياسيون ومتقنون وكتاب أردنيون وعرب، أشاد فيها بدور أستاذه الكركي مجمعيّاً وفيّاً تسلم الراية من أستاذه الدكتور عبدالكريم خليفة، محافظاً على مكانه ومكانته العلمية في المجمع، ومباركاً له فوز المجمع بجائزة الملك فيصل العالمية للغة العربية والأدب التي حصل عليها المجمع لجهوده في التعريب والترجمة؛ إذ إنه حصاد وفير لمواسم جاد أصحابها بالعطاء، فتكللت بنجاحات خالدة؛ راداً الفضل لأهله، ومحفزاً على العطاء والإبداع، ومواصلاً مسيرة التأليف والترجمة والتعريب للنهوض باللغة العربية والتوجه بها نحو مجتمع المعرفة بإنفاذ قانون حماية اللغة العربية وتشكيل اللجان لتطبيقه ومتابعة تنفيذ بنوده، وإصدار امتحان الكفاية اللغوية المنبثق عنه.

وماضياً في تخصيص المكافآت والجوائز لرعاية الخط العربي والمبادرات اللغوية الخلاقة التي تليق بصاحبة الجلالة لغة القرآن والسنة، مؤمناً بالجيل الجديد القادر على بناء الوطن والأمة، حيث خصص لبراعم الوطن مكتبة متخصصة للقراءة والمطالعة والخط العربي في رحاب المجمع، وعقد الشراكات مع الوزارات والمؤسسات لتأليف الروائع من عيون التراث العربي نشرًا وشعرًا لإضاءة الطريق المتعثر أمام أبنائنا الطلبة في المدارس والجامعات.

كما كرم كل من أسدى خدمة للعربية والمجمع في احتفال مهيب حضره كبار السياسيين والمنثقفين والأكاديميين بمناسبة مرور أربعين عاماً على تأسيسه.

ولم يغب عن باله أن يخصص مساحة عبر الأثير للعربية الفصيحة فأطلق إذاعة للمجمع لترتقي بالذائقة اللغوية وتردّ للعربية هيبتها، وتفتح المجال للجامعات والمجامع لتبث عبرها.

وقدمت الدكتورة بلقيس الكركي شهادة شخصية في نص شاعري بليغ مؤثر يتسم بسرد حميم دافئ يبرز تلك العلاقة الوجدانية مع والدها الدكتور خالد الكركي لافتة إلى ما تتمتع به شخصيته وروحه من عقب التاريخ وتعلقه بالشعر والخيال والصحراء والقلم في جس هموم وآمال الوطن والأمة.

البيان الختامي وتوصيات المؤتمر السنوي للمجمع لعام ٢٠١٧م

"اللغة العربية في الجامعات العربية"

عقد مجمع اللغة العربية الأردني مؤتمره السنوي لعام ٢٠١٧م، في رحابه، بعنوان: "اللغة العربية في الجامعات العربية" في المدة (٢٧- ٢٨ محرم ١٤٣٩هـ)، (١٧- ١٨ تشرين الأول ٢٠١٧م).

وجاء اختيار هذا العنوان حرصاً من المجمع على المشاركة الفاعلة في كل المشروعات والتوجهات الأردنية والعربية التي تسعى للحفاظ على اللغة العربية، وإعلاء شأنها ودعمها، تعزيزاً للهوية القومية والتنمية المجتمعية، والعمل على وضع سياسة لغوية تعليمية واضحة المعالم والأهداف.

حفل الافتتاح

بدأ حفل افتتاح المؤتمر الساعة التاسعة والنصف صباحاً بأي من الذكر الحكيم، ثم ألقى الأستاذ الدكتور خالد الكركي، رئيس المجمع، كلمة الافتتاح. وقد اشتمل المؤتمر على ثمانية أبحاث، توزعت على أربع جلسات علمية وجلسة ختامية في يومين، وذلك على النحو الآتي:

اليوم الأول: الثلاثاء ١٧/١٠/٢٠١٧م

الجلسة الأولى

عُقدت في الساعة الحادية عشرة صباحاً، برئاسة الأستاذ الدكتور عبداللطيف عربيات، عضو مجمع اللغة العربية الأردني، وقدم في هذه الجلسة بحثان:
- البحث الأول أعده الدكتور جعفر عابنة، عضو مجمع اللغة العربية الأردني، بعنوان "اللغة العربية والجامعة".

- البحث الثاني أعده الأستاذ علي بن حمد الريامي، جامعة صُحار، عُمان، بعنوان "تقييم طلبة جامعة صُحار بسلطنة عُمان لمتطلب مهارات اللغة العربية".

الجلسة الثانية

عُقدت في الساعة الواحدة ظهراً، برئاسة الأستاذ الدكتور سمير استيتية، عضو مجمع اللغة العربية الأردني، وألقي في هذه الجلسة بحثان:

- البحث الأول أعده الأستاذ الدكتور سيف الدين الفقراء، جامعة مؤتة، والأستاذ الدكتور ماهر مبيضين، جامعة الشارقة، بعنوان "اللغة العربية متطلباً إجبارياً في جامعة مؤتة".

- البحث الثاني أعدته الدكتورة هناء خليل، جامعة الإسراء، بعنوان "رؤية تكاملية لتدريس مهارات اللغة العربية في الجامعات الأردنية".

اليوم الثاني: الأربعاء ١٨/١٠/٢٠١٧م

الجلسة الأولى

عُقدت في الساعة التاسعة والنصف صباحاً، برئاسة الأستاذ الدكتور عبدالجليل عبدالمهدي، عضو مجمع اللغة العربية الأردني، وألقي فيها بحثان:

- البحث الأول أعده الأستاذ الدكتور بكرى الحاج، جامعة الملك عبدالعزيز، المملكة العربية السعودية، بعنوان "تدريس اللغة العربية متطلباً جامعياً لطلاب اثنتين من الجامعات العربية وأثره في تنمية المهارات اللغوية".

- البحث الثاني أعده الدكتور موسى خوري، جامعة بيرزيت، فلسطين، بعنوان "مهاراة الكتابة في متطلب اللغة العربية - المستوى الثاني".

الجلسة الثانية

عُقدت في الساعة الحادية عشرة صباحاً، برئاسة الأستاذ الدكتور عودة أبو عودة، عضو مجمع اللغة العربية الأردني، وألقي فيها بحثان:

- البحث الأول أعدته الدكتورة فريال القضاة، الجامعة الأردنية، بعنوان "قسم اللغة العربية في الجامعة الأردنية بين الواقع والمأمول".

- البحث الثاني أعده الدكتور محمود قدوم، جامعة بارطن، تركيا، بعنوان "اللغة العربية "المتطلب الجامعي"، دراسة مقارنة بين تعليمها للناطقين بها والناطقين بغيرها". وقدمه بالإجابة عنه الأستاذ الدكتور عودة أبو عودة.

وقد نتج عن بحوث هذا المؤتمر ومناقشات المشاركين فيه جملة من الملاحظات والتوصيات نظرت فيها لجنة الندوات والمحاضرات والإعلام، وعرضتها على المشاركين وتم إقرارها في الجلسة الختامية على النحو الآتي:

١- ضرورة معرفة آراء الطلبة في متطلب اللغة العربية بجوانبه كافة، لما له من نفع يعود على المدرس نفسه، فيمكنه أولاً من معرفة آراء الطلبة في أدائه العلمي، مما يجعله يركز على مواطن القوة التي تشد الطلبة نحو المتطلب وتطوير ما يحتاج لتطوير.

٢- ضرورة أخذ آراء الطلبة في المادة ذاتها وذلك لإعطاء المدرس المجال لتطوير المتطلب وتقويمه بناءً على آراء الطلبة، وقد تساهم آراء الطلبة واقتراحاتهم في اتخاذ قرارات مهمة بشأن استمرارية المتطلب، ولا شكّ ستسهم هذه الدراسة في حل الكثير من المشكلات التي يعاني منها الطلبة في دراستهم لمتطلب مهارات اللغة العربية بالجامعة عند الأخذ بنتائجها من إدارة الجامعة.

٣- إعادة النظر في خطة اللغة العربية في موادّها الإلجبارية، والاختيارية في الجامعات العربية، تعديلًا وحذفًا وإضافة، مع التركيز على موادّ اللغة التي يشكو الطلاب من ضعفهم فيها.

٤- يمكن إصلاح الضعف اللغوي لدى الطلبة عن طريق المسابقات اللغوية التي تفرضها الجامعة على طلبتها. وهذه يجب أن تستثير المعلومات اللغوية المشوشة لدى الطلبة، وتنظمها، وتبني عليها.

٥- يجب طرح مواد مساندة إجبارية في اللغة العربية لا سيّما في الكليات الإنسانية، خاصة بعد طغيان نسبة الرّسوب والحاصلين على تقدير مقبول في امتحان الكفاية اللغوية، وفي المقررات المدروسة في بعض الجامعات.

٦- تطوير محتوى مادة اللغة العربية بمستوياتها المختلفة في الجامعات العربية.

٧- بناء وصف منهجي لمتطلبات اللغة العربية، وتحديد الأهداف من تدريس هذا المساق، ووضع خطة مفصلة للآلية التي سيُدّرس بها، واستراتيجيات التدريس والتقييم.

٨- توحيد خطة المنهاج الدراسي للمتطلب الجامعي، وتعميمها على جميع الجامعات -الحكومية منها والخاصة- بحيث تكون رؤية هذه الخطة منبثقة من إيلاء مهارات اللغة العربية الأربعة الأهمية.

٩- توحيد عدد المتطلبات الجامعية الإلجبارية التي يدرسها الطالب الجامعي، وأن تحسب في معدله التراكمي، واقتراح المشاركون أن لا يقل عددها عن متطلّيين.

١٠- اقتراح صيغة تسمح لرؤساء أقسام اللغة العربية في الجامعات الأردنية بحضور جلسات المجمع بصفة مراقب، والمشاركة في بناء خطط المجمع ومشروعاته الأكاديمية وبرامجه الثقافية.

- ١١- إعادة هيكلة ثلاثة أقسام في ثلاث جامعات أردنية وتحويلها إلى كليات للغة العربية.
- ١٢- رفع كفاءة الأساتذة الذين يتولون مساقات اللغة العربية أكاديمياً وتواصلياً وفق آليات منهجية يتفق عليه القسم والكلية والجامعة.
- ١٣- رفع كفاية الأستاذ الجامعي بحيث يكون مؤهلاً لتدريس المهارات اللغوية جميعها، ويمكن أن تُعقد دورات لتدريب الأساتذة على مهارات التواصل الشفوي خاصة، وتدريبهم على استراتيجيات تدريس متنوعة تتعد عن الطابع التقني المباشر في تدريس اللغة. وأوصى المشاركون بأن يجتاز أعضاء الهيئة التدريسية امتحاناً للكفاية اللغوية، يكون شرطاً لتعيينهم، ويجب الحرص على صقل معارفهم اللغوية، أسوة بما نص عليه قانون حماية اللغة العربية في الأردن.
- ١٤- يجب إصلاح الضعف اللغوي عند الموظفين والإداريين في الجامعات العربية، ومن التدابير في هذا الشأن: رقد العاملين بكتيبات تحوي أبرز الأخطاء اللغوية للرجوع إليها عند الحاجة، وعقد دورات لغوية تشيضية علاجية، وتوجيههم إلى اللجوء إلى المدققات (المصححات) الإملائية والصرفية والمعجمية التي تتيحها التقنيات الحديثة.
- ١٥- اعتماد آلية موحدة لتقييم طلبة الجامعات العربية في اللغة العربية، بحيث يؤخذ بعين الاعتبار الجانب العملي الممثل بقياس أداء الطلبة في مهارتي التحدث والكتابة بأن تفرد الجامعات مجالاً للأسئلة المقالية التي تعين في تنمية مهارتي القراءة والكتابة، إلى جانب الجانب النظري الممثل بالاختبارات المحوسبة الموضوعية في مهارات اللغة جميعها.
- ١٦- يجب أن تعمل كليات اللغة العربية على توحيد امتحانات مقررات مطلوبات اللغة العربية بالنسبة للكليات المتناظرة الأدبية والتطبيقية،

ذات المحتوى التعليمي الواحد، حتى يتحقق العدل في وضع الأسئلة، وتصحيحها.

١٧- تشجيع التأليف الجماعي للمتطلبات الجامعية في اللغة العربية، وذلك بعقد لجنة خاصة للتأليف، بالتعاون مع المجمع اللغوية العربية التي يناط بها تعيين مختصين في بناء المنهاج من أساتذة الجامعات، وتكون المجمع مسؤولة عن إصدار طبعة الكتاب الجامعي، وتزويد الجامعات به.

١٨- أن تخصص الجامعات مقررات لطلاب الكليات التطبيقية، توظف النصوص التطبيقية ذات الصلة بتخصصاتهم لتنمية المهارات اللغوية.

١٩- أن تعنى الجامعات بمراجعة الكتب الدراسية الخاصة بمتطلبات اللغة العربية، وطباعتها، وإخراجها بصورة تشوق الطلاب لقراءتها، وأن تتوسع في أنواع الاختبارات الموضوعية.

٢٠- أن تراجع أقسام اللغة العربية خططها لبرامج الدراسات العليا، وتوجيه الطلبة بما أمكن - إلى دراسات أكاديمية وتطبيقية حول مشكلات اللغة العربية وقضاياها المعاصرة، خاصة في مراحل التعليم، وفي بنية المجتمع وسائر مؤسساته.

٢١- عمل برامج تواصلية مع المجتمع، تشجع الطلبة المتميزين على التسجيل في قسم اللغة العربية.

٢٢- إنجاز أبحاث تكمل أجزاء خريطة واقع اللغة العربية عند دارسيها المتخصصين في كل جامعاتنا. لتكون هذه الأبحاث بعد ذلك جزءاً من عملية شاملة تبحث واقع اللغة العربية في كل مناحي الحياة، لنعمل على بصيرة، وبوعي حقيقي لواقع الحال، وما قد يؤول إليه المال. وبهذه المناسبة أشاد المشاركون بجهود اللجنة الوطنية الأردنية

للنهوض باللغة العربية في الدراسة التي تعمل عليها في هذا المجال على مستوى الجامعات الأردنية.

٢٣- تحسين وسائل تعليم اللغة العربية لكي يكون إتقانها مساوياً لإتقان اللغات الأجنبية فيسهل عندئذ الانتقال منها إلى اللغات الأجنبية ومن الأجنبية إليها ويخف الإحساس بالمشكلة.

٢٤- إغناء المرافق الجامعية بأجهزة عرض، ومختبرات حاسوبية مخصصة لمهارة الاستماع، لتؤدي هذه المهارة على وجهها الذي رُسمت عليه. ودعا المشاركون إلى إرفاق قرص مدمج (C.D) مع الكتاب الجامعي لمساقات اللغة العربية يتضمّن نصوص الاستماع التي سيتمّ تدريب الطلبة عليها خلال الفصل الجامعي؛ للتسهيل على الطلبة، وتوفير الوقت، وتعميم الفائدة.

٢٥- أن تعمل الجامعات العربية على تطوير محتوى المقررات الدراسية الخاصة بالمتطلبات الجامعية باللغة العربية، وإحكام ربطها بالأهداف التعليمية، وتطوير أساليب تدريسها، وتوظيف الوسائل التعليمية، والتقنيات الحديثة في ذلك بكل إمكانياتها وبشكل تجديدي ومتواصل، وتطوير مجال استخدام التقنيات الحديثة والتعليم الإلكتروني في الصف الدراسي.

٢٦- ما يزال تدريس مادة اللغة العربية في الجامعات العربية بالطريقة التقليدية أنجع في الانعكاس على مستوى الطلبة ونتائجهم التحصيلية قياساً إلى النمط المحوسب، الذي رأى المشاركون أنه ما يزال يحتاج إلى تطوير في أدواته وتقنياته ليتيح للطلاب والمدرس الدخول إلى حجرات تفاعلية في اكتساب المعارف اللغوية.

٢٧- السعي إلى التقليل من خطر التدريس باللغات الأجنبية على اللغة الوطنية، واقترح المشاركون في هذا الشأن اتخاذ مسار في تدريس العلوم أحدهما بالعربية السليمة والآخر بلغة أجنبية.

٢٨- إنشاء تلفزيون تعليمي ينتج برامج تعليمية متقنة في اللغة العربية، تُجعل مادة تعليمية لأبناء اللغة وللناطقين بغيرها، وتستخدم في الدورات التدريبية.

٢٩- وبالنسبة إلى تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها، أكد المشاركون ما يأتي:

أ- أن تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها واجب قومي على كل متخصص؛ لما له من تأثير عميق في نشر الثقافة العربية بصورة صحيحة تتناسب وعراقتها، ولما له من قدرة على فتح أبواب الحوار مع الآخر، بل وتفهم تفكيره؛ مما يدفع حركة التواصل معه في شتى مناحي الحياة. فاللغة العربية لغة المستقبل.

ب- التواصل المؤسسي المباشر مع الطلبة الأجانب، والوافدين عموماً. وعقد لقاء كبير معهم، ثم العمل على تلبية حاجاتهم واقتراحاتهم المهمة وفق المتاح، لما يمثله ذلك من استثمار لصالح سمعة الجامعة، وما يعنيه ذلك من استجلاب مزيد من الطلبة الوافدين.

ج- إيجاد الفرص للطلاب غير العرب لاستخدام العربية في التعبير الشفهي والكتابي، فخارج قاعة الدرس لا يكاد يجد الطالب من يحادثه بالعربية.

د- عمل دراسات علمية حول واقع المراكز التي تُعنى بتدريس اللغة للناطقين بغيرها في الدول العربية، وأشاد المشاركون بجهود اللجنة الوطنية الأردنية للنهوض باللغة العربية في الدراسة الشاملة التي تعمل عليها في هذا المجال على مستوى المملكة الأردنية الهاشمية.

مجلس المجمع يعقد جلسة ترحيبية بالأعضاء العاملين الجدد

عقد مجمع اللغة العربية الأردني صباح يوم الأحد ٩ صفر ١٤٣٩ هـ، الموافق ٢٩/١٠/٢٠١٧ م، جلسة خاصة برئاسة الأستاذ الدكتور خالد الكركي، رحب فيها بالأعضاء الجدد الذين انتخبهم مجلس المجمع في جلسته السابقة المنعقدة يوم الأحد ٢٦ ذي الحجة ١٤٣٨ هـ، الموافق ١٧/٩/٢٠١٧ م، وهم: الأستاذ الدكتور كامل العجلوني، والأستاذ الدكتور محمد عصفور، والأستاذ الدكتور محمود السرطاوي.

وألقى رئيس المجمع كلمة رحب فيها بالأعضاء الجدد، مشيراً إلى أن انتخابهم جاء استكمالاً للدور الكبير الذي بدأ قبل أربعين سنة بأساتذة كبار، منهم من غاب ومنهم من انتقل إلى الرفيق الأعلى، مؤكداً أنه علينا أن نملاً هذا الفراغ الذي خلفه الكثير منهم، وأنهم خبرات يعرف الجميع مدى تمكنها، قائلاً: "جئت لأقول لهم صادقاً أهلاً وسهلاً بكم في واحد من الأعمال التي تأخذ حدود القداصة حين نتحدث عن لغة القرآن الكريم وحين تخوض معركة كانت سهلة في أزمنة سابقة إلا أنها صعبة جداً علينا اليوم، فالتلوث اللغوي والفكري يزدادان، والقيم أحياناً تأخذ أبعاداً من التهاوي والسقوط".

واستعرض الرئيس نبذة قصيرة لسيرة كل من الأعضاء الجدد، بدأها بالعالم والمؤلف والطبيب الأستاذ الدكتور كامل العجلوني حيث كان منذ سنوات خمس عضواً في اللجنة الوطنية للنهوض باللغة العربية مناضلاً صلباً ومكافحاً لا يلين جانبه في العمل، ثم الأستاذ الدكتور محمد عصفور حيث كان يقود جزءاً من عمل اللجنة الوطنية في امتحان الكفاية وقد وصل به إلى غايته حتى استقر وأقرّ امتحاناً معتمداً في المملكة الأردنية الهاشمية لا يجوز أن يُعتمد امتحان آخر غيره للكفاية اللغوية، وقد ذهبت الريح بالامتحانات والأفكار الأخرى، ثم الأستاذ الدكتور

محمود السرطاوي ممثل العقل الراجح في أزمة المناهج العام الماضي حين قامت تلك الأزمة التي لم تُفسّر بعد في الفهم الفكري والفلسفي، ونحن نسعد الآن أو نشقى أننا معاً في لجنة أخرى للمناهج.

وتضمنت الجلسة التي حضرها أعضاء مجلس المجمع، مجموعة من الكلمات التي ألقاها الأعضاء الجدد المنتخبون، شكروا فيها رئيس المجمع وأعضاءه، وعبروا فيها عن اعتزازهم الذي لا حدود له بعد انتخابهم أعضاء عاملين في المجمع مع نخبة من الأساتذة التي يفتخر بها الأردن ويفاخر بها البلاد العربية ومجامعها، وثنوا الجهود التي يقوم بها المجمع منذ عشرات السنين للحفاظ على اللغة العربية أمليين أن تكون لغة القرآن لغة علمنا وتدريسنا وحياتنا اليومية وممارستنا المهنية، وأكدوا ضرورة العمل جنباً إلى جنب في خدمة اللغة العربية التي تواجه اليوم تحديات لا حصر لها؛ للحفاظ على إرثنا وهويتنا ولغتنا وعاء ديننا وحضارتنا وقيمنا وعقيدتنا وعلى وحدة أمتنا لأنها اللغة الجامعة لكل مكونات هذه الأمة.

وقال رئيس المجمع في نهاية الجلسة: "إننا نرجو أن نتمكن قريباً من انتخاب المجموعة التي بقيت من زملائنا لاستكمال العدد، لأن لدينا من المشروعات ما يجب أن ننهض به خدمة للغتنا العربية".

البيان الختامي وتوصيات الموسم الثقافي الخامس والثلاثين للمجمع "الكفاية اللغوية في مراحل التعليم العام"

عقد مجمع اللغة العربية الأردني موسمه الثقافي الخامس والثلاثين، في رحابه، بعنوان: "الكفاية اللغوية في مراحل التعليم العام" في المدة (٣٠ صفر - ١ ربيع الأول ١٤٣٩هـ)، (١٩ - ٢٠ تشرين الثاني ٢٠١٧م).

وأقام المجمع على هامش الموسم معرضاً للكتاب على مدى ثلاثة أيام بدأت فعالياته يوم السبت الموافق ١٨ تشرين الثاني ٢٠١٧م، بمشاركة وزارة الثقافة وجامعة مؤتة وجامعة آل البيت ومؤسسة آل البيت ومؤسسات ثقافية عدة ومجموعة من دور النشر.

حفل الافتتاح

بدأ حفل افتتاح الموسم الساعة التاسعة والنصف صباحاً بأي من الذكر الحكيم، ثم ألقى الأستاذ الدكتور خالد الكركي، رئيس المجمع، كلمة الافتتاح. واشتمل الموسم على ثمانية أبحاث وثلاثة تعقيبات، توزعت على أربع جلسات علمية وجلسة ختامية في يومين، وذلك على النحو الآتي:

اليوم الأول: الأحد ١٩/١١/٢٠١٧م

الجلسة الأولى

عُقدت في الساعة العاشرة والنصف صباحاً، برئاسة الأستاذ الدكتور عيد دحيات، عضو مجمع اللغة العربية الأردني، وقُدِّم في هذه الجلسة بحثان:

- البحث الأول أعدّه الأستاذ محمد جمعة العكور، أمين عام وزارة التربية والتعليم، وعنوانه "امتحان الكفاية في اللغة العربية".

- البحث الثاني أعدّه الأستاذ الدكتور سيف الدين الفقراء من جامعة مؤتة، وعنوانه "محطات تقويمية (امتحانات عامة) لضبط امتحانات الكفاية اللغوية".

وعقّب على بحثي الجلسة الأستاذ الدكتور محمد عصفور، عضو مجمع اللغة العربية الأردني.

الجلسة الثانية

عُقدت في الساعة الثانية عشرة والنصف، برئاسة الأستاذ الدكتور عبدالقادر عابد، عضو مجمع اللغة العربية الأردني، وألقي في هذه الجلسة بحثان:

- البحث الأول أعدّه الأستاذ الدكتور سمير استيتية، عضو مجمع اللغة العربية الأردني، وعنوانه "الكفاية المعرفية بين النظرية والتطبيق في التعليم العام في الأردن".

- البحث الثاني أعدته الأستاذة الدكتورة سهى نعمة من الجامعة الأردنية، بعنوان "الكفاية اللغوية لدى خريجي التعليم العام، مفهومها ومستوياتها ومجالاتها".

وكان من المخطط له أن يتولى الأستاذ الدكتور عودة أبو عودة التعقيب على البحثين، لكنه لم يتمكن من الحضور.

اليوم الثاني، الاثنين ٢٠١٧/١١/٢٠م

الجلسة الأولى

عُقدت في الساعة التاسعة والنصف صباحاً، برئاسة الأستاذ الدكتور إبراهيم

بدران، عضو مجمع اللغة العربية الأردني، وألقي فيها بحثان:

- البحث الأول أعدته الدكتورة خلود العموش من الجامعة الهاشمية، بعنوان "الكفايات النحوية في التعليم العام: الأطر والتقويم".

- البحث الثاني أعده الدكتور جهاد العناتي من الجامعة الأردنية، بعنوان "تجريب امتحانات الكفاية في اللغة العربية وإيجاد خصائصها السيكمترية".

وعقب على بحثي الجلسة الأستاذ الدكتور محمد زكي خضر من الجامعة الأردنية.

الجلسة الثانية

عُقدت في الساعة الحادية عشرة والنصف صباحاً، برئاسة الأستاذة الدكتورة سري سبع العيش، عضو مجمع اللغة العربية الأردني، وألقي فيها بحثان:

- البحث الأول أعده الأستاذ الدكتور عيسى برهومة من الجامعة الهاشمية، بعنوان "المعلم: تأهيله وتدريبه لتحقيق الكفاية اللغوية".

- البحث الثاني أعده الأستاذ الدكتور زيد القرالة من جامعة آل البيت، بعنوان "أهمية البيئة المدرسية: الإدارة والنظام المدرسي، ومرافق الأنشطة الثقافية والاجتماعية والرياضية في تحقيق الكفاية اللغوية".

وعقب على بحثي الجلسة الدكتور عبدالكريم الحياوي من الجامعة الأردنية.

وقد رافق عرض بحوث هذا الموسم مناقشات ومداخلات غنية قدمها المشاركون، نتج عنها جملة من الملاحظات والتوصيات في الجلسة الختامية جاءت على النحو الآتي:

١. إعداد دراسة متخصصة ومتكاملة عن واقع امتحانات الكفاية في الجامعات الأردنية، تتناول الأسئلة، والنتائج والمناهج المقررة، وتربط النتائج

بالتخصصات ومعدلات القبول، وتكشف التفاوت بين الجامعات، وتشخص الخلل، لتكون هذه الدراسة مدخلاً لمؤتمر تربوي أكاديمي يهدف إلى تطوير تعليم اللغة العربية في الجامعات الأردنية.

٢. الدعوة لاعتماد امتحان الكفاية باللغة العربية المنصوص عليه في قانون حماية اللغة العربية بديلاً من الامتحانات غير الموحدة لهذه الغاية في الجامعات الأردنية الحكومية والخاصة.

٣. أن تعمل لجان واضعي أسئلة امتحان الكفاية في اللغة العربية على دراسة نتائج تجريب الاختبار وتعديل الفقرات في ضوء ذلك، مثل:

- تدقيق الإجابة النموذجية للفقرات التي جذبت مموهاتها من المفحوصين نسبة أكبر من جذب الإجابة الصحيحة.

- إعادة النظر في صياغة الفقرات التي تبين نتائج التجريب ضعف درجة صعوبتها وتمييزها.

- إعادة صياغة مموهات الإجابة غير الفعالة.

- مراجعة تعليمات الامتحان وزمن الإجابة والصياغة اللغوية لبعض الأسئلة في ضوء الملاحظات النوعية التي جمعها المراقبون واستفسارات المفحوصين.

٤. إجراء دراسات سيكومترية على عينات كبيرة تحدد درجات قُطع تعبر عن مستويات الإتقان للكفاية اللغوية.

٥. تشكيل فريق من خبراء المحتوى يحدد الإطار العام لاختبار الكفاية اللغوية (المحاور والمهارات الأساسية للكفايات اللغوية المستهدفة بالامتحان) ومعايير الأداء عليه ومؤشراتها وتعميمها على الفئات

المستهدفة "وزارة التعليم العالي، الجامعات، ديوان الخدمة المدنية ، وزارة التربية والتعليم، ...".

٦. ضرورة أخذ واضعي المناهج ومؤلفي الكتب المدرسية بالكفايات المعرفية ومنها: كفاية التتامي، والضبط، والنسقية، والبنائية، والتحليلية، والإنجاز.

٧. تتبّه المدرسين إلى أهمية تضافر المهارات الأربع (الاستماع والمحادثه والقراءة والكتابة)، فهي تتواصل ولا تتفاصل، وهي الصورة الدالة على أهلية المتعلم للتواصل اللغوي؛ لهذا ينبغي الترفق بأبنائنا وهم يتعلمون المهارات اللغوية التي لا يمكن الاستغناء عنها، ولا سيما في عصر مجتمع المعرفة وتقنيات التواصل العابرة للحدان.

٨. تحديد الأطر العامة التي تحكم تقديم الكفايات النحوية للناشئة لتحقيق الثمار المرجوة، والعناية بأساليب التقويم المناسبة لتحقيق هذه الكفايات المتمثلة أساساً في استعمال اللغة السليمة المقبولة الناجحة في سياقاتها في مواقف الأداء المختلفة.

٩. أن تعمل الجهات الرسمية على تخطيط لغوي مُمنهَج ومدرّس لحلّ مُختلف المشكلات اللغوية، وتوثيق المهارات اللغوية عند المعلمين بالدعم والمُتابعة المستمرة، لإنشاء جيل بكفايات لغوية عالية، فإصلاح لغة المعلم لا بد أن يتبعه إصلاح في لغة الطالب.

١٠. التخطيط للأنشطة اللامنهجية في حلقات وزارة التربية والتعليم؛ التي لا تحظى بالأهمية المطلوبة، وأهم هذه الأنشطة: الإذاعة المدرسية، والصحافة المدرسية، والأنشطة الثقافية، التي تسهم في تنمية الكفاية اللغوية لدى المتعلم.

١١. بناء مشروع أو معيار تفصيلي أو مقياس لرصد إتقان الكفايات اللغوية بصورة تدرجية بحسب المرحلة والعمر والصف والدرس تمكنا من قياس كفايات أبنائنا وبنائها أولاً بأول تمثل دليلاً منهجياً مفصلاً وخطة متدرجة مرسومة للمعلم وواضعي المناهج والمربين. وهذا الأمر غائب تماماً اليوم.

١٢. لا بد من أن تكون الاعتبارات اللسانية هي الفيصل في تعميم مناهج تعليم العربية وهذا لا يمنع من تضافر اللساني مع التربوي مع النفسي.
١٣. تأليف كتب جديدة تعتمد أساليب تدريس للعربية لا تشبه الموجودة حالياً في المكتبة العربية، وتفيد من البحوث المنجزة في هذا الموسم كما تفيد من المنجز الغربي في تعليم اللغات.
١٤. تشكيل لجنة وطنية مكونة من خلايا من أساتذة اللغة العربية، وكل خلية تكتب في الكفايات المطلوبة، وتتنافس، في كل مرحلة تعليمية، وفق أساسيات علمية ودقيقة يتواضع عليها. ويختار أفضلها، وأدقها، وأشملها، ابتداء من الروضة وانتهاء بالدكتوراه، مع مراعاة التخصصات في مرحلة الدراسات العليا.
١٥. أن ينتقل المجمع إلى المرحلة المتقدمة في مقارنته من الحياة والعمل، بأن ترتب مثلاً برامج تأهيلية للمتخصصين بالعربية من المراحل الجامعية الثلاث، دورات يترتب عليها إجازات حقيقية يفاد فيها من علماء متخصصين ومبدعين في هذه المجالات.
١٦. امتحانات الكفايات الحالية تنصب على المكتوب، وتتجاهل الغاية والهدف الرئيس من تعليم اللغة، وهو المشافهة واستيعاب المسموع.
١٧. اتخاذ الإجراءات لحصول المجمع على نسبة من الميزانية المخصصة للبحث العلمي، لاستثمارها في تنفيذ الاقتراحات السابقة.
١٨. تأسيس مدرسة تستقبل الطلاب من ٣ سنوات إلى الصف السادس تكون تابعة للمجمع وتحت وصايته، يدرس فيها كبار المتخصصين، وتكون ميداناً لإجراء الدراسات اللغوية، وتشكيل الكفايات لديهم تتجاوز الثغرات والفجوات، وأيضاً تكون نموذجاً تجريبياً علمياً.

وزير التعليم العالي والبحث العلمي يعمم قانون حماية اللغة العربية على الجامعات الحكومية والخاصة

عمّ وزير التعليم العالي والبحث العلمي رئيس مجلس التعليم العالي الأستاذ الدكتور عادل الطويسي قانون حماية اللغة العربية رقم (٣٥) لسنة ٢٠١٥ الخاص بمجمع اللغة العربية الأردني، عقب جلسة عقدها مجلس التعليم العالي في وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ناقش فيها كتاب معالي رئيس مجمع اللغة العربية الأردني الأستاذ الدكتور خالد الكركي للوزارة المتعلق بتعميم القانون.

ودعا الطويسي الجامعات إلى ضرورة التقيد بما ورد في المادة (١٠/أ) من القانون والتي تنص على: (لا يعين معلم في التعليم العام أو عضو هيئة تدريس في التعليم العالي أو مذيع أو معد أو محرر في أي مؤسسة إعلامية إلا إذا اجتاز امتحان الكفاية في اللغة العربية ويستثنى من اجتياز هذا الامتحان المعلمون من غير الناطقين باللغة العربية أو الذين يدرسون بلغة أجنبية وتسندهم أي مؤسسة تعليمية بموافقة وزارة التربية والتعليم أو وزارة التعليم العالي والبحث العلمي حسب مقتضى الحال للتدريس بلغة أجنبية والعاملون في الأقسام الأجنبية في وسائل الإعلام).

المجمع يستضيف المبادرات اللغوية

عقد مجمع اللغة العربية الأردني في رحابه صباح الأحد الثالث من شهر كانون الأول لعام ٢٠١٧م، لقاءً تفاعلياً مع أصحاب المبادرات التي تُعنى باللغة العربية وتقدمُ خدمةً جليّةً للعربية وأبنائها، بانتهاج سياسة من شأنها وضع اليد على مواطن الضعف ومحاولة تقديم حلول للحد من التشوّه المتأّتي من القصور في استخدام اللغة العربية قراءةً وكتابةً واستماعاً ومحادثاً وترجمةً وتعريباً على الصعد كافة سواء في المدارس أو الجامعات أو مواقع التواصل الاجتماعي أو المطبوعات والمنشورات والإعلانات وغيرها.

وبدأ اللقاء بكلمة ترحيبية للأستاذ الدكتور خالد الكركي رئيس المجمع قدم فيها نبذة مختصرة عن المجمع وجهوده في تعريب المصطلحات والترجمة، وأشار إلى الرؤى التي يتطلع إليها المجمع بإقامة وحدة مستقلة للغة العربية للناطقين بغيرها، وإقامة وحدة مستقلة لتكنولوجيا المعلومات لأن المعركة التي تخوضها العربية تتطلب ذلك، وأكد ضرورة استنبات جذور للوسائل المطلوبة للتكنولوجيا وعدم الاعتماد على أخذ الوسائل من غيرنا حتى لا يمنعها عنا متى شاء.

وبين الدكتور الكركي أهمية عمل اللجنة الوطنية للنهوض باللغة العربية التي بدأت عملها منذ ست سنوات في المجمع، وأوضح أهمية قانون حماية اللغة العربية بأنه القانون الذي ينظم ويلزم باستخدام اللغة العربية في الأنشطة الرسمية كافة.

ودعا الدكتور الكركي أصحاب المبادرات إلى عدم قبول العاميّة مشجعاً إياهم استخدام اللغة العربية السليمة لأن العامية ما هي إلا عربيّة عجزت عن أن تكتمل كالجنين المشوّه أو غير كامل النضوج، مشيراً إلى أن العامية ليست تطوراً وإنما عودة إلى الوراء، وأنهى كلمته بمباركة جهود المبادرات وشكرهم والثناء عليهم مؤكداً أن العربية التي نريدها لها ثلاثة أوجه: عربية اللسان، وعربية القلب، وعربية العقل، هذه هي العربية التي ندافع عنها.

ثم تلتها شروحات حول المبادرات اللغوية التي حضر مندوبون وممثلون عنها لتوضيح أهميتها وآلية العمل فيها ومدى إسهامها في خدمة العربية. تخللتها عروض مرئية توضح نشاطها والفئات المستهدفة فيها ومراحل العمل وتطورها.

وكانت من بين هذه المبادرات: مبادرة مهوى القراءة ومكتبة عابر سبيل، وتعظيم المحتوى العربي على موسوعة (ويكيديا)، ومبادرة مجمّع تعليمي لتدريس قضية إملائية من الجامعة الهاشمية، ومبادرة مؤسسة بالعربي من الجامعة الأردنية، ومبادرة نادي اقرأ من جامعة الطفيلة التقنية، ومبادرة الهدهد للمحتوى الإبداعي، ومبادرة إثراء المحتوى العربي على شبكة الإنترنت من مؤسسة بالعربية للترجمة والبحث العلمي، ومبادرة إثراء المحتوى العربي لتخصص نظم الوسائط من جامعة الزيتونة، ومبادرتنا ترجمة قصص قصيرة من الأدب الإنجليزي، وتجميع الأخطاء الشائعة وتصحيحها من مؤسسة آفاق العربية، ومبادرة محب الكتاب من دار البلسم، ودوري اللغة العربية من مدارس أكاديمية الرواد، ومبادرة دراسة النطاقات العربية من مركز تكنولوجيا المعلومات الوطني، ومبادرتنا مهارات اللغة العربية وخير جليس صفحات على موقع (الفيسبوك) من جامعة العقبة للتكنولوجيا.

وخرج اللقاء بتوصيات عدة، أهمها: عقد اجتماع شهري للمبادرات لتبادل الآراء والتعاون فيما بينها، وعقد لقاء مع مختصين لتقييم المبادرات من حيث الفكرة، والهدف، وآلية التطبيق، والخطة المستقبلية، والقيمة المضافة، والاستمرارية، والتجهيز لمختبر لغوي يلبي احتياجات المبادرين لتفعيل مبادراتهم.

يذكر أن اللقاء التفاعلي جاء استكمالاً لجهود المجمع الرامية لدعم المبادرات الفاعلة المتعلقة باللغة العربية خدمةً للغة العربية والنهوض بها لتواكب متطلبات العلوم والتكنولوجيا وتحفز الفاعلين من أبناء الوطن لمزيد من الإنجاز.

رسائل الدكتوراه والماجستير

حرصاً من المجمع على التعاون والتنسيق مع المؤسسات العلمية والأكاديمية، وعلى رأسها الجامعة الأردنية، فقد نوقشت في قاعة الأستاذ الدكتور عبدالكريم خليفة في المجمع الرسائل الآتية المقدمة إلى الجامعة الأردنية:

رسائل الماجستير في كلية الآداب:

- رسالة ماجستير مقدّمة من الطالب عبدالرحمن عبدالحميد الشرقاوي، عنوانها: "ظاهرة استدعاء الشخصيات التراثية الشعرية"، وتألّفت لجنة المناقشة من الأستاذ الدكتور حمدي منصور، المشرف/ رئيساً، وعضوية: الأستاذ الدكتور صلاح محمد جرار والدكتور محمد علي الشريدة والدكتور عبدالكريم الحيارى، وذلك يوم الخميس ٢٢ محرم ١٤٣٩هـ، الموافق ١٢/١٠/٢٠١٧م.

رسائل الدكتوراه في كلية الآداب:

- رسالة دكتوراه مقدّمة من الطالبة حنين إبراهيم معالي، عنوانها: "الأيدولوجيا والتشكيل الفني في نماذج من الرواية العربية في الأردن (٢٠٠٠ - ٢٠١٥)", وتألّفت لجنة المناقشة من الأستاذ الدكتور إبراهيم خليل، المشرف/ رئيساً، وعضوية: الأستاذ الدكتور أحمد الخطيب والدكتور سامي عابنة والأستاذ الدكتور شكري الماضي، وذلك يوم الثلاثاء ١٦ ربيع الأول ١٤٣٩هـ، الموافق ٥/١٢/٢٠١٧م.

رسائل الماجستير في كلية الشريعة:

- رسالة ماجستير مقدّمة من الطالبة عبير عدنان عودة طافش الحنايفة، عنوانها: "العلاقات التكاملية بين موضوعات القرآن (دراسة تأصيلية تطبيقية)", وتألّفت لجنة المناقشة من الأستاذ الدكتور سليمان الدقور، المشرف/ رئيساً، وعضوية: الأستاذ الدكتور محمد المجالي والدكتور ربحي جلال والدكتور خالد الشوحة، وذلك يوم الأحد ٥ ربيع الآخر ١٤٣٩هـ، الموافق ٢٤/١٢/٢٠١٧م.

رسائل الدكتوراه في كلية الشريعة:

- رسالة دكتوراه مقدّمة من الطالبة سندس عادل العبيد، عنوانها: "السعادة في السنة النبوية- دراسة موضوعية"، وتألفت لجنة المناقشة من الأستاذ الدكتور أمين القضاة، المشرف/ رئيساً، وعضوية: الدكتور عبدالكريم الوريكات والدكتور زياد العبادي والدكتور علي عجين، وذلك يوم الخميس ١٧ ذو القعدة ١٤٣٨هـ، الموافق ١٠/٨/٢٠١٧م.
- رسالة دكتوراه مقدمة من الطالبة آيات محمود أحمد أبو ليل، عنوانها: "استدراكات الثعالبي على ابن عطية من خلال تفسيره (الجواهر الحسان في تفسير القرآن) عرضاً وتفسيراً"، وتألفت لجنة المناقشة من الدكتور حاتم التميمي، المشرف/ رئيساً، وعضوية: الدكتور عبدالله الزيتون والدكتور سليمان الدقور والدكتور علي علان، وذلك يوم الأربعاء ١ ربيع الآخر ١٤٣٩هـ، الموافق ٢٠/١٢/٢٠١٧م.

الفهرس

رقم الصفحة	الموضوع
١٥	أولاً: البحوث
١٧	١- التوجه الفكري لعرب الجاهلية من خلال فن المحاورات النثري (كتابا الأغاني والسيرة النبوية أنموذجاً)
٥٩	٢- الأنواع الناشئة من (قَطْ): دراسة في مبناها ومعناها وتطورها اللغوي
١٥٣	٣- المعنى اللغوي وأثره في اتساع باب الأفعال الناسخة للابتداء
٢١١	٤- المشتقات التي لا أفعال لها: دراسة في معجم (المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده)
٢٧٧	٥- الاتساق والانسجام في الخطاب الشعري (هيرما فروديتوس) لسميح القاسم (دراسة في تحليل الخطاب)

٣٣٥ ثانياً: مع الكتب
٣٣٧	- مع التراث اللغوي المحقق؛ تعليقات د. منصور الكفاوين واستدراكات لغوية
٣٩٣ ثالثاً: أخبار جمعية